طبقات فحول الشعراء

تأليف

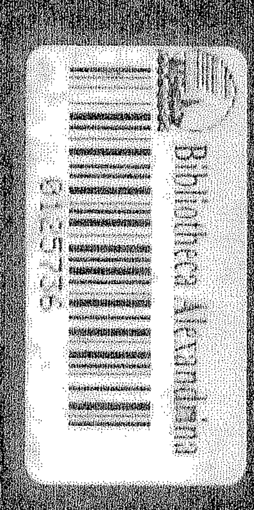
محمد بن سلام الجمحي

١٣٩ - ٢٣١ هجرية

قرأه وشرحه

أبو فهر

محمود محمد شاكر



السفر الأول



تأليف

محمد بن سلام الجمحي

١٣٩ - ٢٣١ هجرية

السِّفْرُ الأوّل

قرأه وشرحه

أبو فهر

محمود محمد شاكر

الفِكْرُ حَبْلٌ، مَتَى يُمْسِكْ عَلَى طَرَفٍ ... مِنْهُ، يَنُطْ بِالثُّرَيَّا ذَلِكَ الطَّرَفُ

وَالعَقْلُ كَالبَحْرِ، مَا غِيضَتْ غَوَارِبُهُ ... شَيْئًا، وَمِنْهُ بَنُو الأَيَّامِ تَغْتَرِفُ

أبو العلاء المعري

الناشر دار المدني بجدة

تليفون ٦٧٠٠٧٨٨ فاكس ٦٧١٣٤٢٤

أبو فهر
محمود محمد شاكر

برنامج

طبقات فحول الشعراء

جُرْ يا غُرابُ، وأفسِدْ لن ترى أحدًا ... إلا مُسيئًا، وأيُّ الناسِ لم يَجُرِ؟[1]
هُمُ المعاشِرُ، ضاموا كُلَّ من صَحِبوا ... مِن جِنسِهم، وأنا حُوْ كُلِّ مُحتجِرِ[2]
لو كُنتُ حافظَ أثمارٍ لهم يَنَعَتْ ... ثُمّ اقتربتَ ... لَمّا أخلوكَ من حَجَرِ[3]

شيخ المعرة

(1) جار: يجور، اعتدى عدوانًا ظالمًا لا إصلاح معه.
(2) هم المعاشر: هم الناس. ضامه: ظلمه حقه وبخسه. محتجر: ممتنع حماه مساجنه.
(3) ينعت: بلغت نضجها. لما أخلوك من حجر: لما بخلوا من حجر يرمونك به.

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
١٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

دِيبَاجَةُ الكِتَاب

إهـــداء

إلى مجلّة المورِد بالعراقِ ، لجميل
فَضْلِها على أهلِ هذا اللّسانِ العربيِّ

أبو فِهْر
محمود محمد شاكر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللّهمّ ونستهديك ونستغفرك ، ونتوكّل عليك ولا نكفرك ، ونَخْلَعُ من يكفُرك ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد الداعى إلى الهُدَى والرشاد ، وعلى أبوينا إبراهيم وإسمعيل ، وعلى أصحاب رسوله الذين اصطفاهم من خلقه ، وائتمنَهم على حفظ كتابه ، وإبلاغِ رسالته إلى الناس كافة ، صلاةً وسلامًا دائمين ، ما ناحت مطوَّقةٌ وما ذرَّ شارق .

كلمةٌ

هذا الكتاب كان فى أصله رسالة موجهة إلى مجلة « المورد » التى تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالعراق ، والتى يتولى أمرها الأستاذان عبد الحميد العلوجى ، وحارث طه الراوى . ولكنّى بعد أن مضيت فيها وخَشِيتُ أن تطول الرسالة ، إذ كُنْتُ مضطرًّا أن أُثْقِلَهَا بما أنقُله من مقالة نشرتها « المورد » ، كتبها الدكتور على جواد الطاهر ، عن « طبقات الشعراء . . . مخطوطًا ومطبوعًا » = رأيتُ أنّى سأكلّف المجلة ما لا تطيق ، فأرتكبُ فى حقّها جُرْمًا لا يُغْتفر . فأنا لا أشكُّ أنهم سوف ينشرون ما أكتب ولو طال ، لأنّه ردٌّ على كلامٍ نُشِر فيها ، فى المجلد الثامن ، فى خريف ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م . فظننتُ أنْ لو نشروا تلك الرسالة ، لتجاوزت ما تطيق مجلةٌ أن تنشره . هذا على أنّى لم أرَ هذا العدد من المجلة

إلا فى شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ ، فرأيت أيضاً أن الوقت قد فات .

فعندئذٍ آثرتُ نشرها كتابا نيابة عن مجلة « المورد » ، ولولا الحياء الذى يَعْصِم ، لاجترأتُ فوضعت اسم المجلة على غلاف هذا الكتاب . ولكنّى لا أتردّدُ البتّة فى تقديم هذا الكتاب إلى مجلة « المورد » ، اعترافا بجميل فضلها على أهل هذا اللسان العربىّ ، ومعذرة إليها إن ساءها منّى هذا الاجتراء .

أما لفظ « البَرْنامَج » الذى اخترته ليكون جزءا من عنوان الكتاب ، فهو أصلا بمعنى « الدِّيباجة » أو « الفاتحة » ، وهو أيضا يحمل معنى الورقة الجامعة للحساب أيًّا كان ، أو بمعنى الزِّمام الذى يُرْسَم أو يُقَيَّد فيه متَـاعُ التُّجار وسِلَعُهم . وهو معرّب « برنامه » الفارسية ، وكل معانيها مطابق لمضمون ما فى الكتاب ، فآثرت هذا اللفظ على فارسيته . وكل ماعرّبتْهُ العربُ بألسنتِها فهو من كلام العرب إن شاء الله .

ولما عزمت على نشرها كتابًا مُفرداً برأسه ، بدا لى أن أُلْحِق بآخره مقالة الدكتور على جواد الطاهر برُمتها ، كما هى منشورة فى المورد ، ولكنى بعد ذلك أحجمتُ ، مخافةَ أن أكون معتدياً على حقوق المجلة ، أو على حَقّ الدكتور على جواد ، لايبيحهُ هو لى ، ولا تطيب نفسه به . هَمَمْتُ ، ولَمْ أفعلْ ، وكِدْتُ . . . . ثم قبضتُ يدى ، ورأيت أن الذى أنقُلُه بنصِّه منها ، على طوله أحيانًا ، كفاية . ولم أخن الأمانة فى النقل مثقال حبَّةٍ من خَرْدَل .

وبمرّة واحدة ، كنتُ مستطيعاً أن أغُضّ الطرفَ عن هذه المقالة التى نشرتها مجلة « المورد » ، كما غضضتُه قديمًا وحديثًا عمّا هو أجودُ منها وأمثل ، ثم لا أهيجُها عن مجثِمها بين أعداد المجلة ، وأزْوِى وجهى عنها وأنصرف . فهى فى الحقيقة ، كدفاتر اليهودىّ ، كما يقال فى المثل ، لأنّ اليهودىّ إذا أفلس ، استخرج دفاتره القديمة ، وجعل ينظر فيها لكى يتَبَاهَى فى أيّام فقره ، بما كان وانقضى من أيّام غناهُ . فمقالة « المورد » هذه كُتِبتْ ، كما يقول صاحبها ، فى سنة ١٩٦٤ نقداً لكتابى « طبقات فحول الشعراء » ، الذى كان قد نُشِر سنة ١٩٥٢ . وهو يعيدُ نشرها فى سنة ١٩٨٠ ، بعد أن طبعتُ الطبعة الثانية من كتابى « طبقات فحول الشعراء » فى سنة ١٩٧٤ . ولا أدرى ماذا كان حدث لصاحبها الدكتور على جواد الطاهر ، فيما بعد سنة ١٩٧٤ ، حتى احتاج أن يعودَ إلى دفاتره القديمة ، فينشر ما كتبه سنة ١٩٦٤ ، فى سنة ١٩٨٠ ، وقد نُشِر كتاب الطبقات فى سنة ١٩٧٤ نشرة مخالفة كُلّ المخالفة لنشرة سنة ١٩٥٢ . وبالطبع ، هذه أغرب كائنةٍ حدثت فى حياتنا الأدبية !

فلغرابة هذه الكائنة ، ولأنى رأيت صاحبها قد جمع فيها القَاصىَ والدانىَ ، والشاردَ والواردَ ، وما يُنطَقُ باللسان ، وما يُكتَم فى الجَنان = ولأنى رأيت فيها أيضًا كائنةً غريبةً أخرى ، أنه لم ينشرها كما كتبها سنة ١٩٦٤ ، بل ظاهرٌ جدًّا أنّه أدخل عليها تعديلاً يُوافق الهدف الذى يرمى إليه ، فأخذَ من كلام فلان وفلان ، فأدخله فى صُلْبِ كلامه ، متوهّماً أنه سيخفى ، مع أنّ الذى أخذه مكتوبٌ بعد التاريخ الذى قال إنه فرغ فيه من

كتابة مقالته ، التي عرضها على الدكتور مهدى المخزومى ، والدكتور عزة حسن ، والدكتور مازن المبارك فى أواخر عام سنة ١٩٦٤ . كوائنُ غريبة فى الحياة الأدبية الفاسدة التي تعيش فيها الأمة العربية ، منذ زمان طويل .

فلِغَرابة هذه الكوائن ، نهيتُ نفسى عن الإغضاء عن هذه المقالة ، واحتملتُ عبء قراءتها مرّةً ثانية ، لأنى أريد أن أُبْلِيَ عُذْراً فى إرشادِ الأجيالِ الجديدة التي كُتِبَ عليها أن تعيش فى رَدَغَة هذه الحياة الأدبية الفاسدة ، التي أطبقت بفسادها على الأمة العربية والإسلامية . (الرَّدَغة : الماء والطين والوحل الكثير الشديد) . والسكوت عن فسادِ هذه الرَّدَغة ، مشاركة فى آثامها وجرائمها ، وهذه المشاركة الصامتة ، معونةٌ لكل متقحّم على إفساد أجيال من طلاّب علم العربية ، لاذنب لهم إلاّ أنهم طلبةُ علم ، فى جامعات يتولّى تعليمهم فيها من يعمل فى إفساد الحياة الأدبية .

وأيضا ، فإنى آثرتُ أن أكتبَ هذا « البَرْنَامَجَ » ، لأطرحَ عن ابن سَلاّم ما نزا كم عليه وعلى كتابه « طبقات فحول الشعراء » من أنقاضٍ أحدثتها قذائف الألسنة بلا ذنبٍ جناهُ ، ولأنفُضَ عنه ما غبّر وجهه من عِثْيَرِ الراجمين فى فِنائه ، نقدًا لشيءٍ واحدٍ . هو تسميتى كتابَهُ « طبقات فحول الشعراء » ، دون الاسم الذى عرف به ، وهو « طبقات الشعراء » . والذى أحدث لهؤلاء الراجمين هذا النَّقْب الذى دخلوا منه ، هو صديقى وأخى وعشيرى الأستاذ السيد أحمد صقر ، كان ذلك فى سنة ١٩٥٢ ، حين قال إنى قد « غيّرتُ » اسم الكتاب ، والحقيقة هى أنى « عدلتُ » ، عن اسمٍ مشهورٍ ، إلى اسمٍ مكتوب على المخطوطة التى كُتِبت فى سنة ٣١٠ من الهجرة

أو قبل ذلك بقليل . وهى تعدُّ من أقدم المخطوطات العربية الموجودة الآن فى دور الكتب . وسترى ذلك مفسَّرًا على وجهٍ فى هذا « البرنامج » .

* * *

وقد ضمَّنتُ هذا « البرنامج » ، ما يكشفُ حقيقةَ منهجى فى دراسة الكتب العربية ، مطبقًا تطبيقًا صحيحًا فى الكتاب الذى قرأْتُه وشرحتُه ونشرتُه ، وهو كتاب أبى عبد الله محمد بن سلَّام الجمحىّ : « طبقات فحول الشعراء » . ولأول مرة فسَّرت حقيقة عملى فى « دراسة أسانيد الكتب الأدبية » ، كالأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، وكالموشح لأبى عبيد الله محمد ابن عمران المرزُبانىّ ، وهو أساسٌ لكُل دراسة لكتبنا الأدبية التى سارت على النهج الصحيح فى إسناد الأخبار والآثار والأشعار . لم أكتبْهُ من قبلُ ، لأنّى لست ممن يتبجَّح ويتباهَى بشىءٍ فعله . وكنتُ ، ومَا أزال ، أرى أن تطبيق « المنهج » ، خيرٌ وأمثلُ وأجدَى من وَضع قواعد للحفظ ، لا يعرف من يحفظها كيف يطبقها . ومنهجى مبثوثٌ فى كل ما نشرتُ من الكتب ، وفى كُلِّ ما كتبتُ بيدى ، وفى كُلِّ ما أرشدتُ إليه من استرشدنِى من طلبة العلم . وهذا حَسْبى .

ولكن العجبَ بعد ذلك ، أن يأتىَ آتٍ لم يتمرَّسْ بما تمرَّسْتُ به حتى وضعت منهجى وطبقته تطبيقًا مبثوثًا فى كُلِّ كُتبى ، يأتى هذا الآتى ، وعليه طَيْلسانٌ ، فيأخذ كُتُبى فيقرأها بلا فهم ولا عناية ولا مراجعة ولا تثبُّتٍ ، فيغانّ فى نفسه الظنون ، فينقدَ ما كتبتُ . وأنا فى الحقيقة لا أُبالى بهذا الضرب من النقد الذى يكتُبه الدكتور على جواد الطاهر وأشباهُه ، فأردت بهذا « البرنامج » ، تجلية الحق لا استهانةً بأقدارهم ، ولا حَطًّا لمنزلتهم ، بل

أن أظهر ما يخفيه من تحته هذا الطَّيْلَسَانُ الذى أطلقوا عليه اسم « المنهج العلمى » أو « علم التحقيق » ، فكان ما كتبه الدكتور على جواد الطاهر أحسنَ مثَلٍ لهذا الطَّيْلَسَان الذى يختالُ فيه المختال ، ومن تحته زِقٌّ أجوفُ ، كما قال أبو الطيب فى أستاذية كافور :

وقد ضَلَّ قومٌ بأصْنامِهِمْ ، وأمَّا بِزِقِّ رِيَاحٍ ، فلاَ !
ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ ، رَأى غَيْرُهُ منه مالا يَرَى

فهذا « المنهج العلمى » أو « علم التحقيق » الذى يختالُ المختال فى طيلسانه ، ليسَ إلاّ دروسًا أنشأها جماعة من أغتامِ الأعاجم فى زماننا ، فتلقّنوها عنهم حفظاً عن ظهرِ قلبٍ ، فإذا جاء أحدَهم كتابٌ أو وقع فى يده ، نَظَرَ ، فإذا كانت القواعدُ المحفوظة مطبّقة فى هوامش الكتاب ، فذاك الكتابُ ، ذاك الكتاب « المحقق » . فإذا لم يَرَ أثراً ظاهراً فى هوامش الكتاب يطابقُ المحفوظ من القواعد ، فهو كتاب : « غير محقّق » ، « كتابٌ ردىءٌ جدًّا » ، يقولها قائلهم ، رافعاً هامتَه ، ناصباً قامته ، مصعِّراً خدَّه ، زَامًّا بشفتيه وأنفه ، كهيئة المتقزِّز المتقذِّر . بهؤلاء وأشباههم ، تفشَّى وَباء « تحقيق الكتب » على هذه القواعد المحفوظة ، وشوَّهَ وجهَ الكتاب العربىّ هذا السَّيلُ الجارف بما يحمِلُ من غُثَاءٍ وجُفَاءٍ وقَذَرٍ . هذا عجبٌ !

بيد أن أعجب العَجَب عندى ، أن يأتى هذا الآتى ، فلا يقتصر على أن يحاكمنى إلى محفوظه من قواعد « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » ، بل يُريدُنى أيضًا أنْ أتبع هذا « المنهج » قسْراً ، وإلاّ فإنّ إساءتى بخلاف هذا « المنهج » إساءةٌ تُوجبُ العقوبة ، لا لا ، بل توجبُ الغمز واللمز والهمز ،

وتَرْميز الحواجب والعيون ، لاتقذراً وتقزُّزًا فحسبُ ، بل استهزاءً واستهانةً ،
نزولاً إلى دَرَكٍ يستحى معه هذا الآتى ، أن ينطق اللسانُ بألفاظٍ أستحقُّها
أنا وعملى معًا ، فيلجأ إلى ما يدخُل فى طَوْقه من التَّقيَّة ، وإلى مالا يدخُل
فى طَوْقِه ولا يحسنه من َمماريض الـكلام التى لا يحسنها إلا الـكُتّاب .
هذا هو الذى سمَّيْتُه فى آخر هذا « البَرنامج » : الحَياء المُقْذِع (من
القَذَعِ ، وهو قول الخَنَى والفُحْش) :

ولو تَرْمى بلُؤْمِ بنى كُلَيْبٍ نُجُومَ اللَّيْلِ، ما وَضَحَتْ لِسارِى
ولو لَبِسَ النَّهارَ بنو كُلَيبٍ ، لَدَنَّسَ لُؤْمُهمْ وَضَحَ النَّهارِ

كهذا الذى قاله الفرزدق لجرير .

فمن أجل هذا كتبتُ هذا « البرنامج » ، لأميطَ الأذَى عن نفسى ،
وعن شيخىَ ابن سلام ، وعن كتابه « طبقات فحول الشعراء » . والحمد لله
أولاً وآخراً ، وصلى الله وسَلّم على نبينا محمّد ، وعلى أبوينا إبراهيم وإسمعيل ،
وعلى أصحاب رَسولنا أئمّة الهُدَى والرشاد .

يوم الاثنين ١٣ من جمادى الآخرة ١٤٠٠ من الهجرة
٢٨ من إبريل ١٩٨٠ للميلاد

مصر الجديدة
٣ شارع الشيخ حسين المرصفى

وكتب
أبو فهر
محمود محمد شاكر

علي جواد الطاهر
كلية الآداب - بغداد
٢٤ / ١١ / ١٩٦٨

الأستاذ الكريم والبحاثة الجليل الشيخ محمود محمد شاكر حفظه الله

تحية واحتراما راجيا لكم الخير والصحة والطراد التحقيق والنشر

وبعد، فقد سررت أيما سرور برسالتكم اللطيفة الرقيقة، وأكثر ما زاد السرور والابتهاج خبر إعدادكم تحقيق "طبقات الشعراء" إلى طبعة ثانية بعد عثوركم على المخطوطة الضائعة.

وكنت أتمنى لو ملكت نسختي من مجلة الآداب (ديسمبر ١٩٦٥) ومجلة الأديب (أبريل ١٩٦٧، مايو ١٩٦٧) إذاً لبعثت بها إليكم لمعرفة رأيكم فيها والإفادة من تنبيهكم على ما حوت من مادة أو رأي؛ وربما تيسرت لكم يوما، ولعلني أحظى بملاحظاتكم على ما جاء فيها أو في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الأول والثاني من المجلد الحادي والأربعين)

وقد أرى تواضعكم إلا أن تطلبوا ما لدي من ملاحظات، وليس لي ما يستحق الذكر، ولا شك في أن التحقيق الجديد سيزيل الآثار التي شكوتم من وقوعها في التحقيق الأول.

ولي في مخطوطة كتابي "محمد بن سلام..." فصلان، الأول بعنوان "طبقات الشعراء مخطوطات"، والثاني ... مطبوعا، ولم أنشرهما انتظارا للطبعة الجديدة.

وإني ذاكر هنا خلاصة لعدد من ملاحظات الفصلين - مع رجاء العفو والعذر.

١- اسم الكتاب: طبقات الشعراء ولا تسميته "طبقات فحول الشعراء" تسمح وتجوز، وتشمل عنوانات فصول الكتاب: الطبقة ... من فحول الشعراء...

٢- جاء على الصفحة ٧ من مقدمتكم "... ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات لا خير فيها..." ولكني لم أجد إلا طبعة واحدة هي "المحمودية ... لصاحبها محمود علي صبيح".

٣- لو وضعت المنقول من الأغاني والموشح والأمالي بين حاصرتين [ ] ، ولو استغنت المقابلة عنها بإحالة أخرى في المصادر التي رجعتم إليها

٤- رجعتم في تحقيق الطبعة الأولى من تحقيقكم إلى مخطوطتكم وطبعة بريل والسعادة... وكنت أتمنى لو رجعتم إلى مخطوطة شيخ الإسلام في المدينة المنورة وهي مصورة في معهد المخطوطات في القاهرة برقم فيه ١١٢٨ (تاريخ) - أقول هذا وقد تكون في قولي الحالة.

٥- لو اكتفى بالتحقيق فهرس خاص بالمفردات ... وآخر بالمصادر والمراجع التي استعان بها المحقق

إذ يحتمل هذا الكلام بعض خلفنا أن تشوقا إليكم بالغا تحقيق الطبقات الشعراء

هذا وشكرا وتقدير التمس منكم تزويدي السلام. أرجو للأستاذ الكريم وافر الصحة وتمام الخير

والسلام عليكم

[توقيع]

قرأتُ فى المجلّد الثامن من « المورد » ، العدد الثالث ، الصادر فى خريف ١٣٩٩ ، ١٩٧٩ ، كلمة الدكتور على جواد الطاهر ، بعنوان « طبقات الشعراء . . مخطوطًا ومطبوعًا » . وقبل كلّ شىء ، أجدُه حقًّا علىّ ، أن أقصّ القصة التى أشار إليها الدكتور على فى تعليقه الأول [ص : ٢٥ من عدد المورد ، الثالث ١٩٧٩] . كنت حديثَ عَهْدٍ بالخروج من السجن الطويل . فى أوائل سنة ١٩٦٨ ، فوصلتنى رسالةُ الدكتور على جواد الطاهر ، يذكرُ فيها رغبتَهُ فى إعادة طبع كتاب ابن سلام ، الطبقات ، ولكنى كنت يومئذ ، قد أعددت العدة لنشره ، فكتبت إليه رسالةً تحمل هذا المعنى ، فجاءتنى منه رسالةٌ أخرى ، أرى من الصواب أن أنشُرها ، وهذا نصُّها ، مؤرخة بتاريخ ١٩٦٨/١١/٢٤ :

* * *

الأستاذ الكريم ، والبحاثة الجليل الشيخ محمود محمد شاكر ، حفظه الله .

تحيةً واحترامًا ، راجيا لكم الخير والصحة واطراد التحقيق والنشر .

وبعد ، فقد سررت أيما سرور برسالتكم البليغة الرقيقة ، وأكثر ما زاد السرور والابتهاج خبر إعدادكم تحقيق « طبقات الشعراء » إلى طبعة ثانية ، بعد عثوركم على المخطوطة الضائعة .

وكنت أتمنّى لو ملكتُ نسخا من مجلة الآداب (ديسمبر ١٩٦٥) ،

ومجلة الأديب (إبريل ١٩٦٧ ، مايو ١٩٦٧) ، إذاً لبعثتُ بها إليكم لمعرفة رأيكم فيها والإفادة من تنبيهكم على ما حوت من مادة أو رأى . وربما تيسّرت لكم يوماً ، ولعلنى أحظى بملاحظاتكم على ما جاء فيها ، أو فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الأول والثانى من المجلد الحادى والأربعين) .

وقد أبى تواضعكم إلاّ أن تطلبوا ما لدىّ من ملاحظات ، وليس لى ما يستحق الذكر ، ولا أشكّ فى أن التحقيق الجديد سيزيلُ الآثار التى شكوتم من وقوعها فى التحقيق الأوّل .

ولى فى مخطوطة كتابى « محمد بن سلام ... » فصلان ، الأول بعنوان : « طبقات الشعراء مخطوطاً ، والثانى ... مطبوعاً » ، ولم أنشرهما انتظاراً للطبعة الجديدة .

وإنى ذاكر هنا خلاصةً لعدد من ملاحظات الفصلين ، مع رجاء العفو والعُذر :

١ — اسم الكتاب ، طبقاتُ الشعراء ، وفى تسميته « طبقات فحول الشعراء » ، تسمح وتجوّز ، ومثله عنوانات فصول الكتاب .. الطبقة ... من فحول الشعراء .

٢ — جاء على الصفحة ٧ من مقدمتكم : « ... ثم طبع الكتاب بعد ذلك طبعات لا خير فيها .. » ، ولكنى لم أجد إلاّ طبعة واحدة ، هى « المحمودية لصاحبها محمود على صبيح » .

٣ — لو وضعت النقول عن الأغانى والموشح والأمالى بين حاصرتين [ ] ، ولو استنفدت المقابلة الروايات الأخرى فى المصادر التى رجعتم إليها .

٤ — رجعتم فى تحقيق الطبعة الأولى من تحقيقكم إلى مخطوطتكم ، وطبعة بريل والسعادة .. ، وكنت أتمنّى لو رجعتم إلى مخطوطة شيخ الإسلام فى المدينة المنورة ، وهى مصورة فى معهد المخطوطات فى القاهرة ، ورقمها فيه ١١٢٨ (تاريخ) ، أقول هذا وقد يكون فى قولى إطالة .

٥ — لو ألحق بالتحقيق فهرس خاص بالمفردات ... وآخر بالمصادر والمراجع التى استعان بها المحقق .

إنّ من حُسْن حظ الإسلام وحُسْن حظنا أن يتولى الشيخ محمود شاكر تحقيق طبقات الشعراء .

الأخ الدكتور نورى القيسى يخصكم بمزيد السلام . أرجو للأستاذ الكريم وافر الصحة وتمام الخير .

واسلموا للمخلص

(على جواد الطاهر) (توقيع)

* * *

وصلتنى هذه الرسالة الرقيقة الكريمة ، فى أواخر سنة ١٩٦٨ ، ثم مرضتُ مَرْضة شديدة استمرّت سنواتٍ ، فلم أتمكّن من العمل فى الكتاب منذ أواسط سنة ١٩٦٩ ، إلى أوائل سنة ١٩٧٣ ، ثم منّ الله بالشفاء فأتممته وفرغت من طبعه فى آخر فبراير سنة ١٩٧٤ . ونسيتُ هذه الرسالة الكريمة

ولم أذكرها إلا حين قرأتُ مقالة المورد ، ولو كنت أذكرها لما قصّرتُ في الإشادة بها وبصاحبها في مقدمة الطبعة الثانية ، ولما قصّرت أيضاً في البحث عن مجلة الآداب ، ومجلة الأديب ، ولكان يسيراً عليّ أن أرجع إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، فأوفيه حقّه غير منقوص . هذا عذرى . فإن قبله فهو مشكور ، وإن ردّه عليّ فهو عندى معذور . وأحبّ الأمرين إليّ أن يقبلَ عذرى ، لأنّه به أليق . - ولأنّه ، كما قال في تعليقه المنشور في مجلة المورد ، انتهى من بحثه في شأن ابن سلام وكتابه « الطبقات » ، في أواخر سنة ١٩٦٤ ، ثم نشر ما نشر منه متفرقًا في مجلات مختلفة في سنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ . وفي هذه السنوات لم أكنْ مستطيعًا أن أعرفَ شيئًا مما يجرى في هذه الدنيا ، وأنا من وراء الأسوار الحصينة . ولما جاءتني رسالته الرقيقة في آخر سنة ١٩٦٨ ، وفيها وعده لي بإرسال صورٍ مما نشر ، ترقبت وفاءه بوعده ، فيما أظنُّ ، ولم أردّ على رسالته ، ثم لم أكد حتى فاجأني المرضُ ، فأنساني ما أُرادُفُ أوْصابه وطوارق وعكاته ، ما كان ينبغي أن أذكره يومئذٍ من فضل هذه الرسالة وفضل كاتبها .

وحين فرغتُ من قراءة ما نُشِر في مجلة المورد ، ثم استخرجتُ هذه الرسالة الكريمة فقرأتُها ، هالنى الأمرُ ، ولم أدرِ ماذا أقول ، وأعجزني تفسيره ؟ فالرسالة التي كتب بها إليّ في سنة ١٩٦٨ ، تدلُّ على أنه حين علم بإعدادى كتاب طبقات الشعراء للنشر ، آثر أن يتأنّى في نشر فصلين من كتابه عن « محمد بن سلام الجمحى » ، وهما : « طبقات الشعراء مخطوطًا » و « طبقات الشعراء مطبوعًا » ، تفضّلاً منه وكرما ، وانتظاراً للطبعة الثانية

من الكتاب . (وذكر مثل ذلك أيضاً فى تعليقه رقم (١) ، بمجلة المورد) .
ومعنى هذا التأنّى والانتظار ، هو فيما أظن ، أنّه فعل ذلك حتى تصدر الطبعة الثانية من « طبقات الشعراء » ، ليدخل تعديلاً على هذين الفصلين اللذين كتبهما فى سنة ١٩٦٤ ، فى نقد الطبعة الأولى التى صدرت سنة ١٩٥٢ ، حتى يكون نقدُه كله موجّهاً إلى الطبعة الجديدة = أو على الأقل ، أن يجمع بين الأمرين فيذكر ما كتبه عن الطبعة الأولى ، مقروناً بما فعلته فى الطبعة الثانية ، عند كلّ موضع كان لهُ عليه مأخذ .

ولكنى رأيتُ المقالة المنشورة فى مجلة المورد [المجلد الثامن ، العدد الثالث ، سنة ١٩٧٩] هى نفسُ ما فرغ من كتابته فى سنة ١٩٦٤ ، نقداً على الطبعة الأولى التى صدرت فى سنة ١٩٥٢ ، وبعد صدور الطبعة الثانية فى سنة ١٩٧٤ بست سنواتٍ ، وبعد رسالته إلىّ فى سنة ١٩٦٨ بإحدى عشرة سنة ! وهذا النشر لا غبار عليه ، إذا كان الفرقُ بين الطبعتين طفيفاً ، ولكن إذا صارَ الفرقُ فرقًا جوهريًّا ، فنشر المقالة على هذه الصورة القديمة ، أمرٌ يحتاجُ إلى فضل نظرٍ . وذلك لأن الطبعة الثانية لم يردْ لها ذكْرٌ إلا فى عشرة مواضع من تعليقاته التى بلغ عددها (١٢٩) تعليقًا ، وإلا فى مواضع متناثرة فى صلب المقالة التى كتبت سنة ١٩٦٤ ، وظاهرٌ أيضًا أنها إضافة حديثة أكثرها تأييد لنقده على الطبعة الأولى . ولكى يكون الأمر واضحًا ، أبدأ بملاحظاته أو مآخذه التى بدأها [ص : ٣٨] من المورد ، وأؤجل المأخذ الأوّل المتعلق بتسمية الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وأبدأ بالمأخذ الثانى [ص : ٣٩] والذى وصفه بقوله : « ثانيًا : نقل ما جاء فى الأغانى وغيره إلى « طبقات الشعراء » لسدّ النقص والخلل » . وسأفعلُ ذلك بغاية

الاختصار ، لأنى أريد أن أتحقق من صحة ما قلته آنفًا عن هذه المقالة المنشورة بعد ست سنوات من ظهور الطبعة الثانية .

* * *

(١) بدأ هذا المأخذ بنقلٍ من الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ ، وكنت قلت فى المقدمة : « استبحتُ لنفسى أن أنقل أخبار أبى الفرج التى أسندها عن أبى خليفة إلى ابن سلامٍ فى مواضعها التى ظننتُ أنها أحقُّ بها ... » ، ثم أشار فى التعليق رقم : (١١٠) إلى [شاكر : ٣١ ، ٣٢] ، ولم يشر إلى مكانه فى الطبعة الثانية . وهذا النص الطويل الذى نقله ليس موجوداً فى مقدمة الطبعة الثانية ، لأنى غيَّرتُ مقدمة الكتاب تغييراً جوهريًّا ، وذلك لأنى أنشأت فى مقدمة الطبعة الثانية فصلاً سميته : « بابة نسخة أبى الفرج الأصفهانى من كتاب الطبقات ، وما نقله عنه فى كتابه الأغانى ـ ونسخٌ أخرى » [الطبعة الثانية ، مقدمة ص : ٣٨ ـ ٤٠] .

وفى هذا الفصل ، استظهرتُ أن نسخة أبى الفرج التى أجازه أبو خليفة بروايتها عنه نسخة تامة ، وأنّه نقل عنها نَقْلاً صحيحًا تامًا فى أكثر ما رواه فى كتابه الأغانى ، وأنه تبين لى بالمراجعة والفحص ، أنّ أخباره المسندة إلى ابن سلام ، جاءت مطابقة لما فى « المخطوطة » ونسخة المدينة « م » مطابقة تامةً فى أكثر الأحيان ... [مقدمة الطبعة الثانية ص : ٤٣] ، ثم قلت بعد ذلك :

« ولما رأيتُ المطابقة الصحيحة بين ما كان فى أصل الطبقات وما جاء فى كتاب الأغانى ، استبحتُ لنفسى فى الطبعة الأولى أن أزيدَ فى مواضع

الخرْم من نسختى المخطوطة . أخباراً نقلتها من الأغانى بأحد أسانيده الثلاثة عشر المذكورة آنفا ، وزدتُها أيضا على نسخة المدينة ، التى طبع عنها ما طُبع من الطبقات ، وأنا على يقين يومئذ من أنها (أى نسخة المدينة) مختصرةٌ من كتاب الطبقات . فعاب علىّ ذلك بعضُ أهل الفضل من العلماء . ولكن لما جاءتنى مصوّرة « المخطوطة » كاملة ، وجدتُ كلّ مازدته من الأغانى موجوداً فى « المخطوطة » ، بل كان بعضُها فى نفس سياق ابن سلام وفى موضعه من كتابه . كما أثبته أنا استظهاراً . مثال ذلك : الخبر رقم : ٧٩٥ ، فإنى كنت وضعته بعد الخبر : ٧٩٣ مباشرة ، وهو كذلك فى المخطوطة ، إلاّ أنه فصل بينهما الشعرُ الذى رواه ابن سلام فى رقم : ٧٩٤ = والخبر رقم : ٩٤٧ ، كنت نقلتُه من الأغانى ، ووضعته بعد الخبر رقم : ٩٤٦ ، فكان كذلك فى « المخطوطة » أيضًا . ومواضع أخرى أدَع التكثير بذكرها .

« من أجل ذلك رأيت أن الذى فعلتُه ليس عيبًا قادحًا فى عملى ، لأن مافى الأغانى ، هو بيقين من كتاب الطبقات ، ووضعى إيّاه اجتهاداً فى موضع من الكتاب ، ربما أصاب موضعه من أصل ابن سلام . وربّما أخطأ الموضع الذى وضعه فيه . ولكنه مع ذلك من أصل ابن سلامٍ بلاريب . ولاعيب فى ذلك إن شاء الله ، وعسَى أن يأذن الله بظهور مخطوطة كاملة من الطبقات ، تؤيد أكثر ماذهبت إليه فى إثبات هذه الأخبار فى مواضع النقص والخرم التى وقعت فى « المخطوطة » ، وفى « م » ، [مقدمة الثانية ص : ٤٣ ، ٤٤]

ثم عقبت على ذلك ببيان المواضع التى أدخلت فيها روايات أبى الفرج من نسخته التى نقل عنها فى كتاب الأغانى ، وذكرت أرقام الأخبار فى

الطبعة الثانية ، ثم قلت : « فهذه خمسةٌ وعشرون موضعاً ، فيها ستة وثلاثون خبراً . منها خبران مذكوران فى « م » ، ولكنى أثبتُّ نص الأغانى ، وخبران فى « المخطوطة » زدت فيهما من الأغانى أسطراً ، وتسعة أخبار زيادة على المخطوطة ، لأنّى أرجح أن نسخة أبى الفرج كانت أتمّ منها . فيبقى بعد ذلك ثلاثة وعشرون خبراً . كلها زيادة على « م » (نسخة المدينة) ، وهى مختصرة ، كما أثبت ذلك فى « بابَة مقارنة المخطوطتين » . [المقدمة ص : ٤٠] .

فإغفالُ هذا الذى فاتَه فى الطبعة الثانية ، والاقتصار على ما فى الطبعة الأولى ، ليس بالحسنِ ، ولا أزِيد على هذا .

* * *

(٢) ثم جاء فى المقالة بعد قليل (المورد ص : ٤٠) مايلى : « ومع أن الأستاذ المحقق ، كان صبورًا فى مراجعة الأغانى والنقل عنه ، والمقابلة بين نصوصه ، أنه حين ينقل بيت كثير :

أريد لِأنسى ذِكرَها فكأنما تمثَّلُ لى ليلى بكُلِّ سبيل

لم ينقل ماجاء بعده عن ابن سلام (بالإسناد نفسه) من أنه ، أى ابن سلام ، قال : « وقد رأيت من يفضّل عليه بيت جميل :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتله تبلى »

وأشار فى التعليق رقم : (١١٣) فقال : [ابن سلام ٤٦٢ (= ط ٢ : ٥٤٦] أى بالرجوع إلى الطبعة الثانية ، وفى التعليق رقم (١١٤) : [« الأصبهانى ٤ : ٢٦٦ »] . وفى عبارته بعض التجوّز ، لأنى هنا لم أنقل شيئًا عن الأغانى

بل الخبر موجودٌ فى أصل الطبقات نسخة المدينة ، ورقم الخبر فى المطبوعة الثانية هو (٧٣٢) . وهو بنصّه هناك فى كتاب المرزبانى [الموشح : ١٤٧] أما الذى جاء فى الأغانى [٤ : ٣٦٦] والذى ذكره فى التعليق ، فإسناد أبى الفرج فيه هو : « أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام = وأخبرنى الحرمىّ قال حدثنا الزبير ، عن محمد بن سلام » ، وهما إسنادان أحدهما عن أبى خليفة ، والآخر عن الزبير بن بكار ، كلاهما عن محمد بن سلام . ومثل هذا الإسناد المتداخل ، لم يكن من شَرْطى فيما نقلتُه عن أبى الفرج ، ولذلك لم أذكره بنصه فى الطبعة الأولى ، بل أشرت إليه فى [ص : ٤٦١ ، تعليق : ١ ، وص : ٤٦٢ ، تعليق : ٢] . ونعم ذكره أبو الفرج أيضًا فى الأغانى : (٨ : ٩٥) . بإسنادٍ يوافق بعض مانقلته إلى الطبقات من روايته ، ولكنه سقط منه ما هو ثابت فى مخطوطة الطبقات « م » وفى نص الموشح وهو : « قال ابن سلام : وسمعت من يطعنُ عليه ويقول : ماله يريد أن ينسى ذكرها ؟ » . وفيه أيضًا بعض التصرف فى لفظ الخبر ، كما يتبيّنُ ذلك بالمراجعة ، فآثرت الإشارة إليه فى الطبعة الأولى ، ولاسيّما أنى رأيت أبا الفرج ذكر الخبر الذى قبله بقليل [رقم : ٦٧٣ الطبعة الأولى] فغيّر فى لفظه ، فقال فى الأغانى ٩ : ٣٢] : « أخبرنا أبو خليفة ، حدثنا ابن سلام قال : كان كثير مُدّعياً ، وكان جميل صادق الصبابة والعشق » ، وبمراجعة خبر الطبقات : [٦٧٣ أولى] يتبيّن أنّه جاء بالمعنى دون اللفظ .

ومع كلّ ذلك فإنى فى الطبعة الثانية ، عند الخبر رقم : ٧٣٠ ، نقلت فى الهامش تعليق رقم : ٣ ، نصّ ماجاء فى الأغانى [٨ : ٩٥] الذى أفرد فيه الرواية عن أبى خليفة عن ابن سلام ، وأشرت إلى الرواية التى أدمج فيها

الطريقين : طريق أبى خليفة ، وطريق الزبير بن بكار ، وكلاهما عن ابن سلام ، وهو فى الأغانى [٨ : ٩٥] ، فالذى عابه الدكتور على جواد فى هذا الموضع ، إنما هو عيبٌ على الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ وحدها . وهذا غريب جدًّا ، لأنه ذكر الطبعة الثانية هنا [ص : ٥٤٦] ، والذى طلب أن أفعله موجودٌ فى الصفحة التى قبلها على التمام [ص : ٥٤٥] !

* * *

(٣) ثم قال بعد مأخذه السالف مباشرة : « وحين مرّ بأبيات الفرزدق الأربعة التى جاءت فى الطبقات : « هما دَلَّتَانِى . . . لم يشر إلى أن البيت الرابع ورد فى الأغانى :

أبادرُ بوّابَيْنِ قد وُكِّلا بها وأحمرَ من ساجٍ تبيصُ مَسامِرُهْ

علمًا أن رواية الأغانى عن أبى خليفة عن ابن سلام » . وأشار فى هذا الموضع بتعليق رقم (١١٥) فيه : [ابن سلام : ٣٦ ، ... ط ٢ : ٧٩ والصواب : « ٢ : ٤٤ » ، ثم رقم (١١٦) وفيه : [الأصبهانى : ١٦ : ١٦٦] وكان حق الدكتور على هنا أن ينتقد نقلى هنا عن الموشح . لأنى فى الطبعة الأولى أتممت الخبر رقم : ٤١ من الموشح : ١١٣ = إلى أواخر الخبر : ٤٣ ، وأقحمت فيه ما جاء فى الأغانى [٦ : ١٦٦ ، ١٦٧] من أول قوله : « فأجّله ثلاثًا . ثم أخرجه عنها » ص ٣٨ ، إلى قوله : « وهما قصيدتان » ص ، ٣٩ من الطبعة الأولى . وفى الطبعة الأولى إساءة أخرى ، كان ينبغى أن يأخذها الدكتور علىّ ، لأنى لم أذكر عند الخبر رقم : ٤١ منها إلى أول الخبر رقم : ٤٤ : مافعلته ، ولا من أين نقلته ؟ ولا كيف أقحمت فيه ماليس منه ؟

أما فى الطبعة الثانية ، فإنّى أتممت الخبر نفسه (رقم : ٤٦ ـ ٤٩) عن الموشح [ص: ١١٣ ، ١١٤] ، وليس فيها البيت الذى ذكره « أبا در بوابين ... » ، ثم رفعتُ هذا الإقحام السىء من هذا المكان ، وجئت بخبر الأغانى تامًّا على وجهه ، برقم : ٥٠٦ [ص: ٣٧٢ طبعة ثانية] . وفيه هـذا البيت الذى ذكره ، وفى التعليق رقم (٣) قلت ، « انظر ماسلف رقم : ٤٨ ، وفيه أربعة أبيات من هذه الأبيات الأولى ، فيما نقلته عن الموشح . أما هذا الخبر فهو زيادة أرجح أن هذا موضعها . نقلتها عن الأغانى [١٦ : ١٦٦ ، ١٦٧] . و « م » (نسخة المدينة) التى نعتمدها فى هذا الخرم من مخطوطتنا ، مختصرة كما مضى مراراً » ثم قلت فى التعليق (٤) من الصفحة نفسها : « هذا البيت ، (وهو الذى ذكره الدكتور على) ، لم يرد فيما سلف رقم : ٤٨ » . وهذا أيضًا غريب جدًّا . لأنه لم يتنبَّه لإساءتين بالغتين ، وانتبه لبيتٍ يجىء فى خبر آخر غير هذا الخبر ، كنت أنا السبب فيه بإقحامى جزءاً من خبر الأغانى [١٦ : ١٦٦] فى خلال خبر بعيد عنه ، ثم أعدت الأمر إلى نصابه فى الطبعة الثانية ، ففصلت القول فى هذا ص ٤١ تعليق : ١ ، ثم فى ص : ٣٧٢ ، حيث نقلت خبر الأغانى على وَجْهِه ، وعلّقت عليه . هذا أمرٌ غريب جدًّا ، لأنه فى هذا المأخذ ذكر الطبعة الثانية من الطبقات [ص : ٤٤] . ولم يلق بالاً إلى الموضع الآخر ص ٣٧٢ منها .

* * *

(٤) ثم انصرف الدكتور على عن مآخذه علىّ فى شأن كتاب « الأغانى » ، وبدأ يذكر مآخذه علىّ فى شأن كتاب الموشح للمرزبانىّ ، وذكر فيه ستة عشر مأخذاً .

● وأول ماقدم به رقم (١) « أن الموشح قد يختصر ، فقد نقل ص ٢٢ ماجاء بشأن الإكفاء والإيطاء بإيجاز واضح . إذا قيس بما جاء عن الموضوع نفسه فى الطبقات ص : ٦٠ . ٦٢ ، ٦٥ » . وبالطبع ، هو يريد أن يوقع فى الوهم أن أكثر ماجاء فى الموشّح مختصر ، ومع ذلك فإنى فى الطبعة الثانية ، قد أشرت إلى مافعله صاحب الموشح ، منذ أول الخبر رقم : ٦٢ إلى صدر الخبر رقم : ٩٤ = ثم من أول الخبر رقم : ٩٦ ، إلى آخر رقم : ٩٨ = ثم الخبر رقم : ١٠٢ ، كله مع حذف شاهدين . واختصار المرزبانى لحديث ابن سلاّم عن الإقواء والإكفاء : له نظر آخر غير اختصار الأخبار المرويّة : لا أطيل الحديث عنه .

● وفى رقم (٢) قال : « ورد إسنادُ هذا الخبر (يعنى ماقاله فى الإقواء والإكفاء . . .) فى الطبقات إلى محمد بن سلامٍ عن يونس ، بينما يقف الموشح عند ابن سلام » ، ويعنى أن صاحب الموشح قال : « حدثنى إبراهيم بن شهاب ، قال حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام قال : « الإكفاء هو الإقواء مهموز » ، لظنّه أن سياق الكلام واحد ، منذ قال ابن سلام فى أوّل الخبر رقم : (٩٠) قال يونس : عيوب الشعر أربعة : الزحاف ، والسنادُ ، والإقواء ، والإيطاء ، والإكفاء ، وهو الإقواء . والزحاف أهونُها ، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء . . . » . وهذا الظن يدخل على كلام ابن سلام خللاً شديدًا من ص (٦٨) إلى ص (٩٦) من الطبعة الثانية من الطبقات ، كقوله مثلا ص : ٧٨ : « وأخبرنى سلمة بن عياش . . » ، فإن ابنَ سلام هو الذى يروى عن سلمة لا يونس . والحقُّ أن كلام يونس ينتهى

عند قوله : « والإكفاء هو الإقواء » . وما جاء بعده فهو تفسير ابن سلاّم لهذه الألفاظ .

● وأما رقم (٣) ، وهو موضع الاختلاف بين لفظين : « يقحم » ، و « يقتحم » ، فهو مما يقع مثله فى نسخ من كتابٍ . ثم قال فى رقم (٤) « قد ترد رواية فى الموشح مطابقة لرواية الطبقات ، ويحسن فى هذه الحالة الإشارة إلى وجود الرواية فى الموشح [ينظر الموشح ص : ٦٥ ، الطبقات : ١٠٥] وهذا الذى طلبه موجود فى الطبعة الثانية ص : ١٢٤ ، تعليق رقم : ٥ ، على الخبر رقم : ١٤٣ ، مع زيادة فى المراجع أيضاً . لم يرجع الدكتور إلى الطبعة الجديدة !

● وفى رقم (٥) نصيحة أخرى قال : « قد تختلف الرواية بعض الشىء فى الموشح ، عنها فى الطبقات ، ولكن هذا لايمنع من الإشارة إلى الموشح فى الحاشية [تنظر الطبقات « يعنى الطبعة الأولى » ص ١٦ ، ١٠٠ (صوابه : ١٨) ، ١٠١ (صوابه : ١٩) ، وتقابل بالموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١] » والخطأ الذى صححته آنفاً مردّه إلى العجلة ، والمراجع التى ذكرها مذكورة فى هامش الطبعة الأولى تعليق (٢) = وفى الطبعة الثانية ص ١٧ ، تعليق : (١) ، ثم رقم (٣) = ثم فى ص ١٨ ، تعليق رقم (١) = ثم ص : ١٩ ، تعليق : (٢) = ثم ص ٢١ رقم (١) مع إضافات مختلفة . لم يرجع أيضاً إلى الطبعة الثانية !

● وفى رقم (٦) نصيحة أخرى قال : « تحسن الاستفادة من الاختلاف لدى المقابلة والتحقيق . . . » ، ثم ذكر مافى ص ١١٧ من الطبعة

الأولى ، وذكر ما فى الموشح ، ثم وضع بين قوسين ما يلى : « (وقد أخذ المحقق بها ط ٢ : ص ١٤٠) » . الحمد لله . ولكنى لا أدرى لماذا لم يفعل ذلك الدكتور فى سائر المواضع المشابهة !

● ثم فى رقم (٧) قال : « ومنه أن جاء فى الطبقات | ص : ٦٤ | و « ذروة الناس » و « أخذه الناس عليه » ، وفى الموشح | ص : ٢١٧ | : « وغاية الناس » و « آخذه الناس عليه » . والأولى غيرتها فى الطبعة الثانية ، وعلقت عليها | ص : ٧٨ ، تعليق : ١ | ، وفيه ما طلب وأكثر منه . أما « آخذه » التى فى الموشح . فإنما هى مجرد ضبط من ناشر الموشح ، والأجود « أخذه » ، ولا أدرى لماذا ترك الرجوع هنا إلى المطبوعة الثانية ، وأما رقم (٨) فأرقام الصفحات فيها أخطاء من العجلة والانفعال ، فلم أعرف موضعها لا فى الموشح ولا فى الطبقات . وأما رقم (٩) فإنه نصح بمراجعة ص : ٣٣ من الطبقات على ص : ٧٤ من الموشح ، والذى نصح به موجودٌ مثبت فى الطبعة الثانية ، فى آخر الخبر رقم : ٤٤ ص : ٤٠ ، تعليق رقم : ١ ، وهذا غريب أيضاً !

● ثم قال فى رقم (١٠) وقد فعل المحقق مرة ، فقابلَ وفضل | ص : ٣٦٤ | كلمة « محلب » الواردة فى الموشح | ص : ١٢٧ | على « مجلب » الواردة فى « أصول الطبقات » وهذا صحيح ، ولكن التعبير عنه غير حسنٍ ، ولكن ينبغى أن تعرف أن كلمة « أصول الطبقات » ليس صحيحاً كل الصحة ، لأنه موهِمٌ ، ففى الطبعة الأولى لم يكن اعتمادى فى هذا الموضع ، إلا على طبعة يوسف هل ، وعجان الحديد ، على ما فيهما من التخاليط والفساد . وقد ذكرت ما أشار إليه الدكتور فى تعليقى فى الطبعة الأولى ، لكن لما جاءت نسخة المدينة

المخطوطة « م » كان فيها « محلب » بالحاء على الصواب ، فألغيت تعليق الطبعة الأولى ، وما فيها من الإشارة إلى تفضيل ما فى الموشح ، واقتصرت فى الطبعة الثانية على التعليق على نفس الخبر ، وهو فيها رقم : ٨٥٦ ، فذكرت المراجع ، وفيها الموشح | ١٢٧ | ، وغيرت التعليق على لفظ « محلب » ، دون إشارة إلى ما فى الموشح . وهذا دالٌّ أيضًا على أنه لم يرجع إلى الطبعة الثانية .

● وفى رقم (١١) نصيحة أخرى تحثنى على الانتفاع بسند رواية وردت فى الموشح التعليق على سند رواية وردت فى الطبقات ، فقد جاء فى الطبقات | ص : ٣٢٨ ، الطبعة الأولى | : « قال ابن سلام : ذاكرت مروان بن أبى حفصة جريرًا والفرزدق . . » ، وجاء فى الموشح | ص : ١٤٣ | : « وحدثنى على بن هرون ، قال حدثنا وكيع . قال حدثنا محمد بن سلام عن أبيه قال : ذاكرت مروان بن أبى حفصة جريرًا والفرزدق ... » ، ومع أن فحوى الروايتين مختلف ، إلا أننا يمكن أن نستدل أن الذى ذاكر مروان هو الأب. وهذا أوجه إذا راعينا السنّ والزمن » . انتهى . وبالطبع أنا لا أعمل بمثل هذه النصائح لأسبابٍ كثيرة ، ومع ذلك ، فإن الذى نبّه الدكتور على جواد إلى التماس مثل هذا الطريق فى الانتفاع والاستفادة مما ذكر ، هو تعليقى على على أبيات مروان بن أبى حفصة ، والذى أثبته فى الطبعتين الأولى والثانية ، وفعلتُ ذلك تفسيرًا لخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه | ١٠ : ٩٠ | عن غير ابن سلام ، عن أحمد بن موسى بن حمزة قال : « رأيت مروان بن أبى حفصة فى أيام محمد بن زبيدة (يعنى الأمين ، وخلافته من سنة ١٩٣ إلى سنة ١٩٩) ، فى دار الخلافة وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق : أيهما أشعر ؟ فقال لى : سُئِلتُ عنهما أيام المهدىّ (بويع المهدىّ ببغداد فى ذى الحجة

سنة ١٥٨ ، وتوفى فى المحرم سنة ١٦٩) ، وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلت فيهم قولاً عقدته فى شعر ليثبت . فسألته عنه فأنشدنى :

ذَهَب الفرزدقُ بالهجاء، وإنّما   حُلْوُ القريضِ ومُرُّه لِجَرِيرِ

وذكر أبياتاً منها الأبيات الثلاثة التى ذكرها ابن سلام فى خبر الطبقات ، ثم قلت : « فبان بهذا أن الذى سأله أيام المهدى هو ابن سلام » . وإنما أثبت هذا التعليق لمجرد الفائدة فى تفسير خبرٍ جاء فى الأغانى (١٠ : ٩٠) لأزيلَ الإبهامَ عن الذى سأل مروان بنَ أبى حفصة فى زمن المهدىّ ، لا شكًّا فى رواية ابن سلام عن مروان ! وكيف أشكّ ، أو أعمل بنصيحة الدكتور على جواد ، وأنا أعلم أن ابن سلام مثلاً ، فى أخبار كُثَيّر عزة فى الطبقات رقم : ٧٢٢ (الطبعة الثانية) يقول : « قال ابن سلاّم : ورأيت مروان بن أبى حفصة يعجبه مذهبُه فى المديح جدًّا (يعنى مذهب كثير) ، يقول : كان يستقصى المديح » ، ثم يقول فى الخبر رقم : ٧٣٤ أيضاً : « قال ابن سلاّم : فقلت لابن أبى حفصة : من جودة مديحه هذا جعل دونه ثمانين ألفاً .. » ، إلى آخر الخبر . ليس هذا النوع من النقد بحسنٍ ولا صحيح ، ولا هو نصيحةٌ سليمة .

● ثم جاء المأخذ رقم (١٢) وقال فيه : « اشترط المحقق للرواية التى ينقلها إلى الطبقات أن تكون واردةً عن طريق الفضل بن الحباب ، والشرط واردٌ ، ولكننا رأينا فى الموشح [ص : ١٧١] رواية لم يذكر فيها الفضل بن الحباب ، طابقت رواية الأغانى [١٦ : ١١١] التى وردت عن أبى خليفة (الفضل بن الحباب) . وقد نقل المحقق إلى الطبقات [ص : ٤٦٧]

رواية الأغانى (وأشار إلى رواية الموشح) ، ومعنى الظاهرة ، أنه قد يكون بين ما لم يرو عن طريق أبى خليفة ، ما هو فى حقيقته من صلب طبقات الشعراء » .

وهذا الذى ظنه من أنى نقلت الخبر رقم : ٦٨٥ [س : ٤٦٧] فى الطبعة الأولى ، عن كتاب الأغانى غير صحيح البتة ، لأنه موجود فى طبعة يوسف هل ص : ١٢٥ ، وطبعة عجان الحديد : ١٨٦ عن نسخة دار الكتب ، وهو فى مخطوطة المدينة « م » أيضاً ، ومذكور فى الطبعة الثانية فى الطبقات برقم : ٧٤٢ [س : ٥٥١] ، فلا معنى لهذا المأخذ ، ولا معنى لعدّه اتفاق الروايات من طرق مختلفة « ظاهرة » تحتاج إلى مثل هذا التعقيب على شىء لم أفعله أيضاً .

● ثم يتصل بهذا المأخذ رقم (١٣) حيث يقول : « فقد وردت فى الموشح [ص : ١٣٨] رواية عن « ... محمد بن موسى البربرى عن محمد ابن سلام ... » طابقت رواية الطبقات [ص : ٢١٥] . وينظر الموشح [ص : ١٢٥] ، ويقابل بالطبقات [ص : ١٥١] » . قلت أنا : صوابُ هذا الرقم الأخير : « الطبقات [ص : ١٥٢ - ١٥٤] » ، وهذا خطأ مردّه إلى العجلة والانفعال . والقسم الأول من هذا المأخذ الذى يتضمن النصيحة أيضاً ، والمشار فيه إلى رواية الموشح [س : ١٣٨] « ... محمد بن موسى البربرى ، عن ابن سلام . . . » والطبقات [س : ٣١٥ الطبعة الأولى] يحتاج إلى بعض الإطالة . فالدكتور على لجأ إلى ذكر رواية البربرى عن ابن سلام فى الموشح [س : ١٣٨] ، وهى بلا شكّ ولا ريبة ، لا تطابق رواية الطبقات البتة ، لأن روايته عن ابن سلام هى : « قال : سألت بشاراً الأعمى فقلت : يا أبا معاذ ،

أىّ الثلاثة أشعر ، جريرٌ أو الفرزدق أو الأخطل ؟ ـ وكان عالمًا بصيراً ـ فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولـكن ربيعة تعصَّبت له وأفرطت عليه » .

وهذا نص الخبر المذكور فى الطبقات [الأولى ص : ٣١٥ رقم : ٤٥٢ / والثانية ص : ٣٧٤ رقم : ٥٠٧] .

« أنا أبو خليفة ، أنا ابن سلام ، قال : « سألت بشارًا العقيلىّ عن الثلاثة ، فقال : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولـكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه . فقلت : فجريرٌ والفرزدق ؟ قال : كان جريرٌ يحسن ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق . وفضّل جريرًا عليه » .

فألفاظ الخبرين مختلفةٌ بعض الاختلاف ، والمرزبانى نفسه قد روى الخبر بلفظه كما هو فى الطبقات فى كتاب الموشح نفسه [ص : ١١٠] ، كما أشرت إليه فى تعليقى على الخبرين فى الطبعتين جميعاً ، وبنفس الإسناد الذى اعتمدت أخْذَه من الموشح : « إبراهيم بن شهاب ، عن أبى خليفة ، عن ابن سلام » ، ورواه ابن سلام نفسه ببعض الاختلاف فى موضع آخر من كتابه ، فى « ذكر الأخطل » ، وهو فى الطبعة الأولى [ص : ٣٩١ برقم : ٥٨٥] ، وفى الثانية [ص : ٤٥٦ برقم : ٦٢٩] ، وقد نقلته عن الأغانى [٨ : ١٠] ، ورواه ابن عساكر فى تاريخه عن الطبقات ، كما أشرت إلى ذلك فى الطبعة الثانية ، ولأسبابٍ ذكرتها هناك فى الطبعتين جميعاً . ففى هذه الفقرة من المآخذ إيهامٌ غير حسنٍ ، بل إن هذا وحده يؤيد صحة التزامى بإسناد المرزبانى ، عن إبراهيم بن شهاب ، عن أبى خليفة ، عن ابن سلام .

أما الموضع الثانى من المأخذ (١٣) الذى يطالب فيه الدكتور على جواد

بمقارنة ما فى الموشح [١٢٥] بما يقابله فى الطبقات [س : ١٥١] ، [والصواب هنا أيضاً : س : ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤] ، وهو خطأ مردّه أيضًا إلى العجلة والانفعال ، وهو يقابل فى الطبعة الثانية من الطبقات [س: ١٨٢ ، برقم : ٢٣٨] وقد علقت عليه [س: ١٨٢ ، تعليق رقم : ٦] فقلت : أخلّت به « م » (أى نسخة المدينة المخطوطة) ، والخبر مختصر فى الموشح : ١٢٥ ، وفيه : « النخار » بالخاء المعجمة » ، وهو موجودٌ فى « المخطوطة » ، أى نسختى التى التى انتقلت إلى مكتبة «تشستربتى» الورقة (٢٧) . فهذا أيضاً مأخذ غير حسن ، لما فيه من الإيهام ، لأن خبر الموشح [س: ١٢٥] لا يزيد على سبعة أسطر ، وخبر الطبقات ثمانية عشر سطراً . شىء غريب !

* * *

ثم ختم الدكتور على جواد مآخذه علىّ فى شأن كتاب الموشح بثلاثة مآخذ ، قدم لها بأنه قد وردت فى الموشح روايات لم أنقلها إلى طبقات الشعراء ، وكان من حقها تبعاً لمنهجى أن تنقل ، لأنها برواية أبى خليفة الفضل بن الحباب ، ولأنها تقابل نقصاً أو خرماً فى نسختى ، ولأنها من طبيعة الموضوع المتحدّث عنه [المورد المجلد الثامن ، العدد الثالث ، س : ٤١] .

● قال فى المأخذ رقم (١٤) : « فمن ذلك ما جاء على (ص ٤٩) من الموشح : « . . . وحدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام قال : لم يكن للأعشى بيت نادر على أفواه الناس ، مع كثرة شعره ، كأبيات أصحابه » . وهذا الخبر موجود فى مخطوطة المدينة ، وفى مخطوطتى المنتقلة إلى مكتبة « تشستربتى » ، وهو موجود فى الطبعة الأولى [س: ٥٤ ، ضمن الخبر رقم : ٦٤] وموجود بالطبعة الثانية [س: ٦٥ برقم : ٨٤]

وليس فيه قول المرزبانى « مع كثرة شعره » . ولعل ذلك المرزبانى لأنه فصله عن الخبر الذى قبله ، والذى فيه : « وقال أصحاب الأعشى : هو أكثرهم عروضا وأذهبهم فى فنون الشعر ، وأكثرهم مدحا وهجاء وفخراً ووصفا ، كل ذلك عنده » ، فمن أجل ذلك أدرج المرزبانى فى الخبر من كلامه هو قوله : « مع كثرة شعره » . ولا أدرى ماذا أقول فى هذا المأخذ ! !

● ثم جاء بعد هذا ، المأخذ رقم (١٥) يقول فيه : « ومن ذلك ماجاء على [س : ٧٦ - ٦٧] من الموشح : « حدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب قال ، حدثنى أبو الغراف قال ، قال النابغة الجعدىّ : إنّى وأوس بن مغراء ، لنبتدرُ بيتاً ما قلناه بعد ، لو قاله أحدنا لقد غلّب على صاحبه . قال ابن سلام : وكانا يتهاجيان ، ولم يكن أوس إلى النابغة فى قريحة الشعر ، وكان النابغة فوقه ، فقال أوس بن مغراء :

فلستُ بعافٍ عن شتيمةِ عامرٍ ، ولا حابسى عمّا أقولُ وَعيدُها
ترى اللُّؤمَ ماعاشوا جديداً عليهم ، وأبقَى ثيابِ اللابسينَ جَديدُها
لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرابيلُ عامرٍ من اللُّؤمِ ، مادامتْ عليها جُلودُها

فقال النابغة : هذا البيت الذى كنا نبتدر ، وغلب الناس أوسا على النابغة » انتهى .

* * *

وصدق الدكتور على جواد ، فإن الطبعة الأولى من الطبقات خلت من هذا الخبر . ولم أنقله من الموشح لأسباب ، منها أنى وجدت أبا الفرج فى الأغانى ، رواه مختصرا جدًّا ، مع اختلاف فى اللفظ ، وإسناده مركّب قال :

« أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الُحبَاب مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره مما ذكره منها ، عن محمد بن سلام الجمحى ، عن أبى الغراف = وأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز ، وحبيب بن نصر قالا ، حدثنا عمر بن شبه ، [عن محمد بن سلام] ، عن أبى الغراف . . . » ، وذكر الخبر مختلفاً ، وليس فيه إلا البيت الأخير من الأبيات الثلاثة [الأغانى ٥ : ١٢ ، فى أخبار النابغة الجعدى] . وحيّرنى هذا الخبر يومئذٍ ، فلم أدر أأخبار النابغة أحقُّ به ، أم أخبار أوس بن مغراء ، فعلّقته ولم أنقله إلى أخبارالنابغة فى الطبقات . فلما وقفت على « كتاب الغرة » الذى ذكرته فى [ص : ٩٨ ، تعليق : ٣ من الطبعة الثانية] ، ورأيته نقل نصوصًا مهمة عن ابن سلام تطابق كل المطابقة ما فى كتاب الطبقات ، وكان فى الغرة هذا الخبر فى ترجمة النابغة الجعدى ، نقلته عندئذ فى الطبعة الثانية من الطبقات [ص : ١٢٥ ، ١٢٦] ، برقم : ١٤٦] وقلت فى آخره : [الموشح : ٦٦ ، ٦٧ / الأغانى ٥ : ١٢ مختصراً ، وحماسة ابن الشجرى مختصراً ، والغرة مخطوطة : ١٩٣ ، وانظر ما سيأتى فى آخر الطبقة الثالثة من الإسلاميين ، وفى ترجمة أوس بن مغراء ، بعد الخبر رقم : ٧٢٦] ، وزدته هنا لأن هذا موضع خرم فى مخطوطتى ، والاعتماد فيه على مخطوطة المدينة « م » ، وهى مختصرة من كتاب الطبقات ، كما ذكرت ذلك فى مقدمة المطبوعة الثانية من الكتاب . فلم يبال الدكتور بالمطبوعة الثانية ، ولم يراجعها .

● أما المأخذ (١٦) ، فهو المأخذ الوحيد الذى لاغبار عليه ، يقول : « ومنه ماجاء فى الموشح [ص : ١٠٦] : « . . . وحدثنى إبراهيم بن شهاب عن محمد بن سلام قال الفرزدق لامرأته النوّار : أنا أشعر أم ابن المراغة ؟

فقالت : غلبك على حُلْوه وشَركك فى مُرّه » ، وكان أحبّ إلىّ لوزدته فى خبر النوار [س : ٢٣٢ ، ١٣٠ ، الأخبار من رقم : ٤٣٥ ـ ٤٣٧] ، وكان هذا مكانُه إن شاء الله . ومع ذلك فهو الخبر الوحيد الذى سقط منى فى نقلى عن الموشح .

* * *

ثم ختم الدكتور على جواد الطاهر مآخذهُ هذه بقوله : « ليس من علم التحقيق أن ننقُل إلى الكتاب الذى نحققه مادةً (غزيرة) من كتب أخرى لا نملك الدليل العلمىّ القاطع على أنها من الكتاب المحقق لفظًا ومعنى ... » ، وأشار إلى أن (علمية التحقيق) تقتضى فصل هذه المادة ، وحفظها فى ملحق يذيل به الكتاب [المورد ٨ ، العدد ٣ س : ٤١] ، والذى يستافت النظر ، هو وضعه لفظ (غزيرة) بين قوسين ، ولوضعها بين قوسين دلالة لا تخفى .

فهل يأذن لى الدكتور على جواد ، فى هذا الموضع ، أن أجمع بينه وبين الدكتور منير سلطان صاحب كتاب « ابن سلاّم وطبقات الشعراء » ؟ وأنا لاأحبُّ أن أفعل ذلك ، لولا أنى رأيته هو نفسه ذكر كتاب الدكتور منير سلطان ، وقال إنّه قد قرأهُ ثم قال : « وكان طبيعيًّا جدًّا أن نلتقى وإياه فى عدد من النقاط بحكم المنهج العلمى ووحدة المصادر » [المورد س : ٢٦] . وكلمة (غزيرة) مبهمة الدلالة عند الدكتور على جواد ، ولكن الدكتور سلطان أحسنَ كُلَّ الإحسان ، فقد تتبّع كلّ مازدته على مابقى عندنا من نص الطبقات لابن سلام ، وذكرها جميعًا بأرقام صفحاتها فى الطبعة الأولى أيضًا ، وذكر أنّها (٣٧) فقرة كاملة ، ثم زاد أيضًا فذكر ما زدته فى خلال نص الكتاب بين الأقواس من كلمات فى (٤٠) موضعًا ، كما ذكر .

وعدد الكلمات التى زيدت ، كما ذكرها وكما راجعتها على الطبعة الأولى هو (١٥٠) كلمة . ثم ذكر أيضاً زيادات الشعر ، فكانت (٣٧) بيتاً ، و (٦) أسطر [ابن سلام وطبقات الشعرا : ١٦٨ ، ١٦٩] ، ثم قال بعد ذلك : « وهذه الزيادات سبب تضخّم الكتاب » . وسأحاول أن أتبيّن هنا معنى (مادة غزيرة) ، ومعنى (زيادات سببت تضخّم الكتاب) .

وينبغى أن أشكر الدكتور منير سلطان شكراً جزيلاً على هذا الإحصاء الذى تدمتُ ذكره ، لأنى بمراجعته على ما أحصيته أنا ، تبين لى أنى حين ذكرت المواضع التى أدخلت فيها روايات أبى الفرج ، سهوت عن أربعة مواضع ، هى فى الطبعة الثانية من الطبقات [رقم : ٦٢٩ ، ورقم : ٧٤٠ ، ورقم : ٨٠١ ، ورقم : ٨٣٥] ، وكذلك ينبغى أن يصحح ما كتبته فى المقدمة فى مواضعه [ص : ٤٥ ، ٤٦] .

ويكون ما زدته على أصل الطبقات فى نسخة المدينة « م » هو تسعة وعشرين خبراً ، وما زدته على المخطوطة هو عشرة أخبار ، وجملتها تسعة وثلاثون خبراً ، ومنها سبعة مواضع لم يذكرها الدكتور سلطان ، وستة مواضع فى إحصائه الذى اعتمد فيه على الطبعة الأولى ، ينبغى إسقاطها ، لأنى حذفت منها واحداً فى الطبعة الثانية ، وخمسة مواضع وُجدت فى المخطوطة ، وكنت نقلتها عن الأغانى .

ثم أحصيت بعد ذلك عدد أسطر أصل كتاب الطبقات فى الطبعة الثانية (دون الشرح) ، فكان عدد أسطر الأصل المطبوع هو : (٥٩١١) سطراً = وأحصيت عدد أسطر جميع الزيادات، التى أدخلتُها على الكتاب فبلغت (٢٨٧) سطراً ، فإذا أخرجنا هذه الزيادة صار الباقى (٥٦٢٤) سطراً ،

جميعها من الأصلين : مخطوطة المدينة « م » ، ومخطوطتى المنتقلة إلى مكتبة نشستر بتى . ولو قسمنا هذا العدد على (١٨) ، وهو عدد أسطر الصحيفة بنفس الحرف المطبوع ، كان عدد صفحات أصول الطبقات هو (٣١٢٫٥) صفحة ، أى نحو عشرين ملزمة . ثم لو قسمنا الزيادة ، وهى (٢٨٧) سطراً على (١٨) سطراً فى الصفحة ، كان عدد الصفحات التى زدتها (١٦) صفحة ، أى ملزمة واحدة .

فهل يليق مثلاً أن يقال فى كتاب عدد أوراقه (٣٢٠) صفحة (أى ٢٠ ملزمة) ، وزيدت عليه (١٦) صفحة (أى ملزمة واحدة) : إن هذه الزيادة (مادةٌ غزيرة) ، أو يقال : « إن هذه الزيادات سبب فى تضخّم الكتاب » ! ! مبالغة ، أليس كذلك ؟ والمبالغة فى المدح سيئة ، وهى فى الذم سيئة ، وهى فى طالب الإبهام سيئةٌ ، أحبُّ أن نبرأ من المبالغة فى الحبّ والبغض ، وفى الثناء والقدح ، وفى المجاملة والازورار ، فإنّها تضرُّ ، وهى فوق ذلك متْعِبةٌ للعارفين جميعاً ، كما ترى فى هذا الحساب والإحصاء .

ومع ذلك ، فأنا لا أستطيع أن ألوم الأستاذين الفاضلين ، الدكتور على جواد ، والدكتور منير سلطان ، فأنا وحدى المسىء الذى جلبَ على نفسه الإساءة . لأنى حين عرضت فى مقدمة كتاب الطبقات لأمر « الزيادة » التى زدتُّها على أصل الكتاب المخطوط والمنشور ، لم أضمِّن ما كتبتُ بيانًا واضحًا مقنعًا ، أكشف فيه عن حقيقة دراستى للكتب التى اعتمدتُ على الزيادة منها ، وكان ينبغى أن أفعل ، وأن أفصِّل القول فى هذه الزيادات ، وفى مقدارها ، وقد حاولتُ أن أستدرك بعض هذا الخلل فى الطبعة الثانية ، فأثبت فى آخر الكتاب بيانًا بأرقام الفقرات التى أخلّت بها نسخة المدينة

(المخطوطة) ، وما أخلّت به فى ثنايا الفقرات ، وظننتُ أن ذلك كافٍ ، وقد تبينت الآن أنه لايغنى شيئًا ، فانما هى أرقامٌ لاغير ، تحتاجُ إلى تفسير . فصار واجبًا علىّ أن أتولّى تفسير ماقصّرتُ فى بيانه .

وسأجعلُ مرجعى فى هذا التفسير إلى الطبعة الثانية وحدها ، تجنُّباً للإطالة بذكرالأولى والثانية معًا ، ولأنى قلت فى مقدمة الثانية [ص : ٧٠] ، بعد أن ذكرت ماوقع فيها من الأخطاء : « ومن أجل هذا ، فأنا لا أحلُّ لأحد من أهل العلم أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى من « طبقات فحول الشعراء » ، مخافة أن يقع بى فى زللٍ لا أرضاهُ له . وأضرعُ إلى كلِّ من نقل من هذه الطبعة شيئًا فى كتاب ، سواء نسبه إلىّ أو لم ينسبه ، أن يراجعه على هذه الطبعة الجديدة من الطبقات ، لينفى عن نفسه وعمله العيب الذى احتملتُ أنا وحدى وزرَهُ » ، وقولى هذا بمعزلٍ عن أمر « الزيادات » التى زدتُها ، وعن عملى فى إخراج كتاب الطبقات ، بل أردتُ به ماوقعت فيه من خطأ فى قراءة بعض نصِّ المخطوطة ، وبعضَ تفسيرى وشرحى لهذا النص ، لاغير . أما الدكتور على جواد ، فقد حمل كلامى هذا على وجه آخر يتعلّقُ بالزيادات التى زدتها ، وبما عابه علىّ هو وغيرُه من أفاضل الكتاب ، وقد أثبتَ نصَّ كلامى هذا فى آخر مقالته فى مجلة المورد [ص : ٤٥] مقدّمًا له ومعقّبًا عليه ، بعَجَلَة وانفعالٍ ، حتى خرجًا به عمّا عهدتُه فى رسالته إلىّ من الرقّة واللطفِ ، إلى باب آخرلا أشكُّ أنّه فى طباعه بعيد عنه كلّ البعد ، لأنّ من شيمته « الحياء » ، كما دلّت عليه الأسطر الأخيرة فى مقاله !

* * *

لكتاب « طبقات فحول الشعراء » أصلان مخطوطان ، الأول : مخطوطة المدينة ، التى رمزت لها بحرف « م » ، والثانى : مخطوطتى التى آلت إلى مكتبة « تشستر بتى » ، ورمزت إليها بلفظ « المخطوطة » ، وعلى هاتين المخطوطتين اعتمدت فى الطبعة الثانية من الطبقات .

وقد ذكرت فى مقدمة الطبعة الثانية [ص : ١٢ - ١٤] أن الأصل الباق من نسخة « م » ، وهى غير مرقمة الصفحات ، عدد أوراقه (٧١) ورقة ، وفيها خرمان ، رجّحت أن عدد أوراقهما المفقود نحوُ تسع ورقات . أما « المخطوطة » ، فهى مرقّمة الصفحات ، من (١ - ١١٢) غير ورقة العنوان ، وعدد الأوراق المفقودة منها (٤٥) ورقة ، والباقى عندنا منها (٦٥) ورقة ، وقد فصلت مواضع الخرم فى المقدمة [ص : ١٢] . وكان تفصيل القول فى المقارنة بين المخطوطتين أمراً لا بُدَّ منه ، ولكنى حين عقدتُ فى المقدمة فصلاً عنوانه : « بابة المقارنة بين المخطوطتين » ، أوجزتُ القول فيه اعتمادًا على ثقتى بفطانة أهل العلم وقدرتهم على التوفيق والتفصيل . وقد تبيّن لىَ الآن أنه فصلٌ ناقصٌ مختلٌّ ، لأنه يحمّلهم مؤونةً هم فى غنًى عنها ، ولم أحذر أن يفضى بهم إسقاط هذه المؤونة ، إلى باب من الشكّ فى أصل عملى كلّه . وقد كانَ ، وبغفلتى عن الحذر كان .

وأول شىء ينبغى أن نعرفه أن نسخة المدينة « م » تكادُ تكونُ تامةً لأنه لم يفقد منها سوى تسع ورقات أو أقل ، من (٨٣) ورقة ، فالناقصُ هو تُسْعها [١/٩] فقط ، و « المخطوطة » الأخرى فاحشة النقص ، لأن المفقود منها هو (٤٥) ورقة من (١١٢) ورقة ، فالناقص منها هو خمساها [٢/٥] ، أو أشَفُّ قليلاً . وقد جمعتُ المخطوطتين كاملتين فى الطبعة الثانية ، فكان

عدد أخبار الكتاب كله كما رقمتها هو (٩٥٣) خبرًا ، بما فيها الزيادة التى زدتُها ، وعددُ ترقيمها هو (٦٣) خبراً ، بما فيها أحد عشر بيتاً من الشعر . والذى ينبغى أن تقع عليه المقارنة بين النسختين هو : (٨٩٠) خبراً ، وهو مجموع ما فى « م » و « المخطوطة » من الأخبار ، ينبغى أن أسقط منهما أيضاً الخبران برقم : (٤٧) ، (٤٨) لأنى زدتهما من الموشح ، فالباقى هو (٨٨٨) خبراً ، وليس فى نسخة « م » ، خبرٌ واحد ، ليس فى الذى يقابلها من « المخطوطة » .

وقد أثبت فى آخر الطبعة الثانية بياناً بأرقام الأخبار التى أخلّت بها نسخة « م » ، فكان عددها (١٧٣) خبراً ، وكلها موجود فى « المخطوطة » . ثم أثبت أيضاً أرقامَ ما أخلّت به « م » فى ثنايا الأخبار ، فبلغت ثمانية وأربعين (٤٨) موضعًا ، عدد أسطرها (١٨٠) سطراً ، فلو قسمناها على (١٨) وهو عدد أسطر صفحة من كتاب الطبقات ، لبلغت عشر (١٠) ورقات . فلو فرضنا أن الصفحة من الكتاب ، تتسع لثلاثة أخبار ، لكان تقديرها ثلاثين (٣٠) خبراً ، ويكون عددُ ما أخلّت به « م » من الأخبار مئتى خبر وثلاثة أخبار (٢٠٣) ، من مجموع أخبار عددها (٨٨٨) خبرًا . أى نحو من رُبْع (¼) الأصل الجامع بين « م » و « المخطوطة »

وإذا كان الباقى عندنا من « المخطوطة » ، هو (٦٥) ورقة ، والمفقود منها هو (٤٥) ، فمن المعقول على هذا القياس أن تكون « م » ، قد أخلّت أيضاً بنحو ربع (¼) الأخبار الموجودة فى هذا القسم المفقود من « المخطوطة » وبهذا يتبيّنُ مقدار الاختلاف الظاهر بين نسخة المدينة « م »

التى تكاد تكون تامة ، وبين « المخطوطة » **الفاحشة** النقص ، ويتبينُ أيضًا أن « م » نسخةٌ مختصرةٌ من كتاب الطبقات . **ويتبيَّن أيضًا** أنها تكاد تكون نصف كتاب الطبقات ، رُبْعٌ [¼] **دلت عليه مقارنة الموجود** بالموجود ، وربع [¼] دلَّ عليه التقدير المتوقَّعُ فى المفقود . ومعنى ذلك أن « المخطوطة » لو كانت قد وصلتنا تامة ، لكانت ضعف نسخة « م » تامة أيضًا . وإذنْ ، فالنسخة التى طبعها يوسف هل ، ونسخة مجان الحديد المطابقة لها ، هى نصف كتاب طبقات ابن سلام ، بلا ريب .

* * *

● وههنا أمورٌ لابُدَّ من بيانها ، قبل أن أفضى إلى تفسير عملى الذى عملته فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » . وذلك أن « المخطوطة » الفاحشة النقص ، نسخة عتيقة مسندةٌ ، وقد رجحت فى المقدمة أن تاريخ كتابتها كان بيقين قبل سنة ٣٣٦ من الهجرة ، ويوشك أن يكون كان قبل سنة ٣١٠ هـ أو قبل ذلك بقليل [المقدمة ص : ٣١] . ومعنى ذلك أنَّها كتبت بعدَ قليلٍ جدًّا من وفاة أبى خليفة الجمحى ، راوى الكتاب عن خاله محمد بن سلام ، وقد توفى أبو خليفة سنة ٣٠٥ هـ من الهجرة . وخطُّ « المخطوطة » نفسه يؤيد ذلك . فهى إذن ، من أقدم ما عندنا اليوم من مخطوطات القرنين الثالث والرابع الهجرىّ .

أما نسخة المدينة « م » ، فخطها أشبه بالخط المغربىّ ، وهو خط عتيق أيضًا ، وقد رجحتُ أنها كتبت قبل سنة ٤٠٩ من الهجرة على وجه القطع ، وممكن أن تكون كتبت قبل سنة ٣٦٧ هـ ، قبل وفاة أبى طاهر الذهلى القاضى ، راوى الكتاب عن أبى خليفة الجمحى [المقدمة ص : ٣١ ، ٣٢] .

ومعنى ذلك أنهما نسختان عتيقتان متقاربتان فى الزمن : إحداهما ، وهى « المخطوطة » فاحشة النقص ، إذ فقد من أوراقها (٤٥) ورقة ، ولكن الباقى منها دالّ دلالة قاطعةً على أنّ أصلها كاملاً لو وقع فى أيدينا ، يحمل عدداً من الأخبار يكاد يبلغُ ضعف عدد الأخبار الموجودة فى نسخة « م » التى لم يفقد منها سوى تسع (٩) ورقات أو أقلّ ، هذا بابٌ من النظر لا بُدّ منه .

● وباب آخر لا بُدّ منه ، هو أنّ « المخطوطة » نسخة « شيخ » محا البللُ الذى أصابها اسمه المكتوب بين الأسطر ، وهو « شيخ » لأبى نعيم الحافظ (٣٣٦ — ٤٣٠ هـ) ، سمعها منه قراءةً عليه فى سنة ٣٧١ هـ [المقدمة ص : ٢٨] ، وهذا « الشيخ » روى كتاب الطبقات عن أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد (... — ٣٣٦ هـ) ، عن القاضى أبى خليفة الجمحى ، عن ابن سلام . ثم قرأ هذا « الشيخ » نفسه ، نسخته هذه نفسها أيضاً ، على الحافظ أبى القاسم الطبرانىّ ، (٢٦٠ — ٣٦٠ هـ) ، بقراءته على أبى خليفة . فهى إذن نسخةٌ آتيةٌ من طريقين ، ليس بينها وبين أبى خليفة ، سوى « ابن أسيد » فى أحد الطريقين ، و « أبى القاسم الطبرانى » ، فى الطريق الآخر ، وكلاهما روى كتاب الطبقات عن أبى خليفة

أما نسخة المدينة « م » فهى من رواية « أبى محمد » ، عن أبى طاهر الذهلى القاضى (... — ٣٦٧ هـ) ، بروايته عن أبى خليفة ، عن محمد بن سلام. وقد استظهرت فى المقدمة [ص : ٣١] أن « أبا محمد » ، هو عبد الغنى بن سعيد الأزدى المصرى (٣٣٢ — ٤٠٩ هـ) ، ولم أجد ما يعيننى على القطع

بأنها نسخة « أبى محمد » ، فإن تك نسختيه ، فليس بينها وبين أبى خليفة سوى أبى طاهر الذهلى ، الراويها عن أبى خليفة . وإن تك نسخة تلميذٍ لأبى محمد ، فبينها وبين أبى خليفة رجلان ، هما : « أبو محمد » ثم « أبو طاهر الذهلى » ، راويها عنه ، وكلاهما قريبٌ من قريب ! وهذا بابٌ ثانٍ من النظر لا بُدَّ منه .

● وبابٌ ثالثٌ لا بُدَّ منه أيضًا ، يعلمه كلُّ من له خبرةٌ بالكتب المخطوطة ، لا فى العربية وحدها ، بل فى جميع لغاتِ الأعاجم التى أورثت أهلها كتبًا مخطوطة ، مع خلوِّ مخطوطات الأعاجم من فضيلة « الإسنادِ » الذى تميَّزت به العربية وحدها قرونًا متطاولة . أمرٌ مألوف كلَّ الإلف ، أن يوجد من كتابٍ واحدٍ ، لمؤلف واحد ، نسخٌ يكثر عددها أو يقلّ ، يتردَّد جميعها بين التمام والنقص ، وبين الاختصار الهيِّن والاختصار المبين ، ويكون ذلك من فعل من أدّى إلينا الكتاب عن مؤلّفه . بل إن المؤلف نفسه قد يترك بين يدى تلامذته نسخًا من كتابه ، بعضُها أتمُّ من بعضٍ ، بما أدخل هو نفسه على كتابه ، على تطاول السنين ، من زيادة أو حذف أو تبديل أو تغيير . أمرٌ مألوفٌ كلَّ الإلف ، وإن غفل عنه من غفل ، وإن أغفله أيضًا متعمدًا من أغفله . فإذا كان هذا مألوفًا غير مستصعبٍ ولا مستبعد فى الكتب التى بُنِيت على البحث والنظر ، فهو مألوفٌ سهلٌ قريبٌ غير مستنكر فى الكتب التى بُنِيت على رواية الأخبار والآثار والأشعار . مألوفٌ من فعل رواة الكتب وناقليها إلينا ، ومألوف أيضًا أن يفعلَه المؤلفون أنفُسهم ، إذا بدا لَهُم أن يزيدوا فى الكتاب أو يحذفوا منه أو يبدّلوا أو يغيِّروا . وهذا شىء لا كنتُ فى غِنًى عنهُ ، لولا الخوفُ والحذَر ، والتجربةُ أيضًا !

● ومن أحكم النظر فى هذه الأبواب الثلاثة ، لم يستنكر أن يجد من

كتاب معقودٍ بناؤه على رواية الأخبار والآثار والأشعار ، وهو كتاب الطبقات لابن سلام الجمحى ، نسختين إحداهما على علاّتها دالة على أنّ أصلها قريبٌ من التمام ، والأخرى على علاّتها أيضًا بينة الاختصار ، مع تدانى النسختين دنوًّا مقاربًا فى تاريخ كتابة كلٍّ منهما ، وأيضًا مع تدانى روايتهما دنوًّا شديدًا من أبى خليفة الراوى كتابَ الطبقات عن خاله محمد بن سلام . ليس بمستنكر أن تأتى « المخطوطة » من طريقين ليس بين أحدهما وبين أبى خليفة سوى « ابن أسيد » وحده ، والآخر ليس بينه وبين أبى خليفة سوى « أبى القاسم الطبرانى » ثم تأتى أختها ولِدَتُها نسخة « م » ، ليس بينها وبين أبى خليفة ، سوى « أبى طاهر الذهلى القاضى » وحده = أو « أبى محمد » ثم « أبى طاهر الذهلى » ، ثم يكون بينهما من الاختلاف ما بينته آنفًا . وبقليل من النظر يستطيع المرء أنْ يحكم حكمًا صادقًا أنّ هذا الاختصار المبين فى نسخة « م » ، ليس هو من عمل أبى خليفة الراوى كتاب الطبقات عن خاله ، ولا هو من ابن سلام صاحب الكتاب ، بل هو من عمل « أبى محمد » ، أو من عمل « أبى طاهر الذهلىّ » الذى روى الكتاب عن أبى خليفة .

● ولمّا وقعت هاتان النسختان العتيقتان فى أيدينا ، وإحداهما كانت أصلا تامًا ولكن ضاع منه (٤٥) ورقة ، والأخرى مختصرةٌ لم يضع منها سوى أقل من تسع (٩) ورقات ، لم يكن معيبًا فى العقل أو فى النظر أو فى (المنهج العلمى) أن نجمع بينهما فى كتاب واحدٍ ، لكى تسدّ « المختصرة » تلك الفجوةَ الفاحشة التى أحدثها ضياع (٤٥) ورقة من الأصل « التام » . والكتاب الجامع بينهما متداخلتين ، هو بيقين جزءٌ كبير جدًا من أصل كتاب الطبقات الذى رواه أبو خليفة عن خاله محمد بن سلام . هل فى هذا شك ؟

● فإذا قدّر الله ، ووقعت فى أيدينا نسخةٌ ثالثة من كتاب الطبقات ، وكانت تامَّة الأوراق أو ناقصتها ، وكانت تخالف هاتين النسختين بنقص فى أخبارها وأشعارها ، أو بزيادة فى الأخبار والأشعار ، فالجمع بين ثلاثتهن جميعًا متداخلات فى كتاب واحد لا يستنكر ، ويكون الكتاب الجامع بين ثلاثتهن ، هو بيقين أيضًا جزءًا أكبرَ من أصل كتاب الطبقات الذى رواهُ أبو خليفة عن خاله محمد بن سلام . وهكذا دواليك فى رابعة وخامسة وسادسة أو ماشئت . فهذه قضية لا يأنف منها العقل ولا النظر ، ولا (المنهج العلمىّ) أيضًا . هل فى هذا شك ؟

● ولكن إذا لم تقع فى أيدينا نسخةٌ ثالثة أو رابعة ، ولكن جاءنا دليل صحيح الدلالة على أن فلانًا من العلماء كانت عندَهُ نسخةٌ من كتاب الطبقات رواها عن أبى خليفة (بأىّ طرق الرواية المعروفة المألوفة عندنا نحن العرب) ، أو رواها بالواسطة عن شيخ روى عن أبى خليفة ، ثم لم تصلنا هذه النسخة ، ولكنه نقل عنها نقلاً صحيحًا متفرّقًا فى كتاب آخر من كتبه ، فإن مجموع ما نقله فى كتابه ، هو بلا شكّ عندئذ ، بمثابة نسخة من كتاب الطبقات ناقصة أوراقُها ، أو ضائعة أوراقُها ، أو مختصرة أخبارُها وأشعارُها وكذلك لا يستنكف عقل ولا نظر ولا (منهج علمىّ) أيضًا ، أن نجمع بين نقوله التى نقلها عن نسخته كانت ، وبين هاتين النسختين العتيقين فى كتاب واحد ، وأن الكتاب عندئذ ، هو بيقين جزءٌ صالحٌ جدًّا من أصل كتاب الطبقات الذى رواه أبو خليفة عن خاله محمد بن سلام ، هل فى هذا شكّ ؟

● ومثل هذا فى الصحة وفى اليقين مايتقلُه عالمٌ متأخر الميلاد ، بينه وبين أبى خليفة دهورٌ طوالٌ ، ولكنّه ذكر فى بعض كُتبه خبراً أو أخباراً ،

ثم نص نصًّا على أن هذا الذى نقله من صلب كتاب الطبقات لابن سلام الجمحىّ ، فهل يزوّرُ عقلٌ أو نظرٌ أو (منهج علمىّ) أيضًا ، من ضمِّ ذلك إلى هاتين النسختين من كتاب « الطبقات » الذى أحدث فيه فَقْدُ بعض الأوراق فجوةً فاحشة ، والذى ضامَه اختصار المختصرِ ضيماً شديداً ؟ وأنا لست بمستفهم كل هذا الاستفهام انتظاراً لجواب من أحد ، فقد أجابت عنه بدائه العقول فى كلِّ زمانٍ ، وفى كل لغةٍ ولسانٍ ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

● وقد أطلتُ وأعدتُ وكرّرتُ فى الأمور التى لم أرَ بُدًّا من تقديمها بين يدى التفسير الذى أريد أن أوضّح به عملى فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام . ولستُ أقول هذا معتذراً عما ارتكبت من الإطناب ، بل لأنّ التجربة الطويلة علمتنى أن الإيجاز المقتصد ، والاختصار المفهم ، واللمحةَ الدالّة ، لم يعد شيءٌ منها مغنيًا ، وصارت عواقبها مخوفة ، ومغبّتها غير مضمونة ، حتى عند من يُظَنُّ أنهم أهلُها، من الصَّفوة المتميّزة بالأناة والصبر وحُسن الإدراك ، وهم المنتسبون إلى العلم وأهله . فلذلك صرت اليوم لا أثق بشىء ، لأنّها ثقةٌ على غَرَرٍ .

* * *

والآن ، كيف كانَ عملى فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » . منذ قديمٍ جدًّا ، منذ أوّل الصِّبا ، منذ قرأت كتاب الطبقات فى طبعة مجان الحديد ، ثم فى نسخة يوسف هل ، كان ظاهراً عندى كثرة ما رواه أبو الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ، عن أبى خليفة ، عن ابن سلام . ولكن حين وقعت فى يدى الورقة الحائلة اللون ، فى سنة ١٣٤٣ هـ (سنة ١٩٢٥ م) ،

وسألنى أمين الخانجى رحمه الله : « أتعرف هذه » ؟ وعرفتُ أنها ورقة من كتاب الطبقات ، وبادرت إلى ثلاثة صناديق أو أكثر فيها ورق « دشت » متفرق مبعثر ، وأخذتُ أجمعُ سائر أخواتها المبعثرة فى ركام من الأوراق ، وفرغتُ من جمعها وترتيبها ، ثم نقلتُ نصف مافى هذه الأوراق على نسختى من طبعة عجان الحديد ، ثم أراد الله أن تفارقنى هذه النسخة التى جمعتُها ، قبل أن أتمّ نقلها ، لكى تستقرّ أخيراً فى مكتبة « تشستر بتى » == من يومئذ فكرت فى جمع ما فى كتاب الأغانى من أسانيد أبى الفرج عن أبى خليفة الجمحى ، الراوى كتب خاله محمد بن سلام . وقد فعلت ، وبلغت صور أسانيده إلى أبى خليفة عن ابن سلام ، خمسًا وخمسين صورة أو أكثر ، مختلفة الألفاظ (وقد قصصت القصة فى مقدمة الطبعة الأولى ومقدمة الطبعة الثانية من الطبقات) . وقد تبين لى بالمراجعة ، أن جمهورَ مارواه أبو الفرج فى أغانيه عن أبى خليفة ، عن ابن سلام ، فى تراجم الشعراء الذين ذكرهم محمد بن سلام فى كتاب الطبقات موجودٌ أكثره بنَصّه فيما بقى من أوراق هذه «المخطوطة» الجديدة من طبقات ابن سلام ، وموجودٌ أيضًا فى طبعتى الطبقات المنقولتين نقلا مطابقًا لما فى نسختى دار الكتب المخطوطتين ، المنقولتين عن نسخة المدينة المنوّرة ، قبل أن نظفر بأصلها مصوّرًا من مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت رحمه الله .

وبالمدارسة ، كما ذكرت فى المقدمة [ص : ٣٨ - ٤٤] ، اخترتُ من هذه الأسانيد التى ذكرتها آنفًا ثلاثة عشر إسنادًا ، ذكرتُ لفظها ومكانها فى الأغانى ، ومرجع هذه الثلاثة عشر إلى ثلاث صُورٍ فى الحقيقة ، وهذه هى ، بعبارة أبى الفرج فى أغانيه :

١ — « ذكر محمد بن سلام فى « كتاب الطبقات » : فيما أخبرنا به أبو خليفة » . ونصّ على ذكر « الطبقات » ، وهو إسناد واحدٌ ، هذه صورته .

٢ — « (أخبرنا) أو (أخبرنى) أو (كتب إلىّ) أبو خليفة فى كتابه إلىّ ، أو (إلينا) = أو أخبرنا القاضى أبو خليفة إجازةً ، أو (ممّا أجاز لنا روايته عنه) من حديثه وأخباره ، مما ذكر عن ابن سلام » . وهذه الصورة واقعة فى عشرة صور من الأسانيد ، فيها ذكر « الإجازة » و « الكتابة » .

٣ — (أخبرنى) الفضل بن الحباب أبو خليفة ، حدثنا ، أو قال « محمد ابن سلام » . وهما صورتان واقعتان فى صورتين من أسانيد أبى الفرج .

فالصورة الأولى ، قاطعةٌ على نقل أبى الفرج من كتاب « الطبقات » ، والصورة الثالثة وحدها لاتقطع بشىء ، فجائز عندئذ أن يكون مانقله من كتاب الطبقات أو من غيره ، أو مما سمعه من أبى خليفة سماعاً أو قراءةً عليه . أما الصورة الثانية التى تفرقت فى عشرة أسانيد مختلفة الألفاظ ، فهى التى تحتاج الآن إلى بيانٍ . والذى يحوجنى إلى هذا البيان ما قاله الدكتور على جواد فى مقاله (المورد ص : ٣٠) ، فبعد أن ذكر ملخّص هذه الصور الثلاثة التى ذكرتها آنفاً ، منقولةً عن كتاب « الأغانى » بعد استعراضه ، ويقول معلقاً : « استعرضه الأستاذ محمود شاكر قبلنا ، وأفدنا منه كثيرا » !! ذكر الدكتور على نتيجة استعراضه فقال :

« وهذه العبارات وأمثالها ، تدلُّ على أن أبا الفرج الأصفهانى لاينقلُ من

كتاب طبقات الشعراء مباشرة ، وإنما كان يتلقّى أخباره (المتفرقة) بوساطة أبى خليفة كتابة (أو مشافهة) . ولو وقف أبو الفرج على الكتاب ، لنقل عنه ونصّ على نقله منه (كما هو شأنه مع المؤلفين الآخرين الذين ينقُلُ عن كتبهم) ، ولما كان داعٍ لأن يقول : أخبرنى . . . الخ » .

ثم يعلق على هذه الفقرة برقم (٦٥) قائلاً : « ولو حَصَل أبو الفرج على نسخة كاملة من كتاب الطبقات ، لما ترك لنا منه نصًّا يتّصل بالشعراء الذين تحدّث عنهم ، لأن ذلك يدخُل فى صميم منهج كتابه » ، ثم يمضى فى حديثه الأول ، مقتبسًا من كلامى فى مقدمة الطبعة الأولى [ص : ٣٠ ، ٣١] .

« وفى هذا ما يمكنُ أن يفسِّر لنا أن أبا الفرج (لم يذكر ابن سلامٍ ولا طبقاته فى كثير ممن ترجم لهم ، ولهم ذكر فى الطبقات) » . ثم يعلّق عليه برقم (٦٦) : « ينظر للمقابلة والمقارنة شاكر ٣٠ – ٣١ [وقد حذفها ط ٢ س : ٤١ – ٤٢] وهذا تعليق غريبٌ جدًّا ، لأنى لم أحذف شيئاً مما قال ، ولكنى غيّرتُ العبارة ، فى الصفحات التى أشار إليها [س : ٤١ – ٤٣] ، والمعنى باقٍ على حاله . كيف فاته هذا ؟ لا أدرى ، ومع ذلك فالجواب غيرُ مُهِمّ .

بل المهمّ هو كلامه عن أسانيد أبى الفرج التى لخّصها هو ، ولخّصتها أنا هنا ، وذكرتها مفصَّلة فى المقدمة ، والتى فيها ذكر « الكتابة » و « الإجازة » ، وأنها عبارات تدلّ على أن أبا الفرج لا ينقُلُ من كتاب طبقات الشعراء مباشرة ، وإنما كان يتلقى أخباره (المتفرقة) بوساطة أبى خليفة كتابة أو (مشافهة) ، وأنه لو وقف على كتاب الطبقات ، لما كان هناك داعٍ لأن يقول : « أخبرنى . . . » ، أو كما قال الدكتور .

* * *

فى كتب أئمة علم مصطلح الحديث ، بابٌ طويلٌ مفردٌ يسمونه « بابُ الإجازة » ، فإذا كان أبوالفرج قد أوجدنا هذه اللفظة فى أسانيده إلى مُسْنِدِ عصره أبى خليفة الجمحى ، وإذا كان أبوالفرج وغيره من أهل الأدب وغيرهم قد ساروا على سُنّة أهل الحديث فى إسناد الأخبارالمروية توثيقًا لها ، أو براءةً من عُهْدة روايتها ، فلابُدَّ إذنْ من معرفة معنى « الإجازة » فى كلامهم واصطلاحهم . وبالطبع ، أنا لن أطيل فى هذا ، لأنى لا أعتقد أن الدكتور على جواد الطاهر يجهل ما أقولُ ، ولكنى أخشى أن تكونَ ثورة انفعاله ، قد أغفلَتْهُ عما أعتقد أنه به عالم ، فيما أتوهّم ، وإن ضَعُفَ هذا التوهُّم . وعلى كلِّ حالٍ ، فباب « الإجازة » معروف فى كتب القوم من لدن الخطيب البغدادى ، (... ـ ٤٦٣ هـ) فى كتابه « الكفاية » ، إلى ابن الصلاح (... ـ ٦٤٣ هـ) فى مقدمته ، إلى الحافظ ابن كثير (... ـ ٧٧٤ هـ) فى كتابه « الباعث الحثيث » ، إلى الحافظ العراقى (... ـ ٨٠٦ هـ) فى شرح ألفتيه وشرح مقدمة ابن الصلاح ، إلى الحافظ السيوطى ، (... ـ ٩١١ هـ) فى ألفتيه ، إلى الأميرالصنعانى (... ـ ١١٨٢ هـ) فى كتابه «تنقيح الأفكار» ، وهؤلاء وغيرهم من علماء علم الأصول قد ذكروا « باب الإجازة » وأركانها ، وأحكامها ، وأنواعها وأقسامها ، وتصحيح العمل بها ، وكيفية العبارة عن كل ضربٍ من ضروبها .

فمن ضروب « الإجازة » ، كما قال الخطيب ، « المكاتبة » : « وهو أن يكتب الراوى بخطِّه جزءا من سماعه ، أو يكتب معه إلى الطالب : « قد أجزت لك روايته بعد أن صححته بأصلى ، أو بعد أن صححه لى من أثق به » .

وكيفية العبارة بالرواية عن المكاتبة ، أحَبُّه أن يقول : « كتب إلىَّ

فلانٌ ، حدثنا فلانٌ » ، وهذا هو مذهب أهل الورع والتحرّى فى الرواية ، وكان جماعةٌ من السلف يفعلونه ، كما قال الخطيب ، وأن « المكاتبة » مراسلةٌ ، وذكر أنه قد ذهب غير واحدٍ من علماء المحدثين إلى أن قول «حدثنا» فى الرواية عن «المكاتبة» جائز (ومثله فى اللفظ أخبرنا وأخبرنى ، كما هو ظاهر) ، وممن أجاز ذلك شعبة بن الحجاج (وهو إمام الأئمة فى معرفة الحديث بالبصرة توفى سنة ١٦٠ هـ) ، ومنصور بن المعتمر ، (وهو أثبت أهل الكوفة فى الحديث وأتقنهم ، توفى سنة ١٣٢ هـ) ، وأيوب السختيانى ، (وهو حجة أهل البصرة فى الحديث ، وسيد الفقهاء بها ، توفى سنة ١٣١هـ) . قال شعبة : « كتب إلىَّ منصور بحديث ، فلقيتُه فقلتُ : أحدِّث به عنك ؟ قال : أوَ ليس إن كتبتُ به إليك فقد حدَّثتك ؟ » ، وكذلك قال شعبة ، عن أيوب وغيره قال : « إذا كتب إليك العالم فقد حدثك » .

وقد صحَّح الخطيب ذلك بقوله :

« . . لأن الغرضَ من القول باللسان ، فيما تقع العبارة فيه باللفظ ، إنما هو تعبير اللسان عن ضمير القلب . فإذا وقعت العبارة عن الضمير بأى سبب كانت من أسباب العبارة : إما بكتاب ، وإمَّا بإشارة ، وإمَّا بغير ذلك مما يقومُ مقامه ، فان ذلك كُلّه سواء »

ويعنى الخطيب أن الراوى إذا كان قد كاتب عالمًا ، فكتب إليه كتابًا يعلم صحة وروده عنه ، فمباحٌ له أن يقول فى كلِّ مارواه عن كتابه : « حدثنى فلان » و « أخبرنى فلان » . و « نبأنا » و « أنبأنا » .

وقد ذكروا أيضًا أن قول الراوى « كتب إلىَّ » أو « فى كتابه إلىَّ » ،

وأمثال ذلك ، يستعمل للدلالة على أنه مراسلة ، وأنه قد كتب له من بلدٍ إلى بلد . ثم ذكروا وجوهاً كثيرة ، من شاء أن يطلبُها حيث ينبغى أن تطلب ، أدرك كثيراً من أسلوب هذه الأمة فى كُتبها ، وفى روايتها عن الأئمة وعن الكتب . وإنما نقلت هذا باختصار ، لكى يعيد الدكتور على جواد نظره فى قوله : « ولو وقف أبو الفرج على كتاب الطبقات ، لنقل عنه ، ونصَّ على نقله عنه (كما هو شأنه مع المؤلفين الآخرين الذين ينقُلُ عن كُتُبِهم ، ولما كان داع لأن يقول : أخبرنى . . الخ » ، وذلك أنه فى كلِّ ما قال فيه « كتب إلىَّ » أو « فى كتابه إلىَّ بإجازته لى » ، فالطريق المستقيمُ أن يقول فيه « أخبرنى » ، فهذا هو « الداعى » الذى لامناصَ منه .

وأما قول الدكتور على : « ولو وقف أبو الفرج على كتاب الطبقات ، لنصَّ على نقله ، كما هو شأنه مع المؤلفين الآخرين » ، فهذا بابٌ آخر غير « باب الإجازة » وضروبها ، وهوملحق بالباب ، ويقال له « باب الوِجادة » (بكسر الواو) ، وهو مقصودٌ به الأخذ من صحيفة أو كتاب بلا إجازة ولا مناولة ، ولا مكاتبة ، فإن الشرط فيه أن يقول الناقل : « قرأت بخط فلان » أو « فى كتاب فلان » وينصُّ على ذلك . وهكذا فعل أبو الفرج فى المواضع التى أشار إليها الدكتورعلى جواد ، وجعلها حُجَّة فى « باب الإجازة »، مع أنَّ بينهما بونًا بعيداً لا أدرى كيف سَها عنه ، وإن كنت فى الحقيقة أدرى، وأتَيَقَّنُ أيضاً . فكلُّ ماقال فيه أبوالفرج :« نسختُ من كتاب هرون بن على بن يحيى » . و « نسختُ من كتاب أبى عبد الله اليزيدى ولم أقرأه عليه » و « وجدت فى كتاب علىّ بن محمد بن نصر » ، و « نسختُ من

كتاب الحرمى بن أبي العلاء » ، فهذا بابٌ آخر لايقال فيه « أخبرنى ... » .

* * *

وبعد هذا البيان السريع عن الفرق بين لفظ « الإجازة » و« الكتابة » و « الوِجَادة » ، يتبيَّن أن كل ما قال فيه أبوالفرج : « أخبرنى أبو خليفة فيما كتب به إلىّ ، بإجازته لى » وما أشبه ذلك فى الأسانيد العشرة التى ذكرتها فى المقدِّمة ، دالّة على أن أبا خليفة قد كتب به من البصرة ، إلى أبى الفرج الأصبهانىّ ببغداد ، وأنه أجازه برواية ما كتب به إليه ، فكان مرضًا على أبى الفرج أن يقول فى كُلٍّ ذلك « أخبرنى » ، وأن هذا اللفظ لايدلُّ عندئذ على مشافهة أو لقاءٍ بين الرجلين ، كما توهَّم الدكتور على جواد فى مقاله ، والدكتور منير سلطان فى كتابه عن « ابن سلام » ص : ١٥١ ، ١٥٧ .

● وعلى ذلك فقول أبى الفرج فى الإسناد الأوَّل الذى ذكرته آنفا : « ذكر محمد بن سلام فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة » ، فجمع بين « أخبرنا » وبين ذكر « كتاب الطبقات » ، دالٌّ دلالة قاطعة على أن أبا خليفة ، قد كتب إلى أبى الفرج نسخةً من « كتاب الطبقات » ، وأجازه روايتها عنه . ويؤيّد ذلك أيضًا تأييدًا قاطعًا ، ماذكره أبوالفرج فى ثلاثة عشر موضعًا من كتاب الأغانى ، عند ذكر الشاعر الذى ترجم له : « جعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة (أو الرابعة ، أو السادسة) من فحول الشعراء ، فى الجاهلية (أو فى الإسلام) » (كما بيَّنت نصوص ذلك فى المقدمة (ص : ٤٧ – ٥٠) ، ويذكر ذلك بغير لفظ « أخبرنا أبو خليفة » ، فهذا دليلٌ على أنه ينقُل من نصِّ كتاب الطبقات بلاريب ، وأنه كتابٌ حاضر عتيد بين يديه . وهذا أمرٌ لايحتاج إلى إطالة التأمل .

● وكذلك أستطيع أن أقول ، على وجه القطع ، إنّ الذى رواه أبو الفرج بأسانيده الثلاثة عشر التى استخرجتُها من كتاب الأغانى ، هى من نسخته التى أرسلها إليه أبو خليفة من كتاب الطبقات ، والتى أجازه بروايتها عنه ، عن محمد بن سلام صاحب الكتاب ، وأنه كان ملتزما فيما رواهُ بسنَّة العلماء فى الرواية ، حيث يقول : « أخبرنى أبو خليفة ، أو أنبأنى » ، وأنّ الذى رواه من ذلك فى كتابه لم تكن أخباراً (متفرقة) ، كما قال الدكتور على جواد ، بل هى أخبار من كتاب « الطبقات » ، فرّقها أبو الفرج على مواضع ذكر الشعراء ، حين احتاج إلى ذكر ما قاله ابن سلام فى كتابه .

● أما مسألة « المشافهة » والالقاء بين الرجلين ، كما ذكر الدكتور على جواد ، والدكتور منير سلطان ، فأنا لا أطيل فى نفيه بالأدلّة ، بل أكتفى بأن أقول : إنَّ من ينعم النظر فى تاريخ الرجلين ، أبى خليفة وأبى الفرج ، يقع على القطع بأنّ الرجلين لم يلتقيا البتّة ، إذا توقّى أن يجعلَ دليلَه على ذلك قول أبى الفرج « أخبرنى أبو خليفة » ، لأنه لايقولها إلاّ اتباعًا للسُّنّة فى تحمل الأخبار والآثار والأشعار عن طريق إجازة « المكاتبة » .

⁂ وإذا علم أيضًا أنّ الخطيب البغدادىّ قد روى فى تاريخه عن أبى محمد الحسن بن الحسين النوبختى أنه قال : « كان أبو الفرج أكذب الناس ، كان يدخُلُ سوق الورّاقين وهى عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشترى شيئًا كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون روايته كلها منها » ، يعنى أنه كان يدّعى أنه مما رواه عن أصحابها فيقول فى روايتها « أخبرنى » و « حدثنى » .

= وأنّ أبا الحسن البتيّ قد ردّ على أبي محمد ذلك فقال : « لم يكن أحدٌ أوثق من أبي الفرج الأصفهانيّ » ، ويعني أنه كان ملتزمًا بآداب الرواية وتحمل الأخبار ، فيقول : « أخبرني » و « حدثني » في المشافهة ، ويقولها أيضًا في إجازة المكاتبة ، ويقول في الوِجادة : « نسخت من كتاب فلان » و « قرأت في كتاب فلان » . وهذا كافٍ مغنٍ عن زيادة في التطويل بما هو معروفٌ لمن عرف كتب القوم .

● ومن أجل هذا كان واجبًا عليّ أن أعقد فصلا في مقدمة الطبعة الثانية من الطبقات ، أسمّيه : « بابَةُ نسخة أبي الفرج الأصفهاني من كتاب الطبقات ، وما نقل عنه في كتابه الأغاني » (ص : ٤٠ وما بعدها) ، لأن أبا الفرج قد أوقفنا نصًّا حين ذكر في الإسناد الأوّل كتاب الطبقات ، وأن أبا خليفة أخبره به ، على ما بينتُ آنفًا . وأوقفنا عليه نصًّا بدلالة أسانيده العشرة التي اتّبع فيها سُنّةَ العلماء في الرواية عن الكتب التي تلقَّوْها عن الشيوخ من العلماء كتابًا مكتوبًا ، بالمراسلة ، فيقولون « أخبرني فلان بكتابه إليّ ، وبإجازته إليّ » ، إلى آخر ماهو مفصّل في أسانيد أبي الفرج ، وبالتساهُل الذى يقع من بعض الرواة حين يقولُ : « أخبرني » ، دون أن يذكر إجازة المكاتبة ، تدليسًا أحيانًا ، أو ثقة بأنّ قارىء كتابه قد أغناهُ ما ذكره من المكاتبة والإجازة في مواضع ، عن إعادة ذكر المكاتبة والإجازة ، أحيانًا أُخرَى .

● وكذلك صار يقينًا أن أبا الفرج كانت عنده نسخةٌ من كتاب الطبقات أجازه أبو خليفة بروايتها عنه ، وأنّ هذه النسخة أشدّ دنوًّا من

أبى خليفة ، من المخطوطتين : « مخطوطتى » و « م » مخطوطة المدينة ، لأنّ بينهما وبين أبى خليفة : « ابن أسيد » فى الأولى ، و « أبا طاهر الذهلىّ » القاضى فى الثانية . وأيضًا ، لا يستنكَرُ أن تكون نسخة أبى الفرج أتمّ من « المخطوطة » ، وهى بلا شك أتم من نسخة « م » المختصرة . وبيقين أيضًا لم تصل إلينا بعدُ نسخة أبى الفرج ، ولكن وصلت إلينا منها جماعة الأخبار التى رَوَاها عن أبى خليفة عن ابن سلام فى كتاب الطبقات ، وأثبتها فى خلال كتابه « الأغانى » مسندةً إلى الأصْلِ الذى رواها عنه ، وهو كتاب الطبقات ، الذى تلقاه مكاتبةً بإجازة أبى خليفة . ولما كان ذلك ، فهذه الأخبار المتفرقة فى كتاب الأغانى ، تعدُّ مجتمعة ، أوراقًا مبعثرة من نسخة أبى الفرج التى لم تصل إلينا ، فما كان من الأخبار فى هذه الأوراق مطابقًا لما فى النسختين المخطوطتين عندنا ، فهو منها بالمطابقة ، وما كان منها غير موجود فى المخطوطة المختصرة « م » فهو من الطبقات أيضًا ، وما كان منها زائدًا على « المخطوطة » وعلى « م » معًا ، فهو زيادةٌ فى نسخة أبى الفرج ، أخلَّ بها ابن أسيد وأبو طاهر الذهلىّ جميعًا . ولم ؟ لأنها أشدُّ التحامًا بأبى خليفة راوى الطبقات ، لأنه هو الذى كتب بها إلى أبى الفرج ، ولأنه هو نفسه الذى أجاز أبا الفرج بروايتها عنه .

● وكذلك كان منهجى فى الزيادات التى زدتُها فى الطبعة الأولى ، وكنت معتمدًا على نسخة المدينة « م » فى طبعة يوسف هل وعجان الحديد ، ثم على النصف الأول من «مخطوطتى» التى آلت إلى مكتبة تشستر بتى ، قبل أن أفرُغَ من نقل نصفها الثانى . فإنّى حين استيقنتُ أن أبا الفرج ، كانت

بين يديه نسخةٌ من كتاب الطبقات ، كتب بها إليه أبو خليفة الجمحى ، وأجازه بروايتها عنه ، راجعتُ كلَّ مارواه أبو الفرج فى أغانيه عن أبى خليفة عن محمد بن سلام ، وتبيَّن لى بالمراجعة الدقيقة أن جمهرة ما رواهُ أبو الفرج بإسنادٍ من هذه الأسانيد الثلاثة عشر ، موجودٌ ثابتٌ فى نسخة المدينة « م » المختصرة وفى « مخطوطتى » التامة . وأما ما بَقِىَ بعد ذلك ، فأكثره موجودٌ فى نسخة « م » وحدَها ، وذلكَ فى النصف الثانى من الكتاب ، لأنَّ « المخطوطة » كانت قد خرجت من يَدِى قبل أن أنقل نَصَّها ، ولم أشكَّ لحظةً أنّه موجودٌ فى النصف الثانى من « مخطوطتى » التى خرجت من يَدِى ، ولذلك ، فقد زِدتُها فى أماكنها التى استظهرتُ أنها أحقُّ بها .

● وإذن ، فأنا حين فعلتُ ذلك ، فعلتُه وأنا على ثقةٍ وعلى بيِّنةٍ ، وعلى يقين من أنَّ ما رواهُ أبو الفرج فى أغانيه هو فى حقيقته أوْراق من نسخة ثالثة من الطبقات ، هى نسخة أبى الفرج ، التى كتب بها إليه أبو خليفة ، وأجازه بروايتها عنه . وسواء فى العقل والنَّظر أن يكون أبو الفرج قد كتب لنا نسخة بخَطِّه من كتاب الطبقات ، فتآكلتْ ومحاها البِلَى والتلف ، إلا عدَدًا قليلاً من أسطر الكتاب الذى كتبه بيده . : أو أن يكون أبو الفرج قد كتبَ هذا القليل نفسه من الأسْطُر بخطِّ يده مفرَّقًا فى كتابٍ آخر هو الأغانى . ولا ينكر استواءَ الأمرين إلاّ من لاعلم لهُ ، كالمستشرقين وأشباههم من المساكين . هم لاينكرون هذا ، إلا للذى غاب عنهم من أصول المعرفة لما هو كائنٌ فى كتبنا ، وغيابُ الأصول مدعاةٌ إلى سوء التصوّر ، وسُوء التصوُّر مجلبةٌ للإعراض عن صريح العقل والنظر .

لقد أطلتُ وكرّرتُ . أطلتُ ، لأنى رأيت الإيجازَ اليومَ سيءَ المغبّة ، وكرّرتُ ، لأنى وجدتُ تركَ التكرار قد جابَ علىّ وعلى كتاب « طبقات فحول الشعراء » شرًّا كبيرًا ، وأذى بالغًا . وأنا لا أقول هذا هنا معتذرًا ، لأنى سوف أرتكب الإطالة والتكرار مرّةً أُخرى . لأنّ الفسادَ الذى لحقَ مباحث الأدب اليوم ، يوجبُ علىّ أن أدُلّ على هذا الفسادِ ، شفقةً على الناشئة من طلبة هذا العلم ، ليأخذوه بحقه ، أو يَدَعوهُ وينفُضوا أيديَهم منه ، حتى يأتىَ من يستطيع أن يأخذه بحقّه . ولكن هل هذا ممكنٌ فى زماننا هذا الذى استشرت فى الإعلانِ عن نفسها عجائبه ؟

* * *

وأنا قد وصفت عملى فى كتاب الطبقات فى مقدّمة الطبعة الأولى (سنة ١٩٥٢) ، وعدت فغيّرتُ هذه الصفة فى مقدمة الطبعة الثانية ، (سنة ١٩٧٤) ، فكنتُ أظنُّ ، وأكذبُ الحديث الظنُّ ، أن الذى قلتُه فى مقدمة الطبعة الثانية . كافٍ فى الدلالة وفى الوضوح ، وأنه يُلْغِى ما قلته فى مقدمة الطبعة الأولى . ولكن ما حدثَ تركنى حائراً متعجّبًا ، فالأستاذ الفاضل الدكتور على جواد الطاهر يقول واصفًا عملى فى الكتاب ما نصه (المورد ، ص ٣٩) :

« وصل إلينا كتابُ محمد بن سلاّم ناقصًا ، فماذا يفعل محقّقٌ فى هذه الحالة ؟ أن ينظُر فى كتب الأدب ، لعل فيها روايات نقلت عن « طبقات الشعراء » ، أو عن محمد بن سلام . وهكذا فعل الأستاذ محمود محمد شاكر ، وأكمل المخطوطة بهذه الكلمة ، وسدَّ خرمها بتلك . ولكنه لم يقف عند هذا ، وإنما زاد إلى أن قال : « ا . . استبحتُ لنفسى أن أنقُلَ أخبارَ أبى الفرج التى أسندها عن أبى خليفة إلى محمد بن سلام ، فى مواضعها التى ظننتُ أنها

أحقُّ بها . . . . وكذلك فعلتُ بالأخبار التي رواها المرزباني في الموشَّح ، عن إبراهيم بن شهاب ، عن أبي خليفة عن ابن سلام ، فإني رأيتُ ما نقله المرزبانيُّ مطابقًا لما في النسخة المطبوعة أو النسخة المخطوطة ، في أكثر رواياته ، وهي كثيرة . وهناك أخبار نقلتُها عن أبي القاسم الزجاجيِّ في أماليه في موضعين أو ثلاثة ، شبيهة بأن تكون من كتاب ابن سلام . ولم أفعل ذلك ولم أستبحهُ ، إلا بعد أن محصتُ الأدلة على صحة ما ذهبت إليه ... | » .

والموضعان اللذان فيهما النقط هكذا « . . . . . » ، هو ما حذفه الأستاذ من كلامي الذي قاله في مقدمة الطبعة الأولى (سنة ١٩٥٢) ص : ٣١ ، ٣٢ .

وهذا الفعل ، أعني الحذف ، غير مفهوم ، لأن المحذوف في الموضعين بضع كلمات لا تزيدُ مقالته طولًا إذا أثبتها . وهو في فعله هذا بين أمرين : إمَّا أنه لم يستطع أن يفهم هذه الفقرة كما كتبتها مطبوعة في المقدمة ، فاستهانَ بما في هذا المحذوف فحذفه ، وهذا صعبٌ جدًّا ، لأنه عندي أجلُّ من ذلك = وإما أنه تعمَّد هذا الحذف ، لأن بقاء المحذوف ، يُفْسِد عليه قصده في صفة عملي في الطبقات على الوجه الذي يراه هو ، ويفسد عليه قصده أيضًا في شيء آخر ، هو أنه أراد بما كتب أن يدلّني على « المنهج العلمي » ، وأن يسدِّد خطاي في ممارسة « علم التحقيق » . وأنا شاكرٌ له ما قصد وما أراد على كلِّ حال ، ولكني أحبُّ لقارىء كلامه هذا أن يقرأه كما كتبتُه أنا بتمامه .

وسياق لفظي في الموضع الأوّل الذي حذفه هو : « ولما كانت المطبوعة الأولى ناقصةً أو مختصرةً كما قلنا ، استبحتُ لنفسي . . . » . وسياقه في الموضع الثاني الذي حذفه هو : « فعلتُ ذلك في المواضع التي ضاع من مخطوطتنا ما يقابلها ، وكذلك فعلت بالأخبار . . . » . وهذا المحذوف يدلُّ على حقيقة

عملى فى الطبقات ، لأنه يحدد العمل تحديدًا واضحًا ، فى مواضع بعينها من الكتاب ، وهذا التحديد يجعلُ ما قالَهُ فى صفة عملى فى الكتاب ، على الوجه الذى يراهُ هو ، كلامًا غير متسق ولا متناسب . فلذلك حذفَ ما حذفَ . ومع ذلك ، فالكلام بعد الحذف أيضًا غير متسق ولا متناسب . وإذا كان « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » يقضيان بأن « ينظر المحقّق فى كتب الأدب ، لعلّ فيها روايات نقلت عن طبقات الشعراء أو عن محمد بن سلام » كما قال ، فهذا كلامٌ لا تحديد فيه ، ولم أفعله لأنه فاسدٌ كُلَّ الفساد ، ولكن الأستاذ على جواد أراد أن يصفَ عملى بهذه الصفة فقال : « وهكذا فعل الأستاذ محمود محمد شاكر ، فأكمل المخطوطة بهذه الكلمة ، وسدّ خرمها بتلك » . ولكنى لم أفعل ذلك ، خلافًا للمنهج العلمى ولعلم التحقيق ، كما يراهُ هو . وأنا لم أتحدّثْ عن « كتب الأدب » أو عن « كلمة هنا ، وكلمة هناك » ، وإنما كان حديثى كُلُّه عن « أخبارٍ » برُمَّتها ، مرويّة عن « أبى خليفة ، عن محمد بن سلام » ، فى كتب بعينها ، تُسْند هذه الأخبار بإسنادٍ معيّنٍ وصفته فى المقدّمة بصفات ظاهرة . فهذا الذى وصفه منهجٌ فاسدٌ ، لأنه غير واضح ولا محدّدٍ ، وكلامى الذى جاء به مبتورًا بعد ذلك ، فيه تحديدٌ واضحٌ لكتب بعينها ، وأخبارٍ بعينها . ونَعَم ، أنا لم أثبت أرقام هذه الأخبار التى زدتها ، فى مقدمة الطبعة الأولى ، ولكنى اعتذرت عن ذلك فى نفس المقدمة ، فقلت بعد هذا الكلام الذى نقله الأستاذ فى مقالته :

« ولم أفعل ذلك ولم أستبحه ، إلا بعد أن محصتُ الأدلة على صحة ما ذهبت إليه ، ولولا أن الأمر قد يطول ، لذكرتها واحدةً واحدة ، حتى يطمئن القلبُ إلى ما ذهبت إليه من فعل ذلك . وأرجو أن يتاحَ لى فى

الطبعة الثانية من الطبقات ، أن أفيض فى ذكر هذه الأدلة » . ثم أثبت بعدَ ذلك ، قدر ما كان عندى من الأم العتيقة (أى المخطوطة) وما يقابله من المطبوعة الأولى . ثم قلت : « وقد كنت أحبُّ أن أثبت أيضاً فى هذا المكان ، كلَّ ما نقلته من رواية أبى الفرج فى أغانيه ، والمرزبانى فى الموشَّح ، إلا أنى أراهُ يطول . . . . » ، إلى آخر كلامى فى مقدمة المطبوعة الأولى [ص : ٣١ — ٣٣] ولا أدرى لماذا أغفل الدكتور على جواد هذا الذى قلته ؟ وجواب السؤال غير مفيد ؟ لأن التعمُّد ظاهرٌ واضحٌ على كُلِّ حال .

وإذا علمتَ أنّ الطبعة الثانية قد جاءت بعد أن حصلتُ على مخطوطة المدينة « م » ، وعلى مخطوطتى التى آلت إلى مكتبة تشستربتى ، صار هذا التعمُّد واضحاً كُلّ الوضوح . وذلك لأنّى فى الطبعة الأولى ، لم أعتمد إلاّ على النصف الأول الذى نقلته منها ، فلمّا جاءتنى كاملة صار للنصف الثانى منها أثرٌ ظاهر فى الطبعة الثانية . فالأخبار التى كنت زِدتُها على نسخة المدينة « م » (أى على طبعة يوسف هل) فى هذا النصف الثانى من كتاب الطبقات ، والتى كان أكثرها من أخبار أبى الفرج فى الأغانى ، بالأسانيد التى ميزتُها من سائر أسانيده إلى أبى خليفة عن محمد بن سلام ، وجدتها كُلّها ثابتة فى المخطوطة ، بل كان بعضُها فى نفس سياق ابن سلام ، وفى نفس موضعها من كتاب الطبقات . وقد وضعتها فى هذه الأماكن استظهاراً ، فوافق استظهارى ما هو ثابتٌ فى مخطوطتى . فمن أجل ذلك غيّرت كلّ الذى قلتُه فى مقدمة الطبعة الأولى [ص : ٣١ — ٣٣] ، والذى نقل الدكتور على جواد بعضه آنفاً ،

مجترئاً على الحذف من نص كلامى . وكتبت مكانه فى مقدمة الطبعة الثانية [ص : ٤٣ - ٤٦] ، ما يوضِّح عملى فى الكتاب توضيحاً مقارباً .

* * *

وقد أثبتُّ فى هذا الموضع من مقدمة الطبعة الثانية ، كُلَّ المواضع التى أدخلتُ فيها رواية أبى الفرج ، عن أبى خليفة ، عن محمد بن سلام ، من بقايا نسخته من كتاب الطبقات ، وهى التى نقل عنها فى كتابه « الأغانى » ما نقل . وقد ذكرت هذه الأخبار بأرقامها فى الطبعة الثانية ، وإن كنت قد سهوت فأسقطت من هذا البيان أربعة أخبارٍ هى : « رقم : ٦٢٩ ، ورقم : ٧٤٠ ، ورقم : ٨٠١ ، ورقم : ٨٣٥ » ، وأقول (بعد هذا التصحيح) إن الذى زدته هو : « تسعة وعشرون موضعاً ، فيها خمسة وثلاثون خبراً ، منها خبران مذكوران فى « م » ، ولكنى أثبت نصَّ الأغانى . وخبران فى مخطوطتى زدت فيها من الأغانى أسطرًا ، وعشرة أخبارٍ زيادة على المخطوطة ، لأنى أرجّح أن نسخة أبى الفرج كانت أتمَّ منها . فيبقى بعد ذلك خمسة وعشرون خبرًا كلُّها زيادة على « م » ، وهى مختصرة ، كما أثبت ذلك فى « بابة مقارنة المخطوطتين » (انظر مقدمة الطبعة الثانية ص : ٤٥ ، وصحِّح العدد كما أثبته هنا) .

ثم ذكرت ما زدته عن المرزبانى فى الموشح ، وهى ثلاثةُ أخبارٍ بأرقامها وهى زيادة على نسخة المدينة « م » ، وما زدته من شرح نهج البلاغة ، لأن ابن أبى الحديد نصَّ على أنه فى كتاب «طبقات الشعراء» ، وهو أيضاً زيادة على « م » وقلت بعد ذلك (وبعد التصحيح السالف) :

« وإذن ، فمجموع ما زدته من الأخبار على أصل الطبقات « م » هو

تسعة وعشرون خبراً ، وعشرة أخبار زيادة على المخطوطة ، فهى جميعاً تسعة وثلاثون خبراً ، [انظر مقدمة الطبعة الثانية ص : ٤٥ ، ٤٦ ، وصحح العدد كما أثبته هنا] .

وهذا الذى قلتُه آنفاً ، هو بعْض ما تضمَّنتْه مقدمتى فى الطبعة الثانية ، بَعْد أن حذفتُ ما نقله الدكتور على جواد من مقدمة الطبعة الأولى . ولما كانت الطبعةُ الأولى والطبعة الثانية ، بين يدى الدكتور (سنة ١٩٨٠) ، وهو يعيد نشر نقده لكتاب الطبقات ، والذى كتبه سنة ١٩٦٤ ، فمن العجيب كُلَّ العجيب أن يقتصر على النقل من مقدمة الطبعة الأولى ، دون أن يفكِّر فى مراجعة مقدِّمة الطبعة الثانية ، فينظُرَ ويقارنَ بين الكلامين . وبالبديهة أجدهُ قد أغفَل هذا متعمِّداً كلَّ التعمُّد ، وأظنُّ أنَّ تعمُّده هذا راجعٌ إلى أنه يريد أن ينتهى إلى نتيجةٍ ، هى التى جاءت فى ص ٤٢ من المورد ، وهى قوله : « ليس من علم التحقيق أن ننقُل إلى الكتاب الذى نحققه مادة (غزيرة) من كتب أخرى لا نملك الدليل العلمى القاطع على أنها من الكتاب المحقّق لفظاً ومعنًى » . و (غزيرة) الموضوعة بين قوسين ، من عمل الدكتور على جواد لا من عملى ، وفعل ذلك ، لأنَّها مقصودة لذاتها ، وليعتنى بها القارىء عناية فائقة ! أما أنا ، فلست أعتنى بمثل هذه الكلمة الموضوعة بين قوسين ، لأنها مبالغة يرادُ بها التأثير على قارىء كلامه ، وليست لها حقيقة ، لا لفظاً ولا معنًى = ولأنها قد جاءت فى سياق فاسد ، وهو الزعم الذى ينسبهُ إلىَّ : أنِّى نقلتُ إلى كتاب الطبقات مادة (غزيرة) ، « لا أملكُ الدليل العلمى القاطع على أنها من الكتاب المحقق لفظاً ومعنًى » .

والدكتور على جواد معذورٌ على كُلِّ حالٍ ، لأنه بنى كلامه هذا على أنّ كل ماقاله أبو الفرج فى الأغانى ، مصدَّراً بعبارات فيها (سأنقل هنا نص كلامه من المورد ص : ٣٠) :

« أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام = أو أخبرنى أبو خليفة حدثنى محمد بن سلام = أو أخبرنى الفضل بن الحباب الجمحىّ فى كتابه إلى بإجازته لى يذكر عن محمد بن سلام = أو أخبرنى أبو خليفة فيما كتب به إلىّ عن محمد بن سلام = أو ذكر محمد بن سلام فى كتاب الطبقات ، فيما أخبرنا به أبو خليفة قال ... وهذه العبارات وأمثالها تدلُّ على أن أبا الفرج الأصفهانى لا ينقل من كتاب طبقات الشعراء مباشرةً ، وإنما كان يتلقَّى أخباره (المتفرقة) بوساطة أبى خليفة كتابةً (أو مشافهة) . ولو وقف أبو الفرج على الكتاب ، لنقل عنه ونص على نقله منه (كما هو شأنه مع المؤلفين الآخرين الذين ينقل عن كتبهم) ، ولما كان داعٍ لأن يقول : أخبرنى . . . الخ » ، ثم يقول فى التعليق رقم : ٦٥ ، فى آخر هذه الفقرة : « ولو حصل أبو الفرج على نسخة كاملة من كتاب الطبقات ، لما ترك منه نصاً يتصل بالشعراء الذين يتحدث عنهم ، لأن ذلك يدخل فى صميم منهج كتابه » (ما بين الأقواس من عمل الدكتور على) .

وقد فرغتُ آنفاً من هذه القضية ، وأن قول أبى الفرج فى كُلِّ « هذه العبارات » ، هو نقلٌ من كتاب الطبقات على وجه اليقين ، وذكرت ما قاله أئمة العلم فى « الإجازة » و « المكاتبة » و « المناولة » و « الوجادة » ،

وكيف يقولون فى « المكاتبة » : « أخبرنى فيما كتب به إلىّ » وسائر ما ذكره الدكتور ، وأن هذه المكاتبة تكون فى الكُتُب المؤلفة ، مرسلة من بلدٍ إلى بلدٍ ، لا غير . وتجاوُزُ الدكتور على جواد ، عمّا قاله الأئمة فى ذلك ، هو الذى أدّاه إلى هذا الذى كتبه عن غير بينةٍ ولا معرفةٍ بأصول التحديث ، أو تحمُّل الأخبار والآثار والكتب . ومردُّ هذا ، بالطبع ، إلى أصول « المنهج العامى » ، وإلى قواعد « علم التحقيق » ، وهما البابان الكبيران اللذان تقلّدهما الدكتور على جواد ، وأراد متفضّلاً أن يوقفنى على أسرارهما ، لأقتفى آثاره فيهما ، ولكنى فى الحقيقة عاجزٌ عن الدخول فى أغوارهما ، رَهْبَةً وخوفًا أن لا أقومَ بحقّهما على الوجه الذى يتيح لى أن أبلغ رضاه ، ومَنْ حَذِرَ سَلِمَ من الآفات ، ويالها من آفاتٍ !

* * *

وسأشرع الآن فى بيان « الزيادات » التى زدتُها على كتاب الطبقات ، عن الأغانى ، وعن المرزبانى وغيرهما ، وقبل كلِّ شيء أقول : إنى سوف أجمع هنا بين الدكتور على جواد الطاهر ، والدكتور منير سلطان فى كتابه « ابن سلام وطبقات الشعراء » ، لأن الدكتور على هو نفسه الذى يقول : « قرأ كاتب البحث ، أكثر ما قرأ ، من كتاب الدكتور سلطان ، الأمورَ المتعلقة بالكتاب مخطوطاً ومطبوعاً ، وكان طبيعيّا جدًّا أن يلتقى وإيّاه فى عدد من النقاط بحكم (المنهج العامى) ووحدة المصادر » ، [المورد س : ٢٦ ، تعليق رقم : ١] . فمن ذلك أنهما اتفقا على أنى زدت فى كتاب الطبقات (مادة

غزيرة) ، كما قال الدكتور على ، أو أن « هذه الزيادات ، سبب تضخُّم الكتاب » ، كما قال الدكتور سلطان .

وسأبدأ الآن فى ذكر الأخبار التى زدتُها ، معتمداً على الطبعة الثانية من الكتاب ، مبيِّنا أرقامها وعدد أسطر الزيادة فى كُلِّ موضع ، وسأفصل ما بين الزيادة التى زدتُها على نسخة المدينة « م » ، التى ثبت على وجه القطع أنها مختصر كتاب الطبقات كما بينت فى آنفًا ، وفى مقدمة الطبعة الثانية أيضاً ، وبين ما زدته على « مخطوطتى » التى آلت إلى مكتبة تشستربتى ، والتى تبلغ ضعف نسخة المدينة « م » بالدليل القاطع أيضاً . مع العلم بأن كُلَّ ما فى كتاب الأغانى لأبى الفرج ، هو ممَّا نقله عن كتاب الطبقات ، من نسخته التى أجازه بها كتابةً أبو خليفة الجمحىّ ، بروايته عن خاله محمد بن سلام .

● الزيادات على نسخة المدينة « م » ، من الأغانى

١ — الخبر : ١٣٦ ، عن الأغانى ٢ : ١٥٨ ، وإسناد أبى الفرج هو : « أخبرنى الفضل بن الحباب الجمحى أبو خليفة ، فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلام » ، وهذا إسنادٌ قاطع بأنه من نسخة أبى الفرج من كتاب « طبقات الشعراء » ، وأسطر الزيادة (٥) أسطر .

٢ — الخبر : ١٥٤ ، عن الأغانى ٦ : ٢٦٥ ، (وهو فى العمدة أيضاً ١ : ٧١ ، والمزهر للسيوطى ٢ : ٤٨٣) . وإسناده هو : « أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا محمد بن سلام » ، وموضعه فى كتاب الأغانى بعد الخبرين : ١٥٢ ، ١٥٣ ، الموجودين فى نصِّ كتاب الطبقات بهذين الرقمين ، برواية

أبى الفرج عن أبى خليفة عن محمد بن سلام . وأسطر الزيادة (٦) أسطر .

٣ — الأخبار : ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، عن الأغانى [١٩ : ١٧ (ساسى) ٢١ : ٣١١ - ٣١٣ [هيئة الكتاب] ، وهى بغير إسنادٍ فى هذا الموضع ، لأنها تابعةٌ للإسنادِ الذى قبله (رقم : ٤٤٦) ، وجميع الأخبار المسندة قبله إلى ابن سلام ، موجودة فى كتاب الطبقات . وأسطر الزيادة (٢٣) سطراً .

٤ — الأخبار : ٤٨٨ - ٤٩٩ ، وهى خبر واحدٌ على الحقيقة ، لأنى وضعت لكل بيت أو بيتين استشهد بهما رقماً ، فكثرت الأرقام ، وهو عن الأغانى [١٩ : ١٥ ، ١٦ (ساسى) ، ٢١ : ٣٠٧ - ٣٠٩ [هيئة الكتاب] ، وهو من تمام الخبر الذى قبله رقم : ٤٨٧ ، وعدد أسطر الزيادة ، بغير الاعتداد بقوله قبل ذكر البيت « وقوله » ، هى (١٩) سطراً .

٥ — الخبر : ٥٠٦ عن الأغانى [١٦ : ١٦٦ ، ١٦٧ (الدار)] ، وإسناده هو : « أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا محمد بن سلام » ، وهو من كتاب الطبقات ، كما أثبت ، من نسخة أبى الفرج ، فزدته فى آخر ما قاله فى ترجمة الفرزدق ، وعدد أسطر الزيادة (١٨) سطراً .

٦ — الخبر : ٥٠٩ ، عن الأغانى ٨ : ٦٠ (الدار) تابعاً لإسناد ماقبلَه ، والذى قبله هو الخبر رقم : ٥٠٨ الموجود فى كتاب الطبقات . وقد روى صاحب الأغانى الخبر : ٥٠٨ فى الأغانى [٨ : ٦ ، ٦٠ ، ٣٨٦] ، وقال فى الثانى والثالث : أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والأخبار التى قبله كلّها عن ابن سلام وموجودة فى الطبقات ، وفى (ج ٨ ص : ٦٠) أتى بالخبرين : ٥٠٨ ، ٥٠٩ معاً فى سياق واحدٍ ، بعد الخبر رقم : ٥٠٧ ، الموجود

هو أيضاً فى الطبقات . وعدد أسطر الزيادة هى (٧) سبعة أسطر . ثم انظر (٥١٠) .

٧ — الخبر : ٥١٠ ، وسأذكره هنا ، وإن كان منقولا من غير الأغانى ، فهو منقول من الموشح للمرزبانى : ١١٥ ، وسببُ ذلك أن المرزبانى رواه بإسناده عن إبراهيم بن شهاب قال حدثنا الفضل بن الحباب ، عن ابن سلام ، ورواهُ بهذا الترتيب : (٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥٠٧) أى بين خبرين موجودين فى كتاب الطبقات ، بإسنادٍ واحدٍ . وعدد أسطر الزيادة (١) سطر واحدٌ .

٨ — الخبر : ٥١٦ ، عن الأغانى [٨ : ٦ (الدار)] ، وصدر الخبر فى « م » ، أما آخره ، فهو فى الأغانى ، والخبر مرويّ عن أبى خليفة عن محمد ابن سلام بين خبرين موجودين فى الطبقات ، هما الخبر رقم : ٥٠٨ ، والخبر رقم : ٥١٩ ، وهو مرويّ على التمام أيضا فى كتاب الفاضل : ١٠٩ . وأسطر الزيادة (٤) أسطر .

٩ — الخبر : ٥٣٩ ، عن الأغانى [٨ : ٨٧] ، وهو ليس زيادة على الحقيقة ، بل هو إحلال لنصّ رواية أبى الفرج ، مكان رواية نسخة « م » ، لأنى وجدت عيباً فى عبارة هذه النسخة . وخبر أبى الفرج بين أخبار كثيرة كُلُّها موجود فى كتاب الطبقات ، ولأنى أعلم أن فى نسخة « م » خللاً كثيراً وعيوباً دلت عليها مراجعة المخطوطة والأغانى والموشح وغيرها .

١٠ — الخبر : ٥٧٧ ، عن الأغانى [٨ : ٧٧] ، بإسناده : « أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام ... » ، وجاء فى الأغانى بعد الخبرين

رقم : ٥٤٩ ، ٥٥٠ من الطبقات ، وبعده مما هو موجود فى الطبقات أيضاً من رقم : ٥٩٤ إلى آخر : ٥٩٩ . وعدد أسطر الزيادة (٨) أسطر .

١١ — الأخبار : ٥٨٣ — ٥٨٥ ، ثلاثة أخبار ، رقم : ٥٨٣ فى الأغانى [٨ : ٥٢] ، والآخران فى [٨ : ٦٣ ، ٦٤] ، وإسناده فى الأولين جميعاً : « أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام ... » ثم أتبع الخبر : ٥٨٤ بالخبر : ٥٨٥ بقوله : « قال ابن سلام » ، وقد وضعتها متتابعة استظهاراً لا غيرُ وعدد أسطار الزيادة (٣١) سطراً .

١٢ — الخبر : ٦٦٦ من الأغانى [٨ : ٣١٩] ، بإسناده ، وقد أخطأت فكتبت فى صدره : « قال ابن سلام : قدم الأخطل » وينبغى أن يصحح على ما جاء فى الأغانى هكذا : « فأما السبب فى مدح الأخطل عِكْرِمة بن رِبْعِىّ الفياض ، فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام . . . » وهذا الخبر جاء مع أخبار كثيرة موجودة فى كتاب الطبقات ، ورأيت إثباته فى هذا المكان ، لأنه تابع للخبر قبله ، وفيه ذكر عكرمة بن ربعىّ ، وفى صدر الخبر ما قال أبو الفرج : « فأما السبب فى مدح الأخطل عكرمة ... » ، وعدد أسطر الزيادة (٢٠) سطرا .

١٣ — الخبر : ٦٦٨ ، عن الأغانى [٨ : ٢٨٩] ، بإسناده : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » ، ورأيت أنه بهذا المكان أليق ، لأنه فى ذكر خبر ثناء جرير على الأخطل . وأسطر الزيادة (٥) أسطر .

١٤ — الخبر : ٦٧٠ ، عن الأغانى [٨ : ٣١٧] ، بإسناده : « أخبرنى أبو خليفة ، قال أنبأنا محمد بن سلام » ، ورأيته أحق بمكانه هنا ، لما فيه من ذكر جرير والأخطل معاً . وأسطر الزيادة (٨) أسطر .

١٥ — الخبر : ٦٧٦ ، عن الأغانى [٨ : ٢٩٥] ، بإسناده : « أخبرنى أبو خليفة إجازة ، عن محمد بن سلام » ، ولم أجد لهذا الخبر مكانًا ألحقه به فى ترجمة الأخطل ، فألحقته بباب « ما قيل فى الأخطل وأحاديثه » الذى بدأه برقم : ٦٣٢ ، إلى أن انتهى برقم : ٦٧٥ ، ثم بدأ فى ذكر « مقلدات الأخطل » برقم : ٦٦٧ ، وعدد أسطر الزيادة (١٩) سطرًا .

١٦ — الخبر : ٦٧٨ ، عن الأغانى [٨ : ٣٠٥] ، وإسناده : « أخبرنا أبو خليفة إجازة ، عن محمد بن سلام » ، وهذا الخبر ليس زيادة على الحقيقة ، بل هو إحلالٌ لنصٍّ مكان نصٍّ فاسد مضطرب فى نسخة « م » ، وقد أثبت نص « م » فى التعليق على الخبر .

١٧ — الأخبار : ٦٩٦ - ٦٩٨ ، ثلاثة أخبار ، وهى خبرٌ واحد على الحقيقة ، وإسنادهُ : « أخبرنا أبو خليفة قال ، أخبرنا محمد بن سلام » عن الأغانى [٢٠ : ١٧١ (ساسى) ، ٢٤ : ٢١٣ (هيئة الكتاب)] ، وهذا الخبر جاء فى الأغانى بعد خبرين منقولين من ترجمة جرير ، يليهما أول خبر فى ترجمة الراعى ، هذا ترتيبها وأرقامها : ٦٠١ ، ٦٠٤ ، ٦٩٢ يليها : ٦٩٦ - ٦٩٨ ، فاستظهرت أن موضعه بعد : ٦٩٥ ، وأسطر الزيادة (١٤) سطرًا .

١٨ — . . . بعد الخبر : ٦٩٨ ، ينبغى أن يزاد أيضًا عن الأغانى [٢٤ : ٢١٤ (هيئة الكتاب)] هذا الخبر ، ونصه :

« أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن عبد القاهر بن السرىّ قال : وفد الراعى على عبد الملك بن مروان ، فقال لأهل بيته : تزوّجوا إلى هذا الشيخ ، فإنّى أراهُ مُنْجِبًا» . فقد جاء الخبر فى هذه الطبعة وحدها من الأغانى ،

ولم يكن بين يدىّ حين طبعت كتاب الطبقات . ويزاد أيضاً فى الشعر الذى جاء فى رقم : ٦٩٨ ، هذا البيت بعد البيت الثانى ثالثاً له :

مَعَاتِيمُ القِرَى سَرَفًا إذا ما أجَنَّتْ ظُلْمَةُ اللَّيلِ البَهِيمِ

وفى المطبوعة خطأ صححته هنا .

١٩ ـ الخبر : ٧٣٥ ، فى نسخة « م » خلط خَلْطاً شديداً فى الأخبار منذ رقم : ٧٣٣ إلى آخر : ٧٣٨ ، نخلط آخر ترجمة كثير ، بأول ترجمة ذى الرمّة ، وقد رددت الكلام على وجهه الصحيح من رواية المرزبانى فى الموشح : ١٤٣ ، فألحقت أبيات كثير بآخر ترجمته ، وبدأت خبر ذى الرمة بالخبر : ٧٣٥ ، عن الأغانى [١٦ : ١٠٩ (ساسى) ، ١٨ : ١٠ (هيئة الكتاب)] لأن ما جاء بعده ، أى رقم : ٧٣٦ ، هو من الحديث عن تشبيه ذى الرمة ، وإسناد أبى الفرج هو :

« وحدثنى أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : كان لذى الرمة حظٌّ فى حُسْنِ التشبيه ، لم يكن لأحدٍ من الإسلاميين . كان علماؤنا يقولون ... » ، هكذا ينبغى أن يكون سياق الخبر ، ولكن هذا الجزء الأول منه سقط منى فى المطبوعتين جميعاً ، فليزدها القارىء على نسخته . وأسطر الزيادة (٣) أسطر .

٢٠ ـ الخبر : ٧٣٩ ، عن الأغانى [١٦ : ١١٠ ، ١١١ (ساسى) ، ١٨ : ١٤ (هيئة الكتاب)] ، وإسنادهُ : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » ، وجئت به عقب كلامه عن حُسْن تشبيه ذى الرمة ، لأنه مما عابوه من تشبيهه ، وأسطر الزيادة (٤) أسطر .

٢١ ـ الخبر : ٧٤٠ ، عن الأغانى [١٦ : ١١٧ (ساسى) ، ١٨ : ٣٣ (هيئة الكتاب)] ، وإسناده : « حدثنا أبو خليفة ، عن ابن سلام » ، ووضعته هنا لأنه أشبه بما قبله وما بعده . وأسطر الزيادة (٤) أسطر .

٢٢ ـ الخبر : ٧٩٠ ، عن الأغانى [٣ : ٥٨ (الدار)] ، وهو ليس خبراً زائداً على الحقيقة ، بل هو تمام نسب العجير السلولىّ ، لأنّ أبا الفرج ساق كلامه هكذا : « هو ، فيما ذكر محمد بن سلام ، العجير ... » ، كما أثبته . والزيادة (١) سطر واحدٌ .

٢٣ ـ الخبر : ٨٠١ ، عن الأغانى [١٣ : ٥٨ ، ٥٩] ، وإسناده : « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام الجمحى » ، وهو من نسخة أبى الفرج بلا شك ، وفى المخطوطة بعد الخبر رقم ٨٠٠ ، خرم ورقة واحدة ساقطة ، رجحت أن فيها شيئًا من شعر أبى زبيد الطائى ، ثم شرع فى ذكر خبر العجير السلولىّ ، فكان هذا الموضع أحقّ بمكانه قبل رقم : ٨٠٢ ، الذى فيه شعر العجير وخبره بعده ، وهو فى « م » و « المخطوطة معاً » . وأسطار الزيادة (١٥) سطراً .

* * *

هذه جميع الزيادات التى زدتُها عن الأغانى ، على نسخة المدينة « م » ، وهى مختصرةٌ ناقصة ، وهى التى طبع عن المنسوخ عنها يوسف هل وعجان الحديد . ولكن ينبغى أن نسقط أيضاً من هذه الأعداد رقم : ٧ ، لأنه عن المرزبانى فى الموشح ، ورقم : ٨ ، لأنه زيادة جزء على الخبر نفسه ، ثم رقم : ٩ ورقم : ١٦ ، ورقم : ٢٢ ، لأنها ليست زيادة على الحقيقة ، كما بينت فى كلِّ

موضع ، ثم رقم : ١٨ ، لأنه حديث عن خبرٍ ينبغى أن يزاد فى مكانه .
وإذن ، فمجموع ما زدته واقع فى (١٧) موضعًا ، وتتضمّن (٢١) خبرًا ، لأن رقم : (٣) فيما مضى فيه ثلاثة أخبار زائدة ، ورقم : (١١) فيما مضى فيه أيضًا ثلاثة أخبار زائدة ، ومجموع الأسطر التى زدتها على نسخة « م » هو (٢١٤) سطر ، لو قسمت على (١٨) ، وهو ما تتضمنه الصفحة من الطبقات المطبوعة دون تعليق ، كان الحاصل (١٢) ورقة ، إلا قليلاً . ويبقى الآن ما زدته على مخطوطتى .

* * *

● الزيادات على المخطوطة ، من الأغانى

٢٤ ـ الخبر : ٦٣ ، عن الأغانى [٩ : ٩١] ، وإسنادهُ : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » ، وهو تفسيرٌ ، لبيت زدته على الخبر رقم : ٦٢ ، لأنى رجحتُ أنّه كان هكذا فى نسخة أبى الفرج التى كتب بها إليه أبو خليفة ، وأسطر الزيادة (٥) أسطر .

٢٥ ـ الخبر : ٤٤٣ ، وهذا الخبر ليس له ذكر فى نسخة « م » ، وفى « المخطوطة » صدر الخبر ، ثم حدث خرم فى المخطوطة من الورقة : (٤٩ ـ ٦٣) ، ولكن الخبر بتمامه موجود فى الأغانى [١٩ : ١٦ (ساسى) ، ٢١ : ٣١٠ (هيئة الكتاب)] ، فأتممت بقيته ، وهو الشعر ، منه ومن تاريخ جرجان لأبى القاسم حمزة بن يوسف السهمى ص : ١٥ ، ١٦ ، وأسطر الزيادة (٣) أسطر ، وهى ليست زيادة على الحقيقة .

٢٦ ـ الخبر : ٦٢٩ ، عن الأغانى [٨ : ١٠] ، وصدرهُ مطابق لما جاء

فى تاريخ ابن عساكر المخطوط ٣٤ : ٣٦٤ ، وهو ينقل عن الطبقات ، ولما فى الموشح من رواية محمد بن موسى البربرى عن ابن سلام (ص : ١١٦) ، وأسطر الزيادة (١٥) سطرًا .

٢٧ ـ الخبر رقم : ٧٥٢ ، عن الأغانى [١٦ : ١١٤ (ساسى) ، ١٨ : ٢٥ ، ٢٦ ، (هيئة الكتاب)] ، وهذا الخبر مكون من عشرة أسطر ، ونصف السطر التاسع والسطر العاشر ، هو فى « مخطوطتى » فى أول الورقة (٨٢) ، التى جاءت بعد خرم فيها منذ الورقة (٧٠) إلى آخر الورقة (٨١) ، فرأيت صاحب الأغانى فى ترجمة ذى الرمة قد روى خبرًا بلا إسناد ولا نسبة يبدأ هكذا : « قال : وكان ذو الرمة يتشبّبُ بمىّ ... » ثم ينتهى بنفس الألفاظ الموجودة فى هذا الخبر فى السطر التاسع والسطر العاشر ، فأتممت الخبر من الأغانى ، وإن كان بلا إسناد ولا نسبة لابن سلام ، وهذا بعضُ الخلَل الذى كان من أبى الفرج ، والذى أشرت إليه فى المقدمة [ص : ٤٢ ، ٤٣] حيث قلت : « فى كتاب الأغانى خللٌ فى التأليف كثير ، وقد تنبّه إلى بعضه ياقوت الحموى فقال : « قد تأمّلت هذا الكتاب وعُنِيتُ به وطالعته مرارًا ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلّدات ، فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضع منه (ثم ذكر ياقوت مثالين على مواضع الخلل فيه) ثم قال : وما أظنّ إلا أن الكتاب قد سقط منه شىء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم » . ويحسنُ أن تقرأ تعليقى على هذا الخبر : ٥٧٢ فى المطبوعة الثانية من الطبقات . وترجمة ذى الرمة فى الأغانى [١٦ : ١٠٦ ـ ١٢٣ (ساسى) ، ١٨ : ١ ـ ٤٧ (هيئة الكتاب)] ، أكثر ما فيها من رواية أبى الفرج ، عن أبى خليفة ، عن محمد بن سلام ،

موجودٌ فى مكانه من الطبقات . فكأن أبا الفرج نسى الإسناد، لأنه أكثر النقل عن ابن سلام فى هذا الموضع من كتابه . وزيادةُ الأسطر (٩) أسطر .

٢٨ — الخبر : ٧٥٩ ، عن الأغانى [١٦ : ١١٩ (ساسى) : ١٨ : ٣٧ (هيئة الكتاب)] وذكره فى إثر الخبر رقم : ٧٥٥ ، وإسناده فيها : « أخبرنا أبو خليفة ، عن ابن سلام » ، وزيادة الأسطر (٤) أسطر .

٢٩ — الخبر : ٧٦١ ، عن الأغانى [١٦ : ١٢١ (ساسى) ، ١٨ : ٤٢ (هيئة الكتاب)] ، وهو مروى فى الأغانى ، بعد الخبر الذى فى الطبقات برقم : ٧٦٠ ، وإسناده فى هذا الخبر فى الأغانى : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام .... » . وزيادة الأسطر (٣) أسطر .

٣٠ — الخبر : ٨٣٥ ، [عن الأغانى ٤ : ٢٦٢ (الدار)] ، وإسناده : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام .... » ، وانظر التعليق عليه فى كتاب الطبقات ، وزيادة الأسطر (٣) أسطر .

٣١ — الخبر : ٩٢١ ، عن الأغانى [١٠ : ١٥٠ (الدار)] ، وإسناده : « أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحىُّ إجازة ، من محمد بن سلام » ، وزيادة الأسطر (٣) أسطر .

٣٢ — الخبر : ٩٢٢ ، عن الأغانى [١٠ : ١٥٢ (الدار)] ، وإسناده « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » ، وليس بينه وبين الخبر السالف (٩٢١) سوى خبرين رواهما أبو الفرج ، فيهما ذكر رؤبة ، كما فى هذا الخبر . وأسطر الزيادة (٣) أسطُر .

٣٣ — الأخبار : ٩٣٢ - ٩٣٥ ، أربعة أخبار ، عن الأغانى

[١٨ : ١٢٤ ، ١٢٥] ، ثم فى [٢١ : ٦٠ ، ٦١ ، (ساسى) ، ٢٠ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ (هيئة الكتاب)] وإسناد الأول : « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ عن محمد بن سلام » ــ وإسناد الثانى « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه ، عن محمد بن سلام » والثالث تابع للذى قبله ، وإسناد الرابع : « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ ، عن محمد بن سلام » ، وكلُّها من نسخة أبى الفرج بلا ريب ، وأسطر الزيادة (٢٥) سطرًا .

* * *

هذا ، و « المخطوطة » منذ الورقة ٩٦ إلى آخر الكتاب ، داخلها خلل كثيرٌ فى كتابة كاتبها ، أى من بعد الخبر : ٨٣٢ إلى رقم : ٩٥٣ ، وقد أشرت إلى هذا فى تعليقى على الكتاب فى الأخبار الآتية : ٨٣٢/٨٣٤/٨٤٠ ص : ٦٧٤ ، تعليق : ٤ ، ٥ ، ٧ و ص ٦٧٥ تعليق : ١/٨٤٢ ، ص ٦٧٥ ، تعليق : ٢ ، ٤/٨٤٥ ، ٨٤٦ تعليق : ٣ ، ٤/٨٥٢ ، تعليق : ١/٨٥٣ ، تعليق: ٥/٨٥٥ ، تعليق : ٥/٨٥٦ص : ٦٨٧ ، تعليق : ٣ ــ ٨ ، و ص : ٦٨٨ تعليق : ١/ ومواضع أخرى كثيرة ، فغير بعيد أن يكون قد أسقط ناسخ « المخطوطة » شيئًا كثيرًا ، لما تبينّ من عجلته وإسقاط ما أسقط .

* * *

وإذن ، فهذه عشرة مواضع زدتها على « المخطوطة » من الأغانى ، فيها (١٢) خبرًا على الحقيقة ، مجموع أسطارها التى زدتها (٧٣) سطرًا ، فلو قسمت على (١٨) ، وهو ما تضمنه الصفحة من الطبقات المطبوعة دون تعليق ، كان الناتج (٤) ورقات ، لا أكثر . ومجموع الأخبار التى زدتها من الأغانى هى :

(٢١) خبرًا زيادة على نسخة « م » ، و (١٢) خبرا على المخطوطة ، فهذه (٣٣) خبراً .

ولا يفوتنى هنا أن أثنى على عمل الدكتور منير سلطان فى كتابه « ابن سلام، وطبقات الشعراء » ، فإنه قد أعفانى من إعادة البحث فى أوراق عن عدد الأخبار التى رواها أبو الفرج فى الأغانى ، مسندةً إلى محمد بن سلام ، فإنّه يقول (ص : ٦٧) : « أما أسانيد آبن سلام فى كتاب الأغانى فقد جمعت الأخبار التى حواها الأغانى لابن سلام ، فكانت (٢٤٥) خبراً ، موزعةً فى الكتاب من جزئه الأول إلى جزئه الحادى والعشرين ، أرجعت منها إلى كتاب الطبقات (١٢٣) خبراً ، وبقى (١٢٢) خبراً ، استقاها أبو الفرج من كتب آبن سلام الأخرى » .

وأنا أسلم بأن عدد الأخبار المسندة إلى آبن سلام (٢٤٥) ، ولكنى فى إحصائى ، رددت (١٥٠) خبراً ، كُلّها فى كتاب الطبقات الذى جمعتُ فيه بين نسخة المدينة « م » المختصرة ، وما بقى عندنا من نسختى « المخطوطة » . وهى (٣/٥) ثلاثة أخماس الأصل . وهذه الخمسون ومئة خبر (١٥٠) طبقًا لترقيمى الذى رقمت به الأخبار فى الطبعة الثانية ، رواها أبو الفرج بأحد الأسانيد الثلاثة عشر ، التى أشرت إليها آنفا ، والتى ذكرتُها فى مقدمة الطبعة الثانية [ص : ٣٨ - ٤١] . وإذا كان ذلك كذلك ، فليس بمستنكر أن يكون فى الباقى من الأخبار ، وعددها عندى (٩٥) خبراً ، وعند الدكتور سلطان (١٢٢) خبرٍ ، أخبارٌ هى فى حقيقتها من كتاب الطبقات ، بعد أن عرفنا تمام المعرفة أن نسخة المدينة « م » مختصرة ، وأن تكون الأخبار التى زدتها عليها

وهى عشرون (٢٠) خبراً ، من الطبقات أيضاً ، ما دامت قد انتهت إلينا فى الأغانى بنفس الأسانيد التى رويت بها الخمسون ومئة (١٥٠) خبر عندى ، أو الثلاثة والعشرون ومئة (١٢٣) خبر عند الدكتور سلطان . بل يرجّح ذلك أنَّ الأخبار التى كنتُ زدتُها من الأغانى على النصف الثانى من الكتاب ، قبل أن أظفر بالمخطوطة ، قد وجدت جميعُها فى المخطوطة بعد أن ظفرتُ بها .

ولما كان يقيناً أيضاً ، كما أسلفتُ ، أن أبا الفرج كانت عنده نسخةٌ من الطبقات أجازه بها كتابةً أبو خليفة ، راوى الكتاب عن خاله محمد بن سلام ، فالأخبار التى زدتُها على « مخطوطتى » أيضاً ، وهى (١٣) خبراً ، هى على وَجه القطع زيادةٌ فى نسخة أبى الفرج ، عن نسخة ابن أسيد راوى « مخطوطتى » عن ابن سلام ، كما زادت نسخة ابن أسيد على نسخة أبى طاهر الذهلى ، صاحب نسخة المدينة « م » بما يوازى نصف كتاب الطبقات كُلِّه ، كما أسلفت بيان ذلك آنفاً . وإذن ، فإلحاق (٣٣) خبراً من نسخة أبى الفرج التى روى منها فى كتابه الأغانى ، بمئة وخمسين (١٥٠) خبراً من نسخته ، رواها مفرقة فى كتابه الأغانى ، أمرٌ لا غُبَار عليه . ومع ذلك ، فإنى فى تعليقى على الكتاب ، قد احتججتُ لكلِّ خبرٍ منها بما يوثِّق اختيارى ، وتركتُ أخباراً أخرى ، أشرت لها فى بعض التعليقات ، دون أن ألحقها بهذه الزيادة ، لبعض العلل التى رجّحت أنّها تدعونى إلى التوقف فى إثباتها .

وقد أطلت جدًّا ، ولكن حملنى على الإطالة أنَّ أمر « الزيادة » أصْبحَ مُضْغة لذيذةً تُعِين على التفكّه والاسترخاء ، وفى الذى قُلْتُه مَقْنعٌ ، إن شاء الله ، لمن أراد أن يعيد النَّظر فى الكتاب وفى تعليقاته جادًّا غير متفكِّهٍ ولا

مستخرج . وبقيت أخبارٌ أخرى زدتها ، سأبدأ بما هو منصوص على أنه من الكتاب ، أو ما رجحت أنه كالمنصوص عليه .

* * *

● زيادة ابن أبى الحديد على نسخة المدينة « م » .

٣٤ ــ الخبر : ١٣٧ ، فى نهج البلاغة ، ٤ : ٤٩٨) ، وإسناده عند ابن أبى الحديد : « قال محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشعراء » . وعدد أسطر الزيادة (١٢) سطراً .

● زيادة الزجاجى فى أماليه على « المخطوطة » .

٣٥ ــ الخبر : ٨٣٤ ، من أمالى الزجاجى [٨٠ ــ ٨٣] ، وهذه ليست زيادة على الحقيقة ، بل هى صَدْر الخبر ، ويليه الشعر . وكان مكانه فى نسخة « م » : « ومن قوله » ، وفى « مخطوطتى » : « ومن قوله أيضًا » ، وإسناد الزجاجى هو : « أخبرنا أبو غانم قال ، أخبرنا أبو خليفة ، قال حدثنى محمد ابن سلام » ، ثم انتهى من الخبر ، وأنشد الشعر كما هو فى الطبقات فى « م » و « المخطوطة » ، وقد أسلفتُ أن كاتب « المخطوطة » ، قد أدخل فى كتابته خَلَلًا كثيرًا منذ الخبر : ٨٣٢ ، إلى آخر الكتاب [انظر ما بعد رقم : ٣٣] وكأنه اختصر القصة ، لشهرة هذا الشعر ، من مجلته ، وعدد زيادة الأسطر هى (٤) أسطر .

فهاتان زيادتان ، وحقيقتهما زيادة واحدة ، ومجموع أسطرهما (١٦) سطرًا ، أى أقل من صفحة واحدة من كتاب الطبقات المطبوع ، بلا تعليق .

● زيادة من تاريخ دمشق لابن عساكر على نسخة « م »

٣٦ ـــ الخبر : ٧١٢ ، عن ابن عساكر ، مخطوطة تاريخ دمشق [٣٤ : ٤٠٠] ، بإسناده إلى أبي خليفة ، عن ابن سلام . وابن عساكر إنما ينقُل من كتاب الطبقات ، وهذه الزيادة سطرٌ واحدٌ ، داخلٌ في سياقة نسب ذي الرمة ، فهي على الحقيقة ليست خبراً زائداً ، وسياقة النسب هكذا : « وذو الرمّة ، واسمه غَيْلاَنُ . [وهو الذي يقول : أنا أبو الحارث وَٱسْمِي غَيْلاَن] بن عقبة ... » والزيادة ما بين القوسين .

● زيادة أخرى مفردة على « المخطوطة »

٣٧ ـــ الخبر : ٩٣٦ ، نقلته من الشعر والشعراء : [٥٧٦] ونصه : « قال ابن سلام عن يونس ... » ، وحملني على ذلك أني رأيت أبا أحمد العسكري في كتابه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » [س : ١٤٧] أسنده فقال : « وأخبرني ابن دريد والهِزّانيّ قالا ، حدثنا الرياشي ، حدثنا ابن سلام ، عن يونس بن حبيب . . . » ، ثم رأيت ما حقق ظنّي في كتاب « غريب الحديث » لابن قتيبة ، جاء به مسنداً فقال : « وحدثني الرياشيّ ، عن محمد بن سلام الجمحي ، عن يونس ... » ، وجاء بنص الخبر (غريب الحديث ٣ : ٧٢١) . وكان الذي حملني على زيادته أن أبا الطيب الحلبي اللغوي (. . . ـ ٣٥١ هـ) قال في كتابه « مراتب النحويين » [س : ٦٧] : « أخبرنا الحسين بن أبي صالح قال ، أخبرنا أبو خليفة الفضل ابن الُحبَاب الجمحيّ ، وكان ٱبنَ أخت أبي عبد الله محمد بن سلام قال : كان الرياشي (وهو راوي هذا الخبر) يختلف إلى أبي عبد الله يستعيرُ منه كتابه

فى الطبقات ، فكنتُ أخرجُ إليه منه جُزءًا جُزْءًا . فقيل للرياشىّ فى ذلك ، فقال : لو عاش يَوْمين لَسَمِعَتُهُ منه » ، فوقع فى نفسى أن الرياشىّ أخذهُ من الطبقات ، أو سَمِعه منه قبيل وفاته . وعدد أسطر الزيادة (٣) أسطر .

* * *

بقى من أمر الزيادات ، ما زدتُه من « الموشح » ، لأبى عبيد الله محمد ابن عمران المرزبانى (٢٩٦ – ٣٨٤ هـ) .

● زيادة المرزبانى على نسخة « م » المختصرة

٣٨ — الأخبار : ٤٦ – ٤٨ ، عن الموشح للمرزبانىّ [ص : ١١٣، ١١٤] بإسناده ، وهو : « حدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » . وهذه ثلاثة أخبار ، وهى خبرٌ واحدٌ على الحقيقة ، لأنى أنا جزّأته فى الترقيم . وكان مكانهُ فى نسخة « م » المختصرة ، صدرُ الخبر موصولا بالسطرين الأخيرين من رقم (٤٨) ، وأسقطت الشعر كلّه ، كعادتها فى الاختصار ، فأخذت خبر المرزبانى فأحللته مكان ما فى « م » . وحجّتى فى ذلك أنى رأيت ابنَ قتيبة روى صدر هذا الخبر نفسه عن الجمحىّ مختصرًا فى كتابه « الشعر والشعراء » (ص : ٥٧ ، ٥٨) ، ورأيتُ أيضًا أنّ أبا الفرج روى النصف الثانى من الخبر : ٤٨ فى الأغانى [١٦ : ١٦٥] وإسناده هو : « وأخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام ، عن يونس ... وحدثنا به اليزيدى قال ، حدثنا أحمد بن زهير قال ، حدثنا محمد بن سلام ، عن يونس ... » ، ثم روى بعده فى الصفحة التالية مباشرة ، صدر الخبر : ٤٨٠ نفسه بإسناده ، وهو « أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا محمد بن سلام قال ، قال الفرزدق وهو بالمدينة ... » . وهو الخبر : ٥٠٦ فى الطبقات ، والذى

نقلته هناك عن الأغانى زيادة . فبهذه المقارنة صحّ عندى نقلُه هنا عن المرزبانى مع دَليل آخر سوف أذكره بعد قليل فى شأن رواية المرزبانى . وعدد أسطر الزيادة (٢٥) سطرًا ، بإلغاء عَدّ « قال » التى تجىء قبل كُلّ بيت مفرد .

٣٩ — الخبر : ١٤٦ ، عن الموشح : [٦٦ ، ٦٧] ، بإسناده : « حدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام قال ، حدثنى أبو الغراف .. » ، (وقع خطأ فى المطبوع من طبقات الشعراء ، إذ سقط سهْواً من الإسناد قوله « عن محمد بن سلام » ، فصححه على نسختك) . وهذا الخبر رواه أبو الفرج فى الأغانى ٥ : ١٢ ، وقدم فى الكلام وأخّر ، وأسقط بيتين من الشعر الذى فيه ، وإسناد أبى الفرج هو : « أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب ، مما أجاز لنا روايته عنه من حديثه وأخباره ، مما رواه عن محمد بن سلام الجمحىّ ، عن أبى الغراف = وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا ، حدثنا عمر بن شبة ، عن محمد بن سلام ، عن أبى الغراف » ، فهذه ثلاثة أسانيد ، فكأن الفرق الحادث بين رواية المرزبانى . ورواية أبى الفرج ، مردّهُ إلى أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نَصْر ، ولكن الإسناد على كُلّ حالٍ ، يدلّ دلالة قاطعةً على أن هذا الخبر موجودٌ فى نسخة أبى الفرج من الطبقات ، فلذلك آثرتُ إثبات نص خبر المرزبانى ، وزيادة الأسطر هى (٩) أسطر .

٤٠ — الخبر : ٥١٠ ، وقد مضى الحديث عنه فى رقم (٧) ، والزيادة سطر واحدٌ ، وهو ليس زيادة على الحقيقة ، لأنه تابع للخبر : ٥٠٩ ، كما سلف .

٤١ — الخبر : ٧٤٣ ، عن الموشح : [١٧٢] ، وإسناده : « أخبرنى

محمد بن يحيى ، عن الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، وهذا إسنادٌ للمرزبانى ، على غير شرطى فيما أنقله من كتابه الموشح ، إلى كتاب الطبقات ، والإسنادُ الذى رجحتُه فى مقدمة كتاب الطبقات هو قول المرزبانى : « حدثنى إبراهيم بن شهاب ، حدثنى أبو خليفة الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام ».
وقد بينت فى تعليقى على هذا الخبر فى الطبقات (ص : ٥٥٢ ، تعليق : ١) سبب مخالفتى لشرطى فى النقل عن المرزبانى ، وذلك أنى نقلت هذا الخبر عن المرزبانى فى الموشح : ١٧٢ ، ورأيتُ أن هذا مكانه ، لأنّ أبا الفرج فى الأغانى [١٦ : ١١١ (ساسى) ، ١٨ : ١٥ هيئة الكتاب] رواه فى إثر الخبر السالف ٧٤٢ الذى رواه بإسناده إلى ابن سلام ، ولكنه روى الخبر : ٧٤٣ ، هذا عن « أبى زيد عمر بن شبة ، عن أبى عبيدة » مع خلاف فى اللفظ قليل ، فلما فرغ من رواية ابن شبة قال : « وكان هوى ذى الرمة . . . » ، فساق الخبر : ٧٤٤ بغير إسنادٍ ، ولكن بنصّه فى الطبقات ، ثم بعده الخبر : ٧٤٥ بنصه أيضاً فى الطبقات ، وإنما آثر أبو الفرج نص عمر بن شبة على نصّ ابن سلام الذى رواه صاحبُ الموشح ، لزيادة فيه بيِّنة ، وجمع أبو الفرج كعادته بين الروايات المختلفة فى السياق الواحد . (وانظر الشعر والشعراء : ٥٠٦ ، ٥٠٧).
وعدد أسطر هذه الزيادة هى (٨) أسطر .

وإذن فمجموع ما زدته عن الموشح للمرزبانى ، هو ثلاثة أخبار لا غير ، بعد أن تعلم أن الأخبار التى ذكرتها فى (رقم : ٤٠) ، إنما هى خبر واحدٌ على الحقيقة ، وأن الخبر الذى ذكرته هنا فى (رقم : ٤٠) هو مكرر (رقم : ٧) ، وأنه لا يعد زيادة مستقلة عن الخبر قبله ، كما قلت آنفاً . فمجموع أسطر الزيادة عن المرزبانى هى (٤٢) سطراً ، لا أكثر .

* * *

وإذن فمجموع ما زدته على أصْلَيْ كتاب « طبقات فحول الشعراء » من جميع ما ذكرتُ من الكتب هى كما يأتى :

١ — من الأغانى على نسخة « م » هو [٢١] خبراً ، وعدد أسطرها [٢١٤] سطراً
٢ — من الأغانى عن المخطوطة ، هو [١٢] خبراً ، وعدد أسطرها [٧٣] سطراً
٣ — عن نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، هو
[١] خبر واحد ، وعدد أسطره [١٢] سطراً
٤ — من أمالى الزجاجى ، ليس زيادة خبر على الحقيقة ، وعدد الأسطر [٤] أسطر
٥ — عن ابن عساكر ، وليس زيادة خبر على الحقيقة ، وعدد الأسطر [١] سطر واحد
٦ — من الشعر والشعراء ، على المخطوطة
[١] خبر واحد ، وعدد الأسطر [٣] أسطر
٧ — من الموشح على نسخة « م » [٣] أخبار ، وعدد الأسطر [٤٢] سطراً

فهذا مجموع الأخبار ، (٣٨) خبرًا على الحقيقة ، عدد أسطرها هو [٢٤٩] سطراً ، لو قسمت على [١٨] ، وهو عدد الأسطر فى الصفحة الواحدة من الطبقات المطبوع ، لكان [⅓ ١٣] ثلاث عشرة صفحة وثلث صفحة . واعتماداً على إحصاء الدكتور منير سلطان ، فإنى زدت فى الشعر ما مجموعه [٣٧] بيتاً ، و (٦) ستة أسطر ، فمجموع ذلك [٤٠] سطرًا ، أى صفحتان وزيادة أسطر . فمجموع الزيادة نحو [١٦] صفحة ، أى ملزمة واحدة ، كما قلت سالفًا ص : ٣٨ . فهذا إحصاء آخر ، والحمد لله ربّ العالمين ، ونسأل الله العافية .

* * *

أسانيد أبى الفرج فى الأغانى

ذكرت فى مقدمة الطبقات ثلاثة عشر إسناداً، فى « بابة نسخة أبى الفرج الأصبهانى من كتاب الطبقات، وما نقل عنه فى كتابه الأغانى » (المقدمة: ٣٨ – ٤١ الطبعة الثانية) . وهذه الأسانيد ثلاثة أقسام :

١ — قسم صرّح فيه بذكر كتاب الطبقات ، ونصه : « ذكر محمد ابن سلام فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة » ، وهو فى كتاب الأغانى [١٢ : ٣٤٠ ، الدار] ، فى ترجمة سُوَيد بن كُرَاع . وهو إسنادٌ واحدٌ .

٢ — وقسم ثانٍ صرّح فيه بأن أبا خليفة أجازه كتابةً برواية كتب ابن سلام ، نحو قوله : « أخبرنا أبو خليفة الفضل بْنُ الحُباب ، مما أجاز لنا روايته عنه ، من حديثه وأخباره ، مما ذكره عن محمد بن سلام » ، أو : « أخبرنى الفضل بن الحُباب أبو خليفة ، فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلام » [الأغانى ٥ : ١٢ ، الدار / الأغانى ٢ : ١٥٨ ، الدار] ، وما أشبه هذين مما فيه ذكر « الإجازة » و « المكاتبة » ، وعدة هذه الصور عشرة أسانيد .

وهذان القسمان بلا شكٍّ ، يدلّان دلالة قاطعة على أنّ أبا الفرج كانت عنده نسخةٌ من « كتاب الطبقات لابن سلام » ، أجازه بها كتابة أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ، ويدلّان دلالة قاطعة أيضاً على أنه يَقُول « أخبرنى أبو خليفة » فى إجازة « المكاتبة » كما أسلفت آنفاً ، ولا يكابر فى هذا إلا من لا علم له

٣ — والقسم الثالث ، مالا ذكر فيه لكتاب الطبقات ، ولا للإجازة أو المكاتبة ، وهو الذى يقول فيه : « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة قال ، قال محمد بن سلام » = أو « أخبرنى أبو خليفة ، قال حدثنا = أو : أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام » ، وما شابههما وهما إسنادان ، وذلك كثير فى كتاب الأغانى .

وقد بيّنتُ آنفاً كُلَّ ما زدتُه على كتاب الطبقات ، مبيِّناً أسانيد أبى الفرج فى مواضع الزيادة ، فكان ما زدته بأسانيد القسم الثانى ستة زيادات هى المرقمة آنفاً بالأرقام التالية : (١ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٣) ، والباقى وهو سبع وعشرون زيادة ، كُلُّها بالإسناد الثالث الذى لا ذكر فيه لكتاب الطبقات ، ولا ذكر فيه للإجازة أو المكاتبة ، ولكنه يقول : « أخبرنى أبو خليفة ... » . فمن سقط فى الوهَم فظنّ أن قوله : « أخبرنى أبو خليفة » فى هذا الإسناد الثالث ، دالٌّ على سَماع من أبى خليفة أو (مشافهة) فقد عَجِل ، ولم يعرف طريقَ القوم السالفين فى تحمُّل الأخبار وروايتها . وذلك أن ذكر أبى الفرج كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، لفظاً فى كتابه الأغانى ، ثم تكرارُه ذكر الإجازة والمكاتبة ، فى أسانيد متعدّدة مفرقة فى الكتاب ، كلاهما يقطَعُ بأنه ينقل من كتاب الطبقات الذى عنده ، والذى كتب به إليه أبو خليفة وأجاز له روايته عنه . فليس بمعقولٍ عندنا ، ولا عند من يعرف أسلوب القوم فى تحمُّل الأخبار ، ثم التحديث بها بلفظ « أخبرنى » = أن يعود أبو الفرج فينقل أكثَرَ ما هو موجود نصاً فى الطبقات ، بلفظ « أخبرنى أبو خليفة » ، عن سماع آخر (أو مشافهة) ، وبين يديه نسخته التى أجاز له

أبو خليفة روايتها عنه مكاتبةً . هذا، وسماعُ أبي الفرج من أبي خليفة، يحتاجُ إلى نصٍّ صحيح ، وليس يصحُّ أنه سمع شيئاً من أبي خليفة .

ثم إن أكثر ما روى أبو الفرج من الأخبار التي عدّها الدكتور منير سلطان بنحو (٢٤٥) خبراً، فوجد منها في إحصائه (١٢٣) خبراً هي موجودة في الطبقات، وأحصيت أنا عدّتها (١٥٠) خبراً في كتاب الطبقات المطبوع، إنما جاءت بهذا الإسناد الثالث . فبيِّنٌ أن أبا الفرج حين اقتصر على الإسناد الذي لا ذكر فيه لكتاب الطبقات، ولا للإجازة والمكاتبة، إنما فعل ذلك بعد أن أثبت في كتابه أن عنده « كتابَ الطبقات » ، وأنّ هذا الكتاب مما أجاز له روايته عنه أبو خليفة مكاتبة، فاستسهل أن يسقط لفظ الإجازة والمكاتبة من إسناده، لأنه قد فرغ من إخبار قارئه بذلك، ولثقته أنّ قارىء كتابه قد علم ذلك، وأن من قواعد القوم، كما بينتُ آنفاً أن يقال في تحمل الأخبار بالمكاتبة « أخبرني، وحدثني، وأنبأني ... » ، وإن كان الأوفق والأصح والأقرب إلى الورع أن يبيّن في كلِّ إسنادٍ أنه إجازة مكاتبة فيقول : « كتب إليّ فلان، حدثنا فلان » ، وقد سلف بيان ذلك . وتساهُلُ أبي الفرج ههنا، إنما جاء من أنه ليسَ أمرَ دينٍ تُطلبُ في روايته الثقة والبيانُ ، بل هو أمرُ أدَبٍ وأخبار وآثار، ورواة الأخبار والآثار يتساهلون تساهلاً حتى أسقطوا الإسناد في كتبهم، كما فعل المبرد وغيره من أهل الأدب .

وهذا التساهُل هو الذي حمل بعضهم على الطعن في أبي الفرج ، لأنه علم علماً يقيناً أنه ينقُل من كتبٍ معروفة معلومة ، وأنّه يقول « أخبرني فلان » دون أن يبين : أهي رواية إجازة ، أو مناولة ، أو مكاتبة ، كالذي فعل

أبو الفرج فى القسم الثالث الذى ذكرتُه آنفاً ، وأكثر فى استعماله . وبعضهم هذا تحامل على أبى الفرج تحاملاً شديدًا ، فاتخذ تساهلَه هذا ذريعة للطعن فيه . فقد روى الخطيب البغدادىّ فى تاريخ بغداد ما نصه : « حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوىُّ قال : سمعت أبا محمد الحسن ابن الحسين النُّوبَخْتىّ يقول : « كان أبو الفرج الأصفهانى أَكْذَبَ الناس . كان يدخُل سوق الورّاقين وهى عامرةٌ ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشترى شيئاً كثيراً من الصحف يحملُها إلى بيته ، ثم تكون روايته كُلُّها منها » . ثم ردّ ابن طباطبا العلوىّ مقالة النوبختىِّ بمقالة أخرى فى توثيق أبى الفرج فقال : « وكان أبو الحسن البتّىّ يقول : لم يكن أحدٌ أوثق من أبى الفرج الأصفهانى » [تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٩ ، ٤٠٠] .

وكتابا أبى الفرج الأصفهانى : « الأغانى الكبير » ، و « مقاتل الطالبيين » ، يشهدان على صحة نقله ، كروايته ما قرأ من الكتب على محمد ابن جرير الطبرى الإمام المفسِّر ، وكهذا الذى عندنا من روايته عن « طبقات فحول الشعراء » ، وكالذى أفاضَ فى ذكره عند النقل من كتب لم يسمَعْها من الشيوخ فيقول : « نسخت من كتاب هارون بن على بن يحيى » [الأغانى : ٣ : ١٤٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ...] أو : « نسختُ من كتاب الحرمى ابن أبى العلاء » [الأغانى ٤ : ٢٤٠] ، مثلاً ، وهذا كثير لا يحصى فى كتاب الأغانى . وهذا أمرٌ يطول ، ولكنى ذكرته لأبيِّن تحامل أبى محمد الحسن بن الحسين النوبختىّ الكاتب ، (٣٢٠ - ٤٠٢ هـ) ، وكان محدثاً ، وكان يتشيَّع إلا أنه صدوق ثقة فى الحديث ، فلعلّه التزم بالورع فى أمر حمل الأحاديث والأخبار ، فنعى على أبى الفرج تساهله ، واتّهمه بالكذب . هذا

مع إحسان الظنّ ، ولكن أخشى أن يكون تشيُّعه حمله على الطعن فى أبى الفرج الأصفهانى الأُمَوىّ الأرومة ، وكان شيعياً ، وهذا نادر فى الأمويين ، فلم يرض النوبختىّ ما كان يظهرهُ أبو الفرج من التشيُّع ! والله أعلم بما بين الشيعة ، ولكن راوى الخبر عن النوبختى ، وهو أبو عبد الله الحسين بن محمد ابن القاسم ، العلوىّ الحسنى ، ويعرف بابن طباطبا (... — ٤٤٩ هـ) ، وكان متميِّزاً من بين أهله الطالبيين بعلم النسب ، فإنه ردّ قالة النوبختىّ بمقالة شيعى آخر هو أبو الحسن أحمد بن على البَتّى الكاتب (.. — ٤٠٥ هـ) ، وكان رجلا عالماً ، وكانت فيه دُعابة ، وكان أحد قدماء أصحاب الشريف الرضى الشاعر ، فلما مات رثاهُ بأبياتٍ فى غاية الحسن ، فمات بعده بأشهر قلائل فى مطلع سنة ٤٠٦ هـ ، ورثاه أيضاً أخوه الشريف المرتضى ، برائية مختارة من شعره . أما أهل السنة ، فإنهم لم يطعنوا فى أبى الفرج ، وقد روى الدارقطنى الإمام المحدث فى « غرائب مالك » أحاديث عن أبى الفرج الأصفهانى ، ولم يتعرض له بقدح (لسان الميزان ، ترجمته) . ومرة أخرى ، الله أعلم بما بين هؤلاء الشيعة . ما عَلَيْنا .

وإذن ، فتساهل أبى الفرج فى النقل من كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام ، بقوله : « أخبرنى أبو خليفة الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، دون ذكر الكتاب ، أو ذكر إجازة أبى خليفة له بروايته عنه مكاتبةً ، عملٌ لا غبار عليه عند أهل الحديث النبوى ، كما أسلفت ، ما دام قد أوقفنا مرّة واحدة ، على أنّه ينقُل من كتاب الطبقات ، أو أطلعنا ولو مرة واحدة على أن أبا خليفة قد أجاز له كتابةً رواية أحاديثه وأخباره ، مما حدّثه

به خاله محمد بن سلام ، فإذا طابق قدرٌ كبير من هذه الأخبار ، (١٢٣) خبراً أو (١٥٠) خبراً ، فى كتاب الأغانى ، ما هو موجود فى النسخ الناقصة أو المختصرة من كتاب الطبقات ، فإنّ سبعة وعشرين خبراً (٢٧) رواها أبو الفرج فى كتاب الأغانى ، بهذا الإسناد نفسه : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » ، إذا ألحقت بكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فإلحاقها أمرٌ لا غبارَ عليه ، لأنه رواها يقيناً عن أبى خليفة ، عن محمد بن سلام فى كتابه الذى هو بين يديه : « طبقات فحول الشعراء » ، والحمد لله رب العالمين ، وأسأل الله العافية

* * *

أسانيد المرزُبانىّ فى « الموشّح »

أما أمرُ المرزبانى ، فهو أعسَرُ من أمر أبى الفرج ، فضْلاً عما فيه من الغَرابة الداعية إلى التعجُّب ، وأستعين الله على الشقاء والنَّصَب ، لأنى لا أجد هُنا مُعيناً كالدكتور منير سلطان ، شكر الله له يدَهُ عندى وحُسْنَ صَنيعِه فى كتاب « الأغانى » ، وإحصاء أسانيده إلى ابن سلام .

وإذا كان أبو الفرج قد أوقفنا بأسانيده الثلاثة عشر ، على أن عنده نسخةً من كتاب الطبقات ، وأنه ينقُلُ عنها فى كتابه الأغانى علانيةً دون خفاءٍ أو تدليس ، فإن المرزبانى قد أغمض علىّ الطريق وعمَّاهُ تعميةً ، فاقتضانى ذلك أن أدرُس أسانيده دراسة مفصّلة متغلغلة ، حتى وقفتُ على ما كان يخفيه عنّى بمهارة وحِذْقٍ ، وظنّى به أنه كان محبًّا للتدليس الذى يصف أبوابَه وضروبَه أصحابُ علم مصطلح الحديث ، بَلْ كأنّى بِه كان يجد للتدليس لذّةً

ثالثة غريبةً ، كلذّتيه الأخريين ، فقد رووا أنه كان يضع بين يديه قِنِّينة حبر وقِنِّينة نبيذ ، فلا يزال يكتب ويشرب . وسأله مرة عضدُ الدولة عن حاله فقال : كيف حال من هو بين قارورتين ! يعنى قارورة الحبر وقارورة النبيذ .

ونعم ، أمر المرزبانىّ هينٌ ، ليس كأمر أبى الفرج ، لأنى لم أزد من كتابه « الموشح » ، على كتاب طبقات الجمحى ، سوى ثلاثة أخبارٍ ، وخبرٍ رابع كان ينبغى أن أزيدَهُ لولا السهوُ ، وهو الذى دلّنى عليه الدكتور على جواد الطاهر مشكورًا على هدايته ، ومحمودًا على حُسْن تتبُّعه . أمرٌ هيِّن ، ولكنها دراسة لابُدّ منها ومن كتابتها ، بعد أن كُتِب علىّ أن أحمل عبء تصحيح الكلام الذى يلقيه مُلْقيه على عواهنه ، بلا تدبُّرٍ ولا حذرٍ .

جميع الأخبار التى رواها المَرْزبانىّ فى كتابه « الموشح » بإسناده إلى محمد بن سلام هى أربعةٌ وستون (٦٤) خبرًا . وطرق أسانيده التى رويت بها أخباره هى ستة وعشرون طريقًا ، ولكى أوفِّى دراسة الأسانيد حقَّها ، فسأذكرها جميعًا ، ثم أفصل القول فيها ، مبينًا هنا مكانَ الإسناد من كتاب « الموشح » . وإذا كان الخبر الواحد مرويًّا من طريقين أو أكثر ، ذكرتها جميعًا ، ثم عدت فأثبت رقم الإسناد فى هذا المسلسل .

* حَشْدُ أسانيد الأخبار فى « الموشح » *

١ — حدثنى عمر بن بُنَان الأنماطى قال ، حدثنا محمد بن إسمعيل الأعلم قال ، حدثنا محمد بن سلام .

= وحدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال ، حدثنا محمد بن موسى البربرىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام (٢) .

= وحدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضلُ بن الُحباب ، عن محمد بن سلام (٢٦) .

الموشح (س : ٤٩) ، وهو فى الطبقات رقم : ٨٤ .

* * *

٢ — حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال ، حدثنا محمد بن موسى البربرىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام .

الموشح (س : ٤٩) ، مضى فى إسناد (١) ، الطبقات رقم : ٨٤ .
(س : ١٢٥) ، الطبقات رقم : ١٣ .
● (س : ٣٦٧) ليس فى الطبقات .

٣ — وحدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال ، حدثنا أحمد بن يحيى (ثعلب) النحوىّ ، عن محمد بن سلام .

= حدثنا محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا أحمد بن أبى خيثمة ، عن محمد ابن سلام (٦) .

الموشح (س : ١٤٥) ، فى الطبقات رقم : ٧٢٥ = وانظر هذا رقم : (٦) .
(س : ١٧٥) ، انظر إسناد (٩) ، والطبقات رقم : ٧٣٩ ، المنقول عن الأغانى .
(س : ١٨٢ ، ١٨٣) انظر إسناد (٩) .

٤ — حدثنى محمد بن أحمد الكاتب قال ، حدثنا أبو يعلى عبيد الله بن عبد الله الكاتب قال ، سمعت محمد بن سلام يقول ، قال ابن دأب ...

الموشح (س : ١١٥) فى الطبقات رقم : ٥٠٧ ، وفيه زيادة موجودة ، وفى الذى يليه ، إسناد (٥) .

وأيضاً فى رقم : ٦٢٩ ، الذى نقلتُه من الأغانى ، وليس فيهما ذكر « قال ابن دأب » . ثم انظر إسناد (٨) ، (٢٠) .

٥ — حدثني محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا محمد بن موسى البربرى قال ، حدثنا محمد بن سلام .

الموشح (ص : ١١٦) ، انظر الإسناد (٤) ، و لطبقات رقم : ٦٢٩

٦ — حدثني محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا أحمد بن أبى خيثمة ، عن محمد بن سلام .

- وحدثني محمد بن أحمد الكاتب قال ، حدثنا أحمد بن يحيى (ثعلب) النحوى ، عن محمد بن سلام (٣) .

الموشح (ص : ١٤٥) مثله فى الطبقات رقم : ٧٢٥ . ولكن عن « أبان بن عثمان البجلى » .

(ص : ١٧١ ، ٣٦٢) فى الطبقات رقم : ٧٤٢ .

● . (ص : ١٧٣) ليس فى الطبقات ، وتخوفت أن أنقله إلى الطبقات .

٧ حدثني محمد بن إبراهيم قال ، حدثنا عبد الله بن أبى سعد الوراق قال ، حدثني مسعود بن عمرو قال ، حدثنا محمد بن سلام .

. وحدثني إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام (٢٦) .

الموشح (١٢٦ ، ١٢٧) فى الطبقات رقم : ٥٨٦ .

٨ — حدثني أبو عبدالله الحكيمى قال ، حدثني محمد بن موسى البربرىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام .

: وحدثني على بن عبد الرحمن قال ، أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجم ، عن أبيه قال : حكى أبو الورد الكلابى (وانظر إسناد : ١٧) .

الموشح (ص : ٦٥ ، ٦٦) وقد شككت فى هذا الخبر ، لأنه أشبه بأن يكون من الطبقات ، ولكن يظهر أنه سقط من الإسناد الثانى « عن أبيه ، عن محمد

ابن سلام » . ودليل ذلك ، أن المرزبانى قال فى آخر الخبر ما يلى : « فقال
عقال : لكن است حامله تعلم (قال يحيى فى حديثه : لكن حامله يعلم) ،
فكأن كل ما سبق هو لفظ ابن سلام ، من رواية محمد بن موسى البربرى .
وقد روى ابن سلام عن أبى الورد الكلابى فى رقم : ١٤٧ ، ورقم : ٥١٢ .
(س : ١٣٢) ومعه هنا إسناد آخر هو :

وحدثنا إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنى الفضل بن الحباب ، عن
محمد بن سلام (٢٦) .

فى الطبقات رقم : ٦٤٠ ـ ٦٤٦

(س : ١٢٨) انظر ما سلف إسناد (٤) و (٥) ، والطبقات : ٥٠٧ ،
٦٢٩ .

٩ ـ حدثنى أبو عبد الله الحكيمى قال ، حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب ،
عن محمد بن سلام .

الموشح (١٨٣) انظر إسناد (٣) وهو يتضمن نص ما نقلته من الأغانى رقم :
٧٣٩ ، ولكنى لم أضف إليه الزيادة التى فى الموشح .

* * *

١٠ ـ حدثنى أحمد بن عيسى الكرخى قال ، حدثنا أبو العيناء قال ،
حدثنا محمد بن سلام .

الموشح ● (س : ١٦٦) ليس فى الطبقات بنصه ، ولكنه يشبه رقم : ٥٠٦ .
● (س : ٣٦٩) ليس فى الطبقات .

١١ ـ حدثنى أحمد بن محمد المكى قال ، حدثنا أبو العيناء قال ، حدثنا
محمد بن سلام .

الموشح ● (س : ٢٠٣) ، ليس فى الطبقات .

* * *

١٢ ـ أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ،
عن محمد بن سلام .

الوشح (س : ١٠٠) سبق فى الموشح (س : ٩٩) ، وهو فى الطبقات برقم :
٢٢ ــ ٢٤ ، ولكن اختلف اللفظ هنا .
(س : ١٧٢) نقل إلى الطبقات برقم : ٧٤٣ .

١٣ ــ أخبرنى الصولى (محمد بن يحيى) قال ، حدثنا القاسم بن إسمعيل قال ، أنشدنا آبن سلام (قال ، حدثنا آبن سلام) .

الموشح ● (س : ١٧٧) ليس فى الطبقات .
● (س : ٢١٨) ليس فى الطبقات .

١٤ ــ أخبرنى محمد بن يحيى (الصولى) .... زعم آبن سلام .

الموشح ● (س : ١١٢) ليس فى الطبقات .

* * *

١٥ ــ أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال ، أخبرنا الرياشىُّ (العباس ابن الفرج) ، عن محمد بن سلام .

الموشح ● (س : ٧٠) ليس فى الطبقات .
● (س : ١٢٠) » » » .
● (س : ٢٠٩) » » » .
● (س : ٢١١) » » » .

١٦ ــ كتب إلىّ أحمد بن عبد العزيز قال ، أخبرنا عمر بن شبّة قال ، أخبرنى محمد بن سلام .

الموشح ● (س : ١٤١) ليس فى الطبقات .
● (س : ٢٠٣) » » » .
● (س : ٢٠٤) » » » .

١٧ ــ حدثنى على بن عبد الرحمن قال ، أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجم ، عن أبيه (على بن يحيى) ، عن محمد بن سلام .

الموشح ● (س : ٧٢) ليس فى الطبقات ، وانظر الإسناد (٨) .

١٨ — وحدثنى عبد الله بن يحيى قال ، حدثنى أحمد بن بشر ، عن إسمعيل ابن يعقوب الأعلم قال ، حدثنى محمد بن سلام .

— حدثنى إبراهيم بن محمد العطار ، قال حدثنا أبو خليفة ، عن محمد ابن سلام .

الموشح (ص : ١٢٩) ، الطبقات رقم : ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، وانظر الإسناد رقم : (٢٥) .

١٩ — حدثنى على بن هرون قال ، حدثنا وكيع قال ، حدثنا محمد بن إسمعيل الأعلم ، قال حدثنا محمد بن سلام .

الموشح (ص : ١٤٣) ، قبله فى الموشح ، الخبر : ٧٣٣ فى الطبقات ، وهو هنا بمعناه لا بلفظه .

٢٠ — حدثنى محمد بن عبد الواحد قال ، سمعت ثَعْلَبًا (أحمد بن يحيى) يقول ، وسأله أبو سهل النُّيبَخْتِيُّ : ما تقول فى جرير والفرزدق قال ، قال محمد ابن سلام

الموشح (ص : ١١٦ ، ١١٧) مثله فى الطبقات رقم : ٥٠٧ ، ٦٢٩ عن الأغانى ، وما جاء قبله فى الموشح ص : ١١٥ .
وانظر الإسناد رقم (٤) ، (٥) ، (٨) .

٢١ — حدثنى بعضُ أصحابنا ، عن أحمد بن يحيى النحوى (ثعلب) ، عن محمد بن سلام .

الموشح ● (ص : ١٠٨) ليس فى الطبقات .

٢٢ — روى أحمد بن أبى طاهر ، عن حماد بن إسحق ، عن محمد ابن سلام .

الموشح ● (ص : ١٠٩) ليس فى الطبقات .

٢٣ — قال عبد الله بن المعتز ، حُكِى عن ابن سلام .

الموشح ● (ص : ٤٧) ليس فى الطبقات .

* * *

٢٤ — حدثنى إبراهيم بن محمد العطار ، عن الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال ، حدثنا أبو الحسن اليزيدىّ قال ، حدثنا محمد بن سلام .

الموشح • (س : ١٩٤) ليس فى الطبقات .

٢٥ - حدثنى إبراهيم بن محمد العطار قال ، حدثنا أبو خليفة (الفضل ابن الحباب) ، عن محمد بن سلام .

= وحدثنى عبد الله بن يحيى قال ، حدثنى أحمد بن بشر ، عن يعقوب ابن إسمعيل الأعلم قال ، حدثنى محمد بن سلام .

الموشح (س : ١٠١) فى الطبقات رقم : ٢٦ ، ٢٧ ، وسيأتى الحديث عنه مع الإسناد (٢٦) .

(س : ١٢٩) فى الطبقات رقم : ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، وسيأتى الحديث عنه مع الإسناد (٢٦) .

٢٦ — حدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنى أبو خليفة الفضل بن الحباب قال ، حدثنى محمد بن سلام .

بهذا الإسناد فى الموشح ، فى ستة وعشرين موضعاً ، سيأتى الحديث عنها .

* * *

هذه هى أسانيد الأخبار الأربعة والستين (٦٤) التى فى كتاب الموشح ، منها أربعة (٤) مرسلة أو مبهمة ، وهى الأسانيد الآتية : (١٤) و (٢١) و (٢٢) ، (٢٣) ، فبقى عندنا اثنا وعشرون (٢٢) إسناداً صحيحاً غير منقطع ولا مبهم ولا مُرْسل ، ثم منها أيضاً سبعة (٧) أسانيد ليس منها فى كتاب طبقات الجمحىّ شىء ، وهى الأسانيد الآتية : (١٠) و (١١) و (١٣) و (١٥) و (١٦) و (١٧) و (٢٤) فيبقى عندنا خمسة عشر (١٥) إسناداً متّصلاً إلى ابن سلام ، تنتسبُ إلى كتابه « الطبقات » .

وسأبدأ بتحليل إسنادين منها ، ليس لهما خبر مقابلٌ فى كتاب « الطبقات » ، وهما الإسنادان (١٠) و (١١) للدلالة على أسلوب أبى عبيد الله المرزبانى ، وعلى اللذّة التى كان يجدها فى التدليس . والشيخان اللذان روى عنهما .

أولهما : « أحمد بن عيسى الكرخىّ » ، والثانى : « أحمد بن محمد المكىّ » ، وهما يرويان عن أبى العيناء محمد بن القاسم . ولكن الحقيقة أنهما رجل واحد هو : « أحمد بن محمد بن عيسى بن خالد ، أبو بكر ، المعروفُ بالمكى » ، وهو صاحب أبى العيناء ، توفى سنة ٣٢٢ هـ . فنسبه المرزبانى فى الإسناد الأول إلى جدّه ، ثم زاد فى تدليسه ، فأغفل « المكى » ، ونسبه إلى « الكرخ » . وهى نسبةٌ صحيحة ، ولكنها نادرةٌ ، فإن المشهورَ فى نسبته هو « المكىّ » تارة و « السّورىُّ » تارة أخرى . وهذه الأخيرة نسبةٌ إلى « بين السورين » ، وهى محلة كبيرةٌ كانت بكرخ بغداد ، من أحسن محالها وأعمرها (معجم البلدان : بين السورين) ، فنسبه إلى « الكرخ » ، وترك « السورىّ » . وإذنْ ، فقد أغمض علينا صاحبنا المرزبانىّ حين قال « الكرخىّ » دون « السورىّ » ، ولم يكذب ولم يخطىء ، ولكنه استمتع بالتدليس من وجهين . وقد ذكرتُ هذا هُنا مقدمةً لتدليس أغمض وأدقّ .

* * *

فالأسانيد السالفة من (٢) إلى (٩) شيوخه الذين روى عنهم فيها ثلاثة :

الأول : « محمد بن أحمد الكاتب » ، ويروى عن « محمد بن موسى

البربرى » فى (٢) = وعن أحمد بن يحيى ثعلب النحوى فى (٣) و (٦) = وعن أبى يعلى عبيد بن عبد الله الكاتب فى (٤) .

والثانى : « محمد بن إبراهيم الكاتب » ، ويروى عن « محمد بن موسى البربرى » ، فى (٥) = وعن « أحمد بن أبى خيثمة » فى (٦) ، وفى الإسناد نفسه « محمد بن أحمد الكاتب » وهو الأول نفسه ، يروى خبره عن « أحمد ابن يحيى ثعلب » = وعن « عبد الله بن أبى سعد الوراق » فى (٧) .

والثالث : « أبو عبد الله الحكيمى » ، ويروى عن « محمد بن موسى البربرى » فى (٨) = وعن أحمد بن يحيى ثعلب فى (٩) .

وهؤلاء الثلاثة رجلٌ واحدٌ هو : « محمد بن أحمد بن إبراهيم بن قريش ابن حازم بن صبيح بن صباح ، أبو عبد الله الحكيمى ، الكاتب » ، ولد سنة ٢٥٢ ، وتوفى سنة ٣٣٦ هـ . وروى عنه المرزبانى ، فسمّاه فى الأول باسمه واسم أبيه ونعتِه « الكاتب » = وفى الثانى نسبه إلى جدّه إبراهيم ، ولم يذكر نعته « الكاتب » إلا فى موضع آخر من كتابه (ص : ٢٣٩) = وفى الثالث ذكره بكنيته ونسبته فقط .

وهذه الأسماء الثلاثة موزّعة فى أخبار أخرى تضمنها كتاب « الموشح » للمرزبانى ، واشترك ثلاثتهنّ فى الرواية عن « محمد بن موسى البربرى » فى أربعة عشر (١٤) إسناداً = وفى الرواية عن « أحمد بن يحيى ثعلب » فى واحد وثلاثين (٣١) إسناداً = وفى الرواية عن « أحمد بن أبى خيثمة » فى أربعة عشر (١٤) إسناداً ، ثم جمع المرزبانى بين « محمد بن أحمد الكاتب » و « أبى

عبد الله الحكيمى » فى الرواية عن « أبى يعلى عبيدالله بن عبدالله الكاتب » فى إسنادين من كتابه = ثم أفرد اسم « محمد بن إبراهيم الكاتب » فى الرواية عن « عبد الله أبى سعد الوراق » فى سبعة (٧) أسانيد ، ولكن « الوراق » ، لا يروى عن ابن سلام ، بل يروى عن « مسعود بن عمرو » ، عن ابن سلام .

وهؤلاء المذكورون آنفاً ، لهم رواية عن محمد بن سلام الجمحىّ سَمَاعاً منه ، فى الموشّح . ثم لجميعهم فى الأسانيد الثمانية من (٢) إلى (٩) رواية أخبار مطابقة أو مخالفة بعض الاختلاف لما فى كتاب « الطبقات » من رواية « أبى خليفة الفضل بن الحباب الجمحىّ » عن خاله « محمد بن سلام الجمحى » .

* * *

ومن الصَّعْب أن نفسِّر الآن هذه الشَّهوة الغريبة فى التدليس ، ولعل ما يأتى يُلقى ضوءًا على أسلوب أبى عبيد الله المرزبانى فى التدليس ، لأمرٍ فى نفسه . فبين أيدينا فى كتاب «الموشح» ثلاثة أسانيد هى رقم (٢٤) و (٢٥) و (٢٦) هى :

الأول : حدثنى إبراهيم بن محمد العطار ، عن الحسن بن عُلَيْل العنزىّ قال ، حدثنا أبو الحسن اليزيدى قال ، حدثنا محمد بن سلام = الإسناد رقم (٢٤) ، وهذا الإسناد عن « الحسن بن عليل العنزى » ، ليس لأخباره فى الموشح ، أخبارٌ تقابلها فى الطبقات .

الثانى : حدثنا إبراهيم بن محمد العطار قال ، حدثنا أبو خليفة (الفضل بن الحباب) ، عن محمد بن سلام ، وهو الإسناد (٢٥) .

الثالث : حدثنا إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنى أبو خليفة الفضل بن الحباب قال ، حدثنى محمد بن سلام ، وهو الإسناد (٢٦) .

وهذان الرجلان : « إبراهيم بن محمد العطار » و «إبراهيم بن شهاب» هما رجل واحد هو : « إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار ، أبو الطيب ، وهو الذى قال عنه المرزبانى قال : « كان أبو الطيب إبراهيم بن محمد بن شهاب العطار ، أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذهب العراقيين ، عاشرنى فى منزلى أربعين سنة أو أكثر منها ، معاشرة متصلة غير منقطعة ، ومات فى شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلثمئة (٣٥٦ هـ) ، عن أربع وثمانين ، أو خمس وثمانين » ، [تاريخ بغداد ٥ : ١٦٧ ، مقدمة الطبقات ص : ٤٥] .

وقد أتى المرزبانى هنا بأعجوبة فى التدليس لم أر مثلها لغيره .

أما الاسم الأول ، فى الإسناد الأول : «حدثنا إبراهيم بن محمد العطار ، عن الحسن بن عليل العَنَزِىّ» ، فقد روى المرزبانى عنه من طريق الحسن بن عليل العنزى تسعة عشر (١٩) خبراً ، جُلُّهَا ينتهى إلى شَيْخ غير محمد بن سلام الجمحى ، إلا فى إسناد واحد ، هو المذكور عندنا فى حَشْد الأسانيد برقم : (٢٤) فهو عن « الحسن بن عليل العنزى ، عن أبى الحسن اليزيدىّ ، عن محمد ابن سلام » ، ولم يستخدم المرزبانى اسم « إبراهيم بن شهاب » هنا فى الرواية عن « ابن سلام » من طريق « الحسن بن عليل العنزى » قط .

أما فى الرواية عن « أبى خليفة/الفضل بن الحباب الجمحىّ » ، فإنه استخدم اسمه « إبراهيم بن محمد العطار » مرتين فقط :

الأولى : « حدثنى إبراهيم بن محمد العطار قال ، حدثنا الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام » [الموشح : ١٠١] ، وهو بنصه فى الطبقات برقم : ٢٦ ، ٢٧ .

الثانية : « حدثنى إبراهيم بن محمد العطار ، قال حدثنا أبو خليفة ، عن محمد بن سلام » (الموشح : ١٢٩) ، وهو بنصه فى الطبقات رقم : ٥٩٧ ، ٥٩٨ . ومن العجيب العجيب أنه روى الخبر : ٥٩٩ (فى الطبقات) قبل هذا مباشرةً بقوله : « حدثنى إبراهيم بن شهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام قال ، قيل لجريرٍ : ما صَنَعْتَ فى التَّيْم شيئًا ! قال : إنَّهم شعراء لئامٌ » ، قدَّمه على الخبرين رقم ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، وهو فى الطبقات بعدهما مباشرة بلا إسنادٍ ، لأنها جميعاً فى الحقيقة خبرٌ واحد . وهذا عجيبٌ جدًّا فى التدليس ، كالذى مرَّ بك آنفاً فى تدليس « أبى عبد الله الحكيمى محمد بن أحمد بن إبراهيم الكاتب » فى حشد الأسانيد من (٢) إلى (٩) ، والجمع بين اسمين دخلهما تدليس أبى عبيد الله (انظر ما سلف : ١٠٠) .

أما اسم « إبراهيم بن شهاب » مجرَّداً من صفة « العطار » ، فقد قصر استخدامه على روايته عن « أبى خليفة / الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، وجميع الأخبار التى رواها بهذا الإسناد هى ستة وعشرون (٢٦) إسناداً ، منها إسنادٌ واحد خالف فيه ، وهو : « حدثنى إبراهيم بن شهاب قال حدثنا الفضل بن الحباب قال : سمعت أبا محمد التوَّزىَّ يقول ... »

(الموشح : ٢١٨) ، فكأنه قصر اسم « إبراهيم بن شهاب » على الرواية على « الفضل بن الحباب » ، كما قصر آنفا اسم « إبراهيم بن محمد العطار » على الرواية عن « الحسن بن عليل العنزى » ، إلا في موضعين اثنين ، استخدمه في الرواية عن « الفضل بن الحباب ، أبي خليفة ، عن محمد بن سلام » . وهذا تدليس جيد ، له معنى صحيح ، في التفرقة بين الاسمين ، كأنه يقول لك : "كل ما رويته عن « إبراهيم بن شهاب ، عن أبي خليفة الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، فهو من نسختى من كتاب « طبقات فحول الشعراء » التي رويتها سماعا عن شيخى وصاحبى ورفيقى أربعين سنة .

ولذلك فقد اخترت ، قاطعا ، غير متلجلج ، هذا الإسناد الأخير : « إبراهيم بن شهاب ، عن الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، لنقل ما زاد في «الموشح» على النسختين « م » المختصرة ، و «المخطوطة» المنخرمة ، وهما خبران على الحقيقة لا ثلاثة ، وهما في الطبقات برقم : ٤٦ - ٤٨ ، ثم الخبر : ١٤٦ ، كما فصلت ذلك آنفا في «زيادة المرزبانى» [س: ٨٢، ٨٣] . ولولا السهو منى ، لضممت إليهما الخبر الثالث ، الذى أرشدنى إليه الدكتور على جواد ، وهو في الموشح [ص : ١٠٦] ، في أخبار الفرزدق ، وسبب ذلك هو أن كل ما جاء من هذا الطريق ، فهو موجود بنصه في كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، والحمد لله رب العالمين ، ونسأل الله العافية .

* * *

بقى خبر واحد في « الموشح » [س : ١٧٢] من رواية « محمد بن يحيى الصولى » عن أبي خليفة الفضل بن الحباب عن « محمد بن سلام » وقد نقلته إلى

الطبقات برقم : ٧٤٣ . وهذا استظهارٌ تابعٌ لما دلَّنى عليه تمحيص أسانيد « إبراهيم بن شهاب » و « إبراهيم بن محمد العطار » ، السالفين ، فإنى رأيتُ المرزبانى روى عن محمد بن يحيى الصولى بأسانيد مختلفة فى كتابه « الموشح » ، وبلغت عدة أسانيده أربعة وأربعين ومئة (١٤٤) موضع ، فلم يَرْوِ محمد بن يحيى الصولى عن « الفضل بن الحباب » ، الا فى خمسة مواضع ، هى :

الأول : « أخبرنى محمد بن يحيى قال ، حدثنا الفضل بن الُحباب ، عن محمد بن سلام » ، [الموشح ص : ١٠٠] ، وهو فى كتاب الطبقات رقم : ٢٢ - ٢٤ ، مع اختلاف فى اللفظ واختصار = ثم [ص : ١٧٢] ، وقد نقلتُه إلى الطبقات برقم : ٧٤٣ .

الثانى : « أخبرنى محمد بن يحيى قال ، حدثنا الفضل بن الحباب قال ، حدثنا بكر بن محمد المازنى » (الموشح ص : ١٨٢) .

الثالث : « أخبرنى الصولى قال ، حدثنا الفضل بن الحباب (وأبو ذكوان قال ، حدثنى التوّزى » (الموشح ص : ٢٥٤) ، (الموشح ص : ٣٦٣) .

والثانى والثالث لا شأن لنا بهما ، أما الأول ، فإنى رأيتُ محمد بن يحيى الصولى قد روى خبر الفرزدق ، عن الفضل عن ابن سلام (الموشح : ١٠٠) مختلفاً عن الذى فى الطبقات اختلافاً بيِّناً ، فتوقفت طويلاً فى ضم الخبر الذى فى (الموشح : ١٧٢) ، فكدت أطْرحُه . ثم لما تأمّلت أخبار ذى الرمة عند أبى الفرج الأصفهانى فى الأغانى [١٨ : ١٤ - ١٧ الهيئة] ، ووجدت أبا الفرج

قد وضع هذا الخبر ، برواية أبى زيد عمر بن شبة عن أبى عبيدة بين الخبرين : ٧٤٢ ، ٧٤٤ ، ورأيت أنّ أبا الفرج إنما آثر روايته عن أبى عبيدة = لا عن ابن سلام = لزيادة ظاهرة فى خبر أبى عبيدة ، فبعد التأمّل بَدَا لى أنّ رواية الصولى ، خالية من زيادة أبى عبيدة . فهى عندئذ أشبه بأن تكون كانت فى نسخة أبى الفرج على مثل رواية الصولىّ . ورأيت أيضاً أنه أشبه بالأخبار المتتابعة من : ٧٤٤ إلى : ٧٥١ ، التى فيها ذكر أمره مع جرير والفرزدق ، فعدتُ فأثبتُّ هذا الخبر الفردَ ، مخالفًا ما آثرته فى النقل عن الموشح . وهو إسناد « إبراهيم بن شهاب ، عن الفضل بن الحباب ، عن محمد بن سلام » ، لاسيّما وأن هذا الخبر وما معه ، يقع فى آخر الخرم الحادث فى مخطوطتى بعد آخر الورقة ٦٩ إلى أول الورقة ٨٢ [يقابله فى المطبوعة ص ٤٧٧ - ٥٦٠] . وخبر الصولى فى [ص : ٥٥٢] . أما نسخة المدينة « م » . فهى مختصرةٌ لا يُعْتَدُّ بها فى مثل هذا .

وأنا بلا شكٍّ قد أطلتُ ، ولكنى اضطُرِرتُ أن أُلخِّص دراسة الأسانيد تلخيصاً مقاربًا ، على منهجى الذى لا يخالط « المنهج العلمى » أو « علم التحقيق » أىّ مخالطة . وأظنُّ أنى وضعت الآن أمر الزيادة التى زدتها على « طبقات فحول الشعراء » فى نِصابها ، وإن كنت لأشكُّ فى أنِّى أجلبُ على القارىء تعباً شديداً ، لأنه مضطرٌّ أن يضع نسختى من « طبقات فحول الشعراء » بين يديه ، ويتابع ما قلته فى أمر صاحب الأغانى وصاحب الموشح ، وغيرهما صفحة صفحة ، ومكانًا مكانًا ، مخافةَ أن أكون خُنْتُ الأمانة وغششته ، فإن خيانة الأمانة والغِشّ ، خصلتان متفشيتان اليوم فى حياتنا الأدبية . فإذا

اطمأن الى أنى لم آخذه ولم أغششه ، فهذا حَسْبى منه ، غيرَ متوقع منه ثناء يتلِفُنِي ، أو مدحًا يقطع ظهرى . والحمد لله ربِّ العالين ، وأسأل الله العافية

* * *

وأنا على كل حالٍ ، لست ناقدًا لما كتب الدكتور على جواد الطاهر فى مجلة المورد (العدد الثامن — ١٣٩٩ ه ، ١٩٧٩ م) فى مقاله : « طبقات الشعراء . . مخطوطًا ومطبوعاً » . ولكن بقيت أشياء ، فإنه فصَّل مقالته فصولاً فقال فى [ص ٤١ : من المورد] : « ثالثًا » ، ثم ذكر شيئًا وقال إنى لم أناقشه ، ثم أضاف بين قوسين جاءاين فقال : (وقد رجع — الطبعة الثانية ص : ٢٤٣) ، وصدق ! ولكنه قال بعقب هذا مانصه :

« ولم يستغرب الأستاذ المحقق ، وجودَ بشامة بن الغدير ص : ٥٦١ ، فى الإسلاميين ، مع ماذكره المصادر من جاهليته » ، وهذا يقابل ص : ٧١٨ فى الطبعة الثانية .

وأنا لا أدرى على وجه التحقيق هل قرأ الدكتور على جواد الطاهر كتاب « طبقات فحول الشعراء » فى طبعتيه أو لم يقرأه ، بيد أن مقالة المورد توهم أنه قرأ الطبعتين جميعًا ، ودرسهما جميعاً ، مَتْنًا وشرحًا ومقدمةً ولكنّى أعود فأشكُّ فى ذلك ، لأنى قلت فى مقدمة الطبعة الأولى [ص : ٢٠ — ٢١] ، ما يأتى :

«وصنيع ابن سلام فى الطبقات دالٌّ على أنه يعدُّ المخضرمين فى الجاهليين تارة ، وفى الإسلاميين تارة . . . وابن سلاّمٍ لم يَعِدْ فى مقدّمة كتابه بأن يذكر طبقات الجاهليين ، ثم طبقات المخضرمين ، ثم طبقات الإسلام ، بل

كل ما قاله (ص : ٢١) : « ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزّلناهم منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، وما قال فيه العلماء ... » ، فهذا كلامٌ مطلقٌ لاحدّ فيه ولا تعيين . والذى بأيدينا من كتاب الطبقات ، وما نقل عنه الناقلون ، يدلُّ على أن ابنَ سلام فرّق المخضرمين بين طبقات شعراء الجاهلية وطبقات شعراء الإسلام ، فذكر فى الثالثة من الإسلاميين كعب بن جعيل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر ، وهو مخضرمٌ لاشكّ فيه ، وسُحَيْم بن وثيل الرياحىّ ، وهو مخضرمٌ أيضًا . . . وفى السادسة من الإسلاميين ، ذكر بشامة بن الغدير وقراد بن حنش ، وهما جاهليان فيما نعرفُ ، فلعلّ ابن سلام عدّهما من المخضرمين ، لخبر بلغه عن إدراكهما الإسلامَ ، وإن لم يُسْلِما » .

وهذا موجودٌ بنصّه أيضًا فى مقدمة الطبعة الثانية (ص : ٦٤ ، ٦٥) ، والأمر لايحتاج إلى بيان ، ولا حيلة لى إذا غلبنى الشكُّ فى أن الدكتور على جواد الطاهر ، لم يقرأ الكتاب فى طبعتيه جميعًا ، بل تصفّحهما تصفُّحًا على عَجَلٍ ، مُتلمِّسًا لخطأٍ ، أو لما يتوهّم أنه خطأ .

* * *

ثم قال الدكتور على جواد (رابعًا) ، ثم قال : « اعتمد المحقِّق على المطبوعتين ، وكان المناسب أن يرجع إلى المخطوطتين اللتين اعتمدت عليهما المطبوعتان (يعنى يوسف هل ، وعجان الحديد) ، لاسيّما وأنه مقيم فى القاهرة ، والمخطوطتان فى دار الكتب بها » . وهذا يطابق مآخذ الدكتور منير سلطان فى كتابه « ابن سلام وطبقات الشعراء » حيث يقول : (ص ١٧٠) :

« إنّ هذا التدخل من الأستاذ شاكر (يعنى مسألة الزيادات التى كانت سبب تضخّم الكتاب ، أو كما قال) ، هو الذى قلّل من رونق العمل الضخم الذى قام به ، وجعل النقاد يوجّهون له اللوم ، وينتابهم الألم لهذا الخلط الذى حدث للمطبوع من طبقات الشعراء لابن سلام ، بعد ما أصابه من خلط وهو مخطوط (وكان الله فى عون النقاد ! هذه من عندى أنا) . ونحن نعتبر عمل الأستاذ شاكر هو : (تحقيق مخطوطته ونشرها مضبوطة صحيحة ، مع إلغاء رثة سايمة قوية موجودة فى دار الكتب ، وهى مخطوطة الكتاب ، واللجوء إلى ركن ضعيف ، وهو طبعات ليدن والسعادة ، ذلك لأن « المعتمد عند أهل العلم هما هاتان الطبعتان » ، كما يقول الأستاذ شاكر فى المقدمة (ص : ٧) .

١ — تغييرٌ فى اسم الكتاب بلا مبرّر .

٢ — عدم وجود ثبت للمراجع .

٣ — الرجوع إلى مطبوعتى ليدن والسعادة ، وليس لهما قيمة بجوار المخطوطتين ومخطوطته .

٤ — الزيادات الكثيرة وإقحامُها فى أصل الكتاب بدون وجه حق » .

انتهى أيضًا كلام الدكتور منير سلطان ، وإن كانت عبارته غير متماسكة ولا متلائمة . وأخشى ، ظنًّا ، أن يكون سقط من كلامه شىء أحدث فيه هذه الفجوات المربكة . أما كلام الدكتور على جواد ، فهو مستقيم ، يوضح ما قاله الدكتور منير . وصحيح أنّى لم أعتمد مخطوطتى دار الكتب ،

هذا صحيح ، ولكن صحيح أيضاً أني ذكرت مخطوطتي دار الكتب في مقدمة الطبعة الأولى [ص : ٧] ، وفي مقدمة الطبعة الثانية [ص : ٥١] ، ولكن الذي لايعرفه الدكتور على جواد ، ولا الدكتور منير سلطان ، هو أنّي راجعتُ مطبوعة يوسف هل ، ومطبوعة عجان الحديد ، على هاتين المخطوطتين ، وانتهيت إلى أنهما تطابقان المخطوطتين ، وأن مطبوعة يوسف هل ، أجودُ من هاتين المخطوطتين في بعض المواضع ، ولكنّي لم أذكرْ مافعلتُه من المراجعة ، لأني ، بالطبع ، لست أتبع أصول « المنهج العلمى » ولا فصول « علم التحقيق » ، لكى أملأ هوامش الكتاب بعلم فياضٍ من فروق جهلة النساخ في كتابة : « ينبغى » ، « تبتغى » ، « يقولها » ، « تقولها » ، « يجرّن » ، « يجرّر » ، « يقرآن » ، « بقرآن » ، « فراهيد » ، « فراهيده » ، « فردوسى » ، « قردوسىّ » ، « يثلوا » ، « يتلوا » ، وأشباه هذه المعارف الجليلة التى تطفح على هوامش الكتب المحققة على أصول « المنهج العلمى » ، وعلى فصول « علم التحقيق » . وقد أعفاني يوسف هل ، في آخر نسخته ، من الاستغراق في ذكر خلافات المخطُوطتين ، وهما ، على غير مايرى الدكتور منير سلطان ، نسختان ساقطتان لاقيمة لهما ، وليستا « رثة سليمة قوية » ، بل هما رثتان مملوءتان بجراثيم السّل ، والعياذ بالله . هـذا رأيي بالطبع ، لارأى « المنهج العلمى » أو « رأى علم التحقيق » .

ولذلك لم أذكر شيئًا عنهما في الطبعة الثانية ، لامدحا ، ولا قدحا ، بعد أن حصلتُ على نسخة المدينة « م » ، وهما منقولتان عنها ، وكان سببَ الحصول عليها ، هو سَعْيي في تصويرها ، فصوّرها قسم المخطوطات في الجامعة

العربية ، لا كما ظنّ الدكتور على جواد فى « تاسعًا » من فصول مقالته : « لم يحاول المحقق البحث عن نسخة المدينة والحصول عليها . ولم يكن ذلك عليه صعبًا لو رامه » ، أو كما قال أكرمه الله ! ولماجاءت نسخة المدينة « م » ألغيتُ فى الطبعة الثانية كلّ ماءتّ إلى طبعة يوسف هل وعجان الحديد بسبب ، لأنى حصلتُ على الأصل الوثيق ، ولكن لا أشك أن الدكتور على جواد لم يقرأ مقدمة الطبعة الثانية ، ولا الأولى إن شاء الله .

* * *

ثم قال حفظه الله « خامسًا » . فأنسأ هذه العبارة : « لم يلتزم المحقق ردّ العبارات (أو الكلمات) التى كمل بها نصّ الطبقات إلى المصادر التى استقاها منها ، وإنما يكتفى عادة بأن يضع ذلك داخل معقوفين [ ] ، ثم أضرب عن هذا الوضع [ينظر شاكر : ٣٣] » . ولو رجع الأستاذ إلى الطبعة الثانية (ص : ٣٩، ٤٠) لوجد فى الهامش (١) صفحة (٤٠) مانصه : « نقل هذا المرزبانى فى الموشح : ٧٤ ، واعتمدت لفظه آخر الخبر » ، ولكن الأستاذ معذورٌ ، لأنه لم يقرأ الطبعة الثانية من الطبقات بلا شك ولا ارتياب ، لأن هذا الذى قلته منصبّ على ما بين المعقوفين [ ] ، ليس غير .

* * *

ثم انتهى إلى « سادسًا » [المورد ص : ٤٢] فذكر ماقلته فى ترجمة أبى خليفة أنه « كان أعمى » ، وأخذ علىّ إثبات ذلك ، مع أنى نقلته عن معجم الأدباء لياقوت ، وترجمته فى « نَكْتِ الهميان ، فى نُكتِ العميان » ، للصلاح الصفدى ، ورأى أنه « لم يكن فى أخبار أبى خليفة مايدلُّ على ذلك ، وإنما تشير إلى أن عماهُ كان متأخّرًا ، لكبره . . . وقد عُمِّر » ، فأنا نقلتُ

ماهو موجودٌ ، ولكن الدكتور أتى بشىءٍ لادليلَ عليه لامن مرجع ولا من بديهة عقلٍ ، ولكنها أشبه ببديهة الاستشراف الأعجمىّ المساكين أصحابه . ثم أتم ذلك ، حفظه الله ، أنه يلاحظ أنى جعلت « أحمد بن حنبل بين من روى عن محمد بن سلام ، شأنه فى ذلك شأن ثعلب وأبى حاتم والرياشىّ والمازنى والزيادى . . . ـ وبالمسألة حاجة إلى تثبُّت ودراسة خاصة » ، غريبة ! ! ولا أدرى كيف يتكلّم الدكتور على جواد الطاهر !

ولد أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى سنة ١٣٩ هـ ، وتوفى سنة ٢٣١ هـ = وولد أحمد بن حنبل سنة ١٦٤ هـ ، وتوفى سنة ٢٤١ ، فهو أصغر من ابن سلاّم بخمس وعشرين (٢٥) سنة ، فهو بلا شكٍّ فى مرتبة شيوخ أحمد وطبقتهم ، وابن سلام دخل بغداد سنة ٢٢٢ هـ ، وأحمد فى الثامنة والخمسين من عمره ، وابن سلام فى الثالثة والثمانين من عمره ، وهو بقية أئمة أهل البصرة فى القرن الثانى وأوائل الثالث ، وقد كتب عن ابن سلاّمٍ قرينُ أحمد وصديقُه « يحيى بن معين » (ولد سنة ١٥٨ هـ ، وتوفى سنة ٢٣٣ هـ) ، كتب عنه الحديث ، وكتب عنه النَّسَب . فماذا يستنكَرُ إذنْ ، من أن يكون أحمد ، قد كتب عنه أو سمع منه لغةً أو شعراً أو خبراً وحدَّث به ؟ قال محمد بن إسمعيل الصائغ : « كنت فى إحدى سفراتى ببغداد ، فمرّ بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ، ونعلاه فى يده فأخذ أبى هكذا بمجامع ثوبه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا تستحى ؟ إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان ؟ فقال: إلى الموت » . فما الذى يستنكر الدكتور ، من تلقى أحمد عن شيخ البصرة فى الأدب واللغة والأخبار ؟ ومع ذلك فأنا لم أقل هذا استنباطاً ، فيؤخذ علىّ ، بلْ هذا هو الذى قاله ياقوت فى معجم الأدباء ، فى ترجمة « محمد بن سلام الجمحىّ »

(٧ : ١٣) قال : « وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل ، وابنُه عبد الله » .
ومع ذلك ، فأنا لم أكن أكتب « تحقيقًا » فى ترجمة أحمد بن حنبل أو محمد ابن سلام ، وحملتُ مانُقِل إلينا . فإن رأى الأستاذ أن يعلمنا مما علّمه الله ، فليفعل مشكورًا محمودًا .

ثم يأتى الدكتور على جواد بالعجب فى « سادسًا » هـذه فيقول : « ويَعُدّ (يعنينى) كلّ من روى عنه محمد بن سلامٍ فى طبقات الشعراء خبرًا أو شعرًا . . . شيخًا له . وجمع له بذلك ستًّا وستين شيخًا ، قال (يعنينى أيضًا) « وعدتهم سبعون شيخًا » ، ويبدو أن الأستاذ محمود شاكر توسع كثيرًا فى معنى «الشيخيّة » (أقول أنا ، هى كلمة خفيفة على اللسان ، تستحقُّ أن يضعها الأستاذ بين الأقواس ، وقد فعل !) ، وإلاّ كيف نضع بشّار (هكذا فى الأصل) ـ مثلاً ـ مع يونس بن حبيب . . . » ، انتهى كلام الدكتور ، وانتهى تعجُّبه .

وهذا بالطبع ، نقلٌ عن مقدمة الطبعة الأولى (ص : ١٢ ، ١٣) ، أما فى مقدمة الطبعة الثانية التى لم يقرأها الدكتور على جواد بلا شك ، فإنّى زدت على العدد الأوّل وقلت : « وعدتهم تسعةٌ وسبعون شيخًا ، روى عنهم ابن سلام فى كتاب الطبقات » . (المقدمة ص : ٣٥ ـ ٣٧) . وقد بدأتُ هذه من المقدمة (ص : ٣٥) بقولى : « أما شيوخُه فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » خاصة ، فقد آثرتُ أن أجمع أسماءهم هُنَا مرتبة على حروف المعجم ، وهم : . . . » ، ثم ختمتُها بقولى (ص : ٣٧) « . . . وعِدّتُهم تسعة وسبعون شيخًا ، روى عنهم ابن سلام فى كتاب الطبقات » .

ولا أدرى ، والله ، ماذا أقول ؟ أيحتاجُ المرء أحياناً أن يتدَهْدَى (أى يتدحرج من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ) سبعين دَرَكاً (الدَّرَك ما كان إلى أسفل ، والدَّرَجُ ما كان إلى أعلى) لكى يخاطبَ أئمةَ العلم الذين يعلمون الناس بخِطَاب مَنْ صَأْصَأَ ولم يُفَقِّح ، (صأصأ الجِرْوُ حركَ عينيه ولم يفتِّحهما ، وفَقَّح الجِروُ فتَّح عينيه فأبصر أوَّل البصر) ؟ ورحم الله أبا العلاء الذى فتح لنا بابَ الغريبِ فى الكتابة ! والله المستعان على كُلِّ حال .

أما لفظ « شيخ » فإنه عند أهل العلم من الأئمة ، لفظٌ مشترك ، أو شبيه بالمشترك . فكما يدُلُّ على العالم الذى تلازمُه دهراً طويلاً تتلقى عنه ، أو تروى عنه ، ، فإنه يدلُّ أيضاً على من لم تلْقه إلاّ مرّةً واحدةً ، ولم ترو عنه إلاّ حديثاً واحداً . والذين يتكلّمون فى أسانيد الأخبار والأحاديث يقولون مثلاً : « روى هذا الخبر (لخبر من الأخبار) محمد بن جرير الطبرى ، عن شيخه فلان بن فلان ، ولم يرو عنه غير هذا الحديث المفرد » ، أى أنه لقيه مرة واحدة ، وسمع منه خبراً واحداً لم يرو عنه غيره ، فيسمونه « شيخاً » ، لروايته عنه خبراً واحداً ليس غير . ومن لا يعرف هذا القدرَ من كلام أئمة العلم فى كتبهم ، فخيرٌ له أن يدع الاستدراك ، ويطلب الاسترشاد حتى يعرفَ ما كان عنده غير معروف . وأنا بالطبع لا أكْتُبُ بلغة أصحاب « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » ، ولكنى أكتب بلسان أمّتى التى أنا منها ، متّبعاً لعلمائها مسترشداً بِهَدْيِهم . وهذا حسبي وحسب القارىء ، لأن عبارتى فى المقدّمة مقيّدةٌ دالّة على هذه الصورة وحدها ، أى صورة الرواية عن الشيوخ ليس غيرُ ، لأنى قلت : « وعدتهم تسعة وسبعون شيخاً روى عنهم ابن سلاّم فى

كتاب الطبقات » . أمّا « التوسع فى الشيخيّة » فهو كلامٌ لا أعرفه ، ولا أتوسّع ، ولا يحزنون ، كما يقولون .

ثم عاب علىّ الدكتور على جواد أيضًا عيبًا فقال : « ويُثْبِتُ بين مؤلفات محمد بن سلام كتاب « غريب القرآن » ، معتمداً على ياقوت فى ذلك ، وليس « غريب القرآن » لأبى عبد الله محمد بن سلام ، وإنما هو لأبى عبيد القاسم ابن سلام . وكان الخطأ قديم ، نبه عليه القدماء » ، أو كما قال .

فلو أنا قرأت « وكان » الفعلَ الناسخ كانت العبارة خطأً فى العربية = وإن أنا قرأتها « وكأنّ » الحرفَ الناسخ ، كان كلاماً بلا معنًى ، يبرأ أوله من آخره ، أو آخره من أوله . ومع ذلك ، فأنا لا أستطيع أن أجزمَ بأنّ ياقوتًا قد وَهِمَ ، بمثل هذه القوة التى أنكر عليه بها من أنكر ، وليس بعيداً أن يكونَ لابن سلامٍ كتاب صغيرٌ فى « غريب القرآن » اطلع عليه ياقوت أو غيره ، ولم يصل إلينا بعدُ ، كسائر ما لم يصل إلينا من كتب المؤلفين . ولمجرّد الاستمتاع بمؤاخذة الدكتور على كما استمتع بمؤاخذتى ، آخذُه . أنه لم يبيّن لنا من هم هؤلاء « القدماء » الذين نبّهوا على خطأ ياقوت ؟ وهذا السؤال حق « المنهج العلمى » لا حقى أنا .

* * *

وفجأةً ، وَبَغْتَةً ، وعلى غِرّة ، وبلا إنذارٍ سابق ، وبلا فاصلٍ مُريح ، ومباشرةً ، يأتى الدكتور على جواد الطاهر ، مجلبًا علىّ بِخَيْلِه ورَجْلِه ليقول : « وقد كان الأستاذ (يعنينى أنا) حادًّا مع يوسف هَلْ ، مستهيناً به لدرجة أنه وصفه بالمسكين . ويوسف هَلْ صاحب فضل وسابقة ، فهو جديرٌ بالذكر والشكر » .

مطلوبٌ منّى أن أُلبِس يوسف هَلْ سرابيل الثناء والتمجيد والحمد ، لأنه سبق فنشر الطبعة الأولى لكتاب محمد بن سلام الجمحى ، والذى لا شكّ فيه عندى أن الرجل مشكورٌ كلَّ الشكر لما فعل ، ومذكورٌ بالخير لفضله وسابقته ، ولكن ما فائدةُ هذا هنا ؟ أترانى ذممته وأنكرت فضله لأنه نشر الكتاب ؟ أم لأن هذا الأعجمىّ كتب مقدمة للطبقات أظهر فيها ما يضمرُ ، وأفرغَ سُمّه وضِغْنَهُ فى بضع كلمات ذكرتُها ، فى المقدمة ، لا يريدُ بها إلا هجاء « الكتب العربية » والحمل عليها بتخابيطه وجهالته . وهو عندى بلا شك مسكين وفوق المسكين ، لأنه تعرّض لما لا يُحسِنُ ، وادّعى دعوى ليس لها برهانٌ البتة . هذا كُلُّ ما فى الأمر .

وإذا كان الدكتور على جواد يريدُ أن يعرف ، فأنا لا أضنّ عليه بالمعرفة . عمل يوسف هَلْ فى كتاب الطبقات ، هو كعمل سائر المستشرقين المساكين ومن تابعهم على « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » من أهل جلدتنا ولساننا . وأقول : لو كان عندنا « صاحب مطبعة » قد تعلّم وشدا من العلوم شيئًا يسيرًا ، فأخذ نُسخًا مخطوطةً من كتاب ، وقابل بعضها ببعضٍ ، لاستطاع أن يُخْرِجَ لنا الكتاب على أتمّ صورة تطابق أصول « المنهج العلمى » وفصول « علم التحقيق » . لا ، بل أزيدُ ، فإن صاحب المطبعة مستطيعٌ أن يتفوّق عليهم فى إخراج الكتاب على صورة أدقّ وأصحّ وأتقن وأسلم من كل ما فعله المستشرقون ، بلا استثناء أحد .

وإذا كنتُ قد أسأتُ كما يرى الدكتور على جوادٍ ، فإنى ، كما قال جرير ، حيث قيل له : إلَى كَمْ تهجو الناسَ ؟ فقال جرير : إنى لا أبتدى ،

ولكنى أعتدى » ، يعنى لا أبتدى بالهجاء ، بل أجازى العدوان بالانتصاف بالحق من المعتدى ، وهذا هو معنى قول الفِنْد الزِّمَّانيّ :

فلما صَرَّحَ الشَّرُّ فأمْسَى وَهْوَ عُرْيَانْ
ولم يَبْقَ سِوَى العُدْوَانِ ، دِنَّاهُم كما دَانُوا

وقبل كُلّ شيء ، فأنا لم أبلغ يومًا ما من السّذاجة والغفلة وطيب النفس ، مبلغًا يحملنى على أن أعتقد ، مغروراً بما أعتقد ، أنّ فتًى أعجميًا ، غريبَ الوجه واليد واللّسانِ عن العربية ، يدخُل فى العشرين أو الخامسة والعشرين من عمره ، قسم « اللغات الشرقية » فى جامعةٍ من جامعات الأعاجم ، فيبتدىء تعلم ألف ، باء ، تاء ، ثاء ، أو أبجد هَوَّز ، فى العربية ، ويتلقّى العربية نَحوَها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها ، عن أعجميّ مثله ، وبلسانٍ غير عربىّ ، ثم يستمعُ إلى محاضِرٍ فى آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربىّ ، ويقضى فى ذلك بضع سنوات قلائل ، ثم يتخرّج لنا مستشرقًا (فى اللسان العربى والتاريخ العربى والدين العربىّ) ، ندين له نحنُ العربَ بالطاعةِ = ولم أبلغ من السذاجة أن أعتقد أن هذا ممكن ، وإن كنتُ أعلمُ علمَ اليقين أنّ كثيراً من أهل جلدتنا اليوم قد دانُوا بذلك ، وجعلوا الأمر ممكنًا كل الإمكانِ !

بَل أقول أيضًا ، أن لو نشأ ناشىء الفتيان منّا على حُبّ عربيته ، وعلى توقير تاريخه ، وعلى الالتزام بمعرفة أمّته ، وعلى الشموخ بنفسه عن الدنايا المُذِلّة ، والخضوع المهين للسادة ، وعلى حُبّ الإتقان للعمل ، وكان ذلك نهجَ مدارسِنا وجامعاتنا وصحافتنا وكتبتنا وبيوتنا منذ يولَدُ المولودُ فينا ، كما هو نهجُ كُلّ

بلدٍ أعجمى صار له السلطانُ علينا اليوم == لو كان ذلك ، لجاء هؤلاء المستشرقون جميعاً ، هالـكُهم وحَيُّهم ، ليتعلَّموا على يد « صاحب المطبعة » منّا ، ناهيك بالعالم منا والإمامِ . أرأيتَ قَطُّ رجُلاً واحداً من غير الإنجليز أو الألمان مثلاً ، مهما بلغ من العلم والمعرفة ، كان مسموع الـكلمة فى آداب اللغة الإنجليزية ، وخصائص لغتها ، وفى تاريخ الأمة الإنجليزية ، وفى حياة المجتمع الإنجليزى ، يدين لَهُ علماء الإنجليز بالطاعة والتسليم ؟ ما علينا ! سأعود الآن إلى تفسير ما قلتُه آنفاً من أنّى لا أبتدى ولـكنى أعتدى . وسأضرب مثلاً واحداً ، من أمثلةٍ لا تعدُّ ، ولـكنّ الهَوَى يفعَلُ بأصحابنا ما قال عروة بن أذينة فيما تفعلُ به صاحبته :

« غَطَّى هَوَاكِ ، وَمَا أُلْقِى ، عَلَى بَصَرِى »

* * *

كان فى الناس رجُلٌ فاضلٌ ، نشأ صغيراً بأرضِ الشام ، وشدا من العلم ما شدا ، وكان مجتهداً صبوراً ، ثُمَّ كتب الله له أن يشتغل بطلب الرزق ، فطلبَهُ فى تجارة الـكتب ، فظل يطبع إلى آخر حياتِه كُتُبًا لم تنْشر من قبل ، وهى من ذخائر الـكتب العربية ، استفادَ منها كلُّ طالب علم ، فى أرض اللسان العربى أو فى غير أرضه ، وأسدَى إلى كلِّ عالم معروفاً لا يُنْسى . وفى صدر شبابه ، وهو فى نحو الخامسة والعشرين أو أقَلَّ ، وذلك فى سنة ١٣٤٩ من الهجرة ، طبع كتاباً نادرًا ، على ضيق ذات يده ، نشره فى دمشق ، عن نسخة بخط الحافظ المؤرخ « محمد بن طولون » ، وعن نسخة أخرى منقولة من نسخة ابن فهد ، تلميذ المؤلف ، وراجعه بعد الطبع الشيخ محمد راغب الطباخ على

مخطوطة فى « المكتبة الأحمدية » . وهذا الكتابُ هو « الإعلان والتوبيخ ، لمن ذَمّ التوريخ » (أى التاريخ) . وهو كتابٌ من أحسن الكتب : قال فيه أحمد تيمور رحمه الله : « يعتبر هذا الكتاب تاريخاً للتاريخ فى الإسلام » . والكتابُ الذى نشره القدسىُّ ، خالٍ من التعليقات ، ومن فروق النسخ . والأصل الذى طبع عنه مكتوب بيد « الفقير عبدالوهاب بن محيي الدين السلطى نسبة ، الدمشقى وطناً ومولداً » ، وكتبها فى شهر جمادى الأولى سنة ١١١٥ هـ ، وهى منقولة عن نسخة محفوظة برواق الأتراك بالأزهر ، وكتبها تلميذ السخاوى : « عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكى » فى سنة ٩٠٠ هـ ، وروجعت المطبوعة عليها .

ثمّ جاء شيخ المستشرقين فى التاريخ ، الأعجمىُّ « فرانز روزنتال » المسكين ، وهو مولودٌ سنة ١٩١٤ م ونال الدكتوراه سنة ١٩٣٥ ، وظل « يَسْتَشرق » (هكذا جرى اللفظ !) بعد ذلك نحو سبع عشرة سنة ، إلى أن نشر فى نحو سنة ١٩٥٢ ، أو بعدها فيما أذكر ، كتاباً بالإنجليزية ترجمة عنوانه : « علم التاريخ عند المسلمين » ، وضمَّنه (فى ترجمته العربية) إعادة نشر « الإعلان بالتوبيخ ، لمن ذمّ التاريخ » الذى نشرهُ القدسى سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) ، فقال هذا الأعجمىُّ فى مقدمته التى كتبها : « لقد نُشِر النصّ العربى فى دمشق ١٣٤٩ / ١٩٣٠ - ١ ، وهذه الطبعة رديئة جدًّا » . ثم ظل يتكلَّم مستشرقاً (منصوبٌ على الحال) ، عن المخطوطات التى نشر عنها حسام القدسى نسخته ، ثم وصفها بعد ذلك مرة أخرى فقال : إن نسخة ليدن التى عنده ، والتى نشر عنها نسخته : « لا يُظهر نصُّها اختلافًا حقيقياً عن

النص المطبوع ، إلا فى بعض الأغلاط ، وكثرة المحذوفات. أما الحالات القليلة التى تظهر فيها مخطوطة ليدن أن قراءتها أحسن ، فهى عادة فى المواضع التى حدث فيها خطأ مطبعى فى المطبوعة » ، وكان الله يحب المحسنين ، وأستعفيك من الركاكة .

إذن فما معنى أن « المطبوعة التى نُشرت ، رديئةٌ جدًّا » ! معناهُ أوَّلًا : أنه من قِلّة استشراقه وأعجميته ، أطلَّ على الحضيض الذى كان فيه مخلوقٌ لا اسم له ، ومعه كتابٌ أساء فى نشره إساءةً بالغة . ومعناه ثانياً : أنه يستنكفُ أن يعطى لهذا المخلوق « حسام الدين القدسى » حقَّه من الفضل والسابقة ، والذى هو جدير بالذكر والشكر ، على حدّ قول الدكتور على جواد . ومع ذلك فأنا لم أخْفِ اسم يوسف هَلْ . ولم أبنِ الأفعال للمجهول ، وأيضًا لم أتعرَّض لعمله فى الكتاب بالذم أو القدح ، مع أنى كنت مستطيعاً أن أفعل ، لأن يوسف هَلْ بلا شكٍّ لا يُحْسِنُ يقرأ العربية ، هذا على الأقلّ .

ومع ذلك أيضاً فأنا سأفتح الآن نسخة « فرانز روزنتال » الأعجمى المسكين ، لأضرب لك مثلاً على ما أدع للقارىء تسميته ، وآخذ منها نصاً ، وما يقابلُه فى نسخة حسام الدين القدسى . فى نسخة حسام رحمه الله ما يأتى : [ص : ٨ ، ٩] :

« ولمّا خطّأ المِزّىُّ نقلَ الحافظ عبد الغنى فى الكمال : أن جابر بن نوح الحِمّانى مات سنة ثلاث ومئتين وقال : بل ثلاث وثمانين ومئة ، ردَّهُ شيخُنا وقال : إنه من أعجب ما وقع للمزى فى كتابه من الخطأ ، وأيّدهُ بقول

الزهرىّ وأحمد بن حنبل أحد من روى عن الحمانى أنّه لم يرحل إلا بعد سنة ست وثمانين . وكذلك من الرواة عنه أحمد بن بُدَيْل القاضى ومحمد بن طَرِيف البَجَلِىّ ، وهما لم يسمعا إلا بعد التسعين . وبهذا كلّه يترجح قول صاحب الكمال » .

ثم هذا هو نفس النص فى نسخة فرانز روزنتال (علم التاريخ عند المسلمين (ص : ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، النسخة المترجمة) ، وسأضعها كما هى منشورة فى هذا الكتاب ، بأرقام تعليقاتها :

« ولما خطّأ المزى نقل الحافظ عبد الغنى فى « الكمال » أن جابر بن نوح الحمّانىّ مات سنة ثلاث ومئتين (٨١٨ — ٩ م) [٢٠] وقال بل سنة ثلاث وثمانين (٧٩٩ — ٨٠٠ م) ردّه شيخنا وقال : إنه من أعجب ماوقع للمزىّ فى كتابه من الخطأ ، وأيده بقول الزهرىّ . [٢١]

« عن أحمد بن حنبل[٢٢] أحد من روى عن الحمانى أنه لم يرحل إلا بعد سنة ست وثمانين (٨٠٢ م) ، وكذلك من الرواة عند أحمد بن بُدَيل القاضى [٢٣] ومحمد بن طريف البجلى [٢٤] وهما لم يسمعا إلا بعد التسعين . وبهذا كله يترجح قول صاحب الكمال » . انتهى .

فلننظر ماذا فعل هذا الأعجمى صاحب « المنهج العلمى » و« علم التحقيق » اللذين تلوكهما ألسنة المسبّحين باسم الاستشراق . فى التعليق : (٢٠) ترجم لعبد الغنى ، وذكر كلامًا لا أدرى أهو منه أو من سوء الترجمة (٨) أسطر . وفى التعليق (٢١) قال : « هذا نصٌّ مخطوطة ليدن ، ولاَ أعلم أى زهرى مقصود هنا ! ولعل الاسم غير صحيح . ثم فى التعليق (٢٢) أحمد بن محمد بن

حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـ/٧٨٠ – ٨٥٥ م) (انظر بروكلمان ج ١ص ١٨١ – ٣).
ومن الطبيعى أنه كان بإمكان ابن حنبل الدراسة مع جابر فى بغداد فى زمن مبكر، كما يقال إنه تتلمذ على إبراهيم بن سعد الزهرى الذى توفى سنة ١٨٣ – ١٨٥هـ (انظر تاريخ بغداد ٦ ص ٦٨ – ٩) » . انتهى ، وهذا بالطبع كلامٌ فارغ لامعنى له وهوأقربُ إلى التهويش بالألفاظ . ثم قال فى رقم (٢٣) :
« توفّى سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ – ٢ م (ابن حجر التهذيب ج ١ ص ١٧ فيما بعد)
ثم قال فى التعليق (٢٥) مانصه : « كلّ هـذه الانتقادات موجودة معا فى هامشِ كتبهُ ناسخ مخطوطة القاهرة للمزى (ص ٢٠٧ هامش ٤) الذى عاش فى دمشق سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤١ م » . عظيم والله !

وليعذِرنى القارىء فى إثباتى هذه الركاكة بقلمى فى هذه الصفحات ، فإنى أردت أن أثبت صورة التعليقات المستشرقة علينا (أى المتعالية علينا بالاستشراف ، وبالمنهج العلمى ، وبعلم التحقيق) . وينبغى أن أقول : إنى راجعتُ مطبوعة حسام القدسى ، على مطبوعة الأعجمى روزنتال ، فإذا النصّ واحد ومتطابق ، ومطابق للمخطوطة فى بياضاتها وحذوفها ، وأن طبعة حسام القدسىّ تفضُل طبعة روزنتال بشيئين: أولًا ، أنها خاليةٌ من التبجح بالتعليقات الكثيرة التى لامعنى لها فى أكثر الأحيان = الثانى أن القدسىّ أشدُّ أمانة وصدقًا وتواضعًا من هذه « الاستشراقية » العجماء . وبيان ذلك :

= أنّ القدسىّ ترك النصّ على حاله ، فهمه أو لم يفهمه = أما روزنتال ، فإنّه قسم النص قسمين : بدأ القسم الأول بقوله : « ولما خطأ المزىّ . . . » ثم وقف عند قوله « الزهرىّ » . ثم بدأ سطراً جديدًا بدأه بقوله : « عن

أحمد بن حنبل . . . » ، كأن الـكلام الذى بعده كلام أحمد ! ! (عجائب ، ولـكن لمن يستطيع أن يتعجّب غير مطأطىء النفس لسادته) ، وهذا يدلّ على أنه لم يفهم النصّ البتة . ولـكنه لم يقتصر على هذا ، بل غير النصّ تغييرًا مفسدًا له كُلّ الإفساد ، لأن نص الـكلام ، كما هو فى نسخة القدسى هكذا متتابعاً :
« وأيده بقول الزهرى ، وأحمد بن حنبل ، أحد من روى عن الحمانى أنه لم يرحل إلا بعد سنة ست وثمانين » نغير « وأحمد بن حنبل » إلى « عن أحمد ابن حنبل . . . » دون أن يشير إلى هذا الاجتهاد الاستشراقى (أى المتعالى المتغطرس) . والذى عند القدسى هو نصُّ المخطوطة ، ولـكن صوابه سهلٌ جدًّا ، وهو حذف الواو من « وأحمد . . . » وحذف « أنه » فيـكون السياق هـكذا :

« وأيده بقول الزهرى : أحمد بن حنبل أحدُ من روى عن الحمانى ، ولم يرحل (يعنى أحمد) إلا بعد سنة ست وثمانين . . . »

ومع ذلك فلا يزال فى هذا النص خطأ آخر . ولو كان شيخ المؤرخين المستشرقين هذا يعرف قليلاً من أمر صاحب الـكتاب ، وهو السخاوىّ ، لانتبه إلى قوله : « ردّه شيخُنا » ، وكان التعليق على هذه الـكلمة أولى من التـكثُّر الفارغ الذى كتبه فى الهوامش . فقول السخاوى « شيخنا » معروف عند كُلّ من قرأ كتاباً للسخاوىّ ، أنه يعنى « الحافظ ابن حجر » . وإذا عرف ذلك ، كان أوّل مايخطر بالبال أن يعرفَ أين قال ابن حجر هذا القول ؟ أليس كذلك ؟ ومعروف أيضاً لعامة المشتغلين بعلم العرب = سوى المستشرقين المساكين = أنّ ابن حجر هذّب « تهذيب الـكمال » .

و « الكمال » هو كتاب عبد الغنى الحافظ ، و « تهذيب الكمال » هو كتاب المزى ، وكلاهما مذكورٌ فى النص ، وابن حجر لذلك سمى كتابه « تهذيب التهذيب » . فلو كان « المنهج العلمىّ » أو « علم التحقيق » ينفعان أحدًا ، لنفعه هنا ، أى لنفع روزنتال ! ولكنه لم ينفعه ، لأن هؤلاء المستشرقين الضعفاء « صاصأوا قبل أن يفقحوا » (وقد مضى تفسير ذلك) ، وما تنطوى عليه أهواؤهم التى دفعتهم لاتخاذ « الاستشراق » سِرْبالاً مزركشًا ، تحجُبُ أعينهم عن أوائل المعرفة .

لو عرف هذا الأعجمى أن « شيخنا » فى قول السخاوى ، مُرَادٌ به ابن حجر ، لوضع يده من فوره على تهذيب التهذيب ، ولوجد النص قائمًا ينادى فى ترجمة « جابر بن نوح الحمانى » . ولا أقول إن هذا الأعجمى لايعرف كتاب ابن حجر « تهذيب التهذيب » ، فهو بلا شك يعرفه ، لأنه رجع إليه ، أو هكذا أوهمنا ، فى التعليق السالف برقم : (٢٣) ، مذكورًا بوضوح كافٍ . ولكن العلة فى الحقيقة ، هى أن الأهواء الكامنة المتسترة تحت « التعالم » تارة ، وتحت « التظاهر بالإنصاف » تارة أخرى ، هى من « الحِدَّة » والشراسة ، بحيث تجعل « العقل المستشرق » يمشى فى كُتُب لغة العرب ، بصفة أبى النجم التى وصف بها نفسه عندما يخرجُ من بيت صديقه « زيادٍ » ثملاً يترنّح :

أَخْرُجُ من عندِ زِيادٍ كالخَرِفْ تَخُطُّ رِجْلاَىَ بخطٍّ مُخْتَلِفْ
كأنما تُكَتِّبانِ لامَ أَلِفْ

وهذا هو النص من تهذيب التهذيب لابن حجر ، وفيه التصويب الذى حيَّر الأعجمى فى لفظ « الزهرى » فى التعليق رقم (٢١) آنفاً .

« قال محمد بن عبد الله الحضرمى : مات [يعنى جابر بن نوح] سنة (٨٣) يعنى ومئة . وكان فيه ، يعنى الكمال ، سنة (٢٠٣) ، وهو خطأ . وأول الكلام منقول من لفظ المزى فى « تهذيب الكمال » قلت (يقول هذا الحافظ ابن حجر ، يعنى نفسه) : بل هو الصوابُ ، كذلك هو فى تاريخ الحضرمىّ ، فإنه قال : « وفى جمادى الأولى سنة (٢٠٣) ، يحيى بن آدم ، والوليد بن قاسم ، وأبو أحمد الزبيرى (يعنى أنهم ماتوا فى هذا الشهر) ، وفى جمادى الآخرة مات أبو داود الحَفْرىّ = إلى أن قال : وجابر بن نوح الحمانى » . وهذا الموضع من أعجب ما وقع للمزّى فى هذا الكتاب من الوهم (يعنى فى تهذيب الكمال) ، فجلّ من لا يَسْهُو . وقرأت بخطّ الذّهبىّ : لم يرحل أحمد بن حنبل إلا بَعْد سنة (٨٦) ، وأحمد بن بُدَيل ومحمد بن طريف ، لم يسمعا إلاّ بعد التسعين ، وبهذا كُلّه يترجح قول صاحب الكمال ، والله أعلم بالصواب » . والحمد لله رب العالمين ، ونسأل الله العافية ، ولكن آنظر التعليق الأغتم على مسألة « الحضرمى » فى كتاب الأعجمى السليط اللسان ! !

وهذا البلاء كُلّه كان فى صفحتين متقابلتين ، مُلِئتا بهذه الغطرسة المتعالمة ، التى كان يكفى فى تصحيحها وردّها إلى الصواب ، سطران لا أكثر . ولكن أنّى للاستشراق أن يترك التعالم والتبجُّح والغطرسة ، وعلى البَيْعَة ، (المنهج العلمى) و (علم التحقيق) . ولكى يكون الأمر أشدّ وضوحًا ، قلبتُ الآن صفحة أخرى ، فوقعت فى يدى ص : ٧٢٤ من كتاب « علم التاريخ عند

المسلمين » ، ذكر فيها السخاوى أبيات شعر ، فيها إشارة إلى قول عمرو بن معديكرب :

« عَذِيرَكَ من خليلك من مُرَادِ »

فعلق على هذا الشطر ، دون أن يشير إلى البيت كاملاً ، وهل هذا صدره ، أو عجزه ، فقال مستشرقًا (منصوبًا على الحال) فى التعليق :

« هذا شطر مشهور من قصيدة لعمرو بن معديكرب الذى عاش فى القرن السابع الميلادى ... » ، وأفاده الله كما أفادنا بهذا التاريخ ، ثم ظلّ «يستشرق» حتى كتب تسعة عشر (١٩) سطرًا فى تخريج هذا البيت من الكتب ! ! ! ولو كان السخاوى يعلم أنّ هذا الفعلَ سيُفْعَلُ بهذا الشطر ، لا أقول : لحذف هذا الشطر ، بل أقول : لَمَا ألَّف الكتاب ضربةً واحدة ، والله المغْنى عن هذه الغثاثة الجالبة للغَثَيان .

وعَسَى أن تقول أيضًا أنى كنت « حادًّا » مع البائس المسكين روزنتال ، مستهينًا به لدرجة أنى وصفته بالبائس المسكين . والقسم الثانى من هذا الكلام صحيح كلّ الصحة ، أما مسألة « حادًّا » ، فليس الأمر كذلك ، بل كنت « صريحًا مستقيمًا » ، لا ألتمس بُنَيَّات الطريق أروغ فيها بالتعريض والهمز واللمز والغمز وترميز الحواجب ، وبالطبع هذا خُلق أولئك لا خُلقى ولا خُلُق أمّتِى إن شاء الله . وهذا البائس المسكين ، لو أنت قرأت كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » لرأيته مسجورًا ضغنًا وخُبْثًا وجَهْلاً أيضًا ، وسائر ما وصفت هنا وفى غير هذا الموضع من أخلاق « الاستشراق » . وأنا أمنحهم ما عندى لهم واضحًا أمّا هم ، فإنهم :

يَرْمُلُون جَنِينَ الضِّغْنِ بينهم ، والضِّغْنُ أسْودُ أو فى وَجْهه كَلَفُ
إذا لَقِيناهُم نَمَّتْ عُيُونُهم ، والعَيْنُ تُخْبِرُ ما فى القلْب ، أو تَصِفُ

وكَفَى ! فإنى لا أبتدى ، ولكنّى أعْتدِى ، ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُوا اللهَ وَٱعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِين ﴾ .

* * *

« طبقات فحول الشعراء »

أظنُّ أنّى الآن قد فرغت من أهمّ ما فى مقالة « المورد » التى كتبها بخطه ، الدكتور على جواد الطاهر فى سنة ١٩٦٤ ، وأعاد نشرها سنة ١٩٨٠ ، بعد أن صدرت الطبعة الثانية من « طبقات فحول الشعراء » فى سنة ١٩٧٤ . وأيضًا بعد أن اطلع هو على هذه الطبعة الثانية ، والأمر لله أوّلاً وأخيرًا . وأنا لم أتعرّض لشىءٍ فى مقالة « المورد » ، إلاّ لما يخصُّ كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلاّمٍ ، ومن وجهٍ واحد ليسَ غيرُ . أما سائر ما فى المقالة ، فإنى بحمد الله لم أنصبْ نفسى مصحِّحًا لأخطاء الكُتّاب ، ولا مقوِّمًا لأساليبهم .

ولكن بقى من أمرِ كتاب الطبقات شىءٌ واحدٌ ، هو أمر تسمية الكتاب . و « تسميةُ الكتاب » هى النَّقْب الذى نَقَبَهُ صديقنا وأستاذنا السيد أحمد صقر (والنقبُ : الثقب فى الحائط) فتدسَّس مِنْه كُلُّ من أرادَ أن

يقول فى كتاب الطبقات قولًا يُذْكر به فى الناسِ ، مُتَبحْبِحاً فى فضاءٍ واسع .

قَدْ رَحَل الصَّيَّادُ عَنْكِ فابْشِرِى

ورُفِعَ الفخُّ فماذا تَحْذَرِى

خَلا لك الجوُّ فبيضى واصْفِرِى

ثم بدأت اللجاجَةُ العزيزَة الوَقْع ، ثم لم يزلْ دَوِيُّها يزدادُ فى أقلام الكتاب حتى انتهى إلى الدكتور مصطفى مندور ، والدكتور منير سلطان ، ثم الدكتور على جواد الطاهر ، فهو الذى جَمَع كُلَّ ما قاله من سبقه وزيَّن به مقاله ، ثم نقل أسطرًا من مقدمة الطبعة الأولى من الطبقات (الأولى من ص : ٣٤ - ٣٥) ، وهى فقرة حذفت من الطبعة الثانية كما سترى . ونعم ، كان الدكتور على جواد أميناً كلَّ الأمانة فيما نقل من مقدِّمتى ، وإن كان يعيبهُ سوء الاختصار أحياناً كثيرة . ولما فرغَ من اختصار ما نقله عن مقدمة الطبعة الأولى فى شأن الأسباب التى دعتنى لإثبات تسْمية الكتاب « طبقات فحول الشعراء » دون المشهور وهو « طبقات الشعراء » (سأعود إلى هذا الاختصار فيما بعد) قال :

« هذه أدلَّة الأستاذ المحقِّق ، وقد تبدو منطقيَّةً فى ظاهرها ، لأن كتاب طبقات الشعراء هو فى الحقيقة - وللأسباب التى ذكرها المحقق - كتاب طبقات فحول الشعراء . ولكن المسألة ليست مسألة منطقية ، وإن المنطق شىء والاسم الذى سمّى المؤلّف به كتابه وتداولته عليه العصور شىء آخر .

وليس لمحقّق ـ كائنًا من كان ـ أن يحكِّم منطقه فى اسم الكتاب الذى يُوكل إليه » .

وهذه أيضًا مزيّة أخرى للدكتور على جواد ، مزيّة الإنصاف ، مع مزية الأمانة ، وأرجو أن تكونا طبيعة فى نفسه ، ولكن الذى يزعجنى حتى لا أستقرّ على رأى هو ما كتبه هنا وفى غير هذا الموضع . فمن إنصافه اعترافه بأن كتاب طبقات الشعراء : « هو فى طبقات فحول الشعراء » ، وأنا أوافقه كلَّ الموافقة على أن المسألة ليست مسألة منطقيّة بلا ريب فى ذلك . ولكن هل من المستحسن أن يختم هذه الأمانة وهذا الإنصاف بقوله ، وبهذه « الحدة » ، ولا أقولُ بهذه الغضبة : « وليس لمحقق ، كائنًا من كان ، أن يحكّم منطقه فى اسم الكتاب الذى يُوكَلُ إليه » .

ليس صحيحًا أن أحدًا « وَكل إلىّ » تحقيق كتاب «طبقات فحول الشعراء». وأنا لا أرضى هذا لنفسى ، ولا أرضاه لأحد من أهل العلم . فلاحضرته «وكَلَ إلىّ » تحقيق الكتاب ، ولا دارُ المعارف ولا أىّ هيئة علمية أو دولة أيضًا « تَكلُ إلىَّ » تحقيق هذا الكتاب أو غيره ، بل العكسُ هو الصحيح ، هو أنّ أهل العلم هم الذين يكلون إلى دار المعارف وإلى غير دار المعارف ، طَبْعَ ما كتبوه أو حقّقوه ، والكلمات حافلةٌ بالغمز واللمز والتعريض ، والدليل على ذلك فى (ص ٣٩) من المورد إذ ختم كلامه بقوله : « أجلْ ، إن اسم كتاب محمد بن سلام هو « طبقات الشعراء » ، وليس « طبقات فحول الشعراء ، ولا بُدّ من أن يعود الأستاذ شاكر ، وتعود دار المعارف التى تولت نشر الكتاب ، إلى الاسم الأول عند الطبعة الثانية ، رجوعًا إلى الحق ،

ودفعاً للبلبلة » ، وهذه الإشارة إلى « دار المعارف » واضحة بيّنة ، لأنّها ، كما يظنّ الأستاذ ، تأجُرُنى على طبع الكتاب ، وأن من حقها أن تتحكّم بهذا الأجر ، فى عملى فى الكتاب الذى وكلتْ إلىّ تحقيقه ! ياسيدى ! أنا لا أعملُ عملى لهذه الدار أو لغيرها . .

ولم أبتذلْ فى خدمة العلم مُهْجَتى
لأخْدُمَ من لاقيتُ ، لكن لأُخْدَما

أأشْقَى به غَرْساً ، وأجنيه حنظلاً إذاً ، فاتّباعُ الجهل قد كان أحزَمَا

ولو أنّ أهلَ العلمِ صانُوه صانَهُم ، ولو عَظّمُوه فى النفُوسِ لعَظُمَا

ولكنْ أهانوهُ فهانُوا ، وَدَنّسوا مُحَيّاه بالأطماعِ حتى تجهّمَا

ولكن ، وهذه هى الحقيقة : أهانوه ، فهانُوا !! وأنا لم أرْضَ لنفسى قطُّ الهوان ! ولو رضيَهُ الدكتور على لنفسه ، لم أرضهُ أنا له . ليس هذا كلاماً حسناً ، بل هو خارجُ حدود الموضوع الذى يكتب فيه . ورحم الله القاضى الفاضل على بن عبد العزيز الجرجانى ، صاحبَ هذا الشعر .

ومع أن الدكتور على جواد ، قد أبدى فيما سلف أمانة وإنصافاً ، فإنه لم يَتِمّ على هذه الأمانة ولا هذا الإنصاف . وذلك أنه عندما فرغَ من اختصار الأسباب التى دعتنى إلى إثبات عنوان الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، جاء إلى الفقرة الأخيرة فمزّقها شرّ مُمَزّق ، فإنه عندما جاء إلى السبب الأخير فَعَل فيه فعلاً شائناً ، إذ نقل من الطبعة الأولى ما نصّه :

« وآخرُها ، (أى آخر الأسباب) أنى رأيتُ على نسختى التى نقلتُها بيدى هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » فلستُ أدرى بعد هذا الزمن

الطويل (ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٥١) أكانت الكلمة فى الأم العتيقة ، ثم نقلتُها كما هى ، أم ترانى كتبتُها من عندى ؟ وأنا أرجّح الأوّل ، لأنى كنت صغيراً يومئذ ، لم أتجاوز السابعة عشرة من عُمْرى » .

فحذفَ الأستاذ تمام الكلام متعمِّداً ، كما فعل فيما مضى ، وتمام الكلام هو :

« ولأنى كُنْتُ يومئذٍ فى أوّل الطلب ، وأجْهَلَ من أن أنظُرَ نظرًا صحيحاً فى مثل هذا الأمر الدقيق المحتاج إلى التمييز والبصر » .

وبالطبع ، فإن هذه الكلمات تدلُّ على شىءٍ أو على معنًى ، متصل بما قبلها وبما بعدها ، وإلا كانت فضولاً محضاً ، يستحقُّ أن يحذفُه الدكتور على جواد ، الذى أبدى الاتّصاف بالأمانة والإنصاف فيما سلف . وبعد هذا الحذف المخلّ ، أفاض بعض الإفاضة فيما ظنّ أنه يعين قارىء كلامه على التحوّل معه إلى الوجه الذى قصده ، ثم أنشأ يقول ، (بعد تصحيح الخطأ فى مجلة المورد) :

« أجل ، وكلّ ما فى الأمر أن مؤلّفاً اسمه محمد بن سلام ، سمى كتابه « طبقات الشعراء » رضينا أم أبينا ؛ وإذا لم نرضَ فكُلُّ ما علينا أن نبيّن وجهة نظرنا ، وليس من حقّنا أن نُغيّر فيه ، فنجعله «طبقات فحول الشعراء» ، أو أى شىء آخر مما يتبادرُ إلى الذهن اليومَ أو غداً ، فيقول القائل منا : « لم أتردّد فى جعل اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فإن كان هو الاسم القديم الذى تسمّى به ابن سلام كتابه فذاكَ ، وإلاّ فإنّى أراه بعد ذلك كلّه أولى بأن يكون اسماً للكتاب ، دون الاسم الذى عُرِف به ، وأستغفر

الله إن كنت قد أسأتُ » . وهذا الكلام الأخير الذى قال فيه « فيقول القائل منا » ، هو نصُّ كلامى التابع لبقية الأسباب الداعية إلى إثبات عنوان الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، بعد أن حذف أوّل الكلام ، كأنه قولٌ جاء ابتداءً منى . وهذا عملٌ سيّء غير حسن ، فإن أول الكلام هو : « فمن أجل ذلك ، لم أتردّد فى جعل اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » .... » يُوهم به أنى فعلاً « غيرتُ اسم الكتاب » ، وهذا ليس بصحيح كما سترى ، وأنى أردتُ هذا التغيير للأسباب التى نقلها هو آنفًا فى مقاله .

ثم أنشأ يقول بعد هذا الفعل السىء مباشرة ، معلقًا على نفسه ، أى على عمله ، لا علىّ إن شاء الله :

« وأقلُّ ماتدلُّ عليه هذه الأسطر أن المحقق خرجَ عن دائرة عمله ، وأنه غير مطمئن إلى فعله ... » .

وبالطبع ، أنا لاأحب أن أكون ممن يحاسبُ الناس بألفاظهم التى تجرى على أسنة أقلامهم ، ولكنّى أجد لبعضها ، مثل « دائرة عمله » وقعًا كثيبًا نيئًا (أى غير مطبوخ كاللحم الذى لم يطبخ) فِجًّا (والفجُّ من كل شىء ، ما لم ينضَجْ ، كثمر الفاكهة ، يكون صلبًا غير نضيج) ، ولكن ما الحيلة ؟ والأمر كله قد صار كذلك ...

وَلَا تُنْبِتُ الْمَرْعَى سِبَاخُ عُرَاعِرٍ
وَلَوْ نُسِّكَتْ بِالْمَاءِ سَبْعَةَ أَشْهُرِ

(و « السِّباخ » ، جمع سَبَخة ، وهى الأرض ذات الملح والنزّ ، ولا تكاد

تنبت إلا بعض الشجر و « عُراعِر » اسم ماءةٍ مِلْحة مُرّة ، وأرضها سَبَخة . و « نُسِكَتْ » غُسِلَتْ وطُهِّرت ليزول ملحها) .

* * *

وإذن ، فلا معنى للإطالة ، بعد هذا التوضيح ، وسأكشف القضية على وَجْهِها ، وإن كنت أتعجّبُ كل التعجُّب ، من كلٍّ من دخَل من النقب الذى ثَقبه صديقنا السيد أحمد صقر ، وتبجبج فى الفضاء الواسع ، ولكنه لم يزد على معنى ما قاله الأستاذ السيد أحمد صقر ثُفْروقاً . (و « الثُّفْرُوق » ، هو ما يلزق به القِمَع من التمرة . يقول الشاعر : « قُرَادٌ كثُفْروقِ النواةِ ضئيل ») ؛ أتعجّب ، لأنّ جميعهم أطبقوا على أن يقولوا إنى « غيَّرت اسم الكتاب » ، الذى قاله ، صديقنا السيد صقر : « كما كنت أوثر أن لا يُغَيِّر اسم الكتاب الذى عرف به فى أكثر الكتب والتراجم » [مجلة الكتاب : المجلد : ١٢ ، ص : ٣٨١] . ولم أرد يومئذٍ ، حين رددت عليه أن أشقّ على أخى السيد صقر ، فقلت له فقط : « ولمّا أسرف ابن أخى فى الثناء والبيان ، كانت العاقبة أن فرّط فى الإبانة عن حجتى فى تسمية الكتاب : طبقات فحول الشعراء ، لا « طبقات الشعراء » .. » (مجلة الكتاب ، المجلد : ١٢ ، ص : ٥١٣) .

وإذا كان أخى السيد صقر ، قد زلّ زلّةً لا تغتفَرُ لمثله فى الفضل والعلم والمعرفة ، فليس معنى هذا أن كُلَّ مُدَّعٍ يَدَّعِى أنه يدرس « كتاب الطبقات » لابن سلام ، ينبغى أن يتابعَهُ متابعةَ دُرَيد بن الصمّة لعشيرته « غَزِيّة » :

وَهَلْ أنَا إلاّ مِنْ غَزِيّة ؟ إن غَوَتْ غَوَيْتُ ، وإنْ تَرْشُدْ غَزِيّةُ أرْشُدِ

وهذا الزلل هو أنه استعملَ لفظًا لم أقله ولم أستعمله ، وهو أنى « غيّرت » اسم الكتاب . ومعلومٌ أنى أكتب بلسان العرب من سَلَفِى ، ولا أكتب بلسان المسكين يوسف هل ، أو المسكين فرانز روزنتال ، وأنى لو كنت « غيرت اسم كتاب الطبقات » لقلت ذلك بالعربية « غيّرتُ » ، ولكنى فى مقدمة الطبعة الأولى ، وفى مقدمة الطبعة الثانية ، التزمت بالتعبير الصحيح عن صفة فعلى هذا فى وضع اسم « كتاب طبقات فحول الشعراء » ، مكانَ « كتاب طبقات الشعراء » . وحضرات النقّاد الأفاضل ، لابُدّ أن يكونوا يعرفون العربية ، فيما أظن ، ففى مقدمة الطبعة الأولى (ص : ٣٤) قلت : « وذكر فى أكثر كتب التراجم باسم « طبقات الشعراء » فعدلتُ عنه إلى اسم « طبقات فحول الشعراء » ، لأسباب » ، وذكرت تلك الأسباب الأربعة ، ثم ختمت كلامى (ص : ٣٥) بقولى : « فمن أجل ذلك ، لم أتردّد فى جَعْل اسم الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فقلت : « فى جَعْل » ولم أقل « فى تغيير » ، وبين المعنيين مسيرة شهر للرّاكب المُغِذّ .

وفى مقدمة الطبعة الثانية من ص : ٢١ إلى ص : ٢٧ ، لم أذكر إلاّ لفظ « عُدُولى عن تسمية الكتاب : طبقات الشعراء » ولم أذكر قطُّ لفظ « غيّرتُ » ، لأنى لو قلتُ ذلك فى المكانين ، لكان كلامًا يلعنُ أوّله آخرُه ، ثم لصرتُ عندئذ من طائفة المستشرقين المساكين ، أمشى ورجلاى « تسكتّبان فى الطّريق لامَ آلِفْ » ، وقد مضى الرجز . وفى هذا الموطِن ، على نعته الذى سوف أنعته ، فرقٌ كبير جدًّا بين « غيرت اسم الكتاب »

وبين « عدلتُ عن هذا الاسم إلى ذاك » أو « جعلتُ اسم الكتاب : طبقات فحول الشعراء » .

وسأنعتُ القضيّة نعتا صحيحًا ، كما جاء فى مقدمة الطبعة الأولى ، ومقدمة الطبعة الثانية .

* * *

لما شرعتُ فى إعداد كتاب « طبقات فحول الشعراء » للطبع فى سنة ١٩٥١ ، لم يكن تحت يدى ، لامخطوطة المدينة « م » التى طلبتُ من الجامعة العربية (قسم المخطوطات) تصويرها — ولا كانت تحت يدى « مخطوطتى » التى ذهبت إلى حيث لا أدرى . وكُلّ ما كان تحت يدى هو طبعة يوسف هل ، وطبعة عجان الحديد ، بعد مراجعتهما على المخطوطتين الموجودتين بدار الكتب المصرية ، كتبت إحداهما سنة ١٣٠٣ من الهجرة نقلاً عن مخطوطة المدينة « م » ، والأخرى منقولة عنها (أى عن هذه المخطوطة) ، وكتبت سنة ١٣١٠ هـ . ثم كان عندى ما نقلته بخط يدى من « مخطوطتى » ، وهو نحو النصف منها ، وعلى هـذا النصف مكتوبٌ بخطٍّ يدى نقلاً عن مخطوطتى التى آلت أخيرا إلى مكتبة تشستربتى ، هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » ، وتم نقلى هذا فى سنة ١٩٢٥ ، وأنا فى حدود السابعة عشرة من عمرى ، وأنا فى إبّان طلب علم العربية . هل هذا واضح ؟ أظنّه عربيّة واضحة إن شاء الله .

وفى خلال عملى فى كتاب الطبقات لابن سلاّم ، سنة ١٩٥١ كانت لا تزالُ تحيّرنى هذه الكلمات التى كتبتُها على نسختى المنقولة من المخطوطة

مكتوبة بيدى في سنة ١٩٢٥ ، وهذه الكلمات هى عنوان الكتاب : « طبقات فحول الشعراء » ، من أين جاءت ؟ وكيف كتبتها ؟ المخطوطة التى نقلت عنها ليست تحت يدى ، بل هى فى طوايا الغيب ، وأنا لا أعرف عن كتاب ابن سلام إلا كلّ مايعرفه الخلقُ من الناس ، وهو « طبقات الشعراء » لاغير . (وكان هذا العنوان مكتوبًا بالقلم الرصاص ، فلما ثارت المشكلة أعدْت على الكلمات بالحبر ، مخافة أن يمحوها الزمن ، ولا سيما أنّ خطّى دقيق صغير) . ولم تفارقنى الحيرةُ طول عملى فى إعداد كتاب الطبقات للنشر .

ومن البديهىّ ، إن شاء الله ، أن هذا العنوان الذى كتبته صغيرا ، وهو « طبقات فحول الشعراء » جزء لايتجزأ من النصف الذى كتبته بخطّى من كلام ابن سلام فى الطبقات ، منذ فاتحته إلى أن كففت عن النقل . وإذا أنا شككتُ فى هذا العنوان ولم أظهرهُ للناس ، فقد كتمتُ جزءا من الكتاب الذى بين يدىّ . وإذا أنا أغفلتُه ونشرت ما عندى من نص « مخطوطتى » ، وكتبت مكانه « طبقات الشعراء » فقد خنتُ الأمانة ، كخيانتى لو أنا أغفلتُ شيئًا من نصّ كلام ابن سلام فى كتاب الطبقات المخطوط الذى عندى . وهذا أيضًا واضحٌ فيما أظنّ .

غاظتنى كلمة « فُحول » التى وقعت فى العنوان ، فهى غير مألوفةٍ فيما أعرف ، ولم أجد نصًّا على تسمية الكتاب إلا : « كتاب الطبقات » لابن سلام ، أو « كتاب طبقات الشعراء » لابن سلام . ومع ذلك فالأمانة تقتضينى أن أنشر النص الذى عندى ، وهو نصف الكتاب ، كما هو

عندى ، كاملاً كما كتبته فى سنة ١٩٢٥ ، بما فى ذلك عنوان الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، كما هو عندى أيضاً ، وإن كنت لا أعرف له اسمًا إلا مايعرفه الناس جميعاً ، بما فيهم الأساتذة الذين أنكروا على ما أنكروا فيما بعد . ولما عزمتُ على أداء الأمانة كما هى ، رأيتُ أن أمهِّد لذلك بما لاحظته أو وجدته ، وأنا أعمل فى كتاب الطبقات ، لكى يظهر للناس والأدباء والعلماء سبب عُدولى عن الاسم المشهور « طبقات الشعراء » إلى الاسم الذى ابتلانى الله به فوجدته مكتوبًا على النسخة التى نقلتها عن « مخطوطتى » التى غابت عنِّى ، وهو « طبقات فحول الشعراء » . وهذا واضحٌ أيضًا فيما أظنُّ . وبينت سبب عدولى الى ما ائْتُمِنْتُ على أدائه ، وذكرتُ ثلاثة أسباب أقدِّم بها للسبب الرابع ، وهو هذا المكتوب على نسختى ، والذى لابُدَّ أن أنشره كما وجدته ، فقلت فى أسباب العدول (باختصار ، من الأولى ص : ٣٤ ، ٣٥) :

الأول : أن اسم « طبقات الشعراء » لايطابق موضوع كتاب ابن سلام تمام المطابقة ، لأنه لم يستوف فيه ذكر قدر وافٍ من شعراء العربية ، بل ذكر منهم (١١٤) شاعرًا لاغير ، والذى أغفله من ذكر كبار شعراء العربية أضعاف أضعاف ما ذكر = بيد أنَّ هذا السبب كان غير كاف فى إخراجى من حيرتى فى شأن ماوجدته مكتوبًا على نسختى التى كتبتها بيدى: « طبقات فحول الشعراء » . ثم انتبهتُ أيضًا إلى شىء آخر موجود فى النص الذى طبعه يوسف هل وعجان الحديد عن نسختى دار الكتب ، ولكنه كلامٌ عامىٌّ فاسدٌ ، كتبه كاتب جاهل غيَّر الأصل بجهله ، وقد ذكرته

فى مقدمة الطبعة الأولى (ص : ١٩ ، ٢٠) وسيأتى مقابله فى السبب الثانى بعدُ .

الثانى : أنى رأيت ابن سلام نفسه قد أوجدَنا اللفظ المطابق لمعنى ما أراد فى كتابه (أعنى لفظ الفحول ، الذى حيَّرنى وجوده بخط يدى) ، إذ قال : « ففصَّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام ، والمخضرمين الذين أدركوا الإسلام ، فنزلناهُمْ منازلهم . . . . فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعرُه منهم إلى نظرائه ، فوجدناهم عشر طبقات ، أربعةُ رهط كلُّ طبقة ، متكافئين معتدلين .. » [الطبعة الثانية : ٢٣ ، ٢٤]

فرأيت ابن سلام قد أوقفنى على لفظ « الفحول » من المشهورين . وهذا قاطع على أن كتابه يتضمّن ذكر « الفحول » من الشعراء لا غير . وهذا يقوى السبب الأول ، ولكنّى لم أجد هذا السبب الثانى مع السبب الأوّل ، كافيين فى إخراجى من حيرتى خروجاً سهلا . وظللت ألتمسُ باباً آخر ، حتى وقفت على ما يأتى :

الثالث : أنى رأيت أبا الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى ، فى ترجمة سُوَيْد بن كُرَاع قال ما يأتى : « ذكر محمد بن سلام فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه : كان سويد بن كراعٍ شاعراً محكماً . . . » ، [الأغانى ١٢ : ٣٤٠ / دار الكتب] ، فأوقفنى على اسم « كتاب الطبقات » ، دون أن يقول « طبقات الشعراء » . ثم جاء فى ترجمة المخبَّل السعدىّ ، فذكر شيئا آخر إذ قال : « وذكر ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » [الأغانى ١٢ : ١٨٩ الدار] ، وهذا بطبيعة الحال يقابل ما سلف « كتاب

الطبقات » = ثم رأيته عاد يقول فى ترجمة عبيد بن الأبرص : « هو عبيد بن الأبرص . . . شاعرٌ فحلٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرَفة ، وعَلْقمة بن عَبَدَة ، وعدىّ ابن زيد » (٢٢ : ٨١ / الهيئة) ، فأوجدنا اللفظ مرة أخرى مقابل « كتاب الطبقات » .

« وهذان نصَّان واضحَا الدلالة على أن « كتاب الطبقات » ، الذى ذكره أبو الفرج مُبْهَمًا فى النص الأوَّل ، هو فى شأن «فحول الشعراء» خاصة . وإذا لم يكن هذا الأمر واضحًا عند أبى الفرج من تسمية الكتاب كما رواه عن أبى خليفة ، ومن موضوع الكتاب كما ذكره ابن سلام فى مقدمة كتابه ، لم يكن لإصراره على ذكر لفظ « فحول » فى الموضعين معنى يستفاد » (هكذا قلت فى مقدمة الطبعة الثانية ص : ٢٦ أيضًا) .

ومع ذلك ، فهذه الأسباب الثلاثة بمفردها لا تصنَعُ شيئًا ، لأن المسألة ، كما قال الدكتور على جواد الطاهر « ليست مسألة منطقية ، والمنطق شىء ، والاسم الذى سمّى به المؤلف كتابه ، شىء آخر » ، وأيضًا كما قال صادقًا ومصيبًا : « إذا لم نرض (بتسمية المؤلّف) ، فكلُّ ما علينا أن نبيِّن وجهة نظرنا ، وليس من حقنا أن نغير الاسم الذى سماه به المؤلف» . هذا حقٌّ كلّه لا ينازع فيه إلا متعنِّتٌ .

ولكن هل المسألة أنِّى ذكرت هذه الأسباب الثلاثة لكى ، « أغيِّر » عنوان الكتاب من « طبقات الشعراء » إلى « طبقات فحول الشعراء » ، وأنى جئتُ بها مسوِّغًا لما أريده أنا من « تغيير » اسم الكتاب لكى يطابق

اسمه موضوعه أو محتواه ؟ من العجيب الذى لا ينقضى منه العَجَبَ ، أنه منذ أحدث الأستاذ السيد صقر هذا « النقب » فى الحائط ، لم يسألْ أحدٌ من النقاد نفسَهُ هذا السؤال ، مع أنّ الداعِيَ إليه دانٍ منه على طَرَف الثُّمام ، كما يقولون .

وذلك أن السبب الرابع ، قد جَمَل هذه الأسباب الثلاثة الماضية محدّدةً كُلّ التحديد ، والألفاظ العربية التى استعملتها قبل ذكر هذه الأسباب الثلاثة ، وبعد السبب الرابع ، توجب على كلٍّ من يفهم العربية ، التى يقال إنها : « تعلم العقل » ، أن يسأل نفسه هذا السؤال . ولكنها غرائب هذا الزمان الذى نعيش فيه ، والذى يتحكم فى سَلْبِ العقل أهم قُوَاه ، وبذلك تَبطُل خاصة العربية التى كانت « تعلّم الناس العَقْل » . وأنا أعيد هُنَا نقل السبب الرابع الأخير ، كما جاء فى مقدمة الطبعة الأولى من الطبقات (ص : ٣٥) ، قلت :

وآخرها (أى آخر الأسباب الداعية للعدول عن المشهور : « طبقات الشعراء » إلى ما وجدته مكتوبا على ما كتبته بخطى من « مخطوطتى » التى أردت نشرها فى سنة ١٩٥١ ، والتى كنت كتبتها فى سنة ١٩٢٥ ، ثم ضاعت المخطوطة ، ولم يبق إلا ما نقلته منها) .

« وآخرها : أنى رأيتُ على نُسْختى التى نقلتُها بيدى هذا العنوان : طبقات فحول الشعراء » ، فلستُ أدرى بعد هذا الزمن الطويل أكانت هذه الكلمة فى الأم العتيقة (أى التى ضاعت وغابت عنى) ثم نقلتُها كما هى ، أم ترانى كتبتُها من عندى ؟ وأنا أرجِّح الأوّل ، لأنى كنت يومئذٍ صغيرًا

لم أتجاوز السابعة عشرة من عمرى ، ولأنى كنت يومئذٍ فى أول الطلب ، وَأجْهَلَ من أن أنْظر نظَراً صحيحاً فى مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والبصر .

« فمن أجل هذا ، لم أتردّد فى جعل اسم الكتاب : « طبقات فحول الشعراء » (أى كما هو مكتوب فيما نقلته قديماً بيدى) ، فإن كان هو الاسم القديم الذى سمّى به ابن سلاّم كتابه ، فذاك = وإلاّ فإنى أراهُ بعد ذلك كُلّه أولى بأن يكون اسما للكتاب ، دون الاسم الذى عرِفَ به ، وأستغفر الله إن كنت أسأت » ! [مقدمة الطبعة الأولى ص : ٣٥] .

* * *

وهذا كلامٌ بالعربية ، لا بلغة يوسف هل ، وفرانز روزنتال . وإذا كان قولى : « فلستُ أدرى بعد هذا الزمن الطويل أكانت هذه الكلمة فى الأمّ العتيقة ثم نقلتُها كما هى ، أم ترانى كتبتها من عندى ؟ » يُوهِم بعض من لا يحسنُ فهم الكلام أنّى متشكّك = فقد أخطأ ، بل هو استفهامٌ أشبه بالإثبات ونفى الشّكّ ، وخيرٌ للأساتذة الذين توهموا ذلك أن يراجعوا أستاذاً عارفاً بعلم البلاغة (وهو علم تحليل التراكيب ودلالاتها) ، إن كان بقى أحدٌ فى محيطهم يستحقّ أن يوصف بأنه عارفٌ بعلم البلاغة .

أصبحت القضيّة الآن ظاهرةً فيما أرجو : فى سنة ١٩٢٥ نسختُ جزءاً من مخطوطة قديمة فيها كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام ، وبعد خمس وعشرين سنة أو أكثر ، عدت إلى هذه الأوراق (سنة ١٩٥١) ، وعزمت

على نشرها ، وإذا فى رأس هذا المنسوخ لفظ « طبقات فحول الشعراء » فهل أستحلُّ لنفسى ، أو هل يستحلُّ لى حضرات النقاد الأفاضل أن أنشر هذا الذى نسختُه كلّه على الناس ، وأستبعد لفظ « طبقات فحول الشعراء » ، وهو بلا شك عنوان الكتاب ، لا لسبب إلا لأن المعهود المألوف عند الناس وعندى أن اسم الكتاب « طبقات الشعراء » ؟ هذا هو السؤال : أأكتم العنوان المكتوب بخطّى ، وأبوح فقط بكلام ابن سلام المكتوب بخطى ، والذى يخالف مطبوعة هل ، ومطبوعة عجان الحديد ، ومخطوطتى دار الكتب مخالفةً بينة كلَّ البيان ؟ أجبْ أيها الناعِي علىّ ، ثم انتقد ما شئت . أما المَجَانَة فى النقد باستخدام لَفْظٍ يدلُّ على معنى وعلى صورة غير التى صوّرتها هنا واضحةٌ ، وهو « غيرت » و « بدّلتُ » . فهو مجرّد عبثٍ لاَهِينَ ، لا يبالون ما صنعوا ، ولا ما قالوا ، ولا ما قيل لَهُم .

وما الفرْقُ مثلا بين أن أجد فى نسخة المدينة « م » ومطبوعة هل وعجان الحديد ، ومخطوطتى دار الكتب هذا النص [الطبعة الثانية من الطبقات س : ١٨٠] « وقال أبو ذؤيب :

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ويُنْشَر فى القَتْلَى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ

وهو رَجُلٌ واحد » .

ثم أجد فى المخطوطة التى كتبتها بيدى : « وهو رجل واحدٌ من عنزة ، ذهب أن يجتنى القرظ ، فلم يثبت أنه رجع » . أفأحذف هذه الزيادة فأكون أمينًا على ما ألف حضرات النقاد أن يقرأوه فى مطبوعة هل وعجان الحديد ومخطوطتى القاهرة ؟ أم أزيد الأمر تبسيطًا وتمثيلاً حتى يعرف ذوو الألسنة

النضناضة ، فرقَ ما بين أن « أغيِّر » عنوان كتاب من عند نفسى ، وبين أن أعدِلَ عن عنوان مشهور إلى عنوان رأيتُه عندى مكتوبًا على النسخة التى نقلتها منذ خمس وعشرين سنة ، وأنا فى السابعة عشرة من عُمُرى ، لا أملك أن أفكر فى تغيير عنوان كتاب ! والحمد لله الذى ابتلانى بما عافاك منه أيها القارىء المستمتع بما تقرأ . ولكن يظهر أن الأمر لا ينتهى بهذه السهولة .

* * *

هذا الذى قلته آنفًا ، إنما كانَ فى الطبعة الأولى من « طبقات فحول الشعراء » ، وحين نشرتها ، وأنا لم أظفر بعد بنسخة المدينة « م » ، وأيضًا فى غيبة المخطوطة التى نقلت عنها ما نقلتُ من كتاب الطبقات . وكلٌّ ما قاله الدكتور على جواد الطاهر آنفًا ، منصبٌّ كلّه على ما قلته فى مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ . ولذلك فإن حضرته لم يقف عند هذا ، بل دخل مدخلاً آخر فى التدليل على . . . على ماذا ؟ على كذبى ، إن شاء الله .

قال الأستاذ الكريم بعد ذلك فى العمود الأول من ص٣٩ ، من مجلة المورد:

« كما تردُّ حجة المحقق بأنه وجد على المخطوطة التى نسخها بيده ، اسم : « طبقات فحول الشعراء » بمثلها ، لأننا وجدنا على النسخة المخطوطة التى تضمها مكتبة شيخ الاسلام بالمدينة اسم « طبقات الشعراء » . وكذلك ذكره بهذا الاسم دليل مكتبة جاستربتى بدبلن بإرلندة . وإنه من المحتمل جدًّا ، أن تكون كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء » على نسخته = لو كان يعود لوقت متأخر عن النسخة الأصلية ، لأن هذا الاسم لو كان موجودًا على المخطوطة منذ اشتراها أمين الخانجى وحملها إلى القاهرة ، لما كان داع للسؤال عن

اسم الكتاب ، ولكان الاسم أحد الأدلة التى استدل بها شاكر نفسه على أن المخطوطة هى « كتاب الشعراء » . هذا نص كلامه ، وهذا الكلام قسمان :

القسم الأول : الذى فيه الحديث عن نسخة المدينة ، والتى عليها اسم « طبقات الشعراء » ، ووجود هذا الاسم على مخطوطة المدينة لايرد شيئاً ولا يثبته ، لأن هذه النسخة معروف ابتداء أنها هى التى نُقلت عنها إحدى مخطوطتى دار الكتب ، وهى المحفوظة بدار الكتاب المصرية برقم : ٣٦ أدب ش ، وكُتبت سنة ١٣٠٣ من الهجرة ، والأخرى منقولة عنها وكتبت سنة ١٣١٠ ومحفوظة بدار الكتب برقم ٣٧ أدب ش . وعن هاتين طبع يوسف هل ، وسجان الحديد ، والاسم الذى عليها جميعًا هو ما أعرفه أنا وأنت وهو ، وكل من شدا الأدب : « طبقات الشعراء » . ولم أدّع أنا أن على هذه النسخ عنوان « طبقات فحول الشعراء » ، فاستخدام هذا حجة ، لَغْوٌ محضٌ ، لايرد شيئا ولا يثبته .

والقسم الثانى : الذى أوله : « وكذلك ذكره بهذا الاسم دليل مكتبة جاستربتى . . . » إلى آخر الكلام الطويل ، كان يُغْنِي عنه أن يقول لى : « أنت كذابٌ ياسيدى ، هذه هى نسخة جاستربتى التى كانت عندك ، وعليها « طبقات الشعراء » فقط ، كما جاء فى دليل مكتبة جاستربتى التى بدبلن . ودبلن التى بإرلندة » ، وكان الله يحبُّ المحسنين .

أما قوله فى هذا اللغو الطويل : « إنّه من المحتمل جدًّا أن تكون

كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء » على نسخته ـ لو كان ـ (هكذا قال الدكتور) يعود الى وقت متأخّر عن النسخة الأصلية ». وعلى ركاكة العبارة وغموضها ، فالمعنى مفهوم ، أنّه يقول : لو صحّ أن لفظَ « طبقات فحول الشعراء » موجود على نسختي = وهو غيرُ صحيح ، هذا معنى « لو كان » = فإني كتبتُه فيما بعدُ ، لا وقت نقل مانسختُه . أظنُّ هذا هو قصده بقوله « النسخة الأصلية » ، وبلا شك لايعنى « المخطوطة » ، وإلا كانَ كلامًا مُخَلِّيًا ، (المخلِّى ، المطلق المرسل بلا قيد فهو يضطرب ، يقول الشاعر :

مَا لِي أَرَاكَ مُخَلِّيًا ؟ أينَ السَّلاَسِلُ والقُيُودُ ؟
أَغَلاَ الحديدُ بأرْضِكُمْ ؟ أم لَيْسَ يَضْبِطُكَ الحديدُ ؟

وأصله من قولهم : خلّى عن الأسير ، أرسله من قيده وخلّى سبيله ، فهو اسم فاعل بمعنى المفعول ، كقوله الله تعالى : « عِيشةٍ راضيةٍ » ، أى مرضيةٍ) .

ويزيد هذا المعنى وضوحًا ماجاء بعده مبدوءًا بلام التعليل : « لأن هذا الاسم لو كان موجودًا على المخطوطة منذ اشتراها أمين الخانجى وحملها إلى القاهرة ، لما كان داعٍ للسؤال عن اسم الكتاب . . . » ، وهذا أيضًا على ركاكته مفهومٌ ، والركاكةُ هنا فى المنطق واللفظ جميعًا . ولابُدَّ من القصة ، حتى يكون الكلام مفهومًا وغيرَ مفهومٍ أيضًا . قال فى مقدمة الطبعة الأولى (ص : ٥ ، ٦) الطبعة الثانية (ص ٩ ، ١٠) مانصه :

« ففى سنة ١٣٤٣ تقريبًا (سنة ١٩٢٥ ميلادية) عاد السيد أمين الخانجى

من رحلاته فى العراق وغيره من بلاد العرب ، وقد جمع من نوادر المخطوطات شيئًا لا يقدّر بثمن . وكان من بينها صناديق فيها أوراقٌ شتّى (دشت) . وذات يوم أقبلتُ عليه فى دكانه ، فإذا به يخرج لى ورقة حائلة اللون ، وسألنى : أتعرف هذه ؟ فما كدتُ أقرأ منها أسطرًا حتى عرفت أنها من كتاب « طبقات الشعراء » لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحى ، وكنت حديث عَهْدٍ بقراءة الكتاب ، فاستُطير فرحًا بما عرف ، وقمنا معًا إلى هذه الصناديق المبعثرة الأوراق ، نفرزها ورقة ورقة ، يومًا بعد يوم ، حتى جمعنا من أوراق كتاب الطبقات قدراً عظيمًا ، فلما فرغنا ، أمرنى (لأنه فى السن بمنزلة الوالد ، هذا لئلا يفهمها على نفس الطريقة) ، أمرنى رحمه الله أن آخذها فأرتبها وأنقلها ، مخافة عليها من مثل ما كانت فيه (أى من البعثرة) ، ومن عوادى البِلَى عليها ، إذْ كانت عتيقة الورق . وفعلتُ مقصّرًا متراخيًا ، فلم أُتمّ نقلها ، وبقيت بقيّةٌ من أوراق المخطوطة لم أنقلها . وطال الزمن ، فسألنى السيد أمين رحمه الله أن أردّ إليه الأمّ العتيقة ، قبل تمام نقلها ، فرددتها إليه ، ولم أخبره بما كان منى من التقصير والتراخى .

« ودارت بى الأيام ، وفارقت مصر فى سنة ١٣٤٧ هـ (سنة ١٩٢٨ م) ثم عدت إليها ، وقد فتر ما بينى وبين الكُتُب زمنًا طالَ وامتدّ . ثم لقيتُ أمينًا رحمه الله ، فأخذ يستحثّنى أن أعيد النظر فى كتاب الطبقات ، حتى أستطيع أن أعدّه للنشر . فتراخيتُ ما تراخيتُ ، وهو يظنّ أنى كنت فرغتُ من نقلها ، وأظنّ أنا أن النسخة لم تزل فى حوزته . ثم قضى أمينٌ نحبه فى يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ (٧ يوليه ١٩٣٩ م)

وقد جاوز السبعين من عمره ، غفر الله له ورحمه ، ولم يخبرنى أين استقرّت الأمّ العتيقة . ولما سألتُ بعض ولده عنها ، لم أجد عند أحد منهم خبرًا عنها . ثم بدأت أبحث عنها فى مظانها من دور الكتب العامة والخاصة ، فلم أعثر عليها حيث ظننت ، وبقيت نُسْخَتى التى نقلتُها حبيسة فى خزانة كتبى هذا الدهر الطويل » ، أى إلى سنة ١٩٥١ . هذه هى القصة ، ولها تتمة تقرؤها فى مقدمة الطبعة الثانية من الطبقات ، حيث أذكر كيف اهتديت إليها ، وكيف استنقذتُ روحها من الغربة فى ديار الأعاجم ، فى مكتبة تشستربتى ، التى فى دبلن ، ودبلن التى فى إرلندة ! !

فقول الدكتور على : « لما كان لسؤال داع عن اسم الكتاب ... » ، هو الذى سلف فى كلامى وتحته خطٌّ أسودُ (ولو أطقت لجعلته خطًّا أحمر ، تحية للدكتور) . فهل يفهم أحدٌ من كلامى أن السؤال الذى سألنيه أمين الخانجى رحمه الله ، هو عن « اسم الكتاب » . أم هُوَ سؤالٌ سألنيه عن المكتوب فى ورقة واحدة مفردة حائلة اللون من كتاب عتيق ؟ ليت شعرى أأنا أكتب العربية مشوبة بلُغة الحُكْل التى لم يكن يفهمها إلا سليمان عليه السلام ، والتى يقول فيها وفيه محمد بن ذُؤَيب الفُقَيْمِىّ ، العُمانىّ الشاعر :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الحُكْلِ ، لَوْ أنَّ ذَرَّةً ‏ ‏ ‏ تُسَاوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُهَا

(« الحُكْل » ، العُجْم من الطير والبهائم) والناس أيضًا !) ، وما لا يُسْمع له صوتٌ كالذّرّ والنمل . و « ساوَدهُ سِوَاداً » : سارَّهُ) .

وقلبُ كلامى من سؤال عن ورقة يجهل أمين الخانجى رحمه الله ما فيها ،

إلى سؤال عن « اسم كتاب » ، مغالطة بَشِعة مستنكرة ، أليس كذلك ؟ مغالطة للطالب الذى سمعه من أستاذه ، وللقارىء الذى لا يظن فى الكاتب إلا الصِّدْق . أليس هذا بَشِعًا مُنكراً ؟

وإذا ضممتَ الكلام بعضه إلى بعض أتى بما هو أعجب : « . . . لما كان داعِ السؤال عن اسم الكتاب ، ولكان الاسم أحدَ الأدلة التى استدلّ بها شاكر نفسه على أن المخطوطة هى كتاب طبقات الشعراء » . وأنا أقول صادقًا أنّى لم أفهم ماذا يريد الدكتور على جواد أن يقوله فى جَوْف هذه الركاكة . أى « اسم » هذا الذى كنت أستطيع أن أستدلّ به ؟ يعنى : أن أستدلّ به على موضوع « طبقات الشعراء » ، أو طبقات فحول الشعراء ؟ بالطبع ، لاَ ، لأن الكلام يخرجُ عندئذ من حدّ كلام العقلاء . هل يعنى : أن « الاسم » لو كان موجودًا على المخطوطة منذ اشتراها أمين الخانجى وحملها إلى القاهرة ، لما كانت بأمين الخانجى حاجةٌ إلى أن يسألنى : أتعرف هذه ؟ والظنّ ، لأنى نقدتُ اليقين ، أن هذا هو الذى يريدُه الدكتور على جواد .

ولكن يظهر أن الدكتور على يقرأ غير ما أ كتب ، ثم يفهم غير ما يقرأ ، ثم يكتب غير ما يفهم : فإنه ، بيقينٍ ، لم يَصُغْ هذه الجمل ، إلاّ اعتمادًا على ماجاء فى مقدمة الطبعة الأولى من الطبقات ، كما هو ظاهرٌ لكلّ ذى رِجْلين ، إذ علم منها أنّ هناك سؤالاً كان من أمين الخانجى ، وجوابًا كان منّى . بيقينٍ قرأ شيئًا ، وبيقينٍ فهم شيئًا آخر ، وبيقينٍ أيضًا كتبَ غير ماقرأ وما فهم ، فإنّ الورقة الواحدة الحائلة اللون من صندوق فيه أوراقٌ

دشتٌ مبعثرة ، انقلبت على سنّ قلمه وهو يكتب ، إلى شيء ثالث هو : أن الخانجى عرَض علىّ نسخة مخطوطة مجلدة اشتراها وهو لايعلم أنها طبقات الشعراء لابن سلام ، وأنه حمل هذه النسخة المخطوطة المجلدة معه إلى القاهرة ، ثم سألنى عن هذه النسخة المخطوطة المجلدة فقال : أتعرف هذه ؟ فأخذتها فقرأت العنوان وقلت له : هذه طبقات الشعراء لأبى عبد الله محمد بن سلام الجمحىّ ! ! وبالطبع هذا هذيانٌ محضٌ ، ولكن ماحيلتى ؟

آه : . نسيتُ ، ينبغى أن أجرّبُ الفهم مرة ثانية ، هل يعنى : أن النسخة الأصلية التى كتبت فى أول القرن الرابع ، حين عرضها على الخانجى نقلتنى أنا وهو جميعاً إلى أوائل القرن الرابع من الهجرة ، فأخذتها ، فإذا هى بلا عنوان ، فتصفّحتها وقلت له : هذه « طبقات الشعراء » لابن سلام ، ثم أعدتها إليه ، وعدت أنا وهو إلى القرن الرابع عشر من الهجرة مرة أخرى ، ثم جاء كاتب خفىٌّ فكتب العنوان ، وهو من أهل القرن الخامس أو السادس من الهجرة ، أى فى « وقت متأخر عن النسخة الأصلية ، كتب « طبقات فحول الشعراء » ، ثم اختفى وبقيت النسخة عندى ، فنقلت ما كتبه : « طبقات فحول الشعراء » فى نسختى التى نسختها بيدى . وكذلك يصبح مفهوما جداً قول الدكتور على : « وإنه من المحتمل جداً أن تكون كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء »على نسخته = لو كان = يعودُ إلى وقتٍ متأخر عن النسخة الأصلية (أى المخطوطة العتيقة) ، لأنّ هذا الاسم (أى طبقات فحول الشعراء) لو كان موجوداً على المخطوطة منذ اشتراها أمين الخانجى وحملها إلى القاهرة ، لما كانَ داع للسؤال عن اسم الكتاب // ولكان

الاسم (أى طبقات فحول الشعراء) أحد الأدلة التى استدلّ به شاكر نفسه على أن المخطوطة هى كتاب «طبقات الشعراء» // ولكن هذا القسم الأخير يغالٌ غير مفهوم البتة. لقوله «طبقات الشعراء» ولوقال «طبقات فحول الشعراء»، لكان مستقيمًا عَلَى عِوَجٍ فيه يحتاج إلى تفسير!! وهو: أن أستدلّ به على أن اسم الكتاب «طبقات فحول الشعراء» لا «طبقات الشعراء»، سبحان ربِّى، أين ذهب بى عَقْلى!

إذن، حَتْمٌ علىّ أن أجرّب الفهم كرة أُخْرى، وبطريقة أخرى، ومن أول الفقرة كما نقلتها آنفًا (ص: ١٤٤، ١٤٥). وقد استخدم الكاتب لفظين: «المخطوطة» و «النسخة»، وينبغى أن يكون لفظ «المخطوطة» دالاّ على المخطوطة العتيقة، ولفظ «النسخة» دالاّ على مانقلته أنا بيدى، واحتفظت به بعد غياب المخطوطة. وهذا أمر لابدّ منه، وإذن فسياق الكلام هو هذا متتابعًا مقسّما إلى فقرات:

١ — قوله: «كما تردّ حجة المحقق بأنه وجد على المخطوطة التى نسخها بيده اسم «طبقات فحول الشعراء» بمثلها، لأنا وجدنا على النسخة المخطوطة التى تضمها مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة اسم «طبقات الشعراء»، وكذلك ذكرها بهذا الاسم دليل مكتبة تشستربتى بدبلن».

فهذه الفقرة خلطت بين لفظ «المخطوطة»، و «النسخة» تارة قال «النسخة المخطوطة»، ويراد بها «المخطوطة» لاغير، وتارة أخرى قال «المخطوطة التى نسخها بيده»، وهذا يدلٌ على أنه يريد «النسخة»، أى مانسخته أنا بيدى لنفسى. هذا شىء لاشك فيه، وإنما جعلها كذلك ركاكة التعبير وضعفه.

٢ — « وإنه من المحتمل جدًّا أن تكون كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء على نسخته = لو كان = يعود إلى وقت متأخرٍ عن النسخة الأصلية » .

وقوله : « على نسخته » واضح جدًّا أنه يريدُ ما كتبته بيدى لنفسى . أما قوله : « النسخة الأصلية » ، فيحتمل وجهين : أن يراد به « المخطوطة » ، كما قال أولًا « النسخة المخطوطة » ، ولو حملناها على هذا كان دخولًا صريحًا فى الهذيان ، كما مرَّ آنفًا . فلم يبق إلا أن يكون معناها هو « النسخة » التى كتبتها بيدى ، لنفسى . وإذنْ ، فلا معنى لقوله « الأصلية » ألبتة ، وينبغى حذفها ضربة واحدة ، فيكون سياق الكلام هكذا :

« وإنه من المتحمل أن تكون كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء » على نسخته = لو كان = يعود إلى وقت متأخر عن نسخته ». وهذا أيضًا هذيانٌ يجرى متخبّطًا ، مُخَلِّيًا (وقد سبق تفسير : مخايا) . وبالطبع ينبغى أن يبرّأ الدكتور على جواد من هذا على الأقل . ولا حيلة لنا فى إخراجه من هذا ، إلا بأن نقول : إن لفظ « عن النسخة الأصلية » لَغْوٌ محضٌ ينبغى إسقاطه حتى تستقيم العبارة ، وتصير هكذا . « وإنه من المحتمل أن تكون كتابة اسم « طبقات فحول الشعراء على نسخته = لو كان = يعود إلى وقتٍ متأخر » ، ومعنى هذا كما قلت آنفًا : هو أنى كاذبٌ ، لأن ذلك مشكوك فيه بقوله « لو كان » ، وأنه يظن على الأقل أنى زدتها فى وقت متأخر عن الوقت الذى نسختُ فيه ما نسختُ من المخطوطة . ويكون الكلام الآتى هو دليله وبرهانه على أنى كما وصف ، أى كذّابٌ .

٣ — « لأن هذا الاسم لو كان موجوداً على المخطوطة ، منذ اشتراها أمين الخانجى وحملها الى القاهرة // لما كان داعٍ للسؤال عن اسم الكتاب ولكان الاسم أحد الأدلة التى استدلّ بها شاكر نفسه على أنّ المخطوطة هى كتاب « طبقات الشعراء » . وقد أسلفت الحديث عن قوله : « لما كان داع ... » أنه ركيك وفاسد وغير صحيح ومدخل فى الهذيان (انظر ص : ١٤٨ ، ١٤٩) ، فينبغى أيضًا أن يكون لغواً محضًا ينبغى إسقاطه ، والاقتصار على القسم الأول من الكلام فقط ، وينقل ما فى آخر رقم : ١ ، إلى هذا المكان على هذه الصورة : « ولما كان ممكنًا أن يجىء ذكره باسم « طبقات الشعراء» فى دليل مكتبة جاستر بتى بدبان بإرلندة » .

وعندى تجاربُ أخرى لفهم هذا الهذيان كلّه ، والحقيقة هى أنّى قرأت كلامًا لا يوجدُ له تفسير البتة إلا عند كاتبه نفسه ، ولكن يحسُن أن يعرض ما يريدُ أن يقوله على أحد يُحْسِن الإبانة بالعربية عن مراده ، ويكتبه مرّةً أخرى مصححًا مستقيمًا على مايريدُه . ويحسُن بى أن أكفّ لأنى أحسُّ أنى بدأت أهذى :

تَنَاءَبَ عمرٌو ، إذ تثاءب خالدٌ بعدْوَى ، وقد (أعْدَتْنِيَ) الثؤَبَاءُ

ومعذرةً إلى شيخ المعرّة ، فإنى غيّرتُ رواية شعره كاذبا مُجْترئًا على الكذب ، كما غيرتُ اسم « طبقات الشعراء » ، كاذبًا مجترئًا على الكذب . (أصل كلام المعرّى : « فما أعْدَتْنِيَ الثُّؤَبَاءُ ») ، وأنتزع نفسى ، مستعينًا بالله من هذا الهذيان الذى حَطَّنى فيه الدكتور على جواد الطاهر ، وأؤوبُ إلى الجادّة المستقيمة مرة أخرى .

* * *

وقبل كُلِّ شيء أحبُّ أنْ أوضِّح لقارىء كلامى أنا ، حقيقة ما كانَ حين عرض علىّ أمين الخانجى ورقة حائلة اللون ، من صناديق أوراق (دشت) مبعثرة لايجمع ورقة منها وورقة أخرى جامع . كانت على الأقل ، فيما أتذكَّر ثلاثة صناديق كبار أو أربعة ، ولما رأيت الورقة وقرأت مافيها ، وعرفت أنها من كتاب « طبقات الشعراء » لابن سلام = بدأتُ أفرزُها بجهدى ورقة ورقة ، حتى جمعتُ ماهو موجود الآن فى مكتبة تشستربتى بدبلن ، بإرلندة . ولم يكن أمين الخانجى قادرًا على أن يعرف كُلَّ شيء مما فعلتُ ، لأنه مشغول بتجارته ، فأخذت هذه الأوراق ورتَّبتها وبقيت عندى أكثرمن سنة ونصف ، ونقلت منها مانقلتُ . وأنا كنت يومئذ فى السابعة عشرة من عمرى ، وكتبت على نسختى التى كتبتها بيدى « طبقات فحول الشعراء » ، ولم تشغلنى بلا شك هذه الزيادة « فحول » ، لأن هذا الذى أنسخه هو « طبقات الشعراء » لابن سلاّم الجمحى ، كما ألفت اسمه فيما قرأته فى طبعة يوسف هل ، وعجان الحديد ، وسائر الكتب التى ذكرت كتاب ابن سلام . ولم تثرنى كلمة « فحول » ، ولا أذكر أنّى انتبهتُ إليها بعد ذلك ، إلا فى سنة ١٩٥١ ، حين بدأت أقرأ الكتاب فى نسختى ، كى أعدَّه للنشر . ولا أذكر ، بل أنا على يقين ، أنى ما اهتممت بهذا ، ولا تحدثت فيه مع أحدٍ ، لا أمين الخانجى ولا أخى السيد أحمد ولا الدكتور طه حسين ، حين علم بأنّ عندى نسخة من كتاب ابن سلام فيها زيادات كثيرة وطالبنى بنشرها . بل أكثر من ذلك ، هو أنّى نسيت هذا اللفظ ، فلم يجر على لسانى قطُّ ، حتى فيما بينى وبين نفسى . وأيضًا ، ظَلَّ غائبًا عنى وأنا أشرح كتاب الطبقات ، فى سنة ١٩٥١ ، ولم أنتبه له إلا بعد أن فرغتُ من أكثر الكتاب ، وقبل كتابة المقدمة بقليل . وحين

انتبهت لهذا اللفظ « فحول » ، عدت إلى كلِّ كتاب قرأته ، من الأغانى ، إلى آخر كتاب أعرف فيه ذكرًا لابن سلام ، فراجعته مراجعة دقيقة ، حتى أتحقّق من هذا اللفظ « فحول » ، ولذلك ، تأخَّر إصدار الطبعة الأولى ، بعد طبع الكتاب كله بفهارسه ، أكثر من ستة أشهرٍ ، حتى فرغتُ من تحقيقه على الوجه الذى ذكرته فى المقدمة . وهذه الحقائق . التى لا يعرفها غيرى ، تجعل كلَّ ما قاله الدكتور على جواد وأشباهُه ، رَجْمًا بالغيب فى شىء ليس له به علم ، وأسأل الله المغفرة ، وأعود إلى ما كنت فيه .

* * *

الذى لا شكَّ فيه عندى أن الدكتور على ، كتب هذا الكلام كلَّه ، كما قال هو بأسلةِ لسانِه ، فى سنة ١٩٦٤ ، وتبجبج فيه ما تبجبج ، لأنه يلقيه على طلبته فى جامعة الرياض ، ليروا فيه أستاذيته . وكتبه ، بلا شك ، قبل أن يقف على « مخطوطتى » العتيقة التى آلت إلى مكتبة تشستربتى . ولذلك جاء كلامُه كلُّه ، فى مقالة المورد ، غارزًا رأسَهُ فى الخطأ ، لأنه لم يكتبه حين كتبه إلا اعتمادًا على مقدمة الطبعة الأولى ، وعلى طريقته فى القراءة والفهم . ولما جاءته الطبعة الثانية من كتاب الطبقات ، ظلَّ سادرًا ، فلم يغيِّر شيئًا مما كتب . وأنا على يقين أنه قرأها — وهذا احتمال غير راجح ، لأن الدلائل كلّها تدلُّ ، كما مضى ، على أنه احتمال ضعيفٌ واهٍ جدًّا — قرأها على ما خيَّلتْ ، وبلا عناية ، حتى ولا عناية المتصفِّح المتسلِّى غير المتدبّر . فكان عازمًا أن ينشر كلامه هذا بعد ست عشرة سنة ، أى فى سنة ١٩٨٠ ، بلا مراجعة ، مستهينًا بقراء مجلة المورد ، مستخفًّا بعقولهم ، مفترضًا فيهم الغفلة وقلّة التثبّت ، متوهّمًا أن القراء إنّما هم طلبةٌ صغارٌ ، لو أطاقوا قراءة كلامه

هذا ، فلا طاقة لهم بقراءة الطبعة الثانية من « طبقات فحول الشعراء » ، وقراءة مقدمتها ، ومراجعة ما قلت أنا فيها ، على ما قالَ هو أو كتب . هذا غريب جدًّا من أستاذٍ جامعيّ ، يتبجّحْ باسم « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » .

وأنا لا أقول هذا بغير دليل ، بل الدليل قائم يتعرّى علانيةً فى مقالته . فكلُّ ما ناقشته فيه يبدأ من ص ٣٧ من المورد ، وينتهى ص : ٤٢ ، ولكن فى ص ٤٤ من المورد : قبل أن تنتهى مقالته فى ص ٤٥ من المورد أيضًا ، يقول ما نصه ، (والذى بين الأقواس من عند الدكتور لا من عندى) ، وسأجعله فقرات مرقمة من عندى ، وأما الذى تحته خطٌّ أسود فهو من عندى أيضًا ، لأهميته ! !

١ ـــ « تشتد الحاجة إلى الطبعة المحققة ، ويشتدُّ انتظارُ تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر فى طبعة جديدة . وها هو ذا يصدرُ تحقيقه فى القاهرة ، مطبعة المدنى سنة ١٩٧٤ . وقد قسم الكتاب إلى « سفرين » . وأول ما يفاجىء القارىء إصرار الأستاذ المحقق على كلمة « الفحول » فى العنوان ، فتصدر الطبعة الثانية كسابقتها « طبقات فحول الشعراء » على علمه بمن « عاب » عليه ذلك . وقد أعاد فى مقدّمة هذه الطبعة ، أكثر ما ورد فى مقدمة الطبعة الأولى . وأهمُّ جديد فيها أنه أقام تحقيقه الجديد على مخطوطة « جاستربتى » ، (وهى مخطوطة الخانجى الضائعة) ، وعلى مخطوطة مكتبة عارف حكمت بالمدينة وقد جعل الأولى أساسًا وسمّاها « المخطوطة » ، بينما رمز لنسخة المدينة : « م » ، وقد درس المخطوطتين فى دقةٍ وعلم . ولكنه تكلّف كثيرًا ليثبت ـ مستدلاً ـ بالمخطوطة ، أن التسمية الصحيحة للكتاب هى « طبقات فحول الشعراء » ،

وقد فاته — وهو لا يفكر إلا بشيء واحد — النصّ الصريح الذى ورد فى آخر المخطوطة : « تمّ كتاب طبقات الشعراء ... » ، وقد ثبتت صورة الصفحة الأخيرة — مع صورة الغلاف الأوّل — فى تحقيقه »(١٢٢) .

(١٢٢ هامش فى المورد نصه : « وينظر سلطان : ١٧٢ - ١٧٨ ») .

٢ — « ومضى فى إصراره إلى أن رتّب فهرس طبعته الثانية - كما رتبه فى الطبعة الأولى — على أساس تكرار كلمة « الفحول » فى الطبقات فقال : « طبقات فحول الجاهلية . . . طبقات فحول الإسلام ، الطبقة الأولى من فحول الإسلام ... مع أن المخطوطة التى اعتمد عليها لم تذكر كلمة « الفحول » هذه ، وإنما كانت تقول : « الطبقة الأولى ، الطبقة الثانية ... حتى إذا بلغت الإسلاميين قالت : طبقات الإسلام ، الطبقة الأولى »

« ومعلوم أن نسخة المدينة أيضا لم تذكر كلمة الفحول

٣ — « واقترن إصرار المحقق هذا ، بإصراره على إدخال ما ورد فى الأغانى وغيره فى صميم الكتاب ، وكأنه هكذا ورد فى الأصل .... وكذلك فعل فى زيادة أسطر وأبيات على شواهد ابن سلام . وأثبت فى المقدمة الجديدة ، (١٢٤) ، ما أثبته فى المقدمة القديمة من الحديث عن أبى خليفة بأنه كان أعمى ، ومن عَدَّ أحمد بن حنبل بين مَنْ روى عن محمد بن سلام وكان من تلاميذه ، وعدّ كُلّ من روى عنه ابن سلام بيتًا أو خبرًا شيخًا له ، وإثبات « غريب القرآن » ، بين مؤلفات محمد بن سلام . . . . وحِدّته مع المستشرق يوسف هل » .

[١٢٤ هامش فى المورد نصه : « وتضمنت المقدمة الجديدة مواد المقدمة السابقة ، مع زيادات وتفصيلات ، فاستغرقت ص ٧ — ٧٢ »] .

٤ — « ولكنه ، فيما عدا ذلك ، تجنّب أشياء مما وقع فى التحقيق الأوّل ،(١٢٥) وزاد على فهارسه السابقة فهرساً « لمباحث العربية والنحو والفوائد» ، وفهرساً لألفاظٍ من اللغة أخلّت بها المعاجم » ،(١٢٦) واستدراكاً وبيانًا بأخطاء الطباعة ، وما أخلّت به نسخة « م » (المدينة) ، أو اختصرته من الأخبار (١٢٧) » .

(الهوامش : (١٢٥) يكفى من ذلك أنه اعتمد على المخطوطتين الأساسيتين ، وتجنب التصرف بنسب جميل بثينة الذى ورد ص ٥٢٩ من الطبعة الأولى (= ط ٢ ص ٦٦٩) والمزق ١٩٦ (= ط ٢ ص ٢٣٤) ـ تنظر أعلاه الملاحظة الثالثة ط ١ .

(١٢٦) من فوائد أستاذنا المرحوم مصطفى جواد أن معجم تجمع على معجمات ومعاجم (هكذا فى المورد) .

(١٢٧) ولم يعمل فهرساً بالمصطلحات الأدبية ـ النقدية ، ولم يستغرب وجود بشامة بن الغدير فى الإسلاميين (ط ٢ : ص ٧٠٩ ـ) .

* * *

انتهى بنصّه . وقبل أن أبدأ ، أحبُّ أن أنبه تنبيهًا لابدّ منه . فالدكتور على جواد الطاهر ، قد استخدم فى مقالته هذه ، وفى هذا الذى نقلته الكلمات الآتية « التحقيق » و « المحقّق » و « يحققه » و « حققه ، » وسائر مايتصرف فيه هذا الفعل ، وكذلك فعل غيره ، كالدكتور منير سلطان والآخرين) . وهذا خطأٌ شنيع ، لأنّى قد أسقطت هذا اللفظ وجميع مشتقاته من كلامى وكتبى ، ودليل ذلك أنى فى الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ كتبت « طبقات فحول الشعراء » وتحته « شرحه محمود محمد شاكر » وفى الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ كتبت اسم الكتاب ، وتحته « قرأه وشرحه محمود محمد شاكر » . وذلك تعمُّدٌ منّى ، لأن « المنهج العلمى» و « علم التحقيق » الذى تخصّص فيهما الأساتذة الكبار

كالدكتور على ، هما من الأشياء التى طرحتُها وراء ظهرى منذ زمان طويل جدًّا ، ولأسباب كثيرة جدًّا . ولم أتبع فى عملى فى كتاب الطبقات وغيره من الكتب إلا « منهجًا » آخر يخالف (المنهج العلمىّ) كل المخالفة ، فى جذوره وفروعه . وكذلك نبذت أيضا مُسْتنكفا لفظ « حقق ، وتحقيق ، ومحقق » ، وما يخرج منها نبذاً بعيداً دَبْرَ أُذُنى ، لما فيه من التبجُّح والتعالى والادّعاء ، واقتصرت على « قرأ » لأن عملى فى كلّ كتاب لا يزيدُ على هذا : أن أقرأ الكتاب قراءةً صحيحة ، وأؤدّيه للناس بقراءةٍ صحيحة ، وكُلّ ما أعلّق به عليه ، فهو شرحٌ لغامضه ، أو دلالةٌ للقارىء من بعدى على ما يعينُه على فهم الكلام المقروء والاطمئنان إلى صحة قراءته وصحة معناه ، لا أكثر ، ولا أقل إن شاء الله . فكان لِزامًا على الدكتور على وأمثاله أن يضعونى حيث وضعتُ نفسى ، إنّما أنا قارىء أو شارحٌ ، أو دليلٌ ليس غيرُ ، لست « محقّقًا » ، إنما المحقّق من يقول فى « د » : « قال » ، وفى نسخة « ع » : « نال » ، وفى نسخة « م » : « فال » ، وهلم جرًّا .

* * *

والآن ، تستطيع أن ترى بوضوح أن كُلّ ما قاله الدكتور على جواد فى مقالته ، متعلّق بالطبعة الأولى ، وأن الطبعة الثانية لم تنل من اهتمامه ، بلا احتفال ولا عناية ، إلا ما لا يتجاوز عمودين من مجلة المورد = فى مقالة حافلة فيها اثنان وأربعون عموداً ، ما شاء الله ! وبارك الله له فى عمله ! = بعد أن بدأ الفقرة رقم : ١ آنفًا بقوله : « تشتد الحاجة إلى الطبعة المحققة ، ويشتدّ انتظار تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، وها هو ذا الأستاذ يصدر تحقيقه » . وأيضًا بعد أن يقول فى التعليق رقم : ١ من مقالته التى هى كائنةٌ فى مجلة

المورد بعد أن ذكر بالخير كتابه عن ابن سلام ، ومقالته هذه الشريفة : « وبقى انتهاء الأستاذ محمود شاكر من تحقيقه الجديد ، عاملاً يثنى عن الإقدام . بل إن انتظار هذا التحقيق كان من العوامل التى تشجع كاتب البحث على التأنى فى الإقدام على نشر فصله عن « طبقات الشعراء . . مخطوطا ومطبوعا » على طبع الكتاب نفسه ، وإن لم يَحُل ذلك دون دَرْج الكتاب تحت باب « المعد للطبع » من قائمة مؤلفاته ، ابتداء من سنة ١٩٧٢ » (المورد ص : ٢٥) .

وأنت إذا راجعت الفقرات الثلاث الماضية وجدت الدكتور على جالسًا على كرسى مريح يستمتع فيه بالاسترخاء اللذيذ ، وقد استخرج الطبعة الأولى من الطبقات من خزانة كتبه ، مع النسخة الجديدة من الطبعة الثانية ، فأمسك فى يده السفر الأول من « طبقات فحول الشعراء » ، فقرأ ما على الغلاف // ثم قلب أوراق المقدمة ، فنظر نظرة فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » (ص١٢ من مقدمة الطبعة الثانية) ثم فى صُور المخطوطتين فى آخر المقدمة // ثم رمى السفر الأول من يده ، وأخذ السفر الثانى ، باحثًا عن « فهرس كتاب طبقات فحول الشعراء (ص : ٩٩٤) إلى أن انتهى منه (ص : ٩٩٩) // ثم رمى السفر الثانى من يده ، وعاد إلى مقدمة السفر الأوّل متصفحًا أبوابها ، فرآنى ذكرت ما زدته من الأغانى وغيره / ونظر نظرة فى ترجمة أبى خليفة الجمحى (ص ٣٣ من المقدمة) فرآنى قلت : « وكان أعمى » // ثم قلب الصفحة فرأى ص : ٣٥ من المقدمة ، ورآنى ذكرت أحمد بن حنبل فيمن روى عن ابن سلام // ثم قلب الصفحات حتى وصل إلى (ص : ٣٨ من المقدمة) ، فرأى ذكر كتاب « غريب القرآن » لابن سلام // ثم قلّب الصفحات ، فلما بلغ (ص : ٥١ من المقدمة) قرأ اسم يوسف هل وما قلته فيه هو ما قاته فى

الطبعة الأولى . فرمى السفر الأول من يده ضجراً هائجاً // ثم أخذ السفر الثانى ونظر فى فهارسه (ص ٨٠١) نظرة عجلى ، فقلب جملة صالحة مرة واحدة ، فوقف عند (ص ٩٦٦) //فرأى شيئاً جديداً لا يذكر أنه رآه فى الطبعة الأولى ، وهو « باب مباحث العربية والنحو والفوائد » . فانتبه فجأة من استرخائه ، فقلب الورق إلى (ص ٩٧٥) ، فرأى عنوان « ألفاظٌ من اللغة أخلت بها المعاجم أو قصرت فى بيانها » // ثم قلب ورقات حتى (٩٨١) فرأى الاستدراك ، وبعده (ص ٩٨٦) أخطاء الطباعة فى التعليق // ثم رأى صفحتين متقابلتين (ص ٩٨٨ ، ٩٨٩) ، فعبّر عما فيهما بقوله ، « وما أخلت به نسخة « م » (المدينة) أو اختصرته من الأخبار » . ثم قذف الكتاب كلَّهُ من يديه ، وفرغ لشيء آخر .

وهذا بالطبع ، غاية ما تستحقُّه الطبعة الثانية من الطبقات ، من أستاذ كالدكتور على جواد الطاهر ، وحُقّ له . وهو فوق ذلك معذورٌ ، لأسباب كثيرة لا داعى لتفصيلها أو الحديث عنها . ويكفى فى عذره أنه « فوجئ » هو وقال مترفّقًا : « وأوّل ما يفاجئ القارئ إصرار الأستاذ المحقق على كلمة « الفحول » . . . على علمه بأن « عاب » عليه ذلك » (الفقرة : ١ سالفاً) ووضع « عاب » بين قوسين هكذا ، ثم قال بعد نحو كثير : « ولكنه تكلف كثيرًا ليثبت ، مستدلاً بالمخطوطة أن التسمية الصحيحة للكتاب هى «طبقات فحول الشعراء» ، وتدفاته — ، وهو لا يفكر إلّا بشيء واحد — النصُّ الصريح الذى وَرَدَ فى آخر المخطوطة : تَمَّ كتابُ طبقات الشعراء . . . » ، وقد ثبت صورة الصفحة الأخيرة — مع صورة الغلاف الأول — فى تحقيقه » . وقال فى الهامش (٢٢) « ينظر سلطان : ١٧٢ — ١٧٨ » .

وهذا الذى يشير إليه هو قول الدكتور منير سلطان فى كتابه ص ١٧٥، ١٧٦ :

« وقد صُوِّرت الورقة الأولى من مخطوطة المدينة « م » ، كما هى ملصقة بطابعة ١٩٧٤ م ، وليس فيها ذكر لكلمة (فحول) — وكذا الورقة الأولى من (المخطوطة) ، وفيها العنوان الذى اعتمد عليه الأستاذ شاكر ، مشيراً إلى أن كلمة (فحول) مطموسة . وهذا دليل مرفوضٌ بالنهاية المكتوبة فى آخر المخطوطة ، إذ بها : « تم كتاب طبقات الشعراء » .... » .

وظاهرٌ أن كلام الدكتور منير سلطان ، أجودُ وأوضح من كلام الدكتور على جواد ، لأنّه على الأقل ، ذكر أنى تكلمت عن كلمة « فحول » المطموسة فى عنوان الكتاب ، ثم رفضه رفضاً ، لنفس العلة التى اقتصر عليها الدكتور على ، لأن آخر المخطوطة فيها نصّ ما يأتى : « تم كتاب طبقات الشعراء » ، بلا « فحول » .

عقدتُ باباً فى المقدمة سميته : « بابةُ تسمية الكتاب » . وكنت فى الطبعة الأولى ، قد احتججت لما هو مكتوب فى نسختى التى نسختها بيدى وعليها : « طبقات فحول الشعراء » ، فلما ظفرت بالمخطوطة التى كانت تحت يدى يومَ كتبت ذلك ، اختلف الأمْر كُلّ الاختلاف ، لأنّ المخطوطة قد فصلت فى هذه التسمية التى وجدتها مكتوبة فى نسختى التى نسختها بيدى فى سنة ١٩٢٥ ، وصار وصف ما هو مكتوبٌ فى عنوان المخطوط هو الفيصل الذى يقضى بينى وبين ما كتبته قديماً على نسختى . ومع ذلك فالذى عندى الآن ليسَ هو « المخطوطة » نفسها ، بل صورة مصوَّرة عنها ، والمخطوطة

نفسها ينبغى أن يكون ما فيها أوضح من التصوير بلا ريب . وسأعيد الآن وصف ما هو مكتوب فى عنوان صورة المخطوطة ، بما تتضمّنهُ مقدمة الطبعة الثانية وأزيد عليها ما يجعل الأمر أوضح وأبين .

طول الصفحة فى المصورة نحو ٢٢ سم ، وعرضها نحو ١٧ سم . وعنوان الكتاب مكتوب فى وسط الصفحة فى أعلاها ، وعرض الكلام المكتوب عنوانًا هو ٨ سم . وقد أصاب هذا العنوان تلطيخٌ أسود أخفى بعض الأحرف ، فبقى من لفظ « كتاب » ، الكافُ إلى قرب آخر دائرتها ، ثم الجزء الأعلى من الألف ، وخفيت التاء ، وصورتها فى الأصل هى « كتا » ، الكاف مائلة ، والتاء محصورة بين ملتقى الكاف والألف ، ومقياس هذه الأحرف الثلاثة هو (١) سنتيمتر ، وبقيت باء « كتاب » فى قلب السواد خفية ، ولكنها تُرَى مع ذلك . ورأس الباء بينه وبين ألف « كتا » (٢) مليمتر ، وطول حوض الباء من « كتاب » (٢) سنتيمتر ومليمتر واحد . وعلى رأس حوض الباء الأيسر من فوق كلمة « طبقا » ، وطولها (١½) سنتيمتر ، وفوق ألف « طبقا » ، رأس فاءٍ كبير ظاهرة . وقد اختفت تاء « طبقات » وما بعد الفاء التى فوق ألفها . ثم يبدأ يظهر لفظ « الشعراء » ، وبينه وبين ألف « طبقا » (١½) سنتيمتر . ولفظ « الشعراء » مكتوب فى حوض لامٍ ممدودة امّحَى عمودها ، فلم يبق إلا حوضها وصورته « ــــ » وطول هذا الحوض الممدود (١½) سنتيمتر ، وهو نفس طول لفظ « الشعراء » ، فيكون المجموع :

١ + ٢ر + ١ر٢ + ٥ر١ + ٥ر١ + ٥ر١ = ٨ر٧ سنتيمتر تقريبًا ، وهو نفس طول العنوان المكتوب .

ولكى يكون هذا الكلام واضحاً ، سأكتب نص ما على الورقة الأولى التى فيها العنوان ، على الهيئة التى كان يكون عليها عنوان الكتاب ، لو لم يصبه ما أصابه من السواد فى الجزء الأيمن منه ، وما أصابه من البلى الماحى لبعض الحروف تبيل الجزء الأيسر منه ، وهذه هى صورته بخطى :

كتاب طبقات فحول الشعراء

وإذن ، فالفاء الجايلة فوق ألف طبقات ، وحوض اللام المكتوب فيه « الشعراء » يقرأ « فحول » ، ويكون عنوان الكتاب هو « طبقات فحول الشعراء » . ومن الصعب أن يكون هذا الوصف ممثّلاً للحقيقة كما تراها عياناً فى مصورة المخطوطة ، والذى تراهُ فى مصورة المخطوطة لا يكون ممثلاً للحقيقة التى يراها عياناً من يرى المخطوطة . هذا شىء بديهىّ . وقد كتبتُ مثل هذا الذى هنا ، فى مقدمة الطبقات فى الطبعة الثانية ص : ٢٣ . وهذا هو الفيصل فى القضية . ومن شاء أن يرى المصورة ، فهى عندى . وظنّى ، إذا كنت قد فهمت مقالة الدكتور على جواد ، أنها عنده . فكان ينبغى أن يقول قولاً فى هذا الذى كتبت ، لأنّى قلتُ إنه الفيصل فى قضية تسمية الكتاب . ولكنه لم يفعل وأحال على كتاب الدكتور منير سلطان ، والدكتور لم ير هذا الذى وصفته إلاّ فى العكس المأخوذ عن المصورة ، والمنشور مع مقدمة طبقات فحول الشعراء ، الطبعة الثانية . والعكس بطبيعة الحال ، أضعف ظهوراً وأخفى من الأصل الذى صورت عنه ، وهذا الأصل مصورٌ أيضًا . فهذه عيوب متراكبة .

وإذا كان الدكتور على جواد الطاهر أو غيره ، مريداً حقًّا للتثبُّت ، أو على الأصح ، أن يثبت لنفسه وللناس أنى كاذب فيما وصفت ، فليخطف رجله الكريمة إلى مكتبة جاستربتى التى بدبلن ، ودبلن التى بإرلندة المحروسة ، ولينظر إلى المخطوطة نفسها ، ثم يأتى بالتكذيب فى وثيقة مكتوبة ، يشهد عليها أئمة الاستشراق فى البلاد التى تشرّف كتاب « طبقات فحول الشعراء » بالوقوع فى أسرها !

أما ما لجأ إليه هو ، فى التعبير عن جهدى وتدقيقى فى قراءة هذا العنوان الذى لوثه السواد والتآكل ، ثم التدقيق فى وصفه قدر استطاعتى ، بأن يقول معلقًا على هذا : « وقد درس المخطوطتين فى دقة وعلم (يعنينى أنا مع الأسف ، ولعله خطأ وقع فى الطباعة) ، ولكنه تكلّف كثيراً ليثبت — مستدلاًّ — « بالمخطوطة » أن التسمية الصحيحة للكتاب هى « طبقات فحول الشعراء » ، وقد فاته — وهو لا يفكر إلا بشىء واحد — النص الصريح الذى ورد فى آخر المخطوطة : « تم كتاب طبقات الشعراء .... » .

أو ما يقوله الدكتور منير سلطان عن الورقة الأولى من المخطوطة المصورة : « وفيها العنوان الذى اعتمد عليه الأستاذ شاكر ، مشيراً إلى أن كلمة (فحول) معلموسة . وهذا دليل مرفوضٌ بالنهاية المكتوبة فى آخر المخطوطة ، إذ بها : « تم كتاب طبقات الشعراء ... » .

أقول : أمَّا أن يُتَلَقَّى ما أقوله بمثل هذه الاستهانة ، باللجوء إلى ما هو مكتوبٌ فى آخر المخطوطة ، فإنّه موقفٌ بعيد كُلَّ البُعد عن سلامة التقدير والنظر ، فأنا قد وصفت شيئًا موجوداً ثابتاً ، فالذى يريدُ أن يردّ هذا عليه

أن يأتى بكلام فيه تخطئة هذا الوصف وتزييفه ، والبيانُ الواضح عن خطئى وكذبى فى هذا الوصف . وذلك لأنى جعلت هذا هو الفيصل فى قضية تسمية الكتاب .

أمّا ما كنت جعلته أوّلاً ، من الأسباب التى جعلتنى أرجّح أن ما كان فى نسختى التى نسختها عن المخطوطة ، وهو عنوان : « طبقات فحول الشعراء » مكتوبًا بخط يدى أنا [انظر ماسلف ص : ١٤٠] = أما هذا فقد نقضته وجعلته فى مقدمة الطبعة الثانية ، تأييداً لهذه التسمية التى كانت مجهولة عندنا ، إذ كنّا نألف فى كلّ ما قرأناه ، وفى نص مخطوطة المدينة « م » ، أن الكتاب مُتعالم أن اسمه « طبقات الشعراء » ، لا « طبقات فحول الشعراء » . وفرق كبير جدًّا بين الأمرين ، كما هو واضح إن شاء الله .

أما الاحتجاج بما هو موجودٌ فى آخر المخطوطة نفسها : « تم كتاب طبقات الشعراء » ، وأنه قد فاتنى ، وأنا لا أفكّرُ إلا بشىء ، أن نص آخر المخطوطة هو : « تم كتاب طبقات الشعراء » ، فإنّ هذه الحجة لا يقول بها إلا من لا خبرة له بكتبنا ومخطوطاتنا . لو قاله أعجمى مستشرقٌ مسكينٌ ، لأنضينا له دنها حتى يتعلّم ، أما أن يقولها الدكتوران على جواد الطاهر ، ومنير سلطان ، فهذا أمرٌ « مرفوض» كما يقول ولدنا الدكتور منير سلطان . كُلُّ من له خبرة بالمخطوطات والمطبوعات من الكتب العربية القديمة ، يعلم علم يقين أن هذا مألوف جدًّا فى كُلّ الكتب .

وإذا كان أخى وصديقى الأستاذ السيد أحمد صقر هو الذى نقب هذا النقب ، فقد مهّد لكُلِّ مُتولّج أن يتبجبج ناقداً ومندّدًا وواعظاً ، فأنا أقول لجميعهم سمعًا وطاعة ، ولست إلا كما قال النمر بن تولب لصاحبته :

وقالت : ألاَ يا اسْمَعْ ، نَعِظْكَ بخُطّةٍ !
فقلت : سَمِعْنا ، فَانْطِقى وأصيبى

١ — فقالوا ولم يصيبُوا . ولذلك ، فأنا لن أستدلّ إلا بكتاب من كتب صديقنا وأستاذنا السيد صقر نفسه . هذا كتاب « تأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة ، وقد طبعه عن ثلاث مخطوطات : نسخة دار الكتب ، وكتبت سنة ٥٥٨ هـ ، ونسخة مكتبة مراد مُلّا وكتبت سنة ٥٣٢ هـ ، ونسخة أخرى فى دار الكتب أيضا وكتبت سنة ٣٧٩ . وأقدمهن مكتوب عنوانها « الجزء الأول من كتاب مشكل القرآن » لا ذكر للفظ « تأويل » ، وختام النسخة نفسه مكتوب « تم كتاب المشكل » ، فلو فرضنا أن عنوان الكتاب طُمِسَ ، أفيكون حجة لك أن تقول إنّ اسمه هو « كتاب المشكل » ، بالتعريف بلا « تأويل » ولا « القرآن » ؟ هذا مع أن النسخة الأخرى مكتوب فى تمامها وآخرها : « تم كتاب مشكل القرآن ، وتفسير المشكل والأمثال » ، أيضًا بلا لفظ « تأويل » !!

٢ — لا ، بل لقد وقع فى يدى منذ أيامٍ كتابٌ نشره ولدنا وصديقنا الدكتور عبد الله الجُبُّورىّ ، حفظه الله وأكرمه وأعانه ، وهذا الكتاب هو « غريب الحديث » لابن قتيبة أيضًا ، فرأيته قد ذكر هذا الكتاب الذى هو « تأويل مشكل القرآن » فقال ابن قتيبة نفسه فى الجزء الأول ص : ١٦٨ : « وقد بينت هذا فى كتاب « مشكل القرآن» ثم قال بعد قليل ص : ١٧١ : «والقنوت يتصرّف على وجوه قد ذكرتها فى كتاب « المشكل » . ثم قال فى ص : ٢٣٢ : « قد بينته فى كتاب : تأويل مشكل القرآن » ، ومثله أيضًا فى ص : ٢٦٩ . فهذا

صاحب الكتاب نفسه ، قد ذكره بثلاثة أسماء ، أشهرهن الآن « تأويل مُشكل القرآن » ، كما نشره صديقنا السيد أحمد صقر .

٣ — لا ، بل هذا كتاب نشره أعجمى مسكين ، مستشرق يقال له : « جيرار لكونت ، أستاذ فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس » ، نشره بهذا العنوان : « كتاب إصلاح الغلط فى غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام = تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى » . وهذا الكتاب مشهورٌ فى كتبنا باسم : « إصلاحُ غلط أبى عبيد » ، فقط . ولكن ابن قتيبة نفسه فى الكتاب الجليل الذى نشره الدكتور الجبورى يقول فى ص : ١٥٠ (الجزء الأول) : « وأفردت لها كتاباً يدعى « كتاب إصلاح الغلط » ، ويقول فى ص : ٣٥٠ : « وقد بيّنت هذا فى « كتاب إصلاح الغلط » . ثم يقول ماهو أغرب فى ص : ٤٥٠ : وقد بيّنت هذ فى « كتاب تبيين الغلط » هكذا يقول ابن قتيبة نفسه .

فهذا ، كما ترى ، اختلافٌ واقع فى أول نسخة مكتوبة وآخرها ، كما سلف فى رقم : ١ ، ثم فى رقم : ٢ صاحب الكتاب نفسه يسمّى كتابه بثلاثة أسماء « تأويل مُشكل القرآن » ، و « مشكل القرآن » و « المشكل » لا غير . ثم هذا المؤلف نفسه يسمّى كتاباً واحداً من كتبه ، فى كتابه باسمين متباينين « إصلاح الغلط » و « تبيين الغلط » ، ويعرفه عنه الناس باسم « إصلاحُ غلط أبى عبيد » وينشر باسم رابع « إصلاح الغلط فى غريب الحديث ... » .

وإذن ، فالكلام فى تسمية « طبقات الشعراء » ، أو « طبقات فحول الشعراء » الذى يعترف الدكتور على جواد نفسه بأنه أليق بالكتاب ، كما

سلف [س ١٢٨] ، هو لجاجةٌ محضة ، والاستدلال بما فى آخر النسخة المخطوطة ، على أن ما كتبته فى وصف كتابة العنوان بأنه «مرفوض» رفضًا باتًّا ، أو اتهامى بأنى ، وأنا أكتب هذا الوصف لما هو فى مصورة المخطوطة : «قد فاتنى النص الصريح الذى ورد فى آخر المخطوطة : « تمّ كتاب طبقات الشعراء » ، لأنى متكلِّفٌ ، وبأن عقلى مشغول بشىء واحد - هذا وهذا لا يليقُ أن يصدُر عن أحد لهُ أقلُّ معرفة بالكتب المطبوعة أو المخطوطة ، بَلْهَ أستاذ يقول عن نفسه فى التعليق رقم (١) من مجلة المورد متواضعًا مفاخراً متعاليًا فى آن واحد : « وُجد لكاتب البحث (يعنى نفسه) من العلم بمخطوطات الكتاب ، ماجعله يهم بالعمل على تحقيقه . . . » ، أىُّ علم ياسيدى . نسخة المدينة « م » التى تظنُّ أنك عرفتها ، لم تعرفها إلاّ بعد أن سعيت أنا فى تصويرها من المدينة الشريفة ، ونسخة « تشستر بتى » . وهى « مخطوطتى » ، وصلت مصورة إلى يدى منذ سنة ١٩٥٥ ، وأظنُّك كنت فى ذلك الوقت طالباً فى كلية الآداب بمصر . فما هذا الذى تفعله بنفسك وبالناس !

* * *

ولكن الدكتور على جواد الطاهر ، لا يفعل هذا وحسبُ ، بل يُوهِم فى مواضع متفرقة من مقالته ، أنّى استفدت منه ، وسطوت على جهوده العظيمة فى اكتشاف مخطوط المدينة « م » ، و « مخطوطتى » . ويلجأ إلى ذلك بطريقة ملتوية غاية الالتواء ، مقلّدًا الدكتور منير سلطان فى كتابه « ابن سلام ، وطبقات الشعراء » ، الذى كان صريحًا غاية الصراحة . فقد ذكر فى كتابه الطبعة الثانية من « طبقات فحول الشعراء » سنة ١٩٧٤ ، ثم قصتها التى كتبها فى مقدمتها ، وذكر مخطوطتى العتيقة ، ثم نسخة المدينة « م » ثم قال بملء فمه :

« إذن فقد عاد أستاذنا إلى ما نادينا به ، فاعتمد على مخطوطة المدينة ، مع اعتماده على المخطوطة الأم العتيقة » ، هذا صريح ، ولكنى آسفُ أشد الأسف ، لأنى لم أسمع نداءهُ قطّ ، وهو لم ينشر كتابه إلاّ فى سنة ١٩٧٧ ، بعد أن كان تقدم به لنيل الماجستير فى سنة ١٩٦٨ ، وليتنى كنت سمعتُه ، إذن لأثنيت عليه فى المقدمة كلّ الثناء ، وإن كنت قد ظفرت بصور المخطوطات قبل أن يتقدم للماجستير بسنوات طوال .

أما التواء الدكتور على جواد فهو غاية فى الغرابة ، فإنه ظَلّ يغمزُ ويلمزُ ويَهْمِزُ فى خلالِ مقالته ، حتى انتهى إلى آخرها فقال ، (سوف أتمم ما حذفه الدكتور بين قوسين معكوفين ، وبعد تصحيح الخطأ أيضاً ، وسأضع تحت الكلام المهم خطًّا أسودَ ، وكان الصحيح أن يكون خطًّا أحمر ، ولكن الطابعة لا تسعفنى بذلك ، وإن كانا فى الحقيقة سواء لا يختلفان ألبتة) .

« وقد أدّاه العلم الجديد (يعنينى أنا) إلى أن « يبرأ » (القوسان من عند الدكتور ، للأهمية) من الطبعة السابقة ، فيقول فى صراحةٍ وصدقٍ وألم : «قصصت قصة نسختى التى كنتُ نقلتُها ، وأنا يومئذٍ غِرٌّ لا عِلْمَ له ، عن « المخطوطة » قبل انتقالها إلى دار الغربة فى مكتبة « تشستربتى » ، [ولم أكن قد أتممت نقلها . فعن هذا القدر الذى نقلته من المخطوطة ، طبعت كتاب « طبقات فحول الشعراء »] ، وكنت أترقّمُ يومئذٍ ، وأنا لا أشعر ، أن الذى نقلتُه مطابقٌ لما فى « المخطوطة » التى غاب عنى أصلها . فلما جاءت مصورة « المخطوطة » ، وقابلتها بما طبعته فى سنة ١٩٥٢ ، تبيّن لى أنّ نفسى غرّتنى غروراً كبيراً ، وأنى وقعتُ عند نسخها فى أخطاءٍ قبيحة ، لغرارتى يومئذ

وجهلي . ونعم ، قد صححت بعض هذه الأخطاء التي وقعت في نسختي القديم ، بما بذلته في مراجعة الكتاب على دواوين الشعر والأدب ، ولكن قادتني بعضُ هذه الأخطاء إلى دُرُوب موحشة ، تعثّرت فيها تعثُّراً لا يغتفر . ومن أجل هذا ، فأنا لا أحِلُّ لأحدٍ من أهل العلم ، أن يعتمد بعد اليوم على الطابعة الأولى من « طبقات فحول الشعراء » ، مخافة أن يقع بي في زللٍ لا أرضاه له ، وأضرعُ إلى كُلّ من نقل عن هذه الطبعة شيئًا في كتابٍ ، سواء نسبه إليّ أو لم ينسبه ، أن يراجعه على هذه الطابعة الجديدة من الطبقات ، لينفي عن نفسه وعمله العيبَ الذي احتملت أنا وحدي وِزْرهُ [128] .

« وهو كلامٌ جميلٌ جدًا ، قال فيه كُلّ ما يمكن أن يمرُّ بخاطر القارىء ، ويَصُدُّه عن التصريح الحياء حينًا ، وضخامة الجُهْد المبذول حينًا . وكان الكلامُ يكون أجمل ، لو سلمت الطبعة الثانية من عيوب وقع عليها « الإجماع » أو كاد . وقد يعيد الأستاذ المحقق الجليل نظره فيها لدى الطبعة الثالثة ، متمنّين ـ معه ـ (هكذا في الأصل بين شرطتين) الفوزَ بمخطوطة جديدة تامةٍ لكتاب « طبقات الشعراء » [129] .

الهوامش : (١٢٨) « وذيل المقدمة ، بعنوانه : « مصر الجديدة ، شارع الشيخ حسين المرصفي /٣ » حرصاً على العلم بما تستثير هذه الطبعة من رأى ، وتستدعى من « نقد » (والقوسان هنا من عند الدكتور أيضاً) .

(١٢٩) كان « طبقات الشعراء » موضوعاً لدرس طلبة السنة التحضيرية للدكتوراه (بكلية الآداب ـ جامعة بغداد ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨) وكانت الطبعة الثانية جزءاً من مادة الدرس ، مرجعاً ومقابلة وتحقيقاً . . وقد خرج الطلبة بهذا الرجاء .

وأنا لا أحبُّ البَغْي ، لاَ أبغِى على أحدٍ ، ولاَ أقيمُ على بَغْيٍ

وَلـٰكِنَّ الفَتَى حَمَلَ بن بَدْرٍ   بَغَى ، والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
أظنُّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي ،   وقد يُسْتَجْهَلُ الرجُل الحَلِيمُ
ومَارَسْتُ الرِّجَالَ ومارسونى ،   فَمُعْوَجٌّ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ !
(دَلَّ عَلَيَّ قومى : أى جَرَّأَهم علىّ) .

* * *

جائزٌ جدًّا أن يكون الدكتور على جواد الطاهر عالمًا جليلاً مقتدراً ، جائزٌ ، ولـكن الذى ليس بجائز أن يكون كاتباً ، بَلْهَ أن يكون كاتباً غمّازاً همّازاً لمّازاً ، لأن هذه قدرةٌ لا يملكها إلاّ صنفان من الناس ، لا داعى لذكرهما الآن ، أو على الأصح لا داعى لذكر أحدهما . ولذلك فهو يلجأ إلى وضع الألفاظ الهمازة الغمازة اللمّازة ، بين قوسين ، كما رأيت هنا ، وكما رأيت آنفًا أيضًا . وهذا الفعل أشبهُ بالتَّقِيَّة ، ولـكن التَّقية لاتصلح هنا ، لأن النقد (بلا قوسين ، كالقوسين اللذين استخدمهما الدكتور فى الهامش (١٢٨)...) ، لا يكون نقداً حتى يكون واضحاً صريحًا لاتقيَّةَ فيه .

وبهذه المناسبة ، أحبُّ أن أقول للدكتور على جواد الطاهر ، أن الأخطاء التى وقعت منّى فى الطبعة الأولى ، لم يصحِّحها أحدٌ غيرى ، لا ناقد ولا غيرُ ناقدٍ ... مستثنياً مقالة أخى حمد الجاسر ، الذى صحح لى أكثر ما جاء فى أسماء المواضع ، على طريقته هو فى الدراسة الجليلة التى نهض بعبئها وحده ، ثم تبعه الناس . وأيضًا لم تصلنى رسالة واحدةٌ ، لا من عامة القراء ، ولا من الأساتذة الأجلاء بعنوانى الذى ذكرته فى آخر المقدمة ، سوى رسالةٍ واحدة

جاءتنى من بريد « أكسفورد » ، كاتبها هو « م . ى . قسطر » ، وهو مقيم فى فلسطين ، فصححت الخطأ ، وكتبت ما يلى : « كنت أخطأت بيان ذلك فى طبعتى السالفة من الطبقات ، فجاءتنى من الأرض المقدسة الطاهرة التى دنستها يهود ، رسالة رقيقة من « م . ى . قسطر » فدلنى على الصواب الذى ذكرته آنفا ، فمن أمانة العلم أن أذكره شاكراً ، كارهًا لهذا الذكر » (الطبعة الثانية ص : ٣٩٥ ، تعليق : ٢) . ثم طبعت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ ، وكتبت أيضًا عنوانى فى آخر المقدمة ، فهذا أنا فى سنة ١٩٨٠ ، ولم تصلنى رسالة واحدة من ناقد أو غير ناقدٍ ، سوى هذا الغمز واللمز والهمز ، الذى يتوهم صاحبُه أنى استعذت منه فيقول : « وقد أداه العلم الجديد إلى أن « يبرأ » من الطبعة السابقة » ، أىّ علمٍ جديد يا هذا ؟ وما معنى أن تضع « يبرأ » بين قوسين من قوس الكُسَعِىّ التى كسرها ثم عضّ إبهامَهُ فقطعها ، ثم قال :

نَدِمتُ ندامةً ، لو أنّ نفسى تُطَاوِعنِى إذاً لبَتَرْتُ خَمْسِى

تبيّنَ لى سَفَاهُ الرأى مِنّى ، لَعَمْرُ اللهِ . حين كسرتُ قَوْسِى

والذى يقول فيه عدىّ بن مرينا . لما صار الكسعىّ مثلاً :

نَدِمتَ ندامةَ الكُسَعِىِّ لمّا رَأَتْ عَيْنَاكَ ماصَنَعتْ يَدَاكَا

وعدىّ بن مرينا ، يقول هذا الشعر لعدى بن زيد العبادى ، وقبل البيت :

فإنْ تَظفَرْ ، فلم تَظفَر حميداً ! وإن تَعْطَبْ ، فلا يَبْعَدْ سِوَاكَا !

هَلْ يستطيع هذا الدكتور الفاضل ذو الحياء الجمّ أن يَسُبَّنى بألفاظى ،

بارئًا من الإثم ، خاليًا من كُلِّ مَعْتَبة ؟ ويقول لى ، وهو يَرْمِز بحاجبيه وعينيه مبتسمًا : « يَدَاكَ أَوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ » ، أى أنى أنا الذى جنيتُ هذا على نفسى . (يقال : رمزت المرأة بعينيها وحاجبيها ، إذا غمزت بهما ، والأصل فيه من الحركة ومنه قول جرير للبعيث المجاشعى :

إذا سار فى الركبِ البَعيثُ ، عَرَفْتُمُ
تَرَمُّزَ حَمْراء العِجَان على الرحْلِ)

وأنا ، بحمد الله قادرٌ أن أصف عملى إذا أسأتُ ، وأن أقول عن نفسى وأنا فى السابعة عشرة من عمرى أنى كنت يومئذٍ « غرًّا لا علم له » وأنى حين نسختُ من المخطوطة ما نسختُ ، وأنى توهمت بعد الفراغ من نسخها صغيراً ، وأنا لا أشعر ، أن الذى نقلته مطابق كلّ المطابقة للمخطوطة ، وظللت على ذلك حتى شرعت أطبع الطبعة الأولى ، فصححت من الأخطاء التى وقعت فى النسخ شيئًا كثيراً ، ولكن لما جاءت المخطوطة وراجعتها « تبيّن لى أن نفسى غرّتنى غروراً كبيراً ، وأنى وقعتُ عند نسخها فى أخطاءٍ قبيحة ، لغرارتى يومئذٍ وجهلى » . أستطيع أن أقول ذلك بلا حرج أجدُه فى نفسى ، ولكنى أستطيع أيضًا أن أقول وأنا على ثقة مما أقول ، أنّ هذا الدكتور وأشباهَهُ ، لم يعرفوا ولن يعرفوا شيئًا من الأخطاء التى أشرتُ إليها ، حتى يستطيع هو أو غيره أن يقول إنه « مَرَّ بخاطره » ، ولكن صدّه الحياء عن التصريح بأنى « غِرٌّ جاهلٌ لا علم له » ، كما وصفت نفسى .

أدبٌ جمٌّ ، وحياءٌ مُقْذِع ، ولكن ماذا أقول إذا كان الدكتور على جواد الطاهر ، قد غامَسَتْهُ نفسه فى بابٍ من أبواب هجاء كتاب « طبقات

فحول الشعراء ، وفى هجائى بالغمز واللمز والهمز والترمّز ، فراح يتحسَّسُ كلَّ كلمة قالها قائل ، فإما اختلسها لنفسه ، وإمّا علّق بها حيث لا ينبغى التعليق ، حتى جاء بشىء يقال له «البستانى» (٣ : ١٩٨) ، يقول عن كتاب الطبقات : « نشره ١٩٥٢ ، بعنوان طبقات فحول الشعراء ، فكان ما أصاب الكتابَ من التصرّف بعنوانه وهو مخطوط ، أصابه كذلك وهو مطبوع » ، جعلهُ تعليقًا على قوله هو : « ليس الذى عمله الأستاذ شاكر بجائز فى قواعد البحث العلمى » (المورد ص : ٣٩) ، حتى هذا الشىء الذى يقال له البستانى ، صار له مكانٌ فى القصيدة المنثورة التى قرضها الدكتور على فى هجائى وهجاء كتاب الطبقات .

ثم لا يكتفى بهذا الذى جمّعه ، حتى ادّعى أن هذا الغثاء إجماعٌ ، وقال : « وكان الكلام يكون أجمل (أى هجائى نفسى) لو سلمت الطبعة الثانية من عيوب وقع عليها « الإجماع » (والقوسان أيضًا من عند الدكتور على طريقته) أو كاد » ثم يتمنى هو وطلبة السنة التحضيرية للدكتوراه (تحت إشرافه بالطبع) بجامعة بغداد ، طبعة ثالثة تامّة باسم « طبقات الشعراء » .

مسكينٌ كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، لقد صار إلى ما قاله أوس ابن مغراء :

قالوا : فما حالُ مِسْكين ؟ فقلت لهم :
أضْحَى كَقُمَّة دَارٍ بين أنْدَاء

(القُمَّة ، بضم القاف : المزبلة) .

* * *

والآن لا أظنّ أنه قد بقي في مقالة الدكتور علي جواد الطاهر « طبقات الشعراء ... مخطوطًا ومطبوعاً » ، والتي نشرها في مجلة المورد العدد الثامن ١٣٩٩ — ١٩٧٩ = لا أظنّ أنه بقي فيها شيء له قيمة ، ومع ذلك فأنا لم أتعرّض لأخطائها إلاّ ما هو خاصّ بالطبقات لا غير . ولكن تبقى النصيحةُ إن كان للنصيحة موضع . إنّ هذا الضرب من المقالات لا يمكنُ ، أو هكذا أتصور ، أن يكون نافعًا في ترقيته في السّلك الجامعيّ ، ولا أظنّ أن عرضَه لهذا الذى كتبه على زملائه في جامعة الرياض سنة ١٩٦٤ ، كما قال في التعليق رقم (١) في المورد ، لا أظنّ أن هذا العرض قد قُوبِل إلاّ بالمجاملة فحسب . ولو عرضه على الدكتور مهدى المخزومى ، وعلى الدكتور عزت حسن وعلى الدكتور مازن المبارك مرّة أخرى قبل أن ينشره في المورد سنة ١٩٨٠ ، وبعد طبع الطبعة الثانية من الطبقات = لكان يقيني أن ينهوه عن نشره نهيًا يزجُرُه عن الإقدام على مثل هذه الفعلة المنكرة ، فإنها شيء لا يقدمُ عليه إلاّ من لا حَصَاةَ له (والحصاة : الرأيُ الذى يحفظ صاحبه ويمسكه ، ومنه قول طرفة :

وإن لِسَان المرء ما لَمْ يكنْ لَهُ حَصَاةٌ ، على عَوْرَاته لَدَليلُ

أى إذا لم يكن مع اللسان عقلٌ يحجزه عن بسطه فيما لا يُحِبُّ ، دلّ اللسانُ على عيب صاحبه ، بما يلفظ به من عورِ الكلام) .

واللهَ أسألُ أن يُعين كُلاًّ على كلّ ، وأن يأخذ بِحُجَزنا عن الضلالة ، وأن يأخذ بنواصينا إلى كُلّ خير ، ومن يُضْلل الله فماله من هادٍ .

وبقى شىء واحدٌ أقوله لمن قرأ هذا الكلام : عُدْ فاقرأ رسالة الدكتور

على جواد الطاهر إلىّ فى سنة ١٩٦٨ ، وانظر إلى ما قاله وكيف قاله فى سنة ١٩٨٠ ، إنّ هذا لشىء عجاب . ثم لا أزيدُ . أمَّا نشر مقالةٍ كُتِبت (كما زعم) فى سنة ١٩٦٤ ، فى سنة ١٩٨٠ على هذه الصورة ، فهو عبث محض ، واستهزاء بالقُراء ، وإهدار لقيم الأشياء ، وغِش للمجلة التى نشرته ، وكلّ ذلك لا ينبغى أن يفعله من يصون قدر نفسه ، فما ظنّك أن يفعله من يتولّى تعليم النشء فى الجامعة ؟ عمل سىء ، يغرِى به قصدٌ سىّء ، يخرج صاحبه من حيِّز الأمانة . ولكن إلى هذا صِرْنا ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله ؟

* * *

فهرس الكتاب

٧ — ديباجة الكتاب ، سبب تأليفه

١٤ — رسالة مصورة

١٥ — تفصيل القول فى مقالة مجلة المورد ، فى نقد كتاب :
« طبقات فحول الشعراء » .

٢٠ — مآخذ صاحب المقالة على مطبوعة « الطبقات » .
المأخذ الأول فى شأن الزيادات فى كتاب الطبقات .

٢٢ — المأخذ الثانى والثالث ، فى شأن كتاب الأغانى .

٢٣ — المأخذ الرابع ، فى شأن كتاب الموشح للمرزبانى ، فى ستة عشر موضعاً .

٣٦ — تفصيل القول فى مسألة الزيادات التى زدتها ، وما لجأ إليه الكاتب وغيره من المبالغة . ورد ذلك بإحصاء مفصل .

٤٠ — القول فى الأصلين المخطوطين لكتاب الطبقات .

٤٢ — معنى أصول الكتب المخطوطة ، ماهو ؟

٤٧ — عملى فى كتاب الطبقات ، وأسانيد أبى الفرج فى الأغانى .

٥١ — معنى « الإجازة » و « المكاتبة » و « الوجادة » عند علماء الرواية .
وأن الذى فى الأغانى من كتاب الطبقات ، هو من كتاب الطبقات بلا ريب .

٥٥ — أبو الفرج الأصفهانى ، لم يرو عن أبى خليفة « مشافهة » ، وخطأ الكاتب فى ذلك ، وإنما هو رواية عن كتاب الطبقات .

٥٩ تصرف الكاتب بالحذف من كلامى ، ودلالة ذلك على منهج فاسد .

٦٢ — إبطال القول بأنى زدت زيادة (غزيرة) فى كتاب الطبقات.

٦٦ — الشروع فى بيان « الزيادات » تفصيلا .
٦٧ — الزيادات من الأغانى على نسخة « م » المختصرة فى ثلاثة وعشرين موضعاً .
٧٤ — الزيادات من الأغانى على « مخطوطتى » فى عشرة مواضع .
٨٠ - زيادة عن ابن أبى الحديد على «م» المختصرة ، وزيادة من أمالى الزجاجى على المخطوطة .
٨١ — زيادة مفردة على « مخطوطتى » .
٨٢ — زيادة من الموشح للمرزبانى على « م » المختصرة ، فى ثلاثة مواضع ، وإحصاء الزيادات هذه وقدرها .
٨٦ — القول فى أسانيد أبى الفرج فى الأغانى ، ومعناها .
٩١ — القول فى أسانيد المرزبانى فى الموشح ، وفيها بيان وجه من التدليس غريب .
٩٢ — حشد أسانيد الأخبار فى الموشح .
٩٨ — دراسة هذه الأسانيد ، وما جاء فيها من غرائب المرزبانى فى الرواية عن شيوخه . وهو غريب جداً ، ومهم جداً ، وبيان فصل من منهجى فى دراسة الكتب .
١٠٧ — أخطاء صاحب المقالة ، وفساد تصوره لعملى .
١١٣ — خطأ الكاتب فى معنى « الشيوخ » فى الرواية .
١١٥ — حديثه عن يوسف هل ، المستشرق ، حديث عن الاستشراق ، وعن « المنهج العلمى » و « علم التحقيق » الذى يختال بمعرفته .
١١٨ — مثل على غطرسة المستشرقين ، وبيان ضعفهم وأخطائهم ، وادعائهم الكاذب .
١٢٧ — القول فى تسمية الكتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وخطأ النقاد ، وادعاؤهم أنى « غيرت » اسم الكتاب .

١٣٠ — مناقشة من ادعى أنى « غيرت » اسم الكتاب ، والدليل فى الطبعتين جميعاً على أنى قد قلت إنى « عدلت » عن اسم مشهور ، إلى اسم آخر موجود على « مخطوطتى » .
١٤١ — إيضاح قضية تسمية الكتاب ، وإساءة كاتب المورد فيما كتب .
١٥٧ — رفضى كلمة « التحقيق » ، واقتصارى على لفظ « قرأت » .
١٥٨ — كل ماجاء فى المورد ، متعلق بالطبعة الأولى من كتاب الطبقات .
١٦١ — صفة ماهو مكتوب على الصفحة الأولى من المخطوطة ، والتدقيق فى قراءته
١٦٥ — ماهو موجود فى آخر الكتاب « كتاب طبقات الشعراء » ، ليس بحجة.
١٦٦ — الاستدلال على الاختلاف فى أسماء الكتاب الواحد ، فى كتاب « تأويل مشكل القرآن » وكتاب « إصلاح غلط أبى عبيد » .
١٦٨ — التواء كاتب مقالة المورد ، فيما يكتب .
١٧٠ — أدب الكاتب فيما كتب .
١٧٥ — ختام الكتاب .

طبقات فحول الشعراء

فهرس بَابَاتِ المقدّمة

٩ — المقدّمة

قصة مخطوطة كتاب الطبقات ، ونسخة المدينة « م »

١٢ — بَابَةُ المقارنة بين المخطوطتين (١)

« المخطوطة » وعدد أوراقها — عدد مافيها من الخروم — مخطوطة المدينة « م » ، عدد أوراقها — الدليل على أن « م » مختصرة من كتاب الطبقات — صفة خَطّ كل منهما — مواضع بياض في « المخطوطة ».

١٨ — بَابَةُ الصفحة التي فيها عنوان الكتاب (٢)

صفة ماوجد على هذه الصفحة من كتابة تدلّ على تملّك ، أو اطلاع ، وما فيها من أسماء وتاريخ .

٢١ — بَابَةُ تَسْمِية الكتاب (٣)

« طبقات فحول الشعراء » ، وما قاله النقاد في ذلك — صفة العنوان في « المخطوطة » — دلالة على صحة هذه التسمية — حجة الرأى في صحة التسمية.

٢٧ — بَابَةُ إسناد الكتاب في المخطوطتين (٤)
وتراجم رواته ، وتحقيق تاريخ كتابة المخطوطة

إسنادُ « المخطوطة » — ترجمة أحمد بن عبد الله بن أسيد — زمن روايته عن أبي خليفة — أبو نصر السِّجزىّ — أبو سعد الماليني — أبو نعيم الأصبهاني — تاريخ كتابتها حوالى سنة ٣١٠ — إسناد « م » — أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الأزدى — أبو طاهر محمد بن أحمد الذهلىّ — تاريخ كتابتها حوالى سنة ٤٠٩ .

٣٣ — بَابَةُ ترجمة أبي خليفة ، ومحمد بن سلام (٥)

الدليل على أن أبا خليفة عاش أكثر من مئة سنة — شيوخ ابن سلام في الطبقات — كتب ابن سلام

٣٨ — بَابَةُ نُسْخة أبي الفرج الأصبهاني من كتاب الطبقات (٦)

أسانيد أبي الفرج في الأغاني — مطابقة ما في الأغاني لما في المخطوطتين — ما زدته من الأغاني في الطبقات ، وعدد الأخبار — الزيادة عن الموشح للمرزباني ، وعن نهج البلاغة ، وعن تاريخ ابن عساكر — زيادات في التعليقات عن كتب أخرى — مقارنة بين طبقات الشعراء في كتابنا ، وفيما ذكره أبو الفرج — الخلل في كتاب الأغاني وتفسيره .

٥١ — بَابَةُ طبَعَات كتاب الطبقات (٧)

(١) طبعة يوسف هل — تلخيص مقدمة يوسف هل — تفنيد ما فيها من الخلط — المواضع التي أدخل فيها أبو خليفة نفسه في الكتاب — شبهة يوسف هل عن كتاب الطبقات وتفنيدها — عبثُ عابثٍ في نسخة « م » أدخله يوسف هل في نص الطبقات — شبهة هل عن « المخضرمين » — تفسير لفظة « طبقة » و « طبقات » عند ابن سلام .

(٢) طبعتي الأولى ، وما فيها من العيوب — فضل الناقدين على عملي — سيرتي في قراءة الكتاب وشرحه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ وحده لاشريك له ، أحمَده وأستعينُه وأستغفِرُه وأتوب إليه ، وأعوذ به سبحانَه أن أغفُل عن ذِكْر فضْله ونِعَمه ، وأخشَع له — تعالى جَدُّه — رغبةً فى زيادة أنالَها من إحسانه ، ورَهْبَةً من مَعْصِية تكسِبُنى المَخُوفَ من غَضَبه وخذلانه . اللهمّ إنّى لاأحصِى ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك . اللهمّ صلّ على محمد صلاة طيِّبة نامِيةً زاكيةً مباركة . اللهمّ آتِ محمداً الفضيلةَ والوسيلةَ والدرجةَ الرفيعة ، وابعثْه مقاماً محموداً الذى وعدْتَه ، إنّك لاتُخْلِف الميعاد . صلّى الله عليه وسلم ، وعلى ملائكة ربّنا ورُسُله ، ومن تبعهم من الصِّدِّيقين والمتّقين .

* * *

عرفتُه فى أوّل أيامى طالباً للعِلْم . كان رجُلاً برّاً نبيل النفس ، فوجدتُ من عطفه وكرمه ، ومن تأييده وحثِّه ، ماأعاننى على أن أتزوّد من العلم ماشاء الله أن أتزوّد . لم يكنْ عالِماً ، ولكنّه كان يجمَع للعلماء أصولَ علمهم ، وينشرها بين أيديهم ، ويُغريهم بالحرص عليها . فقلّ أن تجد عالِماً أو أديباً فى زمنه ، لم يكن لهذا الرجل النحيف الضئيل الخافت فَضْلٌ عليه ، يذكره الذاكر محسناً فى ذكره ، وينساه النّاسى مسيئاً فى نسيانه . ذلك هو أمين الخانجى ، الكتبىّ ، الذى أحبّ الكتاب العربىّ كأنه تُراث أبيه وأمّه .

ففى سنة ١٣٤٣ تقريباً (سنة ١٩٢٥ ميلادية) عاد السيد أمين من رحلته فى العراق وغيره من بلاد العرب ، وقد تجمّع من نوادر المخطوطات شيئاً لا يقدّر بثمن ،

وكان من بينها صناديقُ فيها أوراق شتّى (دشت) . وذات يوم أقبلتُ عليه فى دُكّانه ، فإذا به يخرج لى ورقةً حائلة اللون ، وسألنى : أتعرف ماهذه ؟ فما كدتُ أقرأ منها أسطراً حتى عرفتُ أنها من كتاب « طبقات الشعراء » لأبى عبد الله محمد بن سلاّم الجمحىّ ، وكنت حديث عهدٍ بقراءة الكتاب . فاستُطير فرَحاً بما عرفَ ، وقمنا معاً إلى هذه الصناديق المبعثرة الأوراقِ ، نفرزُها ورقة ورقة ، يوماً بعد يوم ، حتى جمعنا من أوراق كتاب الطبقات قدراً عظيماً . فلما فرغنا ، أمرنى رحمه الله أنْ آخذها فأرتبها وأنقلها ، مخافةَ عليها من مثل ما كانتْ فيه ، ومن عوادى البِلَى عليها ، إذ كانتْ عتيقة الورق . وفعلتُ مقصّراً متراخياً ، فلم أتمّ نقلَها ، وبقيت بقيّةٌ من أوراق المخطوطة لم أنقلها ، وطال الزمنُ ، فسألنى السيد أمين رحمه الله ، أن أردّ إليه الأمّ العتيقة قبل تمام نقلها ، فرددتها إليه ، ولم أخبره بما كان منّى من التقصير والتراخى .

ودارتْ بى الأيّام ، وفارقتُ مصر فى سنة ١٣٤٧ (سنة ١٩٢٨) ، ثم عدتُ إليها ، وقد فَتَرَ مابينى وبين الكتب زمناً طالَ وامتدّ . ثم لقيتُ أميناً رحمه الله ، فأخذ يستحثّنى أن أعيد النظر فى كتاب الطبقات ، حتى أستطيع أن أعدّه للنشر ، فتراخيت ماتراخيتُ ، وهو يظنّ أنى كنت قد فرغت من نقلها ، وأظنّ أنا أنّ النسخة لم تزل فى حوزته . ثم قضى أمينٌ نحبَه فى يوم الجُمُعة ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ (٧ يولية ١٩٣٩) ، وقد جاوز السبعين من عمره ، غفر الله له ورحمه . لم يخبرنى أينَ استقرّت الأم العتيقة ، ولما سألتُ بعض ولده عنها ، لم أجد عند أحدٍ منهم خبراً عنها . ثم بدأتُ أبحثُ عنها فى مَظانّها من دور الكتب العامة والخاصّة ، فلم أعثر عليها حيثُ ظننتُ . وبقيت نسختى التى نقلتُها حبيسةً فى خزانة كتبى هذا الدهرَ الطويلَ ، حتى دعانى أخى الأكبر الأستاذ أحمد محمد شاكر ، رحمه الله ، إلى نشر هذه النسخة الناقصة ، فاستجبتُ له ، واستخرتُ الله وتوكّلت عليه ، ثم بدأتُ ،

فشرحت كتاب الطبقات ، وفرغت منه ، وتولّت « دار المعارف » طبعه ، وكان الفراغ منه في عصر يوم الأربعاء ٢٠ من ذي الحجة سنة ١٣٧١ ، (١٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢) .

وبعد ظهور الكتاب في الأسواق ، وبعد إهدائي نسخة منه إلى شيخنا وأستاذنا عبد العزيز الميمني الراجكوتي أطال الله بقاءه ، مضى زمنٌ طويل ، ثم جاءتني منه رسالةٌ يذكر فيها أنه قرأ في إحدى مجلات المستشرقين ، مقالة للأستاذ آربري المستشرق ، فيها قراءة جديدة لكتاب الطبقات ، توشك أن تكون شبيهةً بنسختي التي نشرتها من كتاب ابن سلام . فلما اطلعت على المجلة ، أيقنتُ أن هذه النسخة التي أشار إليها آربري هي نسختي التي فقدت خبرها بموت أمين الخانجي. فبادرت وراسلت صديقنا الدكتور محمد رشاد سالم ، وكان يومئذ تلميذاً لآربري في إنجلترا، وسألته أن يوافيني منها بصورةٍ ،وعلمتُ أنها في مكتبة «تشستر بتي» فجاءتني المصوّرة، فإذا هي نسختي ، وعليها خطّي وتوقيعي، كما أشرت إليه في التعليق رقم : ٣ ص : ٢٠٤ ، فحمدتُ الله ، وسألته أن يردّ غُرْبة هذه النسخة التي رمتها المقادير إلى بلاد الأعاجم .

ومنذ وصلتني هذه النسخة المصورة ، جعلت همّي أن أعيد طبع الكتاب تاماً، وكان من فضل الله عليّ أن ظفرتُ أيضاً بصورة أخرى لنسخة المدينة ، شرفها الله وصلّى على ساكنها صلاةً طيبة مباركة . وظلّ العزمُ كامناً حتى أذن الله ، فمهّد لطبع كتاب الطبقات مرة أخرى ، على وجهٍ يُرضيني بعض الرضى ، والحمد لله أوّلا وآخراً .

* * *

١ — بابَةُ المقارنة بين المخطوطتين

١ ـ **المخطوطة الأولى** ، وهى نسختى التى آلت إلى مكتبة « تشستر بتى » والتى جعلتها أصلاً ، وأشرت إليها فى تعليقاتى باسم : « المخطوطة » .

من فضائل هذه النسخة أنّ كاتبها قد كتب على كُلّ ورقةٍ تعدادها بالأرقام ، وابتدأ تعداده بعد الورقة الأولى التى فى وجهها عنوان الكتاب ، وفى ظهرها أوّلُ كتاب الطبقات ، يدأ برقم (١) وانتهى إلى رقم (١١١) ، ولكنه سَهَا فكرّر رقم (٤٢) مرتين ، فكان ينبغى أن ينتهى برقم (١١٢) ، وبذلك يكون عدد أوراق النسخة (١١٣) ورقة ، بخط كاتبها ، ثم ورقة أخرى بعد ذلك ، فيها بعض أخبار ، بخط مختلف أحدث من خط كاتبها ، فعدد أوراقها كاملة (١١٤) ورقة . بيد أن الباقى عندنا من هذه النسخة تسع وستون ورقة (٦٩) ، وفى وجه الورقة الثامنة والستين (٦٨) أربعة أسطر هى آخر نص كتاب الطبقات ، أى ثلاثة أخماس أصل الطبقات على وجه التحقيق . وإليكَ بيانَ مواضع الخرم فى هذه النسخة ، على تعداد كاتبها المثبت فى الركن الأعلى الأيسر من وجه كُلّ ورقةٍ :

١ — ٦

٨ — ١٤ (خرم ورقة واحدة)

٢٢ — ٣٠ (خرم سبع ورقات)

٣٢ — ٣٧ (خرم ورقة واحدة)

٤٢ — ٤٨ (خرم أربع ورقات) ، والورقة (٤٢) مكرّرة فى التعدادِ

٦٤ — ٦٩ (خرم خمس عشرة ورقة)

٨٢ — ٨٣ (خرم اثنتا عشرة ورقة)

٨٨ — ٨٩ (خرم أربع ورقات)

٩١ — ١١١ (خرم ورقة واحدة)

فعدد الأوراق المفقودة من أصل الطبقات : خمس وأربعون ورقة (٤٥) . وقد أثبت فى هامش هذه الطبعة تعدادَ هذا الأصل العتيق .

٢ ـ أما المخطوطة الثانية ، فهى المحفوظة بمكتبة عارف حكمة ، بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى جعلت الإشارة إليها فى تعليقاتى بحرف « م » .

وليس على أوراق هذه النسخة تعدادٌ ، وعدد أوراقها أربع وسبعون ورقة (٧٤) ، وفيها خَرْمان : أوّلهما بين الورقة الثامنة والتاسعة : يبلغ نحو ست ورقات أو ثمان ورقات ، وقد أشرت إليه فى هذه الطبعة ص : ٧٠ ، تعليق : ٣ ، والآخر بين الورقة الخامسة والأربعين ، والسادسة والأربعين ، ولم أستطع تقدير هذا الخرم ، كما أشرت إليه فى ص: ٤١٥ ، تعليق رقم : ٣ من هذه الطبعة ، ولكنه صار مرجحاً عندى الآن أنه ورقة واحدة لا أكثر ، فكأن أصل عدد أوراقها على الأكثر ثلاث وثمانون ورقة (٨٣) . وفيها أيضاً بَتْرٌ فى أثناء الكلام ، كأنه سهو من كاتب النسخة، ولكنه لا يزيد على بضعة أسطر ، وأشرت إليه فى ص : ٤٧٩، تعليق : ١ . وفى هذه النسخة ورقتان فيهما فهرس لشعراء الطبقات بخط مُحْدَث ، وفى الورقة الأخيرة منها، دعاء كتبه من قرأ هذه النسخة أو تملكها، بخط مخالف لخط الأصل ، فصار الباقى من أصل الطبقات إحدى وسبعين ورقة (٧١) ، ثم تسعة أوراق مفقودة .

* * *

وقد قارنت بين خطّ النسختين ، فتبيّن لى أن الصفحة الواحدة فى مخطوطتنا يقابلها من نسخة المدينة « م » مقدار صفحة وبضعة أسطر ، بل ربما بلغت أحياناً أكثر من صفحة ونصف صفحة . فإذا كان ما بقى عندنا من « المخطوطة » (٦٨) ورقة ، ومن نسخة « م » (٧١) ورقة ، فمن البيّن أنّ « المخطوطة » ، على ما فيها

من خرم بليغ ، تستوعب من نص كتاب ابن سلام ، أكثر مما تستوعبُ نسخة المدينة « م » تامّةً غير منخرمة . وإذا علمنا أن عدد الأوراق التى ضاعت من مخطوطتنا هو خمس وأربعون ورقة على وجه الضبط ، فمعنى ذلك أن أصلها يوشك أن يكون ضعف نسخة « م » على قلة خرومها . وقد دلّت مقارنة النصّين على مقدار هذا الفرق البيّن بين النسختين فى ثنايا الكتاب كلّه ، وقد أثبتُ عند كُلّ موضع فى تعليقى على الكتاب ، مقدار ما أخلّت به نسخة « م » من الأخبار . وقد أفردتُ فى آخر هذه الطبعة من الكتاب ، ص ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، بيانًا بأرقام الفقرات التى أخلّت بها نسخة المدينة « م » ، وبيانًا آخر بأرقام ما أخلّت به فى ثنايا الفقرات .

فصار يقينًا أن نسخة المدينة « م » ، نسخة مختصرة من كتابِ طبقات ابن سلام ، لا يزيد ما فيها على نصف أصل كتاب الطبقات إلا قليلاً .

* * *

أمّا خَطُّ « المخطوطة » ، فهو خطٌّ مَشْرِقيٌّ واضحٌ قديمٌ ، يرتفع إلى آخر القرن الثالث الهجرىّ وأوّل الرابع ، وستأتى الحجّة فى ذلك بعد قليل . وأكثر هذه النسخة مضبوطٌ بالحركاتِ ، وأملاؤها على الجادّة ، إلا فى شىء يسير ، نحو كتابته « ماذا » « ماذَى » ، ص: ٢٠ ، ٥٣ و« هكذَا » « هكذَى » ص : ٣٠ - و« كذا » « كذَى » ص : ٧٣ ، كُلّ ذلك بالياء ، ومواضع أخرى أغفلت الإشارة إليها . ثم كتابته أيضًا : « معقود بقوافِ » « بقوافِى » ص : ٨ ، تعليق : ١ - « وصُمّ حَوامِ » « حوامِى » ص: ٨٢ ، تعليق : ٢ - « فقد أتت ليالِ » « ليالِى » ص: ١٩٣ ، تعليق : ٤ - و« وبادِ » « وبادِى » ص: ١٩٨ ، تعليق: ٢ - و« هدانى هادِ » « هادِى » ص: ٢٤٧ تعليق ٤ - « بازِ » « بازِى » ص: ٤٦١ ، تعليق: ١ - و « وهو مُستَخْفِ » « مُسْتَخْفِى » ص : ٦٣٨ ، تعليق : ٤ - و« بصوتٍ شَجٍ » « شَجِى »

ص: ٦٦٤: س: ٩ ، ولم أشر إليه فى التعليق — كُلّ ذلك بكسرتين تحت الحرف الذى قبل الياء ، ومواضع أُخرى كثيرة لم أُجرِّ الإشارة إليها . وفى آخر كُلِّ خبر حرف « ه » مفرداً ، دلالة على انقضاء الخبر . وأما قوله « حدثنى » و« حدثنا » «أخبرنا» و « أنبأنا » ، فهو لايختصرها ، كما سترى فى نسخة « م » ، ولا يلتزم كاتبها بوضع علامة إهمال على الحروف : الحاء والدال والراء والسين والطاء والعين ، إلاّ فى بعض مواضع متفرقة من كتابته .

وأما « م » فخطُّها مشرقىٌّ فيه شبهٌ إلى المغربىّ واضح قديم أيضاً ، ربما ارتفع إلى أوائل القرن الخامس الهجرى أو قبل ذلك بقليل ، فيما أرجّحه ويرجّحه «معهد إحياء المخطوطات العربية » .[1] وأكثر النسخة مضبوط بالحركات ، وإملاؤها على الجادّة ، وعند انتهاء آخر كُلّ حرف « ه » مفرداً ، وقليلاً ما تجد علامةَ إهمالٍ . وكاتبها يختصر « حدثنا » و « أخبرنا » وأخواتهما : « أنا » أو « نا » كما أشرت إليه فى هذه الطبعة ص : ٩٩ ، تعليق : ٢ . ولراويها خصائص أهل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدقة والأمانة والحرص على صيغة التحديث ، فهو يذكر التردُّد فى لفظ « التحديث » بين « أخبرنا » و« حدثنى » وأخواتهما ، فهو يقول مثلاً : « نا ابن سلام ، نا — أو حدثنى — ابن جُعْدَبة » ص: ٥٤٤ ، تعليق : ٤ ، ومثله فى ص : ٥٦٩ ، تعليق : ١ ، ومواضع أخرى أغفلت الإشارة إليها فى تعليقى على الكتاب .

وأغربُ ما اتفقت عليه النسختان جميعاً ، خطأٌ بيِّنٌ ، وذلك فى قوله : « لِمَنِ البَيْتَانِ ؟ » ، فيهما جميعاً : « لِمَنِ البيتَين ؟ » ، وهذا من غرائب الاتفاقِ على خطأ بيِّنٍ جدًّا ، فى كتابٍ واحد ، مع اختلاف رُواته ، واختلاف كُتّابه ، ومع تباعد زمن كتابته ، وغير ممكن أن يقال إنه خطأٌ من ابن سلام ، أو من

---

(١) انظر « بابة إسناد الكتاب فى المخطوطتين » ، ص : ٢٨ — ٣٣ .

راويته أبي خليفة ، ولكن كيف وقع الخطأ ، واتفق الكُتّاب على إثباته ؟ لا أدرى .

* * *

وليس فى هوامش « المخطوطة » شيء بغير خطّ كاتبها ، بل فيها تَحَقٌ بخطّه، استدراكاً لما سها عنه فى خلال كتابته فى مواضع يسيرةٍ . أما «م» ، فليس فى هوامشها شيء بخطّ كاتبها ، والذى فى هوامشها مكتوب كُلُّه بخطوطٍ مشرقية ، وقد أحدث فيها بعضُ من قرأها عبثاً من العبثِ القبيح ، فضرب على بعض نصّ الطبقات بخطّ ، وكتب شيئاً مرذولاً من عنده ، وتابعه عليه من نسخَ منها نسخة الشنقيطىّ المكتوبة سنة١٣٠٣هـ، ومن نسخ النسخة الأخرى المكتوبة سنة١٣١٠هـ، ونُشِر هذا العبث فى طبعة يوسف هل (١٩١٣ - ١٩١٦ م)، وطبعة حامد عَجّان الحديد (سنة ١٩٢٠ م) ، كما سأذكر فيما بعد .[1] وانظر هذه الطبعة ص : ٢٤ تعليق : ١ ، وص : ٥٠ ، تعليق : ٢ .

هذا ، وفى هامش « المخطوطة » . فى آخر الورقة المعدودة بعدد كاتبها (٤٦) ما نصه : « عورض » ، أى أنه انتهى عند هذا الموضع المجلسُ الأوّلُ فى معارضة نسخته هذه بالأصل الذى نقل عنهُ ، وقد أشرت إلى هذا فى ص : ٣٢٤ ، تعليق: ٦ ، وكتب عند نهاية المجلس الثانى فى ظهر الورقة ٩٥ : « بلغت » ، أى بلغت المعارضة ص : ٦٦٣ ، تعليق : ٤ ، وكتب فى هامش آخر ورقة فى الكتاب (١١١) عند منتهى الكتاب ما نصّه : « قُوبل بالأصل فصَحّ » ، وهو نهاية المجلس الثالث فى معارضته ، وقد أثبت نصه فى ص : ٧٩٨ ، وهو آخر الكتاب . وليس فى آخر هذه « المخطوطة » اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها .

---

(١) انظر « بابة طبعات كتاب الطبقات » .

وأما « م » ، فليس فيها مايدلّ على معارضتها على أصلٍ ، وليس فى آخرها أيضاً اسم كاتبها ولا تاريخ كتابتها .

ويقى شيء واحدٌ فى « المخطوطة » ، تحسن الإشارة إليه . فمن عند الورقة ٩٥ إلى الورقة ١٠٢ ، ترك الناسخ بياضاً فى مواضع من كتابته ، سأذكرها هنا ، أذكر صفحة المخطوطة ، وبين القوسين ما يقابلها فى المطبوع : ظهر ٩٥ (ص : ٦٦٣ ، تعليق : ٥) / ٩٦ (ص : ٦٦٦ ، تعليق : ٣ ، وتعليق : ٤) / ظهر ٩٥ (ص ٦٧٠ ، تعليق : ٢ ، وتعليق : ٤) / ٩٧ (ص : ٦٧٤ ، تعليق : ٤ ، ٥ ، ٦ — ص : ٦٧٥ ، تعليق : ١) / ظهر ٩٧ (ص : ٦٧٥ ، تعليق : ١ ، ٤ — ص : ٦٧٨ ، تعليق : ٣) / ٩٨ وظهرها (ص : ٦٧٨ ، تعليق : ٣ — ثم ص : ٦٨٢ ، تعليق ، ١) / ٩٩ (: ٦٨٥ ، تعليق : ٥ — ص : ٦٨٧ ، تعليق : ٧ ، ٨) / ظهر ٩٩ (ص : ٦٨٨ ، تعليق : ١) / ظهر ١٠٠ (ص : ٦٩٤ ، تعليق : ٥ — وص : ٦٩٥ ، تعليق : ١ ، ٢) / ١٠١ (ص : ٦٩٨ ، تعليق : ٦) / ظهر ١٠١ (ص : ٧٠١ ، تعليق : ٥ — ص ٧٠٢ ، تعليق : ١ ، ٤) / ١٠٢ (ص : ٧٠٥ ، تعليق : ٦ — ص : ٧٠٦ ، تعليق : ١) .

ولست أدرى لم كان هذا فى هذه الورقات السبع وحدَها ، دون سائر الكتاب ؟ أكانَ فى الأصل الذى نقل عنه هذا البياض ؟ فلم لم يُتِمَّه كاتبه وقد قابله وعارضه ، وكأنه اطلع أيضاً على نسخة الطبرانى ؟ وجاء بعده من قرأ هذه النسخة ، وأثبت عليها قراءته سنة ٣٧١ ، كما سيأتى ، فلم لَمْ يتمّ هذه النسخة التى بين يديه ، وقد قرأه على نسخة أخرى سمعها عن أبى نعيم ، عن صاحب هذه النسخة فيما أرجّح ؟[1] لا أدرى كيف حدث هذا ، ولم ؟

* * *

(١) اقرأ « بابة إسناد الكتاب فى المخطوطتين » .

٢ — بابَةُ الصفحة التي فيها عنوان الـكتاب

قد صوّرت الصفحة الأولى من النسختين ، فى الأوراق المصورة الملحقة بهذه المقدمة ، بيد أن التصوير مع الجهد فى توضيحه ، لايكشف كُلّ ما كتب فيهما . فلذلك آثرت أن أصفها كتابةً ، وأرجأتُ الحديث عن عنوان « المخطوطة » ، إلى ماسأذكره فى « بابة تسمية الـكتاب » ، إن شاء الله . ومما يزيدنى حُزْناً أن الاطلاع على تصوير « المخطوطة » الذى عندى ، لايبلغ فى الدِّقة مايبلغه الاطّلاعُ على أصل المخطوطة الذى وقع فى الغُرْبة أسيراً فى مكتبة « تشستر بتى » بإرلندة . ولذلك كانت صفة هذه الصفحة غيرَ بالغة ما أحبُّ لها من الـكمالِ فى صفتها . والظاهر عندى فى تصويرها فى أعلى الصفحة :

« كتاب طبقا" شعراء

تأليف محمد بن سلام الجمحى رحمه ... »

ويوشك أن يكون هذا خطَّ كاتب « المخطوطة » ، وإلى يسار السطر الأول سطران ، لايظهر منهما غير أحرف ، تعسُر قراءتها ، وتمامهما ممحُوٌّ ، وهما ، فيما أرجح :

« كتب ......

عبد المصـ ...... »

وكأنهما أيضاً بخطّ كاتبها ، وأخشى أن يكون السطر الثانى هو أول اسم كاتبها ، فانمحى؟ ثم إلى يمين السطر الثانى من عنوان الـكتاب ، سطران بخط حديثٍ جداً ، وهو المعروف بالخط الفارسى :

« كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام »

وتحت العنوان بالخط الفارسىّ أيضاً :

« استصحبه الفقير عارف ، كان الله له »

وتحته بخط كبير :

« ملك مسعود »

وفى داخل الفراغ ما بين اللام والكاف كتب « الشريف » ، وهذا الخطّ قديم ، ولكنه أحدث من خطّ « المخطوطة » ، كما سيأتى بعد قليل . ثم خمسة أسطرٍ بخطٍ أقدم منه ، يرتفع إلى القرن الرابع ، ولكنه غير خط « المخطوطة » بلا ريب ، لأن قاعدته فى الكتابة غير قاعدة كاتبها . وهذا نصه :

« كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحىّ
رواية أبى خليفة
رواية محمد بن عبد الله بن أسيد عنه
رواية أبى خليفة الفضل بن الحباب عنه
رواية سليمن بن أحمد بن أيوب الطبرانىّ عنه »

ثم كتب مسعودٌ ، أو كاتبه ، تحت هذا ما نصه :

وانتقل برسم الابتياع إلى أبى محمد مسعود بن ...
... سنة ثمان وعشرين وستمائة ... »

ومكان النقط لم أستطع قراءته ، ولم أعرف « أبا محمد مسعود بن . . » ، وإن كنا قد عرفنا زمانه ، وعسى أن يعرفه غيرى . وفى أعلى هذه الصفحة ، فوق عنوان الكتاب خاتم حديث فيه « من كتب ... غُفر له » ، ومكان النقط لم أحسن قراءته كأنه « الفقيه » ، أو شىء يشبه ذلك فى رسمه . وإلى يسار الخاتم بخط فارسى « فى الأدبيات ٣٣ »

* * *

أما الصفحة الأولى من « م » ففيها اسم الكتاب بخط كاتبه ، ونصه :

« سِفْرٌ فيه طَبَقاتُ الشُّعَراء
تأليفُ مُحَمَّد بن سَلاّمٍ الْجُمَحِيّ »

وإلى جواره بخط مغربى جليل أحدث منه :

« محمد بن سَلاّم بن عبيد بن سالم الجمحىّ ، مولًى لَهُم
تُوُفِّى بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائتين » :

وفوق عنوان الكتاب على أقصى يمين الصفحة ، بخط محدث ، ما نصّه :

« طالع فيه العبد لله ... محمد بن أحمد الشاع... »

ومكان النقط ذهب فى قصّ الورق ، كأن الأولى « العبد لله » ، والثانية صعبٌ استخراجُ ما تدل عليه . وإلى يسار هذه الكتابة ما نصّه :

« حسبى الله
من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانىّ »

وتحت عنوان الكتاب بخطٍ فارسىّ :

« استصحبه المتوكّل على الله عبد الله بن عثمان بن موسى
المعروف بمستجير زاده ، كان الله تعالى لهم ،
وأوتى كتابهم بيمينهم »

وعلى هذه الصفحة ثلاثة خواتم : إلى جوار العنوان خاتمان ، أولهما صغير لا يقرأ ، والثانى فيه : « من ملك الفقير إلى الله الحاج مصطفى صدقى غُفِر له »، ثم فى أسفل الصفحة خاتم كبير فيه :

« وقفه العبد الفقير إلى ربّه الغنى أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله

الحسينىّ ... الرسول الكريم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ،
بشرط أن لا يخرج عن خزائنه ، والمؤمن محمولٌ على أمانته ،
١٢٦٦ » .

ولم أستطع أن أجد لهذه الأسماء المذكورة ترجمة أو ذكراً فيما بين يدىّ من الكتب .

* * *

٣ — بَابَةُ تسمية الكتاب

فرغنا من صفة المخطوطتين ، فالآن بقى أمرٌ واحدٌ لا مناصَ من الحديث عنه فى هذا الموضع . وكان معلوماً أنى سَمَّيت كتاب ابن سلام فى الطبعة الأولى : « طبقات فحولِ الشعراء » ، وقد عاب ذلك علىّ كثيرٌ من أفاضل أهل العلم ، أوّلهم أخى وصديقى الأستاذ السيد أحمد صقر ، فى نقده الكتاب بعد ظهوره،[1] فقال :

« كما كنت أوثر أن لا يغيّر اسم الكتاب الذى عُرِف به وذكر فى أكثر الكتب والتراجم ، وهو « طبقات الشعراء » ، لا « طبقاتُ فحول الشعراء » . وليس فى قول ابنِ سلاّمٍ : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً » ، دلالةٌ على الاسم الذى اختاره الشارح ، لأنه قال أيضاً : « ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزّلناهم منازلَهم ، واحتججنا لكل شاعرٍ بما وجدنا لهُ من حجّةٍ » . وقول الشارح : « إن اسم « طبقات

(١) كنت عزمت على نشر كل ماانقده أفاضل النقاد فى آخر هذا الكتاب ، ولكنه طال ، فأعتذر إليهم جميعاً عن هذا التقصير ، وقد قبست من علم كل منهم ماقبست ، ونسبته إليه فى التعليق فى بعض المواضع .

الشعراء ، ثوبٌ فضفاضٌ لا يطابق ما فى كتاب ابن سلام ، لأنه لم يستوفِ فيه ذكر الشعراء ، يقال كذلك على الاسم الذى اختارَهُ : طبقات فحول الشعراء . ولو اتخذنا فضفضة اسم الكتاب ذريعةً إلى تغيير اسمه ، لبدلنا كثيراً من أسماء الكتب ، فإنّ أكثرها لا يطابق اسمُهُ موضُوعَه . وهل يطابقُ اسم «الكامل»، المبرد ، موضوع كتابه ؟ كلا ، فما أبين انتفاء هذا الكتاب عن نسبه ، وأشدّ منافاته للقبه » . (مجلة الكتاب المجلد الثانى عشر ، العدد الثالث : جمادى الآخرة ١٣٧٢ ، مارس ١٩٥٣ ، ص : ٣٨١) .

وكان آخرهم الدكتور مصطفى مندور ، فإنه قال ، بعد ذكره أن المصادر القديمة مجمعة على أن ابن سلام اختار لكتابه اسم طبقات الشعراء : « ثم لما أراد الأستاذ محمود شاكر نشر الكتاب ، وجد فى جملة ابن سلام التى قالها فى مقدمته : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ... » ، ووجد فى بعض المواضع عند أبى الفرج الأصفهانىّ مثل قوله : « وذكره ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » — ما رجح عنده اختيار تَسْمية الكتاب : طبقات فحول الشعراء . ولست أظنّ أن عوامل الترجيح هذه تكفى مطلقاً للأخذ بهذا الرأى ، فلفظة « فحول » المذكورة فى السياقين السابقين لا تحمل أيّة دلالةٍ « إلا أن تكون صفةً توضِّح نوع الاختيار ، أو الثناء على من اختارهم الجمحىّ . ولعلنا نستطيع أن نزيد على ذلك أن من بين الشعراء الذين يذكرهم صاحبنا شعراء لا يصلون إلى مستوى الدرجة الثالثة التى كان الجاحظ يسمّى الفرد منها : شُوَيْبِرًا ، أو شُعْرُوراً (!!) . ولعلى كنت أوثر للأستاذ المحقق ألاّ يميز طبعته بهذا الشعار الجديد ، ويحتفظ بالتسمية القديمة : «طبقات الشعراء » (تراث الإنسانية ، المجلد الأول ص : ٦٠٩) .

ومَعْذِرةٌ إلى الأستاذين الجليلين ، إذ خالفت ما آثرا من الرأىِ ، مرّةً

أخرى ، لا لأنى غير مقتنع بما ذكرًا من الحجّة على فسادِ رأيى وقبْح جرأتى بل لأنّ مصوّرة « المخطوطة » قد فَصَلتْ ما بينى وبينهما ، وكنتُ قد قلت فى مقدمة الطبعة السالفة ، حين ذكرت أسباب عُدُولى عن تسمية الكتاب : « طبقات الشعراء » ، ما نصه : « وآخرها : أنى رأيتُ على نسختى التى نقلتها بيدى هذا العنوان : « طبقات فحول الشعراء » ، فلست أدرى بعد هذا الزمن الطويل ، أكانت هذه الكلمة فى الأمّ العتيقة ، ثم نقلتها كما هى ؟ أم ترانى كتبتُها من عندى ؟ وأنا أرجّح الأوّل ، لأنى كنت يومئذ صغيراً لم أتجاوز السابعةعشرة من عمرى ، ولأنى كنت يومئذ فى أوّل الطلّب ،وأجْهل من أن أنظُر نظرًا صحيحاً فى مثل هذا الأمر الدقيق ، المحتاج إلى التمييز والبصر » .

فالآنَ ، وقد ظفرت بمصوّرة من المخطوطة ، ونشرتُ صُوَرَتها فى أوّل الأوراق المصوّرة بعد هذه المقدمة ، أجِدُ أنّ الفَصْل فى القضيّة لا يحتاجُ إلى بُرْهان أدّعيه على رأيٍ أراهُ استنباطاً ، بل ما فى « المخطوطة » هو الفيصَل . وكنت أتمنّى أن تكون « المخطوطة » تحت يدى ، لأن معاينتها تكون أدقّ وأوضح ، والتصوير يخفى بعض ملامح الحروف ، ومع ذلك ، فإن عنوان الكتاب فى المصوّرة التى عندى ، فيه وضوح كافٍ ، سأصفه بقدر ما أستطيع من الدقة . وقد رأيت على عنوان الكتاب تلطيخاً أسودَ أخفى الباء والألف والتاء من لفظ « كتاب » ، وبقى واضحاً بعده الطاء والباء والقاف والألف من لفظ « طبقات » ، ثم جاء مَحْوٌ فأخفى جزءًا من تاء « طبقات » ، وبقيت نقطتا التاء ظاهرتين ، وفوق ألف « طبقا » رأس فاء جليلةٌ واضحة ، وما بعدها ممحوّ ، ثم يظهر بعد المحْو حوض اللاّم الممدود هكذا « ـــ » ، وفوق هذا الحوض ظهرت الشين والعين والراء والألف ، من لفظ « الشعراء » . فيكون بيناً بعد هذا الوصف أن تقرأ ما فى المصورة : « طبقات فحول الشعراء » . وأكادُ أقطع اليوم أنى

قرأتها كذلك ، لما كانت المخطوطة نفسها فى حوزتى سنة ١٩٢٥م ، وأنى لم أكتب على نسختى التى نقلتها بيدى لفظ « طبقات فحول الشعراء » ، إلا استناداً إلى وضوحها فى المخطوطة ، لأنى بيقين كنت يومئذٍ صغيراً لا أحسن الاجتهاد فى الرأى ، وأجهلَ من أن أنظر نظراً صحيحاً فى أمر تغيير تسمية الكتاب .

والذى يدلُّ على أن هذه التسمية ، هى التى اختارها محمد بن سلاّم لكتابه ، دون تسمية « طبقات الشعراء » ، أنّ ابن سلاّم كان من أهلِ جيلٍ يحسنون اختيار ألفاظهم للدلالة على معانيهم ومقاصدهم ، لا يعمدون إلى اختيار ألفاظ الثناء ليضعوها فى غير موضعها . ثم إن ابن سلام نَفْسَهُ ، قد بيّن فى مقدمة كتابه ما يعنيه فى تأليف كتابه ، فقال :

« ذكرنا العربَ وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانِها وأشرافِها وأيامِها ... فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهله عالمٌ ، ولا يستغنى عن علمه ناظرٌ فى أمر العرب ، فبدأنا بالشِّعر (ص : ٣) . ففصَّلنا الشعراءَ من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرَمين الذين كانوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلامَ ، فنزَّلناهم منازلَهم ، واحتججنا لكُلٍّ شاعرٍ بما وجدنا له من حُجَّةٍ ، وما قال فيه العلماء ... فاقتصرنا من الفُحُولِ المشهورين على أربعين شاعراً ، فألَّفنا من تشابه شعرُه منهم إلى نُظَرائه ، فوجدناهم عشرَ طبقاتٍ ، أربعةُ رهْطٍ كُلّ طبقةٍ ، متكافئين مُعْتَدِلين (ص : ٢٣ ، ٢٤) . ثم إنَّا اقتصرنا — بعد الفَحْص والنظر ، والرواية عمَّنْ مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعةٍ ، اجتمعوا على أنهم أشعرُ العرب طبقةً ، ثم اختلفوا بعدُ . وسنسوقُ اختلافَهم واتفاقَهم ، ونسمِّى الاربعةَ ، ونذكُر الحجّة لكُلِّ واحدٍ منهم — وليس تَبَدِئَتنا أحدَهُمْ فى الكتاب نحكُمُ

له ، ولا بُدَّ من مُبْتَدأ — ونذكر من شعرهم الأبيات التي تكون في الحديث والمعنى (ص : ٤٩ ، ٥٠) ».

وبيّن من سياق أبي عبد الله محمد بن سلام ، أنه نظر في الشعراء المشهورين المعروفين من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فاقتصر على مالا يجهله عالم بأمر العرب ، فنزّلهم منازلهم . ثم عاد مرةً أُخرى فاصطفَى من الشعراء المشهورين المعروفين الفُحُولَ منهم . ثم عاد مرةً ثالثةً ، فاصطفى من هؤلاء الفحول أربعين شاعراً في الجاهلية ، وأربعين شاعراً في الإسلام . ثم عاد مرةً رابعة فنظر في شعر الأربعين من الفُحُول ، فانتهى في تمييز شعرهم إلى عشرة ضُرُوب أو مناهجَ ، سمَّاها « طبقات » ، ثم عادَ مرَّةً خامسةً فألَّفَ من تشابه شعرهُ منهم ، بعد الفحص والرواية عمن مضى من أهل العلم أنهم أشعُر العربِ طبقةً ، فجعل كُلَّ أربعةٍ منهم طبقةً متكافئين معتدلين ، ونبَّه على أن تقديمه اسمَ واحدٍ منهم على صاحبه ، ليسَ حُكْماً له بالتقدُّم على من يليه في طبقته ، فهم جميعاً سواء ، ولكن لا مناصَ من أن يبتدئ بأحدِ هؤلاء الأربعة ، فابتدأ به غير مقدَّم له على أصحابه . وهذا الاحتراسُ وحدهُ دليل على شدّة التحرُّجِ في أمر هؤلاء الشعراء ، وهو لا يتحرجُ هذا التحرُّج ، إلاّ إذا كان لهؤلاء الشعراء صفةٌ تميِّزهم عن سائر شعراء العرب . وهذه الصفة ، ولا ريب ، هي أنهم لفحول طبقتهم في طبقات الشعر التي أشارَ إليها . هذه واحدةٌ[١] .

ثُمَّ إنّي رأيت أبا الفرج الأصبهانيّ (٢٨٤ — ٣٥٦ هـ) ، وهو أقدم من ذكر كتاب ابنَ سلام ، وكان أخذَ الكتاب رواية وإجازة عن أبي خليفة الفضل ابن الحُباب (٠٠٠ — ٣٠٥ هـ) ، وهو ابن أخت أبي عبد الله ابن سلام

---

(١) انظر آخر « بابة طبعات الكتاب » وما قلته في لفظ « طبقة » و « طبقات » .

(١٣٩ـ ٢٣١هـ) ، وهو راوى كتابه — قد أكثر النقل عن كتاب ابن سلاّم ، ولكنه لم يذكر اسمَهُ قطّ ،(١) إلا أنه قال فى موضع واحد : «ذكر محمد بن سلام فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو خليفة » (الأغانى ١٢ : ٣٤٠، الدار) ، وهذا لفظٌ مُبْهَم لا يدلُّ على شىء . ثم رأيته قال فى ترجمة المخبل السعدى (١٣ : ١٨٩، الدار) : « وذكره ابن سلاّم فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء » ، وقال فى ترجمة عبيد بن الأبرص (١٩ : ٨٤ ساسى) : « وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فُحُول الجاهلية » .

وهذان نصّان واضحا الدلالة على أن « كتاب الطبقات » ، الذى ذكره مبهمًا فى النصّ الأول ، هو فى شأن « فحول الشعراء » خاصةً . وإذا لم يكن هذا الأمر واضحًا عند أبى الفرج ، من تسمية الكتاب كما رواه عن أبى خليفة ، ومن موضوع الكتاب كما ذكره ابن سلاّم فى مقدمته ، لم يكن لإصراره على ذكر لفظ « فحول » فى هذين الموضعين معنًى يستفادُ . وإذا كان هذا صحيحًا ، وهو صحيح إن شاء الله ، فإن نسخة أبى الفرج التى أجازه بروايتها أبو خليفة ، كان عنوانها بلا ريب : « طبقات فحول الشعراء » ، وكان ذلك هو الاسم الذى اختارهُ ابن سلام لكتابه ودلّت عليه نسخة مخطوطتنا ، وهى نسخة عتيقة كما سترى فيما بعد .

هذا ، فضلاً عن أن اسم « طبقات الشعراء » ، كما عُرِف بذلك عند المتأخرين اختصاراً ، لا يطابق كتاب ابن سلام كُلّ المطابقة ، فإنه لم يستوفِ فيه ذكر « الشعراء » ، بل اختار عدداً معلوماً : أربعين شاعراً فى طبقات الشعراء الجاهليين ، وأربعين شاعراً فى طبقات الإسلام ، وأربعة شعراء فى طبقة أصحاب المراثى ،

---

(١) أما فى جميع المواضع الأخرى التى نقل فيها عن ابن سلام ، فإن أبا الفرج ، ذكر إسناد روايته عن أبى خليفة ، كما سترى ذلك فى « رواية نسخة أبى الفرج الأصبهانى من كتاب الطبقات » ، حيث ذكرت أسانيد أبى الفرج فى أغانيه .

واثنين وعشرين شاعراً فى طبقة شعراء القرى العربية ، وثمانية فى طبقة شعراء يهود ، فهم جميعاً ١١٤ شاعراً وحسب . والذى أغفله من كبار الشعراء أضعاف أضعاف ماذكر ، وإذن فاسم « طبقات الشعراء » ثوبٌ فضفاضٌ لا يطابق ما فى كتابه ، وإنما هو اختصارٌ ممن ذكره بهذا الاسم ، على الأرجح . فبدليل العقل ودليل النّقل وجب أن يكون اسم الكتاب : « طبقات فحول الشعراء » ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

٤ — بَابَةُ إسناد الكتاب فى المخطوطتين وتراجم رواته ، وتحقيق تاريخ كتابة « المخطوطة »

ا — إسنادُ « المخطوطة » . أتلف البلل أوّل سطرين بعد البسملة ، بمقدار كلمتين فى كل سطر ، وهذه صورة مابقى منهما (انظر ص : ٣ من هذه الطبعة) بخطّ كاتب النسخة :

(١) « ... الله محمد بن ... عبد الله بن أحمد بن أسيد قال : قرىء على ... ضى ... الجمحى أبو خليفة . قال محمد بن سلام الجمحى : ذكرنا »

ثم كتب صاحب النسخة بخط أكبر ، ثلاثة أسطر إلى يسار البسملة : نصُّها :

(٢) « وأخبرنا أبو القسم سُليمٰن بن أ ...

بن أيُّوب الطبرانى قال : قرىء ...

الفضل بن الحباب ، وأنا أسمع »

وكتب كاتب آخر بخط دقيق فوق السطر الأول إلى منتصفه ، وأتم الكلام بين السطر الأول والسطر الثانى ونصُّه :

(٣) « ... نصر : أخبرك أبو سعد إذناً ، انبا أبو نعيم

... قرأه عليه ... سنة إحدى وسبعين وثلثمائة قا .. القاضى »

* * *

(١) وتفسير هذا : أن « المخطوطة » رواية « أبى عبد الله محمد بن عبدالله ابن أحمد بن أسِيد الأصبهانىّ » سماعاً عن أبى خليفة الجمحىّ ، عن محمد بن سلام. وابن أسيد ، هو وأبوه من محدّثى أصبهان ، توفى سنة ٣٣٦ هـ،[١] ولم أجد فى ترجمته أنه سمع من أبى خليفة الجمحىّ ، ولكن إسناد هذه النسخة دالٌّ على أنه قد سمع منه ، وقد ذكر أبو نعيم أنه : « سمع بفائدة والده من العراقيين » ، وكان أبوه : « أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد » (٠٠٠ - ٣١٠ هـ) قد خرج إلى العراق فى آخر أيّامه ، فكتبوا عنه بالعراقيين ، كما قال أبو نعيم . فأنا أرجّح أن أباه عبدَ الله بن أحمد بن أسيد ، قد خرج هو وولده محمد بن عبد الله إلى العراق قبل جمادى الأولى سنة ٣٠٥ ، وهى السنة التى توفى فيها أبو خليفة الجمحىّ ،[٢] وأنه سمعَ كتاب الطبقات من أبى خليفة فى هذه الرحلة ، قبل هذه السنة ، وذلك ما بين سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٠٥ ، على التقريب ، إن لم يكن قبل ذلك .

وكان قد استقرّ فى وهمى زمناً أن هذه « المخطوطة » ، بخط أبى عبد الله ابن أسيد نفسه ، ولكنى عدلت من ذلك لأسبابٍ كثيرة ، ورأيتُ أن صاحبها وكاتبها هو أحدُ الرُّواة عن أبى عبد الله بن أسيد ، وأنه قابلها وعارضها على نسخة ابن أسيد نفسه . ولا ريب أنه سمعها منه قبل وفاته سنة ٣٣٦ ، أى بعد عودته من العراق إلى أصبهان ، وذلك ما بين سنة ٣١٠ ، التى توفى فيها أبوه ، وسنة وفاته هو ، وكتبها كاتبها بأصبهان ، حيث وُلِد ابن أسيد ومات . وأرجّح أن هذا الكاتب قرأ هذه النسخة التى كتبها على أبى القاسم الطبرانى .

* * *

(١) تاريخ أصبهان لأبى نعيم ٢ : ٢٧٣ ، ولم أعرف له ترجمة غيرها .
(٢) تاريخ أصبهان ٢ : ٦٥ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٠ .

(٢) وإذن ، فلهذه المخطوطة إسنادٌ ثانٍ، برواية أبي القاسم سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني اللخمي ، الإمام الحافظ المحدِّث الرحالة مسند الدُّنيا ، صاحب المعاجم الثلاثة (الكبير والأوسط والصغير) . رحل أبو القاسم في طلب العلم والحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر والجزيرة ، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسمع سماعاً كثيراً حتى بلغت عدة شيوخه ألف شيخ. وروى عن أبي خليفة الجمحي ، راوي الطبقات ، وروى عنه أبو خليفة وهو شيخهُ . وولد أبو القاسم بعكا، وأمُّه عكّاوية، في شهر صفر سنة ٢٦٠ ، وسمع الشيوخ في سنة ٢٧٣، واتسعت روايته ورحلته ، ودخل أصبهان أوّل مرة وروى عن شيوخها في سنة ٢٩٠، ثم قدمها فاستوطنها ستين سنة، في سنة ٣٠٠ هـ ، وبقي بها حتى مات سنة ٣٦٠، وهو من المعمّرين ، فقد عاش مئة سنة . (١)

وبيِّنٌ أنه كان بأصبهان ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أسيد حيٌّ ، إلى أن توفي سنة ٣٣٦ ، ولذلك رجَّحتُ أن صاحبَ « المخطوطة » سمع كتاب الطبقات من أبي القاسم الطبراني أيضاً ، لأنه كتبها بلاريب ، عن نسخة ابن أسيد وسمعها منه في زمن حياته، وحيث كان أبو القاسم الطبراني مقيماً بأصبهان، ولكن ربما كان سماعُه من الطبراني متأخراً ، أي بعد وفاة ابن أسيد .

* * *

(٣) أما ما هو مكتوبٌ بين السطرين الأولين ، فأنا أرجّح أنه خطٌّ « أبي نصر : عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي البكريّ السِّجْزِيّ » ، الإمام الحافظ علم السنة ، نزيل الحرمين ومصر ، رحل رحلته بعد سنة ٤٠٠ . فسمع بخراسان والحجاز والشام والعراق ومصر ، ومات بمكّة في المحرم سنة ٤٤٤ ، (٢)

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ٩١٢ ، وغيرها .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١١١٨، وغيرها .

وأرجّح أنه اشترى هذه النسخة نفسها فى رحلته، وحملها معه من أصبهان إلى مكة، ثم سمعها على شيخه أبى سَعْدٍ المالينىّ .

وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الأنصارى الهَرَوِىّ المَالِينىُّ ، هو إمام حافظٌ عالمٌ زاهدٌ ، دخل جرجان سنة ٣٦٤، ورحل رحلات كثيرة إلى أصبهان وما وراء النهر ومصر والحجاز والكوفة والبصرة والشام ، والتى عامة الشيوخ والحفاظ الذين عاصرهُمْ ، ثم استوطن مصر ، ومات بها يوم الثلاثاء السابع عشر من شوال سنه ٤١٢ ،[1] سمع منه أبو نصر السجزىّ كتاب الطبقات وأذن له فى روايتها. وظاهرٌ أنّ أباسعد سمع كتاب الطبقات من أبى نعيم، فى رحلته إلى أصبهان .

وأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مِهْران المِهْرانىُّ الأَصْبَهانىّ ، إمامٌ حافظ ، ولد سنة ٣٣٦ ، فى السنة التى مات فيها أبو عبد الله آبن أَسِيد راوى الطبقات ، وكان أوّل سماعه للشيوخ سنة ٣٤٤ ، وبقى يسمَع ويسمَع الناس منه حتى مات فى العشرين من المحرم سنة ٤٣٠ .[2] وظاهرٌ من هذا المكتوب بين الأسطر أن أبانعيم قرأ كتاب الطبقات سنة ٣٧١، على شَيْخ محا البلل اسمه من المخطوطة ، ولكنى أرجّح أنه هو صاحب هذه « المخطوطة » وكاتبها ، الذى سمعها من آبن أسيد نفسه ، والذى عاش فيما أظنّ دهراً طويلا بعد وفاة آبن أسيد سنة ٣٣٦ ، وأدركه أبو نعيم وسمع منه وانتسخ لنفسه نسخة أخرى من كتاب الطبقات ، وعَسَى أن يكون أبو نعيم أيضاً قد سمعها من الطبرانىّ لأنه مقيمٌ معه بأصبهان ، ولأنه روى عنه الحديث .

هذا تفسير إسناد المخطوطة ، وهو يدلّ على أن هذه النسخة عتيقة جدًّا ،

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٧٠ ، وطبقات الشافعية ٤ : ٥٩ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٩٢ ، وغيرها .

وأن تاريخ كتابتها كان قبل سنة ٣٣٦ ، يوشك أن يكون سنة ٣١٠ ، إن لم يكن قبل ذلك بقليل .

* * *

ب — أمَّا إسنادُ نسخة المدينة ، شرفها الله وصلى على صاحبها وسلَّم ، وهى التى أشرت إليها برمز « م » ، فهذا هو ما بعد البسملة :

« قال أبو محمد ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَيْر القاضى ، أخبرنا أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمَحىّ قال ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن سلاّم الجمحى قال : وللشعر صناعة وثقافة ... » .

و « أبو محمد » راوى هذه النسخة من الطبقات ، هو ، فيما أرجّح : أبو محمد عبد الغنى بن سعيد بن على بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز مروان الأزدىّ المصرىّ ، روى عن أبى طاهر الذهلىّ ، المذكور فى إسناده ، وهو إمامٌ متقن حافظ نسّابَةٌ ، كان عالمًا بالحديث وفنونه ، جليل القدر ، وهو حافظ مصر فى زمانه . قال الحبّال : « كان لعبد الغنى جنازة عظيمة تحدَّث بها الناس ، ونُودى له : هذا نافِى الكذبِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » . ذكره الإمامُ الدَّارَقُطْنِيّ فقال : « ما رأيتُ بمصر مثلَ شابٍّ يُقال له : عبد الغنىّ ، كأنه شُعْلةُ نارٍ » ، وولد أبو محمد فى ذى القعدة سنة ٣٣٢ ، وتُوُفِّى بمصر فى سابع صفر سنة ٤٠٩ .(١)

وخط هذه النسخة ، كما قلت ، عتيقٌ ، يرتقى إلى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ، وهو شبيه بالمغربىّ ، فإنه ينقط الفاء بنقطة من أسفل ، والقاف بنقطة من أعلى . ويوشك بدء هذه النسخة أن يوحى بأنها نسخة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد ، فإن يكن ذلك صوابًا فإنها تكون قد كتبت بخطه قبل سنة ٤٠٩ بدهرٍ طويل ، لأن أبا طاهر الذهلى القاضى مات سنة ٣٦٧ ، ولا ريبَ عندئذٍ أن أبا محمد عبد الغنى

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ : ١٠٤٧ ، وغيرها .

قد سمعها وكتبها قبل تاريخ وفاته . وإن تكن بخطِّ كاتبٍ آخر ، فأرجح الرأى أيضاً أنها كتبت قبل سنة ٤٠٩ ، أو بعد ذلك بقليل ، وأنها نقلت عن نسخة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد .

وأما « أبو طاهر » ، الذى روى عنه أبو محمد ، والذى روى كتاب الطبقات عن أبى خليفة ، فهو : أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نَصْر بن بُجَيْر بن عبد الله بن صالح بن أسامة الذهلىّ ، روى عن أبى خليفة صاحب ابن سلام الجمحىّ . وكان أبو طاهر محدّث زمانه ، وكان فاضلاً ذكيًّا متقناً لما حدَّثَ به. ولدَ بالبصرة ،وولىَ قضاء واسط سنة ٣١٠ مدةً طويلة ، ثم انتقل إلى بغداد ، فولى قضاء مدينة المنصور سنة ٣٢٩ ، وحدّث ببغدادَ شيئاً يسيراً ، ثم نزل مِصْر فى سنة ٣٤٠ وحدَّث بها فأكثر ، وكَتَبَ عنْهُ عامّةُ أهلها ، وولىَ قضاءها فى سنة ٣٤٨ إلى قُبَيْل وفاته بيسير . حضر زمان كافور ، وشهد قُدومَ جَوْهر الصّقلّى بعسكر المعزّ الفاطمىّ ، وكانَ أحد الخارجين إلى جوهرٍ يكلّمونه فى الأمان كان مولده سنة ٢٧٩ ، ومات بمصر فى ذى القعدة سنة ٣٦٧ .[١]

وهذه النسخة كما أسلفت مختصرةٌ من « كتاب طبقات فحول الشعراء » كما أسلفت فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .[٢] فلا أدرى ممن وقع هذا الاختصار ، أمِنْ أبى طاهرٍ نفسه ، حين قرأ الكتاب على أبى خليفة ، واستنسخ منه لنفسه نسخة ، أم من « أبى محمد » ، حين قرأ الكتاب على أبى طاهر إن صحّ أن هذه نسخته هو ، أم من الكاتب الذى كتبها عن نسخة « أبى محمد » ؟ وأىّ

---

(١) تاريخ بغداد ١ : ٣١٣ ، وملحق كتاب الولاة والقضاة بمصر للكندى : ٥٨١ وغيرهما .

(٢) انظر ماسلف ص : ١٤

ذلك كان ، فإنها نسخة عتيقة جيدة الضبط على اختصارها وإخلالها بكتاب ابن سلام.

* * *

ويتبين بعد هذا أن رواة كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، جميعاً من أئمة أهل الحديث ، فرحم الله الأئمة من حفاظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم أبداً أهل الفضل في حفظ علم الأوائل على الأواخر ، ولولا ما كرمهم الله به من الفقه والدين ، وما أودع في قلوبهم من شوامخ الهمم ، لضاع علم كثير ، ولكان كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، اسماً يذكر الكتاب يفتقد.

* * *

٥ — بابة ترجمة أبي خليفة ، ومحمد بن سلّام

[1]أما راوي كتاب طبقات فحول الشعراء ، عن ابن سلام فهو : أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد بن شعيب بن صخر بن عبد الرحمن الجمحي . كان أعمى ، وهو ابن أخت محمد بن سلام صاحب الطبقات . روى عنه كتبه ، وكان راوية للأخبار والأشعار والآداب والأنساب ، وهو مسند عصره في الحديث بالبصرة ،

(١) القضاة لوكيع ٢ : ١٨٢ ، ابن النديم : ١١٤ ، مروج الذهب ٤ : ١٧٣ ، معجم الأدباء ٦ : ١٣٤ . طبقات الحنابلة ١ : ٢٤٩ ، مختصر طبقات الحنابلة : ١٨٤ ، نكت الهميان : ٢٢٦ ، بغية الوعاة : ٣٧٣ ، لسان الميزان ٤ : ٤٣٨ ، دول الإسلام ١ : ١٤٥ ، تاريخ ابن كثير ١١ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٩٣ ، شذرات الذهب ٢ : ٢٤٦ ، إنباه الرواه ٣ : ٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٧٠ ، طبقات القراء ٢ : ٨ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٣٢٩ ، الإكمال ٢ : ١٤١ ، طبقات الزبيدي : ١٩٩ ، مراتب النحويين : ٦٧ . وذكر الجزري في طبقات القراء ، وذكر غيره أيضاً ، أن اسم أبيه عمرو ، ولقبه الحباب .

رحل إليه العلماء من الأقطار ، وكان ثقة عالماً ، روى عن الأئمة الكبار ، كأبى الوليد الطيالسى ، وأحمد بن حنبل . وكان من علم اللغة والشعر بمكان عالٍ . وولى قضاء البصرة ما بين سنة ٢٩٣ وسنة ٢٩٥ هـ ، وله أخبارٌ كثيرة ونوادر ، فقد كان يكثر استعمال السجع فى كلامه ، عادة من غير تكلُّف . وعاش أبو خليفة ، فيما رووا مئة سنة غير أشهر . ولكنى أستظهر أنه عاش أكثر من ذلك ، فقد رَوى صاحب طبقات الحنابلة عن أبى خليفة قال : « قدم علينا أحمد ابن حنبل البصرة ، ليسمع من أبى الوليد الطيالسىّ ، سنة آثنتى عشرة إن شاء الله (أى سنة ٢١٢) » ثم ذكر أنه كان يذاكر أحمد بن حنبل بالليل كثيراً ، فذلك دليلٌ على أنه كان يومئذ قد بلغَ مبلغ الرجالِ . ولمّا كانت وفاة أبى خليفة ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الأول سنة ٣٠٥ ،[1] فكأنّ مولده كان فى سنة ٢٠٥ ، ولا أظنّ أن غلاماً كان فى السابعة من عمره ، كان خليقاً أن يذاكر أحمد بن حنبل مذاكرةً تعقل . من أجل ذلك أرجّح أن يكون أبو خليفة عاش أكثر من مئة سنة ، وطالَ به العُمُر حتى اختلط عليه وعلى الناس أمر الميلادِ ولعل مولده كان قبل سنة ٢٠٠ من الهجرة بزمانٍ . فهو من كبار المعمّرين .

* * *

[2]أمّا صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فهو أبو عبد الله محمد بن

---

(١) فى طبقات الحنابلة أنه مات سنة ٣٠٧ ، وليس بشىء .

(٢) ابن النديم : ١١٤ ، تاريخ بغداد ٥ : ٣٢٧ ، نزهة الألباء : ٢١٦ ، معجم الأدباء ٧ : ١٣ ، بغية الوعاة : ٤٧ ، الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ٣/٢/ ٢٧٨ ، لسان الميزان ٥ : ١٨٢ ، تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٠ ، تاريخ ابن كثير ١٠ : ٣٠٨ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٠ ، شذرات الذهب ٢ : ٧١ ، المزهر ٢ : ٢٦٠ ، إنباه الرواة ٣ : ١٤٣ ، كتاب مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى الحلبى : ٦٧ ، وطبقات النحويين للزبيدى : ١٩٧ ، العبر للذهبى ١ : ٤٠٩ ، ميزان الاعتدال ١ : ٦٦ .

سلّام بن عبيد الله بن سالم الجمحىّ البصرىّ، مولى قُدامة بن مظعون الجمحىّ .
مولده بالبصرة فى سنة ١٣٩ ، ووفاته فى سنة ٢٣١ ، أو سنة ٢٣٢ ببغداد ،
وابيضت لحيته ورأسه وله سبع وعشرون سنة ، وعُمّر نحواً من ثلاث وتسعين سنة.
وسمع شيوخ العلم والحديث والأدب ، وسمع منه شيوخ العلم الحديث والأدبَ .
روى عنه أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو حاتم ، والرياشىّ ، والمازنىّ ، والزيادىّ ،
وأحمد بن حنبل ، وابنه عبد الله بن أحمد ، ويحيى بن مَعِين ، وأبو بكر بن أبى
خَيْثمة ، وأبو خليفة الجمحىّ ، ومحمد بن حاتم الزِّمّىّ ، وغيرهم من الأئمة . أما
شيوخه فى «كتاب طبقات فحول الشعراء» خاصة ، فقد آثرت أن أجمع أسماءهم
هنا مرتبة على حروف المعجم ، وهم :

أبان بن عثمان البَجَلىّ الكوفىّ ، وهو أبان (الأعرج) — إبراهيم بن
حَبيب ابن الشَّهيد — الأسيْدىّ ، أخو بنى سلامة (محمد بن الحجاج) —
الأصمعىّ (عبد الملك بن قُرَيْب) — بشّار بن بُرْد العقيلىّ الشاعر — أبو بكر
ابن محمد بن واسع الشَّامِىّ — أبو بكر الهُذَلى المدنىّ — أبو البَيْداء الرِّياحىّ
— جابر بن جَنْدل (أبو عبد الله الفَزَارىّ) — ابن جُعْدُبة (يزيد بن عِياض
ابن جُعْدُبة) — حاجب ابن يزيد (أبو الخطّاب الزُّرَارىّ) — الحارث
البُنَانىّ أخو أبى الجحّاف — الحارث بن محمد بن زياد — أبو الحُصَيْن المدنىّ
— الحكم بن قَنْبَر — الحكم بن محمد — حُلَابس العطاردىّ — أبو الخطاب
الزُّرارىّ (حاجب بن يزيد) — خلّاد بن قُرّة بن خالد السّدوسى — خلّاد
ابن يزيد الباهلىّ — خلّاد الأرقط — خَلَف الأحمر — (خلف بن حيان) (أبو
محرز) — ابن دَأب (عيسى بن يزيد بن دأْب) — أبو رَجاء الكلبىّ — أبو زيد
الأنصارىّ (سعيد بن أوس) — سالم بن أبى السَّمْحاء — سعيد بن أوس (أبو زيد
الأنصارىّ) — سعيد بن عُبَيْد — سفيان (؟؟) — سلّام بن سليمان (أبو
المنذر القارىّ) — سلّام بن عُبَيْد الله الجمحىّ (أبوه) — سَلَمة بن عيّاش —

أبو سَوّار الغنوىّ — سيبويهِ — شُعَيْب بن صَخْر (جد أبى خليفة الجمحى) — عامر بن أبى عامر صالح بن رُستم الخرّاز — عامر بن عبد الملك بن مِسْمَع الجحْدرِىّ — عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحِقِىّ — عبد الرحمن بن محمد ابن علقمة الضبىّ — عبد القاهر بن السَّرِىّ السُّلَمى — أبو عبد الله الفزارىّ (جابر ابن جندل) — عبد الله بن عون (ابن عون) — عبد الله بن مُصْعب (أبو بكر الزُّبيرىّ المصعبىّ) — عبد الله بن ميمون المُرّىّ — عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون — أبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) — عثمان بن عبد الرحمن — عثمان بن عثمان — أبو العَطّاف — العلاء بن حُرَيْز العَنْبرىّ — أبو على الجِرْمَازِىّ (أبو عون ؟) — عُمَر بن السكن الضَّرَبِىّ — عمر بن مُوسى الجمحىّ — عمرو بن معاذ التيمى المعمرى البصرى — ابن عَوْن (عبد الله بن عون) — أبو عون الجِرْمَازىّ (أبو على ؟؟) — عيسى بن عُمَر — عيسى بن يزيد بن دأب (ابن دأب) — أبو الغرّاف — الفضل بن العباس الهاشمىّ — أبو قيس العنبرىّ — كثير بن إسحق — كِرْدين (مسمع بن عبد الملك) — أبو مُحْرِز (خلف الأحمر) — أبو مُحْرِز (واصل بن شَبيب المَنافىّ) — محمد بن أَبَان — محمد بن أنس الحَذْلَمىّ الأسدى — محمد بن جعفر الزِّبْرِقىّ — محمد بن الحارث — محمد بن الحجّاج الأُسَيْدِىّ (الأُسَيْدى ، أخو بنى سَلَامة) — محمد بن حفص بن عائشة التيمىّ — محمد بن سليمان — محمد بن أبى عدىّ الفقيه (محمد بن إبراهيم بن أبى عدىّ) — محمد بن الفضل الهاشمى — محمد بن القاسم — مَرْوان بن أبى حَفْصة الشاعر — مَسْلمة بن محارب (مسلمة بن عبد الله بن سعد بن محارب) — مسمع بن عبد الملك (كِرْدين) — المسيَّب بن سَعِيد — مُعاوية بن أبى عمرو بن العلاء — المفضَّل بن محمّد الضبىّ الكوفىّ — أبو المنذِر القارىّ (سلّام بن سليمان) — موسى بن حمزة — واصل بن شبيب المنافىّ (أبو محرز) — أبو الوَرْد الكلابىّ — أبو يَعْلَى — أبو اليَقْظان — يوسف بن سعد

الجمحيّ — يونس بن حَبيب — يونس بن حسان — وعِدّتهم تسعة وسبعون شيخاً، روى عنهم ابن سلّام في كتاب الطبقات.

وذكر الخطيب البغدادى وأبو حاتم الرازى وغيرهما، أنه حدّث عن حمّاد ابن سَلَمة، ومبارك بن فَضالة، وزائدة بن أبي الرُّقاد، وأبي عَوانة، وخالد الواسطى، وعمر بن على بن مقدم، وجماعة. ولم يرد ذكرُ أحد منهم في الطبقات. وروى أيضاً عن مجاهيل لم يبيّنهم فى كتابه: في رقم ١٢٥: «بعض أهل العلم من غَطَفان» — وفى رقم ١٨١: «بعض أصحابنا» — وفى رقم ١٨٢: «بعض أهل الكوفة» — وفى رقم ٣٤٣: «بعض أهل العلم من أهل المدينة» — وفى رقم ٦٠٣: «بعض رواة قيس وعلماؤهم» — وفى رقم ٦٥٢: «رجل من بنى مَرْوانَ شاميّ» — وفى رقم ٦٧٠: «شيخ من ضُبَيْعة».

وكان ابن سلام من أهلِ بيت لهم فى العلم باعٌ. فأبوه سلام بن عبيد الله ابن سالم الجمحيّ، روى عنه فى مواضع كثيرة من كتابه. وأخوه عبد الرحمن ابن سلّام الجمحى أحد رواة الحديث، روى عنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم وغيرهم، وذكره ابن حِبّان فى الثقات. وحكى الحاكم فى تاريخه قال: سئل صالح ابن محمد — يعنى جزرة — عن عبد الرحمن ومحمد ابنى سلّام الجمحيّين، فقال: صَدُوقان، رأيتُ يحيى بن معين يختلف إليهما. وفى الزهرة: روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً.[1] ومن ولد محمد بن سلام: عون بن محمد بن سلام، روى عنه أبو خليفة الجمحى. وأبو خليفة هو ابن أخت محمد بن سلام كما مرّ آنفاً.

وقد وجدت فى كتاب أبى أحمد العسكريّ (شرح ما يقع فيه التصحيف: ٧٤)، خبراً يدل على أن ابن سلّام كان يفهم الفارسية، جاء فى الخبر عن ابن سلام أنه قال: «فقال لى خَلَفٌ بالفَارسيّةِ (يَعْنِي خلفًا الأحمر): أصاب الرجُل، ووَهِمَ أبو عمرو».

---

(١) تهذيب التهذيب ٦: ١٩٢. خلاصة تهذيب الكمال: ١٩٣، وغيرهما.

وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست ١١٤ ، أن ابن سلام ألف من الكتب : (١) كتاب الفاصل ، فى ملح الأخبار والأشعار ،[1] (٢) كتاب بيوتات العرب ، (٣) كتاب طبقات الشعراء الجاهليين ، (٤) كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين ، (٥) كتاب الحلاب وأجر الخيل[2] . وقال ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ١٣) ، وألف كتاباً فى طبقات الشعر ، وله (٦) غريب القرآن .

وذكر أبو على القالى فى أماليه (١ : ١٥٧) : « وقال محمد بن سلام فى « كتاب طبقات العلماء » كنّا إذا سمعنا الشعر من أبى مُحْرِز لا نُبَالى أن لا نسمعه من قائله » . فإن صح نصّ الأمالى ، فهو وهْمٌ من أبى على ، فيما أرجّح . وإنّما عَنَى صدر كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، حيث ذكر علماء العربية . وهذا الخبر مرويٌّ فى الطبقات رقم : ٢٩ . ولم أجد للكتاب الذى سمّاه أبو على ذكراً فى كتب ابن سلام .

٦ — بابة نُسْخة أبى الفرج الأصبَهانى من كتاب الطبقات

وما نَقَل عنه فى كتابه : « الأغانى » — ونُسخٌ أخرى

أكثر أبو الفرج الأصبهانى الروايةَ عن محمد بن سَلاَّمٍ الجمحىّ ، وبلغت صُوَر إسناده إليه خمساً وخمسين صورة أو أكثر ، ولكنْ لا يهمُّنا منها إلاّ ما يتّصل بأمر « كتاب طبقات فحول الشعراء » ، وعِدّتها ثلاثة عشر إسناداً تختلف ألفاظُها وتتفق معانيها ، وهذه هى بنصوصها :

١ — « ذكر محمد بن سلامٍ فى « كتاب الطبقات » ، فيما أخبرنا به أبو

---

(١) لعله « الفاضل » بالضاد المعجمة ، وانظر ص : ٦٠ ، فيما يأتى .

(٢) لعله « ولجراء الخيل » .

خليفة » — وذلك فى ترجمة سُوَيد بن كُرَاعٍ (ج ١٢ : ٣٤٠ ، الدار) ، ثم نقل بعده ما جاء فى الفقرة رقم : ٢٣١ وما بعدها (١٧٦ ، ١٧٧) ، وقد صرّحَ فى هذا المكان بذكر « كتاب الطبقات » ، كما ترى .

٢ — « أخبرنا أبو خليفة الفضلُ بن الحُبَاب ، مما أجاز لنا روايته عنه ، من حديثه وأخباره ، مما ذكره عن محمد بن سلاّم » (ج ٥ : ١٢ ، الدار) — وذكر بعد ما جاء فى (ص : ١٢٥) من نسختنا هذه : أن النابغة الجعدىّ هاجَى أوْسَ ابن مَغْراء فغُلِّبَ عليه : « ولم يكن إليه ولا قريباً منه » ، وتصرّفَ فى النصّ كعادته أحياناً فى مثله ، إذ كان قد رواه أيضاً عن غير ابن سلام ، فلم يتقيَّد بنص ابن سلام .

٣ — « أخبرنى الفضل بن الحُبَاب أبو خليفة الجمحىّ فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلاّم : أن الحطيئة .... » (الأغانى ٢ : ١٥٨ ، الدار) — وهذا الخبر ألحقته بكتاب الطبقات برقم : ١٣٦ .

٤ — « أخبرنا القاضى أبو خليفة ، إجازَةً ، عن محمد بن سلاّم » — وقد ورد هذا الإسناد فى أماكن كثيرة ، منها : (ج ٨ : ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، الدار) ، نقلت الأوّل منهما فى رقم : ٦٧٦ ، وأما الآخر ففى أصل الطبقات « م » ، وهو برقم : ٦٧٢ ، وألحقت به الخبر الذى يليه فى الأغانى برقم : ٦٧٨ . ثم فى (ج ٩ : ٥ ، الدار) وهو فى الطبقات برقم ٧٢٠—٧٢٣ . ثم (ج ٩ : ٣٠٧ ، الدار) ، وهو فى الطبقات برقم ٥٢١ ، وغيرها كثير .

٥ — « أخبرنا الفضلُ بن الحُباب الجمحىّ أبو خليفة فى كتابه إلينا قال ،

أخبرنا محمد بن سلاّم » (ج ١٨ : ١٦٤ ساسى) ، والخبر فى الطبقات رقم : ٩١١ .

٦ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة فى كتابه إلىَّ قال ، حدثنى محمد بن سلام ، (أو : عن محمد بن سلام) » ، فى أماكن كثيرة .

٧ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه الذى عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ ساسى) ، وهو خطأ لاشك فيه ، يدل كل ما سلَف وما سيأتى على أن صوابه : « فى كتابه إلىّ » ، والخبر ألحقته بالطبقات برقم : ٩٣٥ .

٨ — « أخبرنى أبو خليفة فى كتابه ، عن محمد بن سلام » (ج ١٨ : ١٢٥ / ٢٢ : ٦١ ساسى) ، وصوابه : « فى كتابه إلىّ » ، كما هو ظاهر ، والخبر ملحق برقم : ٩٣٣ .

٩ — « أخبرنى أبو خليفة : فيما كَتَبَ بِهِ إلىّ ، عن محمد بن سلاّم » (ج ١٢ : ٢٣٩ ، الدار) ، والخبر ليس فى الطبقات ، وهو بلاشك من كتاب آخر غيره .

١٠ — « كتب إلىّ أبو خليفة الفضلُ بن الحباب ، أخبرنا محمد بن سلاّم » (ج ٢١ : ٢٨ ساسى) ، والخبر فى هذا الموضع ليس من الطبقات .

١١ — « كتب إلىّ أبو خليفة يذكُر أن محمد بن سلاّم حدّثه » (١٢ : ٣٠٧ ، الدار) ، ، والخبر ليس من كتاب الطبقات بلا ريب ، فى هذا الموضع .

١٢ — « أخبرنى الفضل بن الحباب أبو خليفة قال ، قال محمد بن سلام » ، فى أماكن معدودة .

١٣ — « أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا (أو : عن محمد بن سلام) » ، وهو فى مواضع كثيرة جدًّا .

وهذه الأسانيد التى جمعتها ومحّصت أخبارها وفحصتُ عنها ، تدلّ دِلالةً واضحةً على أن القاضى أبا خليفة الجمحىّ ، قد كتب إلى أبى الفرج إجازةً برواية كُتُب محمد بن سلاّمٍ الجمحىّ ، عنه ، ومنها كتاب طبقات فحول الشعراء . وإذنْ فقد كانت عند أبى الفرج نسخة من كتب ابن سلامٍ ، كتبها إليه القاضى أبو خليفة ، وعليها إجازةٌ بروايتها ، ومنها كتاب الطبقات ، ومن هذه النسخة نقل أبو الفرج فى الأغانى ما نقل . وإذنْ ، فما جاء من أخبار ابن سلامٍ فى كتاب الأغانى عن الشعراء ، ممّن لهم ذكرٌ فى كتاب الطبقات ، يوشِكُ أن يكون نسخةً ثالثةً من هذا الكتاب بلا ريب .

وقد وُلِد أبو الفرج الأصبهانىّ بأصبهان سنة ٢٨٤ هـ ، ثم رحَل إلى بغداد ونشأ بها واستوطنها ، وظاهر الأمر أنه لم يلقَ أبا خليفة الجمحىّ على الأرجح ، وقد توفى أبو خليفة بالبصرة فى شهر ربيع الأول من سنة ٣٠٥ هـ وقد جاوز المئة ، وأبو الفرج يومئذ فى العشرين من عمره . وأغلبُ الرأى وأرجَحُه أنّ أبا خليفة لم يدخُلْ بغداد فى تلك الفترة ، وأشُكّ أيضاً فى أنه دخلها قبل ذلك ، لأنى رأيت الخطيب البغدادىّ لم يترجم له فى كتابه « تاريخ بغداد » ، وقد ترجم لصغار من دخلها من العلماء ، فبعيد جدًّا أن يكون أبو خليفة دخلها ويغفله البغدادىّ ، وهو أحد أئمة الحفاظ ، وأحد كبار مُسْندى عصره من أهل الحديث .

وإذا كان ذلك ، فأرجح الرأى أن يكون أبو الفرج قد كاتب أبا خليفة يسأله أن يرسل إليه نسخة من كُتُب ابن سلّام ويجيزه بروايتها فيما بين سنة ٣٠٠ هـ وسنة ٣٠٤ ، وهو فى الخامسة عشرة أو بعدها بقليل . وإذا كانَ ذلك فمن عجيب

أمرِ أبي الفرج أنه ترجم فى كتابه الأغانى لجماعة من الشعراء الذين ذكرهم ابن سلاّم فى كتاب الطبقات ، فروى فى تراجم بعضهم أخبارَهُمْ عن ابن سلام وذكر طبقتهم فى كتاب الطبقات ، أما الآخرون منهم ، فإنَّه لم يذكر فى تراجمهم خبراً عن ابن سلام ، ولا ذكر طبقتهم فى كتاب الطبقات . وقد كنت ظننتُ أوّلاً أن كتب ابن سلام لم تصله إلاّ بعد أن أعدّ كثيراً من مادة كتابه « الأغانى » ، وهو ظنٌّ فاسِدٌ ، لأن أبا الفرج قد حدّث عن نفسه أنه قضَى فى تأليف كتابه هذا خمسين سنةً ، وهو قد توفّى سنة ٣٥٦ ﻫ ، فيكون قد بدأ فى تأليفه قبل سنة ٣٠٦ من الهجرة بزمان ، بلا ريب . وذلك لأن الحكم المستنصر ، صاحب الأندلس ، بعث إليه فى طلب كتابه « الأغانى » ، فبعث إليه نسخة منْهُ قبل أن يخرجَهُ بالعراقِ ، والحكم المستنصر ولى الأمر سنة ٣٥٠ من الهجرة — وأيضاً فإن أبا الفرج كتب « الأغانى » مرة واحدة فى عمره ، وهى النسخة التى أهداها إلى سيف الدولة الحمدانى بحلب ، وسيف الدولة توفّى سنة٣٥٦ ، أى فى السنة التى توفّى فيها أبو الفرج . فأكبر الظنّ أنه فرغ من تأليف كتابه قبل سنة ٣٥٣ أو بعدها بقليل . وإذن فقد كانت نسخته من كتاب « طبقات فحول الشعراء » حاضرة عنده منذ بدأ تأليفَ كتاب « الأغانى » سنة ٣٠٣ﻫ . وإذنْ ، فلم ذكر كتاب ابن سلاّم وأخباره فى مواضع ، وأغفل ذلك فى مواضع أخرى ؟

فى « كتاب الأغانى » خلَلٌ فى التأليف كثير ، وقد تنبَّه إلى بعضه ياقوت الحموىّ ، فقال : « قد تأمّلتُ هذا الكتاب وعُنِيتُ به وطالعته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلّداتٍ ... فوجدته يَعِدِ بشىء ولا يفى به فى غيرموضع منه[1] ..... وما أظنُّ إلا أنّ الكتاب قد سقط منه شىء ، أو يكون النسيانُ

(١) ذكر ياقوت مثالين اثنين على مواضع الخلل فى كتاب الأغانى .

غلبَ عليه ، والله أعلم » ، وقد صدَق ياقوت ، والكتاب محتاج بعدُ إلى دراسةٍ وافيةٍ من كُلّ وجهٍ ، ولكنى أظنُّ أيضاً أن لاستهتار أبى الفرج بالشَّراب ، أثراً ظاهراً فى تأليف كتابه ، مع تطاوُل المَدَى عليه فى جمعه وتصنيفه ، فلعلّ إغفالَهُ ما أغْفَلَ من ذكر كتاب الطبقات ، ومن النقل عنه فى تراجم هؤلاء ، راجعٌ إلى ذلك وإلى غيره من الأسباب التى أدخلت الخلل على كتابه .

والذى لاشَكَّ فيه أن أبا الفرج قد نقل نقْلاً صحيحاً تامًّا فى أكثر مارواهُ فى كتابه الأغانى ، من كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلّامٍ ، وقد تبيّن لى بالمراجعة والفحص ، أنّ أخباره المسندة إلى ابن سلام جاءتْ مطابقة لما فى « المخطوطة » و نسخة المدينة « م » مطابقةً تامة فى أكثر الأحيان . ويزيدُك يقيناً أن بعض الخرم الذى فى « المخطوطة » ، وجدتُ تمامه فى « الأغانى » ، وخيرُ مَثَلٍ على ذلك ماجاء فى الخبر رقم : ٧٥٢ ، ص٥٥٩ ، والتعليق عليه رقم : ٣ ، فإنى وجدتُ صدر الخبر فى الأغانى ، مع أنه لم يَرْوِ الخبر كعادته مسنداً إلى ابن سلام وحده .

ولما رأيت المطابقة الصحيحة بين ما كان فى أصل الطبقات ، وماجاء فى كتاب الأغانى ، استبحت لنفسى فى الطبعة الأولى أن أَزِيدَ فى مواضع الخَرْمِ من نسختى المخطوطة ، أخباراً نقلتُها من الأغانى بأحد أسانيده الثلاثة عشر المذكورة آنفاً ، وزدتها أيضاً على نصّ نسخة المدينة التى طبع عنها ماطبع من الطبقات ، وأنا على يقين يومئذٍ من أنها مختصرة من كتاب الطبقات . فعاب علىّ ذلك بعضُ أهل الفضل من العلماء ، ولكن لما جاءتنى مصورة « المخطوطة » كاملةً ، وجدت كُلَّ مازدتُهُ من الأغانى ، موجوداً فى « المخطوطة » ، بل كانَ بعضُها فى نَفْس سياق ابن سلّامٍ ، وفى موضعه من كتابه كما أثبتُّه أنا استظهاراً .

مثال ذلك الخبر رقم : ٧٩٥ ، فإنى كنت وضعته بعد الخبر : ٧٩٣ ، مباشرةً ، وهو كذلك فى « المخطوطة » ، إلاّ أنه فصل بينهما الشعر الذى رواه ابن سلام فى رقم : ٧٩٤ — والخبر رقم : ٩٤٧ كنت نقلته من الأغانى ووضعته بعد الخبر رقم : ٩٤٦ ، فكان كذلك فى « المخطوطة » أيضاً ، ومواضع أخرى أدع التكثير بذكرها .

من أجل ذلك رأيتُ أن الذى فعلتُه ليس عيباً قادحاً فى عَمَلى ، لأنّ ما فى الأغانى ، هو بيقينٍ من كتاب الطبقات ، ووضعى إيّاه اجتهاداً فى موضع من الكتابِ ، ربما أصابَ موضعه من أصْل ابن سلامٍ ، وربما أخطأ الموضِعَ الذى وضعه فيه ، ولكنّه مع ذلك من أصل ابن سلامٍ بلا ريبٍ ، ولا عيب فى ذلك إن شاء الله . وعسى أن يأذن الله بظهور مخطوطة كاملةٍ من الطبقات تؤيد أكثر ما ذهبتُ إليه فى إثبات هذه الأخبار فى مواضع النقص والخرمِ التى وقعت فى « المخطوطة » وفى « م » .

وهذا بيانُ المواضع التى أدخلت فيها روايات أبى الفرج من نسخته التى نقل عنها فى كتاب الأغانى :

رقم : ٦٣/ رقم : ١٣٦/ رقم : ١٥٤ / رقم : ٤٤٧ ، إلى آخر رقم : ٤٤٩ / رقم : ٥٠٦ / رقم : ٥٠٩ ، ٥١٠ وهو مطابق لما فى الموشح أيضاً ، / آخر رقم : ٥١٦ ، وهو مطابق لما فى الفاضل للمبرّد/ رقم: ٥٣٥ حيث أثبت نص الأغانى، لأنه أتم مما فى « م »/رقم : ٥٧٧/ رقم : ٥٨٣ ، إلى آخر رقم : ٥٨٥ / رقم :٦٦٦/ رقم : ٦٦٨/ رقم : ٦٧٠ / رقم : ٦٧٦ / رقم : ٦٧٨ ، نقلته عن الأغانى لفساد نص «م» / رقم : ٦٩٦ ، إلى آخر رقم : ٦٩٨/ رقم : ٧٣٥/رقم : ٧٣٩ ، وهو مطابق لما فى الموشح وتاريخ ابن عساكر/ رقم : ٧٥٢ ، نقلت صَدْر الخبر ، وهو متّصل بنصّ « المخطوطة »/ رقم : ٧٥٩ ، وهو زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٧٦١ ،

وهو زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٧٩٠ ، زيادة فى نسب العجير ، لأن أبا الفرج نص على أنه كذلك عند ابن سلام / رقم : ٧٩٧ ، زيادة فى الخبر على « المخطوطة » / رقم : ٩٢١ ، ٩٢٢ ، زيادة على « المخطوطة » / رقم : ٩٣٢ ، إلى آخر رقم : ٩٣٥ ، زيادة على « المخطوطة » .

فهذه خمسة وعشرون موضعاً ، فيها ستة وثلاثون خبراً ، منها خبران مذكوران فى « م » ، ولكنى أثبت نص الأغانى ، وخبران فى « المخطوطة » زدت فيهما من الأغانى أسطراً ، وتسعة أخبارٍ زيادة على « المخطوطة » ، لأنى أرجح أن نسخة أبى الفرج كانت أتم منها ، فيبقى بعد ذلك ثلاثة وعشرون خبراً كلها زيادة على « م » ، وهى مختصرة ، كما أثبت ذلك فى « بابة المقارنة بين المخطوطين » .

* * *

بقيت نسخٌ أخرى من كتاب الطبقات ، برواية جماعة من شيوخ العلم ، أشرت إلى بعضها فى تعليقى على الكتاب ، فأولهم صاحب «الموشَّح» المرْزُبانىّ ، أبو عبيد الله محمد بن عِمْران بن موسى بن عبيد ، ولد سنة ٢٩٦ ، وتوفى ببغداد ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة ٣٨٤ هـ . وروى كتاب الطبقات عن إبراهيم ابن شهاب ، وهو إبراهيم بن محمد بن شهاب ، أبو الطيب العطار ، ولد سنة ٢٧١ ، وتوفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ، قال المرزبانى : « كان أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذهب العراقيين ، عاشرنى فى منزلى أربعين سنة أو أكثر منها ، معاشرةً متَّصلةً غير منقطعة » . وإبراهيم بن شهاب روى كتاب الطبقات عن أبى خليفة الجمحىّ ، عن محمد بن سلام .

وأسانيد المرزبانى إلى ابن سلام ، أكثرها عن إبراهيم بن شهاب ، وبمراجعتى ماجاء فى الموشح تبين لى أن كُلَّ مافيه عن طريق إبراهيم بن شهاب ، موجودٌ بنصّه فى كتاب الطبقاتِ . فلذلك زدتُ خبرين من هذه الطريق : تمام

رقم : ٤٦ ، ثم رقم : ١٤٦ م زدت أيضاً من الموشح ، من رواية المرزبانى ، عن أبى بكر محمد بن يحيى الصّولىّ (٠٠٠ — ٣٣٦ هـ) ، عن أبى خليفة ، عن ابن سلام ، الخبر رقم : ٧٤٣ ، لأن بعض ما رواه عن طريق محمد بن يحيى فى الموشح موجود أيضاً فى الطبقات . وكُلُّها زيادة على « م » .

وزدت أيضاً خبراً ، عن شرح نهج البلاغة ، لابن أبى الحديد ، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى (٥٨٦ — ٦٥٥ هـ) لأنه نصّ على أنّه من « كتاب الطبقات » ، وهو رقم : ١٣٧ ، وهو زيادة على « م » . وزدت شيئاً قليلاً فى صدر الخبر رقم : ٧١٢ ، عن ابن عساكر فى مخطوطة تاريخ دمشق ، لأنه إنما نقل فى كتابه عن كتاب الطبقات .

وإذن فمجموع مازدته من الأخبار على أصل الطبقات « م » ، هو سبعة وعشرون خبراً ، وتسعة أخبار زيادة على « المخطوطة » ، فهى جميعاً ستة وثلاثون خبراً . وأرجو أن أكون قد أصبت الحقّ فى أكثر ذلك .

☆ ☆ ☆

وبقيت زيادات أخرى نقلتها عن الكتب المختلفة ، رجّحتُ أنها من أصل الطبقات ، ولكنى أثبتها فى التعليق ، وهذا بيانها :

ص : ٣٨ ، تعليق : ٣ ، عن كتاب الزينة / ص : ٤٠ ، تعليق : ٤ — ٧ عن العمدة ، مع الشك فيه / ص : ٨٨ ، عن ثمار الأزهار / ص : ٩٨ ، تعليق : ٣ ، عن كتاب الغُرّة / ص : ٩٩ ، تعليق : ١ ، عن الغرة / ص : ١٧١ ، عن الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر / ص : ٢٣٤ ، تعليق ٢ ، عن المختلف والمؤتلف للآمدى / ص : ٣٥٥ ، تعليق : ٢ ، عن الأغانى / ص : ٥٤٥ ، تعليق : ٣ ، عن الأغانى .

☆ ☆ ☆

ولم يبق من شأن أبى الفرج ونسخته من كتاب الطبقات ، إلاّ ما ذكره فى تراجم الشعراء من ذكر طبقتهم فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فمن الحسن أن نبين مواضع الاتفاق والاختلاف بين ماقاله ، وماهو ثابت فى كتاب ابن سلاّم ، وننظر هل وَهِم أبو الفرج فى شىء مما قال .

(ا) فمن ذلك ما ذكره من طبقات أهل الجاهلية :

١ — فى ترجمة الشمّاخ (ج ٩ : ١٦٠ ، الدار) : « وجعل محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة ، الشمّاخَ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبى ذؤيب » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ١٢٣ ، رقم : ١٤٠) .

٢ — فى ترجمة الأسود بن يَعْفُر (ج ١٣ : ١٥ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثامنة مع خِدَاش بن زُهَيْر ، والمُخَبَّل السعدى ، والنَمِر بن تَوْلَب » .

وهو يخالف ما عندنا فى الطبقة الثامنة (ص : ١٥٩) ، فإن أهل الطبقة الثامنة هم : عمرو بن قَمِيئة ، والنمر بن تولب ، وأَوْس بن غَلْفَاء ، وعوف بن عطيّة بن الخَرِع ، وهو بلاشك وهْمٌ وقع فيه أبو الفرج ، يصحّحه ماسنذكره بعده رقم : ٣.

٣ — فى ترجمة المخبَّل السَّعْدىّ (ج ١٣ : ١٨٩ ، الدار) : « وذكره ابن سلام فجعله فى الطبقة الخامسة من فحول الشعراء ، وقرنه بخداش بن زهير ، والأسود بن يَعْفُر ، وتميم بن مُقْبِل » .

وهو مطابق لنسختنا (ص : ١٤٣ ، رقم : ١٧٤)، ويصحح ماوقع فيه أبو الفرج من الوهم ، فى الفقرة السالفة رقم : ٢ .

٤ — فى ترجمة سُوَيْد بن أبى كاهل (ج ١٣ : ١٠٢ ، الدار) : « وجعله محمد ابن سلام فى الطبقة السادسة وقرنه بعنترة العبسى وطبقته » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص: ١٥١-١٥٢، رقم : ١٩١)

٥ — فى ترجمة عَبيد بن الأبْرص (١٩ : ٨٤ ساسى): « وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طرفة ، وعلقمة بن عَبدة ، وعدىّ بن زيد » .

وهو كما قال فى نسختنا (س : ١٣٧ ، رقم: ١٦٣)

٦ — فى ترجمة المتلمّس (ج ٢١ : ١٢٢ ساسى) : « وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية . وقرن به سلامة بن جَنْدَل ، وحُصَيْن بن الحمام ، والمسيّب بن عَلَس » .

وهو كما قال فى نسختنا (س : ١٥٥ ، رقم: ١٩٦)

من طبقات الإسلاميين

٧ — فى ترجمة الأحوص (ج ٤ : ٢٣٣ ، الدار) : « وجعل محمد بن سلام الأحوص ، وابن قيس الرقيات ونصيباً وجميل بن معمر ، طبقة سادسة من طبقات الإسلام ، وجعله بعد ابن قيس ، وبعد نصيب » .

وهو كما قال فى نسختنا (س : ٦٤٨ ، رقم: ٨٢٠) ، إلا أنه مذكور بعد ابن قيس ، وقبل نُصَيْب ، وأظنّ أن صوابَ نص الأغانى « وقبل نصيب » ، وإلا لاكتفى بقوله « وبعد نصيب » ، ولم يذكر « وبعد ابن قيس » .

٨ — فى ترجمة الأخطل (ج ٨ : ٢٨٢ ، الدار) : « وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة ، جعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام » . وانظر ذكر الراعى فى الذى يليه رقم : ٩ .

وهو كما قال فى نسختنا (س : ٢٩٨ ، رقم: ٣٩٠) .

٩ — فى ترجمة كُثَيِّر (ج ٩ : ٤ ، الدار): « وهو من فحول شعراء الإسلام ،

وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم ، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعى » .

وليس كما قال ، فإنَّ كُثَيِّراً من أهل الطبقة الثانية ، لا الأولى ، كما فى نسختنا (ص : ٥٣٤ ، رقم : ٧١١) . وأنت تعلم أن أهل الطبقة أربعة فحسب ، كما ذكر ابن سلام فى مقدمته ، وكما قال فى أول طبقات الإسلام (ص : ٢٩٧) : « كل طبقة أربعة رهط متكافئين معتدلين » . وقد ذكر أبو الفرج الأربعة كما هم فى الطبقة الأولى ، فالخامسُ ، (وهو كُثَيِّر) وَهْمٌ منه . ولعله كان قد اتخذ لنفسه فهرساً فيه أسماء شعراء الطبقات ، فانطفأ السراجُ وهو يكتب ويراجع ، فاختلط بَصَرُه ، فخلط فى النقل ! ! أو شَرِب فثَمِل فوَهِل !

١٠ — فى ترجمة أبى زُبَيْد الطائىّ (ج١٢ : ١٢٧ ، الدار) : « وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلولِىّ ، وذَوُوه » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٥٩٣ ، رقم : ٧٨٩) ، وكما سيأتى فى رقم : ١١ .

١١ — فى ترجمة العُجَيْر السَّلولىّ (ج ١٣ : ٥٨ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى طبقة أبى زُبَيْد الطائى ، وهى الخامسة من طبقات الإسلام » .

وهو كما قال فى نسختنا (ص : ٥٩٣ ، رقم : ٧٩٠) ، وكما مضى فى رقم : ١٠ .

١٢ — فى ترجمة عدىّ بن الرِّقاع (ج ٩ : ٣٠٧ ، الدار) : « وجعله محمد بن سلام فى الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام » .

وليس كما قال ، فإن ابن سلام جعله فى الطبقة السابعة ، كما فى نسختنا (ص : ٦٨١ ، رقم : ٨٥١) ، وأنا أرجّح أنه تصحيفٌ من ناسخ الأغانى .

بقى نص واحد فى الأغانى ، مشكل كل الإشكال ، هو هذا :

١٣ — فى ترجمة ابن ميّادة (ج ٢ : ٢٦٢ ، الدار) : « وجعله ابن سلام

فى الطبقة السابعة ، وقَرَن به عُمَر بن لجأ والعُجَيْف العُقَيْلى والعُجَيْر السَّلولىّ » .

وابن ميَّادة لا ذكر له البتة فى كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام .
وعمر بن لجأ ، عدَّه ابن سلامٍ فى الطبقة الرابعة (ص : ٥٨٣ ، رقم : ٧٨٠) .
والعُجَيْف العُقَيْلىّ ، خطأ فى المطبوع من الأغانى ، وإنما هو القُحَيْف العُقَيْلى .
والقُحَيْف العقيلى ، عدَّهُ ابن سلام فى الطبقة العاشرة . والعُجَير السلولى ، عدّه
ابن سلام فى الخامسة . فهذا اختلافٌ شديدٌ مُبين . وقد مضى آنفاً فى رقم : ١٠ ،
ورقم : ١١ من كلام أبى الفرج نفسه ، ذكر هذه الطبقة الخامسة ، العجيرُ السلولىّ
وأبو زبيد ، فلو أضفنا إليهما ما ذكره أبو الفرج هنا فى رقم : ١٣ ، لكان معهما
عمر بن لجأ ، والقحيف العقيلى ، وابن ميادة فهؤلاء خمسةٌ . وهذا باطلٌ ، فإنّ
كل طبقة من الطبقات لم تزد قطُّ على أربعة شعراء ، كما هو واقع فى الطبقات ،
وكما قال ابن سلام نفسه فى صدر طبقات الجاهليين ، وصدر طبقات أهل الإسلام .

وهذا خطأ لا تفسير له عندى ، إلاّ السهوُ الشديد من أبى الفرج ، أو اختلاط
أوراقه التى راجَعَ عليها أسماء الشعراء ، إذا صح أنه كان يتخذ لنفسه فهارس
لمثل كتاب الطبقات ، كما افترضنا آنفاً ، فى التعليق على رقم : ٩ . وقد علق
عليه فى الأغانى بعض من علّق فقال : « ولهذا لا يستبعَد أن يكون أبو الفرج
قد أخطأ الرواية فى هذا النقل ، أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام » .
وأبو الفرج لم يروِ مشافهة عن ابن سلامٍ ، كما زعم المعلّق ! وفى تعليقه كلامٌ
آخر غير مفهومٍ ، ثم قال : « أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من
الطبقات ، دخلها النقص فيما بعدُ حتى وصلت إلينا كما هى الآن » . وهذا عندى
فرضٌ لا يقومُ ، بعد الذى قلناه ، وبعد الذى وجدناهُ من صحة نقوله عن ابن سلام
فى اثنى عشر موضعاً من كتابه .

* * *

٧ — بَابَةُ طبعات كتاب الطبقات

طُبِع كتابُ ابن سلاَّم عدة طبعاتٍ أكثرها لا خير فيه ، ومنها ثلاث طبعات كان عليها اعتمادُ أهل العِلْم منذ سنة ١٩١٦ ، إلى أن كانت طبعتنا هذه سنة ١٩٧٤ ، هى طبعة يوسف هِلْ ، ثم طبعة حامد عجان الحديد الكتبى ، ثم طبعتُنا الأولى بدار المعارف . وسأقصر كلامى هنا على طبعة يوسف هل ، وطبعتنا الأولى ، لأن طبعة عجان الحديد بمطبعة السعادة سنة ١٩٣٠ ، إنما طبعت عن النسخة الأوربية على الأرجح ، وعلى المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما يوسف هل .

١ — طبع يوسف هل كتاب ابن سَلاَّمٍ باسم « طبقات الشعراء » ، أول مرّةٍ بمطبعة بريل ، فى مدينة ليدن ، (سنة ١٩١٣ — ١٩١٦) ، وقدّم له مقدمة بالألمانية ، وذكر أنه طبع نسخته عن نسختين من كتب شيخ العربية فى زمانه : محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطىّ :

أولاهما محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٦ ، أدب ش) ، كتبت فى سنة ١٣٠٣ من الهجرة ، نقلاً عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف بك بالمدينة المنورة ، وهى نسخة « م » التى مضى ذكرها فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » .
والأخرى محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٧ ، أدب ش) ، وكتبت سنة ١٣١٠ من الهجرة ، وهى أيضاً منقولة عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة .

ولأن يوسف هِلْ لم يطّلع على مخطوطة كتاب الطبقاتِ المحفوظة بمكتبة عارف حكمة ، وكان قد دخل على أوّل هذه المخطوطة عبث عابث ممن قرأ الكتاب ، غيّر فيه نص كلام ابن سلام ، ثم جاء ناسخَا النسختين المحفوظتين

بدار الكتب ، فنقلا هذا البحث مُدْرَجاً فى أصل الطبقات — فإن يوسف هل استحدثَ لنفسه إشكالاً فى نسبة الكتاب إلى أبى عبد الله محمد بن سلام ، وخلط خلطاً كثيراً يُحسِنُ الإتيانَ بأمثاله هو وذَوُوه . فمن أجل ذلك آثرت أن أذكر أولاً ملخّص ما قاله هِلْ فى مقدمته :[1]

استهلّ يوسف هِلْ مقدمته الألمانية بالفحص عن نسبة الكتاب إلى ابن سلاّم وعن صحّة نصّه ، وذكر أنّ كتب الأدب نقلت عنه أخباراً لم يجد لها ذكراً فى كتاب الطبقات ، منها ما رواه أبو الفرج فى أغانيه (١٠ : ٣ ، الدار) ، حين ذكر دريد بن الصِّمّة فقال : « وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرْسان » . ثم ما رواه أيضاً فى الأغانى (١٨ : ٧٤ ، الهيئة) ، إذ ذكر خُفاف بن نُدْبة فقال : « وجعله ابن سلّام فى الطبقة الخامسة من الفرسان ، مع مالك بن نُوَيرة ، ومع ابنى عمّه صخر ومعاوية ابنَىْ عمرو بن الشريد ، ومالك بن حمار الشَّمْخىّ » . ثم قال : إن هذين النصّين حملا بروكلمان إلى الظنّ بأن ابن سلام خليقٌ أن يكون قد ألّف كتاباً فى « فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » . قال : ولكن لم يردْ فى كتب الفهارس ذكر كتابٍ بهذا الاسم ، وزعم أن الأمر اختلط على أبى الفرج الأصبهانى بكتاب مشابه لكتاب ابن سلام ، مثل كتاب « طبقات الشعراء » لدعبل ، أو كتاب « الفرسان » لأبى خليفة الجمحىّ ، على الأرجح . وزعم أن مثل هذا الخلط جائزٌ وقوعه ، لما كانت عليه حال الكتب العربية القديمة ، كما يظهر من كتابنا هذا ! !

ثم قال يوسف هل : إن أبا عبيدة (مَعْمَر بن المثنَّى) ألف هو أيضاً كتاباً

---

[1] اعتمدت فى نقلى لأقوال هذا المستشرق : على صديقى الدكتور عبد الرحمن بدوى ، قرأ على الأصل الألمانى ، وأملى على ملخصاً لما جاء فيه . ثم أعاد على صديقى الدكتور أحمد بدوى قراءته ، ونقل لى فحواه ، فلهما منى أجزل الشكر وأطيبه .

باسم « طبقات الشعراء » ، بل إن أبا حسّان الزيادىّ وأبا خليفة الجمحىّ ، كلاهما قد ألف كتاباً باسم « طبقات الشعراء » ، كما جاء فى فهرست آبن النديم . أما أبو عبيدة فقد روى عنه آبن سلام فى كتابه فى سبعة مواضع . وأما أبو حسّان الزيادى ، فهو أحد من رَوَى عن آبن سلّام . وأما أبو خليفة ، فيدلُّ نصّ كتابنا على أنّه هو راوية آبن سلام . فمن أجل ذلك ، كان من العسير أن نحدّد : إلى أىّ مَدًى نستطيع أن نتحدّث عن كتابٍ لاُبن سلام ،وإلى أىٍّ مدًى يعدّ أبو خليفة راويةً فحسبُ ، وإلى أىٍّ مدًى تصرّف أبو خليفة حتى جاءنا الكتابُ على الصورة التى هو عليها اليوم .

قالَ يوسف هل : والكتب العربية القديمة مفككة ، وكل الكتب التى وصلتنا تشهد بذلك . فالكتاب الواحِدُ يُذكَر فى الفهرست لاُبن النديم على أنّه كتابان منفصلان . وهذا شأن « طبقات الشعراء الجاهليين » و « طبقات شعراء الإسلاميين » لاُبن سلام ، ثم تُنسَب فيما بعد إلى راوٍ متأخّر ، وهو فى موضوعنا هذا : أبو خليفة الجمحىّ . ثم ضرب هِلْ مثلا بكتاب « فحولة الشعراء » للأصمعى : فاُبن دُرَيْد هو راوية الكتاب ، وأبو حاتم السِّجِسْتانىّ هو محرّر الكتاب ، والأصمعىّ هو مصدر الكتاب . وكذلك الشأن فى كتاب « طبقات الشعراء » : فأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن بُجَيْر القاضى ، هو راوية الكتاب ،[1] وأبو خليفة الجمحى هو محرِّر الكتاب ، وآبن سلام هو مصدر الكتاب . هذا على أنّه من البيِّن أن نصيب آبن سلام فى هذا الكتاب ، أعظم من نصيب الأصمعى فى كتاب « فحولة الشعراء » .

ثم تكلّم يوسف هِلْ ، عن كتاب طبقات الشعراء ، وقارن بينه وبين كتاب

---

(١) هو راوى نسخة المدينة « م » كما سلف .

الأصمعى ، وبين عمل ابن سلام فى كتابه وعمل الأصمعى فى كتابه، وهو كلام مختصر ليس هذا مكانه فيما أرى . ولما فرغ من ذلك ، قال يوسف هل :

أمّا ما أورده صاحب الفهرست ، من ذكر كتابين لابن سلّام هما « طبقات الشعراء الجاهليين » ، و« طبقات الشعراء الإسلاميين » ، فيدلّ نصُّنا هذا على أنهما كتابٌ واحدٌ ، له مقدمة واحدةٌ . ولكن وُجِد فى نصِّنا بين « طبقات الشعراء الجاهليين » و« طبقات الشعراء الإسلاميين » حَشْوٌ لم يذكره فى مقدِّمته . فقد دلّت المقدمة على أنّه كان يريد أن يجعل « المخضرمين » بين الجاهليين والإسلاميين ، ثم عَدَل عن ذلك واستبدل بها « طبقة أصحاب المراثى » ، وصيّرها طبقة بعد العشر طبقات من الجاهليين ، وأردفها بطبقة « شعراء القرى العربية » ، وهى مكه والمدينة والطائف واليمامة والبحرين . ثم ألحق بهما « طبقة شعراء يهود » .

ثم قال : أما كتابنا هذا ، فليس فيه ذكر « كتاب فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » ، ومن الجائز أن يكونَ كتابُ « فرسان الشعراء » قد اندمجَ فى كتاب « الفرسان » لأبى خليفة الجمحى ، وقد ضاعَ كتاب أبى خليفة فيما يظهر . انتهى ما قاله !

٭ ٭ ٭

وكلُّ ما جاء به يوسف هل ، خبطٌ وخلطٌ وأشياء أُخرى ! وهو كلامٌ لا يكاد يثبت على نقدٍ . ولولا ما نخشَى من استغواء مثل هذا الكلام لبعض من لا يعرفُ من أهل زماننا حالَ الكتب العربية ، لما حفلتُ بالردّ عليه .

أما قولُ هذا المستشرق الغريب الشأن ! وما ذكره من اختلاط الأمر على أبى الفرج الأصبهانى ، ثم تعليله ذلك بأن « هذا الخلط جائز وقوعه ، لما كانت عليه حال الكتب العربيّة القديمة ، كما يظهر من كتابنا هذا !! » ، ثم قوله بعد

ذلك : « والكتب العربية القديمة مفككة ، وكلُّ الكتب التى وصلتنا تشهد بذلك » !! — فلا أدرى ماذا أقول فيه ؟ ولعله معذور ، لأنه من طائفة من البشر لاتستحى من الكذب على أنبياء الله ، فكيف تستحى من الكذب على العرب، وعلى « الكتب العربية القديمة » ؟ فإلاَّ يكُنْ هذا كذباً محضاً غيرَ مخلوطٍ ، فإنه جَهْل بَحْتٌ غيرُ ممزوج ، « والكتب العربيّة القديمةُ التى وصلتنا » تشهد عَلَى مقالته هذه بالكذبِ والجهلِ معـاً ، خليطاً واحداً ! ومع ذلك فسأتكلّف مالا يليق بى ولا بأحدٍ من العقلاء ، فأحاوِل نقد كلامه .

أوّلُ ذلك: أن ذِكْر صاحب الفهرست فى ترجمة ابن سلام كتابين باسم «طبقات الشعراء الجاهليين» و «طبقات الشعراء الإسلاميين » ، لا يدل على أنهما كتابان منفصلانِ . فإن القدماء كانوا إذا اختلف الموضوع فى الكتاب الواحد، سمّوا كل باب كبير منه « كتاباً » . فابن قتيبة مثلاً (ولد سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٧٦ من الهجرة) ألف أدب الكاتب، وكتاب معانى الشعر الكبير، وكتاب عيون الأخبار وغيرها (وكلها مطبوع) . فكتاب أدب الكاتب فيه أربعة كتب: كتاب المعرفة، وكتاب تقويم اليد ، وكتاب تقويم اللسان ، وكتاب الأبنية، وفى كل كتاب منها أبوابٌ عدةٌ . وكذلك كتاب معانى الشعر الكبير، يحتوى على اثنى عشر كتاباً ، فى كل كتاب أبواب كثيرةٌ . فعبارة ابن النديم لا تدل على أنّهما كتابان منفصلان ، بل هما بابان كبيران من كتاب واحد . وسائر النقول عن كتاب «طبقات الشعراء لابن سلام » تدلُّ على ذلك دلالة واضحة . ومن رجَع إلى فهرست ابن النديم ، عرف صحة ما ذهبنا إليه .

الثانى: أنّ العلماء القدماء ، كانوا لا يرونَ بأساً فى اشتراك الكتب فى الأسماء . فأكثر الأوائل مثلاً سمّوا كتبهم باسم « غريب القرآن » و « غريب الحديث »

و « كتاب الشعراء » . تجد للشيخ كتاباً بهذا الاسم ، ثم لتلميذه ، ثم لتلميذه من بعده ، لأنهم قصدوا إلى المعنى العام الدالّ على ما فى كتبهم ، ولم يبالوا بالتخصيص، فالتخصيص يأتى من معرفة المؤلف الذى ألَّفه . ومن راجع كتاب الفهرست وجد عشرات من الكتب للشيوخ وتلاميذهم بهذه الأسماء : غريب القرآن ، غريب الحديث... الخ . فاشتراك ابن سلام وأبى خليفة ودعبل وسواهم فى تسمية كتاب، لا يدلّ على شىء البتّة ، مما ذهب إليه يوسف هِلْ . ولا يمكنُ أن يكون اشتراك الأسماء سبباً فى وقوع أبى الفرج الأصبهانى فى الخلط بين الكتب ، وفى الرواية عنها. ومراجعة الأغانى تكفى فى الدلالة ، على أنّه نقل من كتبٍ مشتركة الأسماء ، ولكنّه فصَل بينها فصْلاً صحيحاً ،لأن اعتمادَه كانَ على الإسنادِ،لا على كتابٍ غُفْلٍ من إسناده.

والذى كان من اشتراك ابن سلام وتلميذه أبى خليفة فى اسم « كتاب طبقات الشعراء » ، خليقٌ أن يكون دليلاً على أن الأول منهما مجرّد رواية عن ابن سلام، وأن الآخر كتاب مختلفٌ عَنْه ، ألّفه أبو خليفة فأحدثَ فيه ما أحدثَ من مخالفة أو موافقة ، ومن اختصار أو بسط ، ولو كان وصلنا لعرفنا مذهبَه فيه ، وهو خليقٌ أيضاً أن يكون روى فيه عن غير ابن سلّام من شيوخه ، وهم جمٌّ غفيرٌ .

الثالث : أنّ نصَّ كتابنا هذا يدلّ دلالةً واضحةً على أن أبا خليفة الجمحىَّ ، لم يستدخل نفسَه فى نصّ ابن سلّامٍ قطُّ ، إلاّ فى خمسة مواضع :

الأوّل : ص : ١١ ، س : ١ ، **قوله** : « والبيت مريبٌ عند أبى عبد الله » ، يعنى « أبا عبد الله محمد بن سلام » .

الثانى : ص : ١٧ ، تعليق : ١ ، نقلاً عن الموشّح المرزبانى ، وهو قوله : « قال الفضل (يعنى نفسه أبا خليفة الفضل بن الحباب) قال التَّوَّزِىُّ : يقالُ رِيرٌ

ورَانٌ ، وهو المخّ الرقيق ، وكِيحُ الجبل وكاحُ الجبلِ أسفلُه ، وقِيدُ رمحٍ وقادُ رُمْح » .

الثالث : ص : ٤١ رقم : ٤٦ قوله : « يقال : يتَهَكَّم ويتَكَهَّمُ ، قال الفضل (يعنى نفسه) : ويقال : ليلةٌ بُهْرَةٌ ، إذا كان قمرها مضيئاً » .

الرابع : ص : ١٤٠ ، الخبر رقم : ١٦٩ ، كُلُّه وأسنده فقال: « نا أبو خليفة ، نا أبو عثمان ، عن الأصمعى ، عن نافع بن أبى نعيم » ، وظاهر أنّه أتى به لمناسبة الشعر الذى قبله ، وظاهرٌ أيضاً أنه رواه عن غير ابن سلام .

الخامس : ص : ٣٩١ ، وهو قوله : « آلجدْلُ : الفَتْل . والأدَاهمُ : الحِبالُ ،[1] نا أبو خليفة : كُلُّ من كان فى عمله حديدٌ فهو قَيْنٌ ، بذى نَجَبٍ : يوم التقت بنو حنظلة وبنو عامر ، إلا بنى مالك بن حنظلة » .

ففى هذه المواضع الخمسة ، استدخل أبو خليفة نَفْسه فى نصّ ابن سلام ، أو يكون سئل عن ذلك والكتابُ يُقْرأ عليه ، فأجابَ ، فأثبت الراوى عنه ما قالهُ أبو خليفة فى نص نسخته . وهذا أرجح ، لأنّ بعضه موجودٌ فى نسختنا ، وبعضه من رواية المرزبانى فى نسخته ، وليس موجوداً فى مخطوطتنا . ثم لم نجد — فيما قبل ذلك ولا فيما بعدهُ — ما يدلُّ على أن أبا خليفة استدْخَل نفسه ، أو تصرّف أىَّ تصرُّف فى النصّ الذى يرويه عن خاله ابن سلّام .

وإذا صحّ هذا ، وهو صحيح ، لم يُعدْ لكلّ ما أفاضَ فيه يوسف هِلْ ،

---

(١) قلت فى التعليق على هذا ص : ٣٩١ ، تعليق : ٢ : « وغرر بابن سلام » ، والصواب « وغرر بأبى خليفة » ، فليصحح .

أصلٌ يقوم عليه . ولا أحبُّ أن أطيل فى تفصيل نقد أقواله ، فإنّ فيما سيأتى بعض الردّ على ماذهب إليه فى مقدمته .

* * *

استهلّ المسكين يوسف هل مقدّمته باستحداث إشكالٍ فى نسبة الكتابِ إلى آبن سلّام ، فزعم بأن كتب الأدب نقلت عن « كتاب الطبقاتِ » أخباراً لم يجدْ لها فيه ذكراً . وهذا صحيح من وجهٍ ، وفاسدٌ من وُجوه .

صحيحٌ ، لأنّ كتب الأدب نقلت عن آبن سلّامٍ أخباراً فى تراجم الشعراء الذين ذكرهم فى كتابه ، ليس لها وجودٌ فى نسخة المدينة « م » ، التى لم يطّلع هو عليها ، ونشر كتاب الطبقات عن نسختين نسختا عنها . وهذه النسخة — كما أسلفنا فى « بابة المقارنة بين المخطوطتين » — مختصرةٌ من كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، والذى نقلته كتب الأدب (وهو يعنى كتاب الأغانى وحدَه ، وإنّما هو تكثُّرٌ لا أكثر ولا أقلّ) ، موجودٌ كُلُّه فى « المخطوطة » ، كما هو واضحٌ فى تعليقى على الكتاب .

وفاسدٌ ، لأنّ لآبن سلاّم كتبًا أخرى غير كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، وليس كُلُّ ما رُوِى عن آبن سلام ، فهو من كتابه هذا وحدَه . وفاسدٌ أيضاً ، لأن يوسف المسكين ، لمّا أراد أن يثبت دعواه فى أنه فحَص الكتاب ! ! لم يقفنا على شىء إلاّ على موضعين فى الأغانى : هذا نصهما :

١ — فى ترجمة دريد بن الصمة (ج ١٠ : ٣ ، الدار) : « وجعلَهُ آبن سلاّمٍ أوّل الفُرْسان » .

٢ — فى ترجمة خُفاف بن نُدْبة (ج ١٨ : ٧٤ الهيئة) : « وجعله آبن سلّامٍ

فى الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نُوَيْرة ، ومع ٱبنَىْ عَمّه صخرٍ ومعاوية ٱبنَى عمرو بن الشَّرِيد ، ومالك بن حِمار الشمخِىّ » .

وقال : إن هذين النّصَّين حملا بروكلمان إلى الظنّ بأن ٱبن سلام خليقٌ أن يكون قد ألف كتاباً فى « فحول الشعراء » أو « فرسان الشعراء » ،[1] ثم تولّى يوسف هل نقد بروكلمان فقال : ولكن لم يرد فى كتب الفهارس ذكر كتابٍ بهذا الاسم ، ثم ذهبَ يَخْلِط ويَخبِط ويتبَجْبَجُ ، ولا بأسَ عليه إن شاء الله ! وكل هذا كلامٌ لا وزن له ، ولا حُجَّة فيه .

وقد أصاب بروكلمان كل الإصابة . وحُجّتنا فى ذلك ، أنّ ٱبن سلام قال فى صدر كتاب الطبقات (ص : ٣) من طبعتنا هذه ، وهو ساقطٌ من المطبوعة الأوربية والمصرية ما نصه :

« ذكرنا العرب وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شعرائها ، وفُرْسانها ، وأشرافِها وأيّامها ، إذ كانَ لا يُحاطُ بشِعْرِ قبيلةٍ واحدة من قبائل العرب ، وكذلك فُرْسانُها وساداتها وأيامُها . فاقتصرنا من ذلك على مالا يجهلُه عالمٌ ،

---

(١) فى الأغانى مواضع أخر نقل فيها عن ابن سلام نقولاً هى أحرى بأن تكون من كتاب الفرسان ، من ذلك ما جاء فى ترجمة عنترة (ج ٨ : ٢٤٦ ، الدار) قوله : « أخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلام قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالى مَنْ لقيتُ من فرسان العرب ، مالم يلقَنِي حُرَّاها وهَجِيناها ! — يعنى بالحُرَّين : عامر بن الطُّفَيل ، وعُتَيْبة بن الحارث بن شهاب . وبالعبدين : عنترة ، والسليك ابن السُّلَكة » .

وانظر أيضاً الأغانى ١٥ : ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، الدار ، فى خبر الفارس عمرو بن معد يكرب / ١٦ : ٥٥ الدار ، فى صدر خبر الفارس ربيعة بن مكدم ، وغيرها كثير .

ولا يستغنى عن علمه ناظرٌ فى أمر العرب . فبدأنا بالشِّعْر » .

ولما كان كتاب الطبقات ، كما قال ابن سلام ، فى الشعر والشعراء وحدهم ، على مابيَّن بعدُ فى كتابه ، وقال إنه « بدأ بالشعر » ، فهذا وحده مُشْعِرٌ بأنه سوف يُتْبِع الشعرَ بالكلامِ على « فرسان العرب » ، ثم « أشراف العرب وساداتها » ، ثم « أيام العرب » . وقد وجدنا كتاب «طبقات فحول الشعراء». وذكر ابن النديم كتاباً سمَّاهُ « بيوتات العرب » ، فهذا فيما نعتقد ، هو الذى فيه ذكر « أشراف العرب وساداتها » . فجاء أبو الفرج ، فدلّنا دلالة قاطعة على كتاب آخر لابن سلام هو « كتاب الفرسان » أو « كتاب فرسان الشعراء » . وابن النديم لم يستوعب كتب كلّ مؤلِّف ، ولا هو ادّعى ذلك . وهو خليق أن يكون سقط ذكره عنه ، كما سقط عنه ذكر كتاب ابن سلام « غريب القرآن » .

هذا ، وقد وجدت فيما رواه أبو الفرج بأسانيده عن ابن سلام أكثر من أربعين موضعاً ، يذكر فيها « المغنّين »، ومواضع أخرى ذكر فيها بعض الشعراء كعمر بن أبى ربيعة ، ونابغة بنى شيبان ، وبشاراً ، وغيرهم ، كسكينة بنت الحسين ، وسُعْدَى بنت عبد الرحمن بن عوف ، والحارث بن خالد المخزومى ، وموسى شهوات، فأخشى أن يكون لابن سلام كتابٌ أيضاً فى«المغنّين وأخبارِهم»، أو تكون من الكتاب الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست : « الفاصل فى ملح الأخبار » .[1]

* * *

حين نشرت طبعتى الأولى من كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، لم تكن

---

(١) انظر مامضى ص : ٣٨ ، لعله « الفاضل » .

مخطوطة الكتاب المحفوظة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة ، تحت يدى ، ولا أعرف شيئاً عن خَطّها أو تاريخ كَتْبها ، ووجدت فى طبعة يوسف هل ، وطبعة حامد عجان الحديد ، وفى النسختين المخطوطتين اللتين نسختا عن مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام ، المحفوظتين فى كتب الشنقيطى بدار الكتب ، خلافاً غريباً جدًّا بين ما هو ثابت فيها جميعاً ، وما هو ثابت فى نسختى « المخطوطة » ، فكتبت يومئذ ما نصّه :

« فى النسخ المطبوعة جملة وقعت فى المطبوعة الأوربية فى [ص ١٠، س ٢ — ٥) وفى المصرية فى (ص ١٦، س ١٢ — ١٦) ، هى هذه :

١ — [فاقتصرنا فى هذه على فحول الشعراء الإسلاميين ، للاستغناء عن فحول شعراء الجاهليين بطبقاتى المؤلفة فى ذلك . ورتبت هذا المؤلف على عشر طبقات ، كل طبقة تجمع أربعة من فحول شعراء الإسلام] .

وقد علق عليها يوسف هِلْ فى المستدرك [ص ١٩] ، وقال إنه يرى أنها مقحمةٌ فى هذا المكان ، من مقدمة « طبقات شعراء الإسلام » ، وقد أصاب فى أنها مقحمة ، ولكنها ليست مقحمة فحسبُ ، بل هى أيضاً ضعيفةُ البيان ، حتى إنى لأشكُّ فى أنها من كلام ابن سلامٍ جملة ، ويقابلها فى هذه المطبوعة (ص ٢٤، س ٧ — ٩) ما نصُّه :

[فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابَهَ شعره مِنْهم إلى نظرائه ، فوجدناهمُ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهطٍ كل طبقة ، متكافئين معتدلين] .

ثم جاء فى (ص ١٥ س ، ٦ — ٩) من الأوربية ، و(ص ٢٤ ، س ١٣ — ١٥) ما نصُّه :

٢ — [ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر ، والرواية عمّن مضى من أهل العلم ،

على رهط أربعة من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة ، ثم اختلفوا فيهم بعد] .

يقابلها فى نصنا هذا المطبوع (ص٤٩ ، س ٨/ص : ٥٠ ، س ١ ، ٢) ، ما نصه :

[ثم إنا اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم — إلى رهطٍ أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختلفوا فيهم بعد] .

فأنت ترى أن قوله « على أنهم أشعر العرب طبقةً » فى نصّنا هذا ، يقابله فى المطبوعة الأولى (المصرية والأوربية) : « من فحول شعراء الإسلام اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقةً » ، والجملة فيما قبل ذلك وما بعده واحدة فى المطبوعة الأولى وفى نصّنا هذا . فأكاد أقطعُ بأن هذا التبديل ، جاء من الناسخ الأول للأصول التى طبع عنها يوسف هِلْ وحامد عجان الحديد الكتبى . فإنه لما رأى أنّ « طبقات فحول الجاهلية » مبتورةٌ بتراً فى نسخته ، ظنّ أن كلام ابن سلّام فى كتابه ، إنما هو عن « طبقات شعراء الإسلام » ، لأنّ الطبقة الأولى من الجاهليين لم يذكر فيها إلا شىء يسير من أخبار امرىء القيس والنابغة ، ولم يذكر فيها زهير والأعشى إلّا عرضاً . ثم بدأ الكلام بعد (ص١٩ من الأوربية ، ٣٢ من المصرية) فى خبر كعب بن زهير الذى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظنّ الناسخُ أن الكلامَ مقتصرٌ على طبقات الإسلاميين والمخضرمين ، فعجِلَ وبدّل وأقحم هذا الكلام الذى وضعه من عند نفسه ، وهو : « من فحول شعراء الإسلام ، اجتمعوا على أنهم أشعر الإسلاميين طبقة » ، أولجه مكان قوله فى نصنا : « على أنهم أشعر العرب طبقة » .

فإذا صحّ هذا ، وكأنى به صحيح ، فأظنّ أن الناسخ من أجل هذا السبب

نفسه ، فعل مثل ذلك ، فى الجملة السالفة التى استدرك عليها يوسف هِلْ ، فوضع كلاماً من عنده غير الذى كان فى الأصل الذى نسخ عنه » . انتهى .

فلما جاءتنى مصورة نسخة المدينة « م » ، رأيتُ فيها تصديق ماقلتُ قديماً . وإذَا بى أجد عابثاً جاهلاً اطّلَع على المخطوطة ، فبعبثه وجهله ، أخذ القلم ، وضرب خطًّا على قوله : « من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألَّفنا من تشابه شعرهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشرَ طبقاتٍ ، كُلّ طبقة مُتَكافِئُون معتدلون» ، وكتب فى الهامش بخطّه الحديث فى ظهر الورقة (٤) ، مانصّه :

« فى هذا على فحول الشعراء الإسلاميين لاستغناء (؟ ؟) عن فحول شعراء الجاهلية بطبقاتى المؤلفة فى ذلك . ورتبت هذا المؤلَّف على عشر طبقاتٍ تجمعُ أربعة من فحول شعراء الإسلام » .

ثم جاء هذا العابث الجاهلُ أيضاً فى ظهر الورقة (٦) إلى قول ابن سلام : « ثم اقتصرنا بعد الفحص والنظر والرواية عمن مضى من أهل العلم على رهطٍ أربعة ، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقة » ، فوضع بين « أربعة » ، و« اجتمعوا » علامة تخريج ، وكتب بينهما فى الهامش بخطه « من فحول شعراء الإسلام صح » ، ثم ضرب بالقلم على لفظ «العرب» وكتب فوقها «الإسلاميين» .

وهذا العبث وهذا الجهلُ وهذه الرّكاكة ، هى التى فتحت ليوسف هِلْ باب التخليط ، ومَهّدتْ له أن يفترى على « العرب » وعلى « الكتب العربية القديمة » ماافترَى .

* * *

وأمر « المخضرمين » الذى أوهم هذا الجاهل العابث ، هو نفسه الذى حمل يوسف هِلْ من بعده ، على أن يظنّ أن ابن سلام عَدَل عن النهج الذى وضعه

لكتابه كما جاء في مقدمته ، فاستبدل به طبقة أصحاب المراثى ، وطبقة شعراء القرى العربية ، وطبقة شعراء يهود .[1]

وصنيع ابن سلّام فى الطبقات ، دالٌّ على أنّه يعدّ المخضرمين فى الجاهليين تارة وفى الإسلاميين تارة . ففى الطبقة الثانية (ص : ٨١) ذكر أوس بن حجر وبشر ابن أبى خازم ، وهما جاهليان لاشكّ فيهما ، مع كعب بن زهير والحطيئة ، وهما مخضرمان لاشك فيهما . والطبقة الثالثة كلّها مخضرمون . والطبقة الرابعة كلها جاهليون لا شك فيهم . والطبقة الخامسة فيها الجاهلى والمخضرم . والطبقة السادسة جاهليون كلهم . وهكذا إلى آخر الطبقات العشر ، لم يبالِ ابن سلام بالفَصْل بين الجاهلىّ والمخضرم ، كالذى انتشر بعد ذلك فى طريقة المتأخرين من الفصل بينهما.

وابن سلام لم يَعِد فى مقدمة كتابه بأن يذكر طبقات الجاهليين ، ثم طبقات المخضرمين ، ثم طبقات الإسلام ، بل كل ماقاله (ص ٢١) : « ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين ، فنزّلناهُمْ منازلهم ، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجَّة ، وما قال فيه العلماء » . ثم قال بعده فى (ص ٢٣) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألفنا من تشابه شعرهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عشر طبقاتٍ ، أربعة رهط كل طبقة، متكافئين معتدلين». ثم قال أيضاً (ص : ٤٩) : « ثم إنّا اقتصرنا — بعد الفحص والنّظَر والرِّواية عمن مضى من أهل العلم — إلى رهط أربعة ، على أنهم أشعر العرب طبقةً ، ثم اختلفوا فيهم بعدُ . وسنسوق فى اختلافهم واتّفاقهم ، ونسمّى الأربعة ، ونذكر الحجَّة لكل واحد منهم » .

فهذا كلامٌ مطلقٌ لاحدّ فيه ولا تعيين . والذى فى أيدينا من كتاب الطبقات، وما نقل عنه الناقلون ، يدلُّ على أنّ ابن سلّام فرّق المخضرمين بين طبقات شعراء

---

(١) انظر ص : ٥٤

الجاهلية ، وطبقات شعراء الإسلام . فذكر فى الثالثة من الإسلاميين كعب بن جميل ، ويقال إنه شهد الجاهلية ، وعمرو بن أحمر الباهلى ، وهو مخضرم لاشك فيه ، وسُحَيم بن وَثيل الرياحىّ ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الطبقة الرابعة من الإسلاميين حُمَيْد بن ثَوْر ، وهو مخضرم أيضاً . وفى الخامسة أبا زُبَيْد الطائى ، وهو مخضرم أيضاً . وفى السادسة من الإسلاميين ذكر بَشامة بن الغَدِير وقُرَاد ابن حَنَش ، وهما جاهليان فيما نعرفُ ، فلعلّ ابن سلّام عدّهما من المخضرمين لخبر بلغه عن إدراكهما الإسلام ، وإن لم يسلما . وفى التاسعة من الرُّجّاز الأغلب العجلىّ ، وهو مخضرم . وإذنْ فابن سلّام لم يكن يعدُّ المخضرمين طبقة قائمة بنفسها ، بل نزّل المخضرمين منازلهم ، من طبقات أهل الجاهلية وطبقات أهل الإسلام ، وألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه ، كما قال فيما نقلناه عنه آنفاً من مقدمته . فمن أجل ذلك وَضَعَ المخضرمين فى حيث رأى من طبقة شعرهم عنده : إمّا فى طبقتهم من أهل الجاهلية ، وإمّا فى طبقتهم من أهل الإسلام ، غير ناظرٍ إلى ترتيب تاريخ مولدهم أو تاريخ وفاتهم ، أو إلى تقدم متقدِّم ، وتأخّر متأخر .

وهذا الذى فعله ابن سلام أجودُ فى تاريخ الشّعر وتاريخ نقده ، من تقسيم المحدَثين الشعراء وَفْقَ الزّمن وتاريخ المولد والوَفاة . وإلغاؤُه « طبقة المخضرمين » وإدماجُها فى طبقة الشعر نفسه ، دليلٌ على حُسْن بصر ابن سلّام بالنقد ، وجودة معرفته بالشعر ، ودليلٌ على أنه نهجَ لكتابه نهجاً يحتاجُ إلى دراسة دقيقة متقنة ، يُرْجَع فيها إلى طريقته التى سلكها فى وضع كُلّ أربعةٍ فى طبقة ، وزَعْمه أنهم « متكافئون معتدلون » . وهذا أمرٌ يتطلب إفاضة ليس هذا مكانها .

* * *

ولكن ههنا شىء ينبغى التنبُّه له ، وهو لفظ « طَبَقة » و« طَبَقات » ، الذى استعمله ابن سلام فى ثنايا كلامه ، ثم جعله عنواناً لكتابه . والذى لاشكّ فيه أن

هذا اللفظ من كلام العرب ، قد درج على ألسنتهم قديماً للدلالة على معانٍ مختلفة ، ولما جاء عصر التدوين صار له مجاز آخر عند المؤلفين والكاتبين ، حتى انتهى إلى زماننا هذا بمعنى مشهورٍ مألوفٍ . ومن الخطأ البيّن ، تغافلنا عن هذه الحقيقة ونحن نقرأ نصًّا قديماً . بل أوّل مايجب أن نحاوله هو تتبّع أطوار معاني اللفظ ، واختلاف هذه المعاني على تطاوُلِ السنين . وقد كنتُ أشرتُ قبلُ إلى معنًى من معاني « طَبَقة » ، يدلُّ عليه كلامُ ابن سلاّمٍ دلالة واضحة ،[1] فقلت : « إن ابن سلاّم عاد مرةً رابعةً فنظر في شعر الأربعين من « الفحول » ، فانتهى في تمييز شعرهم إلى عشرة ضروب أو مناهج سمّاها : طبقات » ، وإنما قُلْتُه استظهاراً من فَحْوى نصّ ابن سلاّم ، ومن بيانه عن عمله في تأليف كتابه .

ومادة (طبق) تؤُول أكثر معانيها في لسان العرب إلى تماثل شيئين ، إذا وضعت أحدهما على الآخر ساواه ، وكانا على حَذْوٍ واحدٍ ، فقيل منه : « تطابق الشيئانِ » ، إذا تساويا وتماثلا ، وسمّوا كُلّ ما غطّى شيئاً « طَبَقاً » ، لأنه لا يغطّيه حتى يكون مساوياً له ، ثُمّ لا يغطّيه حتى يكون فوقه ، فسمّوا مراتب الناس ومنازل بعضهم فوق بعض « طبقات » . ولما كانت كل مرتبة من المراتب لها حالٌ ومذهبٌ ، سمّوا الحال المميّزة نفسها « طبقة » ، فقالوا : « فلانٌ من الدُّنيا على طبقات شتّى » ، أي على أحوالٍ شتّى . وهذا المعنى أشدُّ وضوحاً في حديث أبي سعيد الخُدْرِيّ ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] : « ألا إن بني آدم خُلِقوا على طبقاتٍ شتّى ، منهم مَنْ يُولدُ مؤمناً ويحيَى مؤمناً ويموتُ مؤمناً ، ومنهم من يولدُ كافراً ويحيى كافراً ويموت كافراً ، ومنهم من يُولَدُ مؤمناً ويحيى مؤمناً ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ويحيى كافراً ويموت مؤمناً » . وهذا إن شاء الله ، بيانٌ عن مذاهب

---

(١) انظر ص : ٢٥ ، تعليق : ١ .

(٢) مسند أحمد ٣ : ١٩ ، ٦١

الناس فى حياتهم ، لاعن مراتبهم ومنازلهم ، فلفظ « طبقة » فى هذا الحديث مجاز دالٌّ على مثل المعنى الذى ذهبتُ إليه فى تفسير نص ابن سلاَّم .

وقد وجدتُ هذا اللفظ فى خبر ، على مجازٍ آخر ، تعينُ عليه اللغة . فقد روى القاضى ابن أبى يعلى فى « طبقات الحنابلة » ،[1] بإسناده إلى العباسِ بن محمّد بن حاتمٍ الدُّورِىّ (١٨٥ - ٢٧١ هـ) ، أنه قال :

« انتهى علمُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة نفرٍ من الصحابة رضى الله عنهم : عمر بن الخطّاب ، وعلىّ بن أبى طالبٍ ، وعبد الله بن مسعودٍ ، وأُبىّ بن كعبٍ ، ومُعاذ بن جَبَلٍ ، فهؤلاء طَبَقَاتُ الفقهاء . وأما [طبقات] الرُّواةِ ، فستة نفرٍ : أبو هريرة ، وأنس ، وجابر عبد الله ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وعائشة . وأما طبقات أصحاب الأخبار والقصص ، فستة نفرٍ . . . وأمَّا طبقاتُ التفسير ، فستة أيضاً . . . وأما طبقات خُزّان العِلْم . . . وأما طبقات الحُفّاظ فستّة نفرٍ . . . »

وبيّنٌ جدًّا أنه سَمَّى كُلَّ واحدٍ من الستّة « طبقةً » ، وسمّى كل ستّة نفرٍ جميعاً : إما « طبقات الفقهاء » وإما « طبقات الرواة » ، وإما « طبقات التفسير » ، إلى آخر ما سمَّى . وبيّنٌ أنه يعنى بتسمية كُلِّ واحدٍ منهم « طبقة » ، أنه رأسٌ متميّزٌ فى الفقه أو الرواية أو التفسير أو الحفظ .

وصاحبُ هذا الخبر ، وهو العباس بن محمد الدورىّ ، قريب العهد من محمد ابن سلاّمٍ ، عاشا فى زمان مُتَعانِقٍ ، وهو لم يُجْرِ هذا اللفظ على لسانه ، إلاّ ومعناهُ مألوف متداوَلٌ فى زمانهما ، دالٌّ على التميّز فى بابٍ من الأبواب ، وعلى مذهبٍ

---

(١) طبقات الحنابلة ١ : ٢٣٨ ، ولم أنقل الخبر بتمامه ، ووضعت مكان ماتركت النقط .

من المذاهب في الفقه أو التفسير أو الرواية ، يُعرف به صاحبُه . وقد وقفتُ طويلاً عند قول ابن سلاّم ، وهو من أغرب ما قرأتُ : « ثم إنا اقتصرنا — بعد الفحص والنظر والرواية — إلى رهطٍ أربعة ، عَلَى أنّهم أشعر العرب طَبَقَةً ، ثم اختلفوا بعدُ » (ص : ٤٩) ، فوجدتُه صَعْباً أن يفسّر قوله ههنا « طبقة » بما يهجُم على الخاطرِ ممّا ألفناه نحنُ من معنى « طبقة » ، ولم أجدْ له إلا معنى واحداً ، كأنّه هو الذى يعنيه ابن سلام ، وهو أنهم أشعر العرب فى مذهب من مذاهب الشعر ، أو فى نهج من مناهجه ، أو فى ضرب من ضروبه . ورأيت أن قول ابن سلام قبل ذلك (ص : ٢٤) : « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً ، فألّفنا من تشابَهَ شعرُهُ منهم إلى نظرائه ، فوجدناهُمْ عَشر طَبَقات ، أربعةُ رهطٍ كُلُّ طَبَقَة ، متكافئين معتدلين » ، فبدَا لِى أنّ معنى هذا : أن « التشابُهُ » هو أساس نظر ابن سَلام ، ولا يتشابه شاعران إلا فى شىء واحدٍ ، هو مذهبهما فى الشعر ، أو منهجُهما الذى يتميّز به كل واحدٍ منهم ، ويكادُ يكون رأساً فيه . فلما قال بعد ذلك « فوجدناهُمْ عشرَ طبقات » ، رأيتُهُ لا يكادُ يكون لَهُ معنًى ، حتّى يكون معنى ذلك : فوجدناهم عَشرَ مذاهبَ ، أو عشر مناهج من مذاهب الشعر ومناهجه .

ومن أجل ذلك جاء ابن سلاّم فى آخر كلامه عن تأليف كتابه فقال (ص ١ : ٥) : « وليس تَبدِئتنا أحدَهُم فى الكتاب نحكُمُ له ، ولا بُدّ من مُبْتَدَأ » ، فاحترسَ ، ونبّه قارىء كتابه على أن تقديم شاعرٍ من الأربعة على صاحبه المشَابِهِ مذهبُه لمذهبه ، ليس حُكماً منه على تقديمه ، بل الأربعة جميعاً عندهُ متكافئون معتدلون ، لأنّ كُلّ واحدٍ منهم رأسٌ فى مذهبه ومنهجه ، وإنما جمعهم فيما سمّاهُ « طبقة » ، لِما انتهى هو إليه بعد الفحص والنّظر ، من تشابُهِ مناهج هؤلاء الأربعة النُّظَراء . و « التشابهُ » هنا ، عند ابن سلاّم ، لا يعنى التّطابُق ، فهذا

باطلٌ لا يقبله العقل ، وإنما يعنى وجوهاً من الشبه بعينها فى المناهج مع اختلافٍ ظاهرٍ يتميّزُ به كلُّ واحدٍ منهم عن صاحبه ، وبهذا الاختلاف ، يكون كُلٌّ منهم رأساً فى هذا المذهب من مذاهب الشعر . ونَعَمْ ، لم يفسّر لنا ابن سلاّمٍ هذه المذاهب ، ولم يدلّنا على الأساس الذى بَنَى عليه ما ذهب إليه من تشابه المناهج ، وتركَ لنا نحنُ استخراجَ أسلوبه فى النظر ، حتى انتهى إلى ما انتهى إليه من تشابه هؤلاء الأربعة النظراء من الفحول فى مناهجهم ، وحمّلنا نحن عِبْءَ النّظر حتى نَعْرِف ماهى هذه « المناهج » العشرة من مناهج الشعر ، من خِلاَل قراءة أشعار هؤلاء الفحولِ .

ولكن ما أقطَعُ به هو أنّ ابن سلاّمٍ لم يُرِدْ بقوله « طبقة » ، مايهجم على الخاطر من معنى المرتبة ، أو المنزلة ، ولم يردْ ما أرادهُ غيرهُ فى زمانه وبعد زمانه فى كتبٍ ألفوها وسمّوها « الطبقات » ، وجعلوا « الطبقات » فئات مرتبة على أصول القبائِل ، أو فئات مرتبة على منازل العلماء فى المدنِ ، أو فئات مرتبة على السنين . والنظرُ فى كتاب ابن سلام يردُّ هذا ردّاً صريحاً ، بتفريقه « المخضرمين » فى الطبقات ، وهم الذين توهّم يوسف هِل أن ابنَ سلام أراد أن يجعلهم « طبقة » ثم عَدَل ، إلى آخر ماقاله . وسيبقى أمر « كتاب طبقات فحول الشعراء » بعد ذلك محتاجاً إلى دراسةٍ وتفصيل وتتبّع ، وتفليةٍ وفِقْهٍ لأُصُول ابن سلام فى النظر ، ولأُسُسه التى بنى عليها نقده فى الشعر ، وهو خليقٌ بأن تُبْذَل فى دراسته الأعوام ، لأنه أقدمُ كتاب وصلَ إلينا من كتب قُدَماء نُقّادِ الأدب والشعر ، بل لعلّه طليعة كُتُبِ النّقْد فى الأدب العربىّ ، وهو حقيقٌ بهذه المَنْزِلة من التّقديمِ والجلالِ .

* * *

٢ — ثم طبع « كتاب طبقات الشعراء » عدّة طبعاتٍ عَنْ طبعة يوسف هل ، وحامد عجان الحديد الكتبىّ . ثم أذنَ الله أن أطبع كتاب ابن سلام باسم

« طبقات فحول الشعراء »، وتولّت نشره دار المعارف سنة ١٩٥٢ مشكورةً. وقد قصصتُ قصة نسختي التي كنت نقلتها، وأنا يومئذ غِرٌّ لا علم له، عن «المخطوطة» قبل انتقالها إلى دار الغربة، في مكتبة « تشستربتي »، ولم أكن أتممت نقلها كُلَّها. فمِنْ هذا القدر الذي نقلتُه من « المخطوطة »، وما يتمّم الكتاب من طبعة يوسف هل وحامد عجان الحديد، طبعتُ كتاب « طبقات فحول الشعراء ». وكنتُ أتوهّم يومئذٍ، وأنا لا أشعُر، أنّ الذي نقلته مطابقٌ كُلّ المطابقة لما في « المخطوطة » التي غاب عني أصلها. فلما جاءت مصورة « المخطوطة » وقابلتها بما طبعتُه في سنة ١٩٥٢، تبيّنَ لِي أنّ نفسي غَرّتني غروراً كبيراً، وأنّي وقعتُ عند نسخها في أخطاء قبيحة، لغرارتِي يومئذٍ وجَهلي. ونعم، قد صحّحتُ بعض هذه الأخطاء التي وقعت في نَسْخِي القديم، بما بذلته في مراجعة الكتاب على دواوين الشعر والأدب، ولكن قادتني بعضُ هذه الأخطاء إلى دُرُوبٍ مُوحشةٍ، تعثّرتُ فيها تعثُّراً لا يُغْتَفَر. ومن أجل هذا، فأنا لا أُحِلُّ لأحدٍ من أهل العِلْم، أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى من « طبقاتِ فُحولِ الشعراء »، مخافةَ أن يقع بي في زَلَلٍ لاَ أرضاهُ له، وأضرع إلى كُلٍّ من نقل عن هذه الطبعة شيئاً في كتابٍ، سواء كان قد نسبه إلىّ أو لم ينسبه، أن يراجعه على هذه الطبعة الجديدة من الطبقات، ليَنْفِي عن نفسه وعَمَله العَيْب الذي احتملتُ أنا وحدى وِزْرَهُ.

وقد نقد هذه الطبعة الأولى جماعة قليلةٌ من أهل العلم والفَضْل، أوّلهم أخي الأستاذ السيد أحمد صقر، ثم جاء أخي الأستاذ حمد الجاسر، فأرسلَ إلىّ نقداً طويلاً، كي أنشرهُ في « مجلة الكتاب » التي كانت تصدر عن دار المعارف، ولكنّ رئيس التحرير استطال النقد، فرغب عن نشره مع إلحاحي عليه، فنشره الأستاذ الجليل في مجلته « اليمامة » بعد ذلك. وقد أصابَ الأستاذ حَمَد في جُلِّ ماقالَهُ، أو كلّه. ولما جاءت المخطوطة، كان أكثر ما قاله مطابقاً لما هو في

« المخطوطة » . وقد انتفعتُ فى هذه الطبعة بجميع ما أرشدنى إليه هو والأستاذ السيد صقر . ولا أستطيع أنْ أتجاوز هذا الموضع دون أن أذكر لكثير من أهل العلم والفضل ما أعانونى به فى تصحيح هذه الطبعة الجديدة ، أولهم أخى الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، ثم أخى الدكتور شاكر الفحام . أمّا أخى الدكتور ناصر الدين الأسد ، فقد أفادنى قديمًا فوائد جليلة ، ثم لما بدأت طبعَ الكتاب ، تولّى بكرمه قراءة الملازم بعدَ طبعها ، ونبَّهنى إلى كثير من أخطاء الطباعة ، وإلى مواضع أخرى ذكرتها فى الاستدراك . والشُّكر لا يحيطُ بفَضْل هؤلاء الكرام ، ولكنّى لا أملِكُ لهم إلاّ الشُّكر والوفاء . وأمَّا خَطَّاط العَربيّة أخى الأستاذ الشاعر سيد إبراهيم ، فقد وَهَب كتاب ابن سلاّمٍ وفصولَهُ دِيباجَةً يترقرق فيها الجمالُ .

* * *

أمّا سيرتى فى العمل ، فقد آثرتُ أن لا أذكر فى المراجع إلاّ مالا غِنى عَنْه ، وكرهت أنْ أحشدَ عند كل مكانٍ مراجع كثيرة لا ينتفع بها قارىء الكتاب انتفاعًا يذكر . وأمّا أهل العلم والتحقيق والتدقيق ، فهم أقدرُ منى على استيعاب ما يشاؤون من المراجع ، وهم لذلك فى غِنًى عن إدلالى عليهم بكثرة مراجعى وتنوّعها .

* * *

وآثرتُ أيضًا أنْ لا أدعَ كلمةً من شعر أو غيره ، تحيِّر قارئَهُ إذا وَقَع عليها ، فحاولتُ أن أشرحَ له كل لفظٍ ، حتى يستغنى بما أمامه عن مراجعة المعاجم الكبيرة ، وهى عزيزة عليه فيما أعلم . وقد خالفتُ فى بعض شرحى للشعر ، بعض ما يذهب إليه أئمتنا رضوان الله عليهم فى تفسيره ، ولم أبيّن ذلك فى كل مكانٍ . وقد ألحقت بآخر الكتاب بابًا أذكر فيه ما رأيته من اللغة غير مثبتٍ فى المعاجم ، وقد وقع لى بعض الاجتهاد فى مواضع من الشرح ، لم أنصّ عليها ، لأن القارىء ليس محتاجًا

إلى النص على ذلك كبيرَ حاجةٍ ، وأمّا أهل العلم والتحقيق ، فأحسبهم قادرين على تمييزه ، وعلى استخراجه بالنظرةِ الخاطفة. فإن كان إحسانٌ فبتوفيقٍ من الله ، وإن كان زَللٌ فمن عجزى وقصورى .

* * *

وحَسْبِى الآن أنْ أخرج من هذا الكتاب كلّه لا علىَّ ولا لِى ، فإن كنت قد أسأتُ فى شىء ، فأرجو أن يتغمّده بالعفوِ ما بذلتُ فيه من جُهْدٍ . وإن كنت قد أحسنتُ ، فإنى أعلمُ من تقصيرى وعجزى ما يَمْحو كلّ إحسانٍ . وأسألُ الله أن يجعل الكتاب نافعاً لطالب العِلْم ، معيناً له على طلبه ، مستحثًّا له على التزوُّدِ منه ، ﴿ ربَّنَا اغفِرْ لنا ولإخْوَانِنا الذين سَبَقُونا بالإيمَانِ ولا تجْعَلْ فى قلوبِنَا غِلاًّ لِلّذِينَ آمنوا ، ربَّنَا إنَّكَ رَءوفٌ رَحِيم ﴾ .

الأربعاء : ٢١ من المحرم سنة ١٣٩٤
١٣ من فبراير سنة ١٩٧٤

أبو فِهْر
محمود محمد شاكر

تذكرة : إذا رأى بعض أهل العلم رأياً فى شىء مما ذكرت ، أو نقداً لما قلت أو فعلتُ ، فنشره فى صحيفة أو مجلة ، أو أحبّ أن يجعله فى رسالة خاصة ، فأرجو أن يرسله إلىّ بعنوانى : « مصر الجديدة ، شارع الشيخ حسين المرصفى / ٣ » ، وله منّى أجزل الشكر .



الورقة الأولى من مخطوطتنا ، وفيها عنوان الكتاب

الورقة الأولى ، وفيها أول الكتاب

وفيهما أن قد أمرّ عليهما ثوائي وقولي خليليّ ألا اربعا
لنا في الحي يوماً وليلة بزابد ما قد قلت صيفاً ومربعا
تكون الهموم في الكرائب منهما وإن سئمتما أن تنهيا به فاسمعا

انقضى خبر العشر الطبقات

قال: وصيّرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر الطبقات، أولهم متمم بن نويرة
بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع، رثى أخاه مالكاً. والخنساء
بنت عمرو بن الحرث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس
بن بهثة، رثت أخويها صخراً ومعاوية. وأعشى باهلة، واسمه عامر بن الحرث
بن رياح بن عبد الله بن زيد بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن معن، رثى المنتشر
بن وهب بن عجلان بن سلمة بن كراثة بن هلال بن عمرو بن سلامة بن ثعلبة
بن وائل بن معن. وكعب بن سعد بن عمرو بن عقبة أو عقبة بن عوف
بن رفاعة أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر
رثى أخاه. مالك بن نويرة، وكان قتله خالد بن الوليد بن المغيرة حين وجهه
أبو بكر رضي الله عنه إلى أهل الردة، فهذا الحديث ما جاء على وجهه، ومنه ما ذهب
شيء منه علينا للاختلاف فيه. وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على
ما نريد، وقد سمعت فيه أقاويل شتى، غير أن الذي استقر عندنا أن عمر أنكر
قتله، وقام على خالد فيه وأغلظ له، وأن أبا بكر صفح عن خالد وقبل تأوله.
وكان مالك رجلاً شريفاً فارساً شاعراً، وكانت فيه خيلاء وله تقدم،
وكان ذا لمة كبيرة، وكان يقال له الجفول، فقدم على النبي صلى الله عليه
وسلم فيمن قدم من أمثاله من العرب، فولاه صدقات قومه بني يربوع، فلما قبض
النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب فيها فلم يحمد أمره، وفرّق ما في يديه من إبل الصدقة،
فكلمه الأقرع بن حابس المجاشعي والقعقاع بن معبد بن زرارة الدارمي

الورقة ٣٠ من مخطوطتنا

فقال حماد لمعبد كيف الحيلة قال تقول الاحوص وسمى معا

نعم فقال الاحوص

الا لا تلمه اليوم ان يتبلدا فقد غلب المحزون ان يتجلدا

اذا كنت عزهاة عن اللهو والصبى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

فما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا

فغنى فيه معبد وما زلت البارحة به حتى صار ونحن نعرف صوت يتغنى فخشيه

في هذا الصوت فلما غنته حبابة هذا الصوت قال يزيد قاتل الله مسلمة صدق والله

لا الومهم ابدا ومن قوله ايضا

أمن آل سلمى الطارق المتأوب الم وبيني دون سلمى وكبكب

تجدد اشتياقا اذ الم خيالها اليك وبعد من هواك المغيب

ويوما بذي بيش طلت مشوقا العين اسراب من الدمع تسكب

ابكي لما اهدى خيال ابن عامر وقد بعد الحي البعيد وجانب

بارض نأى عنها الصديق وغالني بها منزل من طيبة الحي اجنب

وما هربت من حاجة نزلت بها ولكنها من خشية الحرب تهرب

اقامت ببيش سنة هلال ونفسه لها قيم تحسنا الجوار مدنب

غريب نأى عن ارضه وسمائه لحيا وطول

ومن قوله ايضا

الا يا دار هند بلا ذات فلج مع

طلت كان دمعك ذي هلل هواس

نموت نشوقا طربا ونحبا وانت حجو بدار

كانك من تذكر ام حفص وحبل وصا

صريع مدامة غلبت عليه تموت لها

وانا من بلادك ام حفص سفنا لذا الجل

احل النعف من احد وادي مساكنها

سلام الله ما مطر عليها وليس علي

الورقة : ٩٦ من مخطوطتنا

رحلنا ماشيتنا فلما بدت منها السناسن والضلوع ١٠٣

شبعنا ما الشباط بحمد ربٍّ فعزّ بها الطليعة والصليع

تم كتاب طبقات الشعرا والحمد لله رب العالمين كثيرا مستمرا

وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم أولا وآخرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

الورقة : ١١١ ، وهى آخر الكتاب



الورقة الأولى من مخطوطة المدينة « م »

والعلم بالعربية إذا اختلفت الرواة فقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها
ولا يقنع الناس مع ذلك إلا الرواية عمن تقدم فاقتصرنا من الفحول المشهورين
على أربعين شاعرا فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه فوجدناهم عشر
طبقات كل طبقة منها أربعة متعادلون وكان الشعر في الجاهلية عندهم ديوان
علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون قال ابن عون عن ابن سيرين
قال قال عمر بن الخطاب كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء
الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم
ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت
العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ولا كتاب
مكتوب فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا
أقل ذلك وذهب عليهم منه أكثره وقد كان عند النعمان بن المنذر منه
ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح به هو وأهل بيته فصار ذلك إلى بني مروان
أو ما صار منه قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى إليكم
مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير
ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلة ما بقي بأيدي الرواة المصححين لطرفة
وعبيد اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما
حيث وضعا من الشهرة والتقدمة وإن كان ما يروى من الغثاء لهما فليسا يستحقان
مكانهما على أفواه الرواة ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام
كثير غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر وكانا أقدم الفحول فلعل ذلك لذلك
فلما قل كلامهما حمل عليهما حمل كثير ولم يكن لأوائل العرب من الشعر
إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة لما قصدت القصائد وطول الشعر
على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف وذلك يدل على إسقاط شعر

الورقة : ٦ من مخطوطة المدينة « م »

وقال في يوم أحد كلمة فقال فيها

فقل لنوفل ونعيم وابل وبنات الوجيه يلعقن بكل

والعكمات خبالتين بصتا وصعبوا أقبلوا منشر ونعل

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين ألقت بقباء بركها واستحر القتل في عبد الأشل

فقتلنا الضعف من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

قال ابن سلام قال زعم ابن جعدبة أنه سمع هشام بن عروة ينشد هذا الشعر وهو ليت أشياخي. وقال لبني المغيرة بن عبد الله المخزومي وكان لهم بلاء الجهاد والنعم [illegible]

ألا لله قوم ولدت أخت بني سهم هشام وأبو عبد مناف مدره الخصم

وذو الرمحين أشبال من القوة والحزم فهذان يذودان وذا من كثب يرمي

وإن الحليف وبيت الله لم تحفل على إثم لأن الغفوة [illegible] الرحمة والحلم

مات [illegible] ربعة أو أوزن في حلم [illegible]

وكان الزبعرى [illegible] ولد وأبوه [illegible] هاشم

ابن المغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه وذو الرمحين ابن [illegible] المغيرة ثم

أبو عبد الله [illegible] ربيعة ثم إن ابن الزبعرى أسلم بعد

ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر إليه فقال وأحسن

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسي الفداء وأنت النذير [illegible]

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني فيه فبت كأنني محموم

الورقة : ٢٧ من مخطوطة المدينة « م »

طبقات فحول الشعراء

تأليف

محمد بن سلام الجمحي

١٣٩-٢٣١ هجرية

السفر الأول

• روايةُ أبي خَليفة الجُمَحيّ ، عنه
رواية مُحمّد بن عبد الله بن أسِيد ، عنه

• رواية أبي خَلِيفة ، الفضل بن الحُبَاب ، عنه
رواية سُلَيمان بن أحمد بن أيُّوب الطَّبَرانيّ ، عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

[وأخبرنا أبو القاسم سُلَيْمٰن
ابن أحمد بن أيُّوب الطَّبَرانىُّ
قال : قُرِىَ على الفَضْل بن
الحبابِ وأنا أسمع]

. . . [أبو نص]ر ، أخبرك أبو سعد إذناً ، أنبا أبو نعيم :

١ — [أبو عبد] الله محمّد بن عبدِ الله بنِ أَسِيد قال : قُرِئَ على القاضى

. . . . . قرأه عليه . . . سنة إحدى وسبعين وثلثمائة . . . قال القاضى

[وهو] [الفَضْلُ بن الُحبَاب الُجمَ]حىُّ أبو خَليفةَ ، قال محمّدُ بن سَلاَّم الجمحىُّ

٢ — [(١)] ذكرنا العربَ وأشعارَها ، والمشهورين المعروفين من شُعَرائها وفُرْسانِها وأشرافِها وأيَّامِها ، إذْ كان لا يُحاطُ بشعرِ قبيلةٍ واحدةٍ من قبائلِ العرب ، [(٢)] وكذلك فُرْسانُها وساداتُها وأيّامُها ، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهلُهُ عالم ، ولا يستغنى عن علمه ناظِرٌ فى أمر العربِ ، فبدأنا بالشعر . [(٣)]

☆ ☆ ☆

---

(١) رقم : ٢ ، ٣ ، أخلت به « م » .

(٢) نقل السيوطى هذه الفقرة فى المزهر ٢ : ٤٧٣ .

(٣) بعد هذا كلام معترض حتى رقم ٢٥ . فهو اعتراض باعد بين طرفى الكلام . وهو فى المزهر ١ : ١٧١ — ١٧٤ ، من رقم : ٣ إلى آخر رقم : ٣١ ، مع اختصار قليل .

٣ — وفى الشعر مصنوعٌ مفتعَلٌ موضوعٌ كثيرٌ لا خيرَ فيه،[١] ولا حُجَّةَ فى عربيَّة، ولا أدبٌ يستفاد، ولا معنًى يُستخرج، ولا مَثَلٌ يُضْرب، ولا مديحٌ رائع، ولا هجاءٌ مُقْذِعٌ،[٢] ولا فخرٌ مُعْجِبٌ، ولا نسيبٌ مُسْتطرَفٌ. وقد تداوله قومٌ من كتابٍ إلى كتابٍ، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يَعرِضوه على العلماء.[٣] وليس لأحدٍ — إذا أجمع أهلُ العلم والرواية الصحيحة على إبطال شىءٍ منه — أن يَقْبَل من صحيفة، ولا يُرْوَى عن صُحُفىٍّ.[٤]

وقد اختلفت العلماءُ بَعْدُ فى بعض الشعر، كما اختلفت فى سائر الأشياء، فأمّا ما اتّفقوا عليه، فليس لأحدٍ أن يخرج منه.[٥]

* * *

(١) « مصنوع » سيرد هذا اللفظ فى رقم : ٥، ورقم : ٧٣، ولا أدرى، مايريد به ابن سلام، أيريد ما صنعته القبائل، أو بعض الكذابين، أم يريد أنه محمول على الشاعر، وهو من عمل شاعر غيره، فإنى رأيت سيبويه يقول فى الكتاب ١ : ٣٣٦، وذكر بيتاً من الشعر : « قال : وهو مصنوع على طرفة، وهو لبعض العباديين ». فهذا معناه : محمول على طرفة، لا لأنه مما صنعه الكذابون أو القبائل. وانظر أمالى القالى ٣ : ١٠٥ : عن ابن سلام، عن يحيى بن سعيد القطان، فى مصنوع الحديث، ومصنوع الشعر.

(٢) قذعه قذعاً، وأقذعه، وأقذع له إقذاعاً : رماه بالفحش والخنى وأساء القول فيه. وفى حديث بريدة الأسلمى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال فى الإسلام شعراً مقذعاً فلسانه هدر ». وفى الحديث : « من روى هجاء مقذعاً فهو أحد الشاتمين »، وهو الذى فيه فحش وقذف يأثم قائله وراويه.

وروى صاحب العمدة ٢ : ١٦٢ عن محمد بن سلام الجمحى، عن يونس بن حبيب أنه قال : « أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل، وهو الإقذاع عندهم »، أى عند العرب. وذلك لغيرتهم على أحسابهم، فاشتد أمر التفضيل عليهم، حتى بلغ عندهم مرتبة القذف الصريح ».

(٣) فى المخطوطة : « ولا يعرضوه »، والتصحيح من كتاب المزهر.

(٤) الصحفى : الذى يأخذ عن صحيفة، لم يعرض على العلماء، ولم يتلق علمه بالرواية.

(٥) من أول رقم : ٤ تبدأ مخطوطة « المدينة » « م » على صاحبها أفضل صلاة وتسليم. ونقل الفقرة رقم : ٤ بتمامها، ابن رشيق فى العمدة ١ : ٩٨، ٩٩، وأشار إليها الآمدى فى الموازنة ١ : ٣٩١.

٤ — وللشعر صَناعة وثَقافة يعرفها أهل العلم ،[١] كسائر أصناف العلم والصَّناعات : منها ما تَثْقَفُه العين ، ومنها ما تَثْقَفه الأُذُن ، ومنها ما تَثْقَفه اليد ، ومنها ما يَثْقَفه اللسان .[٢]

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لاتعرفه بصفةٍ ولاوزن ، دون المعاينة ممن يُبْصِره .[٣] / ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدِّينار والدِّرْهم ،[٤] لا تُعرَف جَوْدتُهما بلونٍ ولا مَسٍّ ولا طِرازٍ ولا وَسْمٍ ولا صفة ،[٥] ويعرفه النـاقدُ عند المعايَنة ، فيعرفُ بَهْرَجها وزائفها وسَتُّوقها ومُفْرَغها —[٦] ومنه البَصَرُ بغريب النَّخْل ، والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلافِ بلاده ،

---

(١) كتب فى المخطوطة « صناعة » بكسر الصاد ، ثم ضرب على الكسرة ، ووضع على الصاد فتحة ، وكذلك فعل بعد فى لفظ « الصناعات » . وقد خلت كتب اللغة من النص على « صناعة » بفتح الصاد ، إلا أنى وجدت فى كتاب « الكليات » لأبى البقاء مانصه : « والصناعة ، بالفتح ، تستعمل فى المحسوسات ، وبالكسر فى المعانى » ، ولكن إجماع كتب اللغة على ذكر « الصناعة » بالكسر ، وأنها حرفة الصانع وعمله بيديه ، دال على أن الصناعة بالفتح فى المعانى ، دون المحسوسات ، وأنها الحذق والدربة على الشىء .

(٢) فى المخطوطة : « والصناعات ، منها تثقفه اللسان : من ذلك اللؤلؤ ٠٠ » ، ووضع قبل لفظ « اللسان » علامة إلحاق بالهامش ، ولكن أكله البلى ، فأتممته من « م » ، ومن المزهر والعمدة. والثقافة : الحذق والإتقان وضبط الأصول ، والمعرفة بجيد الشىء ورديئه وإقامة مايعرفه على أحسن وجوهه . ثقف الشىء يثقفه ثقفاً : حذقه وأتقنه ، وكان سريع الفهم لجيده ورديئه .

(٣) فى المخطوطتين : « لا يعرف » والبصر : هو العلم وإدراك كنه الشىء . يقال هو بصير بالأشياء : عالم بها مدرك لحقيقتها .

(٤) الجهبذة : أراد بها هنا نقد الزيوف والصحاح من الدنانير والدراهم .

(٥) الطراز : هو فى الأصل التقدير المستوى : يعنى صيغة الدينار والدرهم . والوسم : مايسك عليه من صورة أو نقش أو كتابة . وفى « م » ، والمزهر : « ولا جس ولا صفة » .

(٦) البهرج : الردىء الفضة ، فيبطل ويرد . والستوق : إذا كان من ثلاث طبقات ، يرد ويطرح . والمفرغ : المصمت المصبوب فى قالب ليس بمضروب .

مع تشابُهِ لَوْنه ومَسّه وذَرْعه ، حتى يُضاف كلُّ صِنْفٍ إلى بلده الذى خرج منه. وكذلك بَصَرُ الرقيق ، فتوصفُ الجاريةُ فيقال : ناصعةُ اللون ، جيِّدَة الشَّطْب، (١) نَقِيَّةُ الثَّغْر ، حسنةُ العين والأنف ، جيِّدَة النُّهُود ، ظريفَةُ اللسان ، واردة الشَّعر ، (٢) فتكون فى هذه الصفة بمئة دينار وبمئتى دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وأكثر ، ولايجد واصفُها مزيدًا على هذه الصفة ، (٣) وتوصف الدابة (٤) فيقال : خفيف العِنان ، لَيِّنُ الظَّهْرِ ، شديد الحافر ، فتىُّ السنّ ، نقىٌّ من العيوب ، فيكون بخمسين دينارًا أو نحوها ، وتكون أخرى بمئتى دينار وأكثر ، وتكون هذه صفتها .

ويقال للرجل والمرأة ، فى القراءة والغناء : إنّه لَندِىُّ الحلْق ، طَلُّ الصوت ، (٥) طويل النَّفَس ، مصيبٌ لِلَّحْن — ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بَوْن بعيدٌ ، يعرفُ ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلا صفة يُنتَهَى إليها ، ولاعلم يُوقَف عليه . وإن كثرة

---

(١) الشطب هنا من قولهم : شطب الأديم : قده طولا ، وشطب السنام : قطعه قدداً لا تنفصل . وعنى به اعتدال القد وطوله ، وانتبار المتن والكفل وسمنهما . وفى اللغة : جارية شطبة ، طويلة حسنة الخلق تارة غضة .

(٢) وشعر وارد : مسترسل حسن النبت طويل يرد كفل المرأة .

(٣) فى « م » ، أسقط مابعد هذا إلى أن قال : « إن كثرة المدارسة . . . » .

(٤) الدابة : للذكر والأنثى سواء .

(٥) ندى الحلق : غير جاف الحلق ، طرى الحلق ، فهو أرفع لصوته ، وأبعد لمذهبه . وطل الصوت : حسنه عذبه ناعمه ، يهيج النغمة ، كأنه صوت طل يهمى .

المدارسة لتُعْدِي على العلم به .[1] فكذلك الشعر يعلمُهُ أهل العلم به .

٥ — قال محمد : قال خلّادُ بن يزيد الباهليُّ لخلف بن حيّان أبي مُحْرِز[2] — وكان خلّادٌ حسَنَ العلم بالشعر يَرْويه ويقوله — : بأيّ شيء تردُّ هذه الأشعار التي تُرْوَى ؟ قال له : هل فيها ماتعلم أنتَ أنه مصنوعٌ لاخيرَ فيه ؟ قال : نعم . قال : أفتعلم في الناس من هو أعلم بالشعر منك ؟ قال: نعم . قال : فلا تنكرْ أن يعلموا من ذلك أكثر مما تعلمه أنت .

٦ — وقال قائل لخلف : إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنُهُ فما أبالي ما قلتَ أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهماً فاستحسنته ، فقال لك الصرّاف : إنه ردىء ! فهل ينفعك استحسانُك إيّاهُ ؟[3]

* * *

٧ — وكان مِمّن أفسد الشعرَ وهجّنهُ وحمل كل غُثَاءٍ منه،[4] محمد بن

---

(١) أعداه على الشيء وآداه : قواه وأعانه عليه . قال يزيد بن خذاق :

ولقد أضاء لك الطّريقُ ، وأنْهَجَتْ سُبُلُ المكارِم، والهُدَى يُعْدِى

أى إبصارك هدى الطريق ، يقويك على الطريق ويعينك .

(٢) محمد ، هو ابن سلام . وخلاد ، هو خلاد الأرقط ، بصرى . مات سنة ٢٢٠ . خلف ، هو خلف الأحمر توفى فى حدود سنة ١٨٠ ، (إنباه الرواة ١ : ٣٤٨) .

(٣) من الفقرة رقم : ٧ إلى الفقرة : ٢٩ ، فصل فيه استطراد ، عن منحول الشعر ، وعن طبقات النحاة . ورأيت أبا على القالى ، نقل عن محمد بن سلام ، قوله فى خلف ، الآتى رقم : ٢٩ : وقال القالى : « قال محمد بن سلام فى كتاب طبقات العلماء » ، فلا أدرى أهو إشارة إلى هذا الفصل ، أم هو سهو من ناسخ ، أم هو خطأ من أبى على .

(٤) هجن الشيء : قبحه وأدخل عليه آفة تعيبه . والهجين : الذى أبوه عربى وأمه أمة ، يعيبه نسب أمه . والغثاء : مايحمله السيل من الزبد وورق الشجر البالى ، فهو ساقط لا خير فيه .

إسحاق بن يَسَار — مَوْلَى آل مَخْرَمة بن المُطَّلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسِّيَرِ . قال الزُّهْرِيّ [١] : لا يزال في الناس علمٌ ما بقى مولَى آلِ مَخْرَمة ، وكان أكثر علمه بالمغازي والسِّيَر وغير ذلك — فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لى بالشعر ، أُتِينَا به فأحمله . [٢] ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب فى السِّيَرِ أشعارَ الرجال الذين لم يقولوا شعراً قطُّ ، وأشعارَ النساء فضلاً عن الرجال ، ثم جاوز ذلك إلى عادٍ وثمودَ ، فكتب لهم أشعارًا كثيرة ، وليس بشعر ، إنما هو كلامٌ مؤلّف معقودٌ بقَوَافٍ . [٣] أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أدّاه منذ آلاف من السنين ، [٤] والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [سورة الأنعام : ٤٥] ، أى لا بقيّة لهم ، وقال أيضاً : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عادًا الأُولَى ۞ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ [سورة النجم : ٥٠ — ٥١] ، وقال فى عادٍ : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ٨] وقال : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الفرقان : ٣٨]، وقال : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ

---

(١) الزهرى : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى ، إمام أهل الحديث ، وعالم الحجاز والشام ، جليل القدر . أول من أثل علم الحديث . اختلف فى مولده مابين سنة ٥٠ — ٥٨ ، وتوفى فى رمضان سنة ١٢٣ أو ١٢٤ أو ١٢٥ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . قول الزهرى ، إلى « وغير ذلك » ، أخلت به « م » .

(٢) فى « م » ، وفى المزهر : « إنما أوتى به » .

(٣) فى المخطوطة « بقوافى » ، ومثله فى المزهر ، ومن أول قوله : « فكتب لهم » إلى هنا ، أخلت به « م » .

(٤) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [سورة إبراهيم : ٩] .

٨ — وقال يونس بن حبيب : (١) أوّل من تكلم بالعربية ، ونَسِيَ لسانَ أبيه ، إسماعيلُ بنُ إبراهيم صلوات الله عليهما .

٩ — أخبرني مِسْمَع بن عَبْد الملك ، (٢) أنه سمع محمد بن عليّ (٣) يقول — قال أبو عبد الله بن سلّام : لاأدري / أرفعه أم لا ، وأظنه قد رَفَعَه (٤) — : أوّلُ من تكلّم بالعربيّةِ ونَسِي لسانَ أبيه إسماعيلُ ابن إبراهيم صلوات الله عليهما . (٥)

٢

١٠ — وأخبرني يونس ، عن أبي عمرو بن العلاء قال : العربُ كلُّها وَلَدُ إسماعيلَ ، إلا حِمْيَر وبقايا جُرْهُم . وكذلك يُرْوَى أنّ إسماعيل ابن إبراهيم جاوَرهم وأصْهَرَ إليهم .

---

(١) يونس بن حبيب الضبي ولاء ، من شيوخ النحو ، بصري . قارب التسعين ولم يتزوج ولم يتسر ، مات في خلافة هارون الرشيد سنة ١٨٢ ، أو ١٨٣ هـ .

(٢) مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد ابن جحدر بن ضبيعة بن قيس ، من بني بكر بن وائل ، ويلقب كردين . وسيأتي ذكره . انظر جمهرة الأنساب : ٣٠١ ، والموشح : ١١٨ ، والمعارف : ٢١٤ .

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الباقر ، ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١١٨ .

(٤) رفع الحديث : أضافه إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

(٥) هذا الخبر ، روى مثله أبو عبيدة عن مسمع بن عبدالملك ، البيان والتبيين ٣ : ٢٩٠ . ولكن قال السهيلي في أول الروض الأنف ١ : ١٠ : « وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أول من كتب بالعربية إسماعيل . وقال أبو عمر (يعني ابن عبد البر) : وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل . والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية ، وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز » .

١١ — ولكن العربيَّةَ التي عَنَى محمدُ بن عليٍّ ، اللسانُ الذى نزلَ به القرآن ، [١] وما تكلّمت به العربُ على عَهْد النبيِّ صلي الله عليه ، وتلك عربيَّةٌ أخرى غيرُ كلامنا هذا . [٢]

١٢ — لم يجاوز أبناء نِزارٍ فى أنسابهم وأشعارهمْ عَدْنان ، اقتصروا على مَعَدٍّ . [٣] ولم يذكر عدنانَ جاهليٌّ قطُّ غيرُ لَبِيد بن رَبيعة الكِلابىّ ، فى بيتٍ واحدٍ قاله ، قال :

فإنْ لمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنانَ والدًا ودونَ مَعَدٍّ ، فَلْتَزَعْكَ العواذِلُ [٤]

وقد رُوِى لعبّاس بن مِرْداس السُّلَمِىّ بيتٌ فى عدنان ، قال :

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تلعَّبُوا بمَذْحِجَ ، حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرَدِ [٥]

---

(١) من هنا إلى آخر فقرة : ١٢ ، أخلت بأكثره « م » ، ووضعت « م » أول الفقرة : ١٢ ، بعد قوله فى فقرة : ٣ « ولا عربيتهم بعربيتنا » ، مع الإخلال ببعض الجمل .

(٢) هذه الفقرة رواها أبو سليمان الخطابى فى « بيان إعجاز القرآن » (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن) : ٤٢ . ونقل الرازى ، صاحب « كتاب الزينة » ١ : ١٤٣ — ١٤٤ ، الفقرات ٩ — ١١ ، وعلق عليها ، فانظره .

(٣) روى خليفة بن خياط فى الطبقات ١ : ٦ عن عروة بن الزبير ، وسليمان بن حثمة قالا : « ما وجدنا فى شعر شاعر ، ولا فى علم عالم ، أحداً يعرف ماوراء معد بن عدنان بحق ، لأن الله يقول : « وقروناً بين ذلك كثيراً » . وانظر أمالى اليزيدى : ٨٩ مثله عن عروة . وانظر تاريخ الإسلام للذهبى ١ : ١٨ ، ١٩ .

(٤) ديوانه ص : ٢٥٥ ، وسيبويه ١ : ٣٤ . وزعه عن الشىء يزعه : كفه . والعواذل : من العذل ، وهو اللوم والزجر . يريد زواجر الدهر ، وهى أحداثه وغيره . يقول : انظر فى آبائك ، فإن رأيت منهم باقياً ، فاطمع فى الخلود ، وإلا فحسبك بفنائهم زاجراً لك وواعظاً ، فاقطع أملك ، وتزود لما بعد الموت زاداً .

(٥) الخلاف فى عك طويل ، وانظر نسب قريش للمصعب : ٥ ، وجمهرة الأنساب : ٨ ، والهاشميات : ٤٤ ، وابن هشام ١ : ٨ — ١٠ والبيت فى ابن هشام : « الذين تلقبوا بغسان » .

والبيت مُريبٌ عند أبي عبد الله [١] — فما فوقَ عدنان ، أسماء لم تؤخذ إلاّ عن الكتب ، والله أعلم بها ، لم يذكرها عربيٌّ قطُّ . وإنما كان معدٌّ بإزاء موسى بن عِمْران صلى الله عليه ، [٢] أو قبلَهُ قليلاً ، وبين موسى وعادٍ وثمود ، الدهرُ الطويل والأمدُ البعيدُ .

فنحنُ لا نقيمُ في النسب ما فوقَ عدنان ، ولا نجدُ لأوَّليّة العربِ المعروفين شعراً ، [٣] فكيف بعادٍ وثمود؟ فهذا الكلامُ الواهنُ الخبيثُ ، [٤] ولم يَرْوِ قطُّ عربيٌّ منها بيتاً واحداً ، ولا راويةٌ للشعر ، مع ضَعْفِ أَسْره وقلّة طُلاَوته . [٥]

١٣ — // وقال أبو عمرو بن العلاء في ذلك : ما لسانُ حِمْيَرَ وأقاصي اليمنِ اليومَ بلساننا ، ولا عربيّتهم بعربيّتنا ، [٦] فكيف بما على عهد عادٍ وثمودَ ، مع تداعيه ووَهْيِه ؟ فلو كانَ الشعرُ مثلَ ما وُضِعَ لابن إسحاق ، ومثلَ ما رَوَى الصُّحُفيُّون ، ما كانت إليه حاجة ، ولا فيهِ دليلٌ على علم .

* * *

---

(١) أبو عبد الله يعني ابن سلام ، وهذا كلام أبي خليفة راوي الطبقات .

(٢) في تاريخ الإسلام للذهبي ١ : ١٩ « قال هشام بن الكلبي : سمعت من يقول إن معدا كان على عهد عيسى بن مريم عليه السلام » ، وهذا خطأ فيما أرجح . والصواب ما قاله ابن سلام .

(٣) الأولية : يعني الأوائل القدماء ، وبهذا المعنى جاء في شعرهم .

(٤) « الكلام » خبر المبتدأ ، وهو « هذا » ، والإشارة إلى رواية ابن إسحق شعراً لعاد وثمود ، كما سلف رقم : ٧

(٥) الأسر : شدة الخلق والبناء . والطلاوة : الحسن والبهجة والقبول والرونق .

(٦) انظر الخصائص ١ : ٣٨٦ .

١٤ — وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمَةٌ ،[١] وبالنحو ولُغاتِ العَرَب والغريبِ عنايةٌ .

وكان أوّلَ من أسّسَ العربيةَ ، وفتَح بابَها ، وأنْهَجَ سبيلَها ، ووَضع قياسَها :[٢] أبو الأَسْود الدُّؤَلِيّ — وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن عمرو بن جندل بن يَعْمَر بن نُفَاثة بن حِلْس بن ثعلبة بن عدىّ بن الدُّئِل ،[٣] وكان رجلَ أهل البصرة ، وكان عَلَوِيَّ الرأى — وكان يونس يقول : هم ثلاثة الدُّول ، من حَنِيفةَ — ساكنةُ الواو ، والدِّيلُ : فى عَبْد القيس ، والدُّئِل : فى كنانة ، رهطُ أبى الأسود[٤] — وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب ، فغَلَبَتِ السَّلِيقيّةُ ،[٥] ولم تكن نحويّةً ، فكان سَرَاةُ الناس يلحَنُون ، ووجوهُ الناس ،[٦] فوضع بابَ الفاعلِ والمفعولِ به ، والمضافَ ، وحروفَ الرّفع والنَّصبِ والجرّ والجَزْم .

☆ ☆ ☆

(١) يقال له فى الأمر قدم وقدمة : أى تقدم وسبق ، وأثر حسن يقدمه فى إصلاحه .

(٢) النهج : الطريق الواضح : ونهج الطريق وأنهجه : بينه ووضحه ، فجعله نهجاً .

(٣) رسمت « الدئل » فى المخطوطة « الدؤل » « وزاد ابن سلام فى نسب أبى الأسود ، وهو فى مختصر الجمهرة ٣٨ ، وفى جمهرة ابن الكلبى ١٠٣ : « ... سفيان بن جندل » ، و« ... حلس بن عدى » ، وفى جمهرة ابن حزم . كما فى الطبقات ، فى الأول وحده . « الدئل » عند ابن الكلبى « الديل » بكسر الدال .

(٤) انظر ماقيل فى « الدئل » ، فى اللسان (دأل) ، وشرح التصحيف للعسكرى : ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، والروض الأنف ١ : ٧٦ ، وغريب الحديث لأبى عبيد ١ : ٣٨ ، وغيرها كثير .

(٥) « السليقية » ، على النسبة إلى « السليقة » . و« السليق » من الكلام مالا يتعاهد المرء إعرابه ، وهو فصيح بليغ فى السمع ، عثور فى النحو ، وذلك حين يسترسل المتكلم على سليقته ، أى سجيته وطبيعته ، من غير تعمد إعراب ، ولا تجنب لحن . وهذه الجملة منقولة فى لسان العرب (سلق) .

(٦) « السراة » بفتح السين ، جمع سرى ، على غير قياس . وهم أهل الشرف والسخاء والمروءة .

١٥ — وكان ممن أخذَ عنه يحيى بن يَعْمَر، وهو رجل من عَدْوَان، وعِدَادُه فى بنى لَيْثٍ، وكان مأمونًا عالمـًا، يُرْوَى عنه الفقهُ. رَوَى عن ابن عُمَر، وابن عبّاس، وروى عنه قتَادة، وإسحاق بن سُوَيْد، وغيرُهما من العلماء، وأخذ ذلك عنه أيضاً مَيْمونُ الأَقْرَن، وعَنْبَسَةُ الفِيل، ونَصْر بن عاصم اللَّيْثى، وغيرهم.

* * *

١٦ — قال ابن سلاّم: أخبرنى يونس بن حبيب، قال الحجّاج لابن يَعْمَر: أتسمعني ألحن؟ قال: الأمير / أفصحُ الناسِ — قال يونس وكذلك كان — ولم يكن صاحبَ شعرٍ — قال: تسمَعُنِى ألحن؟ قال: حرفاً. قال: أين؟ قال: فى القرآن. قال: ذلك أشنعُ له! فما هو؟ قال: تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، قرأها بالرفع، كأنه لما طال عليه الكلامُ نسِيَ ما ابتدأ به. والوجْهُ أن يقرأ: «أحبَّ إليكم» بالنصب، على خبر كانَ وفعلها. قال: وأخبرنى يونس قال: قال له: لا جَرَمَ،[1] لاتسمعُ لى لَحْنًا أبداً. قال يونس: فَألحقه بخُراسان، وعليها يزيد بن المهلّب —

٣

(١) لاجرم: كلمة تدور فى الكلام، كانت فى الأصل بمنزلة: لابد ولا محالة، فلما جرت على الألسنة وكثرت، تحولت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة «حقاً»، فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم، يقولون: لا جرم لآتينك.

— فأخبرنى أبى [١] قال : كتبَ يزيدُ بن المهلَّب [إلى الحجّاج] : « إنّا لقينا العدُوّ ففعلنا ، واضطررناهم إلى عُرْعُرَةِ الجَبَلِ » . [٢] فقال الحجاج : ما لابن المهلَّب ولهذا الكلام ؟ فقيل له : إنّ ابن يعمَرَ هناك . فقال : فذاك إذاً ! [٣]

° ° °

١٧ — ثم كان من بَعْدهم عبدُ الله بن أبى إسحاقَ الحَضْرَمىُّ ، وكانَ أوّلَ من بَعَجَ النحوَ ، ومدَّ القياسَ والعِلَل . [٤] وكان معه أبو عمرو ابن العلاء ، وبقى بعده بقاءً طويلاً . وكان ابن أبى إسحاق أشدَّ تجريداً للقياس ، [٥] وكان أبو عمرو أوسعَ علماً بكلامِ العرب ولُغاتِها وغريبها . وكان بِلالُ بن أبى بُرْدة جَمع بينهما بالبَصْرة — وهو يومئذٍ والٍ عليها ، ولّاه خالد بن عبدِ الله القَسْرىّ ، زَمَانَ هشام بن عبد الملك — قال أبو عبد الله ، قال يونس ، قال أبو عمرو : فَغَلَبَنى ابن أبى إسحاق بالهَمْزِ يومئذٍ ، فنظرتُ فيه بعد ذلك وبالغتُ فيه .

---

(١) هو محمد بن سلام روى عن أبيه سلام .

(٢) عرعرة كل شىء : رأسه وأعلاه .

(٣) الخبر رواه ابن الأنبارى بإسناده فى الوقف والابتداء ١ : ٤٦ ، ٤٧ ، وأخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى : ٢٣ .

(٤) بعج بطنه بالسكين : شقه شقاً واسعاً . ومنه حديث عبد الله بن عمر : « إذا رأيت مكة قد بعجت كظائم ، وساوى بناؤها رؤوس الجبال ، فاعلم أن الأمر قد أظلك ، فخذ حذرك » . والكظائم : القنوات الممدودة بين الآبار . وبعج النحو : شقه ووسعه . ومد القياس والعلل : وسع أصول قياس العربية وأحكامها ، وبين علل النحو .

(٥) أشد تجريداً للقياس : أى أشد معرفة بحقائقه ، واجتهاداً فى ضبطه .

وكان عيسى بن عُمَر أخذ عن ابن أبي إسحاقَ ، وأخذ يونس عن أبي عمرو بن العلاء ، وكان معهما مَسْلَمة بن عَبد الله بن سعد بن مُحَارِبٍ الفِهْرِيّ ،[1] وكان ابنُ أبي إسحاق خالَهُ ، وكان حمّادُ بنُ الزِّبْرِقان ويونسُ يُفضِّلانه .

وسمعتُ أبي يسألُ يونسَ عن ابنِ أبي إسحاقَ وعلمِهِ قال : هو والنَّحْوُ سَواءٌ — أيْ هو الغايةُ .[2] قال : فأين علمُه من علم الناس اليومَ ؟ قال: لو كان في الناس اليومَ مَنْ لا يعلمُ إلا علمَه يومئذٍ ، لضُحِكَ به ، ولو كان فيهم من له ذِهْنُه ونَفَاذُه ، ونَظَر نَظَرَهُمْ ، كانَ أعلمَ النّاسِ .[3]

١٨ — قال : وقلت ليونس : هل سمعتَ من ابن أبي إسحاق شيئاً ؟ قال : قلتُ له : هل يقولُ أحدٌ الصَّوِيق ؟ يعني السَّوِيق .[4] قال : نعم ، عمْرو بن تميمٍ تقولُها ، وما تُرِيد إلى هذا ؟ عليك ببابٍ من النحو يطَّرِدُ وَيَنْقَاس .

---

(١) ترجمته في طبقات القراء ٢: ٢٩٨ ، ولسان الميزان .

(٢) في ترجمته في تهذيب التهذيب : (فقال : لو كانَ هوالمُجِدّ سيراً أتَى هو الغايةَ).

(٣) النظر : هو في الأصل التأمل ، ثم اصطلحوا على أنه : ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى معرفة ماليس بمعلوم ، أو هو البحث ، وجعلوه أعم من القياس . يقول : لو كان فيهم من جمع إلى ذكائه وذهنه ونفاذه ، بحث المتأخرين ونظرهم ، كان أعلم الناس . وهذا الخبر رقم : ١٧ ، ذكره الأزهري في التهذيب ١ : ٨ ، ٩ ، وفي أخبار النحويين للسيرافي : ٢٥ ، ٢٦ ، وطبقات النحويين للزبيدي : ٢٦ .

(٤) السويق : يتخذ من الحنطة والشعير ، يكون طعاماً ، ويكون ثريداً ، ويجعل شراباً يخلط بالماء ويحلى ويشرب . وانظر طبقات النحويين للزبيدي : ٢٦ ، وما سيأتي ص : ٨١

١٩ — وسمعت يونُس يقول : لو كان أحدٌ ينبغى أن يُؤْخَذَ بقوله كلِّه فى شىء واحدٍ ، كان ينبغى لقول أبى عمرو [بن العلاء] فى العربية أن يُؤْخَذَ كلُّه ، ولكنْ ليس أحدٌ إلا وأنتَ آخذٌ من قوله وتاركٌ.[1]

٢٠ — قال : فأُخِذَ على الفرزدق شىءٌ فى شعره فقال : أين هذا الذى يجُرُّ فى المسجد خُصْيَيْه ولا يُصْلِحُه ؟ يعنى ابن أبى إسحاق.[2]

٢١ — أخبرَنى يُونس : أن أبا عمرٍو كان أشَدَّ تسليماً للعرب ، وكان ابنُ أبى إسحاق وعيسى بن عُمَر يَطْعُنان عليهم. كان عِيسَى يقولُ : أساء النَّابغةُ فى قوله حيث يقول :

[فَبِتُّ كأنِّى ساوَرَتْنِى ضئيلةٌ ... من الرُّقْشِ] فى أنيابها السُّمُّ ناقِعُ[3]

يقولُ : موضِعُها « ناقعاً » . وكان يختار السُّمَّ والشُّهْدَ ، وهى عُلْوِيَّة[4]

---

(١) تهذيب الأزهرى ١ : ٩ .

(٢) سيأتى خبر العداوة بين الفرزدق وابن أبى إسحاق بعد قليل فى رقم : ٢٢ ومابعدها . وانظر الموشح : ١٠٠ .

(٣) ساورته : واثبته . والضئيلة : الحية التى كبرت فدقت واشتد سمها . والرقشاء : ذات النقط السود . والناقع : المجتمع فى أنيابها ، فهو قاتل بالغ الشدة . والبيت فى ديوانه : ٤٦ ، وسيبويه ١ : ٢٦١ .

(٤) العالية : كل ما كان جهة نجد ، من أرض الحجاز ، وأهلها فصحاء العرب ، والنسبة إليها علوى على غير قياس . وأنشد الجاحظ فى البيان ١ : ١٦٧ .

فإنّ فى الجدِ همّاتى ، وفى لُغَتِى ... عُلْوِيَّةٌ ، ولسانى غيرُ لَحَّانِ

وانظر الخبر فى الموشح : ٤١ ، والتهذيب ١ : ٩ : واللسان (سمم) وفيه : (قال يونس : أهل العالية يقولون السم والشهد ، يرفعون ، وتميم تفتح السم والشهد) .

٢٢ - وأخبرنى يونس ، أنَّ ابن أبى إسحاق قال للفرزدق فى مديحه يزيدَ بنَ عبد الملك :

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ — تَضْرِبُنَا بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ

على عَمائِمنَا يُلْقَى وأَرْحُلِنا — على زَوَاحِفَ تُزْجَى ، مُخُّهَا رِيرِ (١)

قال ابن أبى إسحاق : أسأتَ ، إنما هى رِيرٌ ، وكذلك قِياس النحو فى هذا الموضع . وقال يونس : والذي قال حسنٌ جائزٌ . (٢) فلما ألحّوا على الفرزدق / قال : « عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيها مَحاسِيرِ » . قال : ثم ترك الناس هذا ورجعوا إلى القول الأوّل . (٣)

---

(١) من قصيدة فى ديوانه : ٢٦٢ ، وتفسير الطبرى : ١٥ : ٤ ، ٨ ، ٢٠ : ٩٦ (بولاق) ، والخزانه ١ : ١١٥ .

الشمال : الريح البارده ، وتأتى من قبل الشام . والحاصب : ما تناثر من دقاق البرد والثلج والعرب تسمى الريح العاصف التى فيها الحصى الصغار ، أو الثلج ، أو البرد والجليد : حاصبا ، قال الأخطل : (د : ٤٣)

تَرْمِى العضاهَ بحاصبٍ من ثَلْجِهَا حتى يبيتَ على العِضاهِ جُفَالاَ

شبهه بالقطن المندوف مالفيه الشمال على عمائمهم . والزواحف : الإبل التى أعيت وأنضاها السفر ، فهى تزحف من الكلال ، تجر قوائمها . أزجى الدابة : ساقها سوقاً رفيقاً لتلحق رفاقها . يقول : نسوقها سوقاً ليناً إبقاء عليها حتى تبلغنا غايتنا . وفى الموشح ٩٩ فى خلال هذا الخبر قال : [قال الفضل (يعنى أبا خليفة راوى الطبقات) قال التوزى : يقال رير ورار ، وهو المخ الرقيق . وكيح الجبل وكاح الجبل أسفله . وقيد رمح وقاد رمح] . ومخها رير : أى جهدها السير حتى أنضاها الهزال ، فدق عظمها ورق جلدها وذاب مخ عظامها . وقوله : على زواحف المخ متعلق بقوله « مستقبلين شمال الشأم » ، وما بينهما حال معترضة . ضبطه فى المخطوطة : « وأرحلنا » بالرفع ، وهو وجه ، ولا أستجيده .

(٢) يعنى قول الفرزدق ، لا قول ابن أبى إسحاق . وتفسير ذلك فى العربية « على زواحف رير مخها ، تزجى » . واختلفت الرواية عن الفرزدق ، فقد رووا أنه أبى من قول ابن أبى إسحاق وأنكره ، وأقام على الذى قال ، ولم يبال بقياسه ونحوه . وحق له .

(٣) انظر الخبر وما بعده فى الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٦ ، ٧

٢٣ — وكان يُكثر الردَّ على الفرزدق ، فقال فيه الفرزدق :

فلوْ كانَ عبدُالله مَوْلًى هَجَوْتُه ، ولكنَّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

ردَّ الياء على الأصل . وهي أبيات ، (١) ولو كان هذا البيت [وحده] تركه ساكناً .

٢٤ — وكان مولى آل الحَضْرمىّ ، (٢) وهم حُلَفاء بنى عبد شمس بن عبد مناف . والحليفُ عند العرب مولًى ، من ذلك قول الرّاعى ، يريد به غنيًّا ، وهم حُلفاؤُهم : (٣)

جَزَى اللهُ مَوْلانا غَنِيًّا مَلامةً شِرَارَ مَوالِي عَامِرٍ فى العَزَائِمَ (٤)

وقال الأخطل :

أَتَشْتِمُ قوماً أَثَّلوكَ بنَهْشَلٍ ولولاهُمُ كنتُمْ كَعُكْلٍ مَوالِيَا؟ (٥)

---

(١) لم أجدها فى ديوانه ولا فى غيره بعد . والبيت فى سيبويه ٢ : ٥٨ ، وأخبار النحويين البصريين : ٢٧ ، وتلقيب القوافى لابن كيسان : ٦٥ ، والموشح : ٩٩ ، وما يجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز : ٨٨ ، والأضداد : ٤٠ ، واللسان (عرا) : وقال ابن برى : هو للمتنخل الهذلى ، وهى نسبة غريبة ، والخزانة ١ : ١١٤ — ١١٨ / ٢ : ٣٤٧ ، وقال : « الصواب فى رواية البيت ... بحذف الواو (أو الفاء) ، وجعل البيت مخروماً ، فإنه بيت واحد لم يتقدمه شىء حتى تكون الواو عاطفة » ، وليس هذا بشىء .

(٢) « وكان » يعنى ابن أبى إسحق . والحضرمى : هو عبدالله بن عماد بن أكبر ، من الصدف ، من كندة . والد العلاء بن الحضرمى ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواليه على البحرين .

(٣) يعنى أنهم حلفاء بنى نمير بن عامر بن صعصعة رهط الراعى . وعامر ، فى الشعر ، بنو عامر بن صعصعة .

(٤) الأضداد : ٤٠ ، فى العزائم : أى فى ساعة العزائم ، يعنى الحرب وما ينبغى فيها من الصبر والعزيمة والجد .

(٥) من قصيدة فى ديوانه : ٦٦ : وسيأتى رقم : ٦٨٥ .

أثله : أصل مجده وبناه . وذلك أن جريراً من بنى كليب بن يربوع بن حنظلة ، وكليب أخو نهشل : =

يعنى حِلْفَ الرِّبابِ لسَعْدٍ ، وإنما قالَها لجرير .

وقال الكلبىّ يُحضِّض عُذْرة على فَزَارة :[١]

وأشجع . إن لاقيتُموهُمْ ، فإنهم   لِذبْيانَ مَوْلًى فى الحروب وناصِرُ[٢]

٢٥ - وكان عيسى بن عمرَ إذا اختلفت العرب نَزَعَ إلى النَّصب.[٣]

كان عيسى بنُ عُمَر وابن أبى إسحاق يقرآن : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٢٧] — وكان الحسن وأبو عمرو بن العلاء ويونس ، يرفعون : نُرَدُّ ، ونكذبُ ،

= ابن دارم بن حنظلة من أمه، أمهما رقاش بنت شهيرة بن قيس بن مالك . ونهشل بن دارم هذا أخو مجاشع بن دارم بن حنظلة — رهط الفرزدق . وأما أم مجاشع هذا ، فهى الحلال بنت ظالم بن ذبيان التغلبية . ومن أجل أن كليبا ونهشلا أخوان لأم ، كانا حلفين . فهذا تأثيل بنى نهشل لبنى كليب رهط جرير، الذى زعمه الأخطل التغلبى فقال أيضاً :

فَاخْسَأْ إليكَ كُلَيْبُ ، إنَّ مجاشعاً   وأبَا الفَوارس نَهْشَلاً ، أخوانِ

وتفصيل ذلك فى قصيدة الفرزدق ، ديوانه ٥١٦ — ٥٢٢ .

وأما عكل فهم بنو عوف بن عبد مناة بن أد ، وهم من الرباب. والرباب هم بنو عبد مناة بن أد : تيم وعدى وعوف وثور ، اجتمعوا مع بنى عمهم ضبة بن أد ، على بنى عمهم تميم بن مر بن أد ، فجاءوا جرب (وهو ما يطبخ من التمر) فغمسوا أيديهم فيه ، فسموا الرباب . ثم خرجت عنهم ضبة ، واكتفت بعددها . ثم تحالفت سائر الرباب مع بنى عمهم بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . فهذا هو حلف الرباب لسعد .

(١) ذكر المرزبانى فى معجم الشعراء : ٢٩٩ أبياتاً للعطاف بن أبى شعفرة الكلبى: « يحضض بنى عذرة على محاربة بنى فزارة » ، ومنها أبيات فى حماسة البحترى : ٢٩ للعطاف بن وبرة العذرى . وأظنه أخطأ ، أو خلط ناسخ حماسته ، فإن بنى عذرة ، هم : عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة .

(٢) من رقم : ٢٢ — ٢٤ فى الموشح : ٩٩ ، ١٠٠ ، وبعضها فى أخبار النحويين للسيرافى : ٢٦ ، ٢٨ ، ومن أول قوله : « وقال الكلبى » ، أخلت به « م » .

(٣) « نزع إلى كذا » ، انجذب إليه ومال . وفى « م »: « فزع إلى النصب » . أى لجأ إلى النصب، وانظر الخبر فى إنباه الرواة ٢ : ٣٧٥ : وفيه « ينزع إلى النصب » .

ونكونُ.[1] قلتُ لسيبويه: كيفَ الوجهُ عندك؟ قال: الرفعُ. قلت: فالذين قرأُوا بالنصب؟ قال: سمعوا قراءةَ ابن أبى إسحاق فاتَّبَعُوه.

وكان عيسى بن عُمَر يقرأ: ﴿الزَّانِيَةَ والزَّانِيَ﴾ [سورة النور: ٢] ﴿وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ﴾ [سورة المائدة: ٣٨]، وكان ينشد:

* ياعَدِيًّا لِقَلْبِكَ الْمُهْتَاجِ *[2]

وكان يقرأ: ﴿هؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُمْ﴾ [سورة هود: ٧٨][3] فقال له أبو عمرو بن العلاء: هؤُلاءِ بنىّ هم ماذا؟[4] فقال: عِشْرِين رجُلًا. فأنكرها أبو عمرو.

وكان أبو عمرو وعيسى يقرآن: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سورة سبأ: ١١]، ويختلفان فى التأويل. كان عيسى يقول: على النداء، كقولك: «يا زيدُ والحارثَ» [لمّا لم يمكنه: «يا زيدُ يا الحارثُ»].[5]

---

(١) انظر تفسير الطبرى ١١: ٣١٦ — ٣٢١.

(٢) البيت لأبى دواد الإيادى من أربعة أبيات رواها أبو الفرج فى الأغانى ١٦: ٣٧٢ (دار الكتب) وتمام البيت:

* أَنْ عَفَا رَسْمُ منزلٍ بالنِّبَاجِ *

والشاهد فيه أن حق العربية «ياعدى»، فلما نون ضرورة ما لا ينون — فزع إلى النصب. وهذا معنى قوله آنفاً: «إذا اختلفت العرب».

(٣) انظر تفسير الطبرى ١٥: ٤١٥.

(٤) فى المخطوطة، يكتب «ماذا»: «ماذى»، وسيمر مثلها كثير، فلا أشير إليه.

(٥) فى المخطوطة «لما لم يكنه» (بفتح الياء وضم الكاف وأرجح أنه خطأ صوابه ما أثبت. ومكانها فى «م»: «يازيد والحارث، الحارث، والحارث جميعاً، إذا نصب كأنه قال: ادع حارثاً».

وانظر تفسير الطبرى ٢٣: ٤٦ (بولاق)، وسيبويه ١: ٣٠٥، والمقتضب ٤: ٢١٢، ٢٢٥، وابن يعيش ٢: ٣/٣: ٧١، ٧٢، وأوضح المسالك ٢: ٩١.

وكان أبو عمرٍو يقول : لو كانت على النداء لكانت رفعاً ، ولكنها على إضمارِ : وسخَّرنا الطيرَ ، كقوله على إِثْر هذا : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴾ [سورة سبأ : ١٢] ، أى سخَّرنا الريحَ .

٢٦ — وقال يونس : قال ابن أبى إسحق فى بيت الفرزدق :

وعَضُّ زَمَانٍ يَا بنَ مَرْوَانَ ، لم يَدَعْ ... مِنَ المالِ إلاَّ مُسْحَتاً أو مُجرَّفُ[1]

ويروى أيضاً : مجلَّفُ ، [المجرَّف : الذى تجرَّفتْه السَّنَةُ وقشرَته ،[2] والمجلَّف : الذى صيّرته جِلْفاً] ،[3] للرفع وجْهٌ . قال أبو عمرو : ولا أعرفُ لها وجهاً . وكان يونس لا يعرف لها وجهاً . قلت ليونس : لعلَّ الفرزدقَ قالَها على النَّصْبِ ، ولم يأْبَهْ ؟ فقال : لا ، كان يُنْشِدُها على الرفع . وأنشدنيها رؤبةُ على الرفع .

---

(١) ديوانه ٥٥٦ ، تفسير الطبرى ١٠ : ٣٢٤ (معارف) / ١٦ : ١٣٥ (بولاق) ، الموشح : ١٠١ / الاشتقاق : ٢٩٨ / خزانة الأدب ٢ : ٣٤٧ ـ ٣٥١ : وغيرها . قوله : « عض » معطوف على ما قبله وهو :

إِلَيْكَ أميرَ المؤمنينَ رَمَتْ بنَا ... هُمُومُ المُنَى والهَوْجَلُ المُتعَسِّفُ

الهوجل : الطريق في المفازة البعيدة لا علم به .

وبيت الفرزدق مما اشتجرت عليه ألسنة النحاة ، ولكنه بقى مرفوعاً حيث هو ، كما قال الفرزدق حين قال له ابن أبى إسحاق : « بم رفعت ، أو مجلف ؟ فقال : بما يسوءك وينوءك . علينا أن نقول ، وعليكم أن تتأولوا » ، وهكذا كان ! وانظر فى مجالس ثعلب : ٥٠ خبراً شبيها بهذا .

أسحت ماله : استأصله وأفسده واستهلكه .

(٢) السنة : القحط فى سنة مجدبة . وجرفت السيول الوادى : أكلت من أسفل شقه حتى ذهب أكثره . وكذلك المال : ذهب أكثره وبقى أقله .

(٣) ما بين القوسين زيادة من « م » . الجلف : الذى ذهب خيره ، كالجلف من الطعام : وهو الخبز اليابس الغليظ بلا أدم ولا لبن ، وكالجلف من الناس : وهو الجافى الغليظ الذى لا أدب له . وكالجلف من الأنعام وهو ما لا سمن له ولا ظهر ، ولا بطن يحمل .

وتقول العربُ : سَحَتَه وأسْحَتَه ، يُقْرَأ بهما في القرآن جميعاً ،[١] فمن قرأ : ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [سورة طه : ٦١] ، فهو من أسحت يُسْحِت فهو مُسْحَتٌ ، وهي التي قال الفرزدق . ومن قرأ : « فَيَسْحَتَكُمْ » ، فهو من سَحَت يَسْحَتُ فهو مسحوتٌ .

٢٧ — وأخبرني الحارث البُنانِيّ ، أخو أبي الجَحَّاف ،[٢] أنه سمع الفرزدق ينشد :

فيا عَجَبًا ، حَتَّى كُلَيْبٍ تَسُبُّنِي ... كأنَّ أباها نَهْشَلٌ أو مُجَاشِعُ [٣]

كأنه جعله غايةً تخفض .

* * *

٢٨ — ثم كانَ الخليل بن أحمد : وهو رجلٌ من الأَزْد ، من فَراهِيد . — يقالُ هذا رجل فَراهِيدِيٌّ ، ويونس يقول : فُرْهُودِيٌّ ، مثل قُرْدُوسيّ —[٤] فاستخرج [من] العروض ، واستنبط منه ومن عِلَله ما لم يستخرج أحدٌ ، ولم يسبقْه إلى مثله سابقٌ من العلماء كلِّهم .[٥]

---

(١) من هنا إلى آخر الفقرة ، أخلت به « م » .

(٢) في المخطوطة : «أخو الجحاف» ، وأثبت ما في «م» لمطابقتها ما نقله المرزباني في الموشح : ١٠١ حيث روى هذا الخبر بنصه .

(٣) ديوانه : ٥١٨ ، والكلام على إعرابه في الخزانة ٤ : ١٤١ .

(٤) في تاج العروس (فرهد) : « بالضم ، هكذا كان يقول يونس » . الفراهيد : هم بنو شبابة ابن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، من بني نصر بن الأزد (الجمهرة : ٣٥٨) ، وواحد الفراهيد ، فرهود . وهو الحادر الغليظ من ولد الأسد أو الوعول ولا أدري أرده يونس إلى مفرده ، أم ذهب إلى ما ذهب إليه بعض النسابين ، أن فرهودا : بطن من اليمن ؟

(٥) هذا الخبر رواه الأزهري في التهذيب ١ : ١٠ .

٢٩ — رُجِعَ إلى قول الشُّعَراء ،(١) وإلى قول العلماء فيه . ولكلّ مَنْ ذكرنا قولٌ فيه .(٢)

٥ -- قال :/ فنقَلْنا ذلك إلى خَلَف بن حيّان أبي مُحْرِز ، وهو خَلَفٌ الأحمرُ . اجتمع أصحابُنا أنّه كانَ أفرَسَ النّاس ببيت شعرٍ ،(٣) وأصدَقَهُ لساناً .(٤) كنّا لا نُبالى إذا أخذنا عنه [خبراً] ،(٥) أو أنشدنا شعراً ، أن لا نسمعَه من صاحبه .(٦)

٣٠ — وكان الأصمعىُّ وأبو عُبَيْدةَ من أهل العلم . وأعلمُ مَنْ وردَ علينا من غيرِ أهلِ البَصْرةِ : المفَضَّل بن محمّد الضبيّ الكوفىُّ .(٧)

٭ ٭ ٭

٣١ -- (٨) ففصَّلْنا الشعراءَ من أهــــل الجاهليّة والإسلام :

---

(١) فى « م » : « رجع إلى الشعر » ، وضبط « رجع » بفتح الجيم بالبناء للمعلوم .

(٢) يعنى أنه رجع بعد هذا الاستطراد المستطيل إلى ما بدأه فى الفقرة رقم : ٦ ، عن خلف الأحمر ورواية الشعر .

(٣) من الفراسة : وهى النظر والتثبت ، والتأمل للشىء والبصر به . ورجل فارس بالأمر : حاذق به عليم بصير .

(٤) قوله : « وأصدقه لساناً » ، أعاد الضمير بعد أفعل التفضيل مفرداً مذكراً ، ولم يقل « وأصدقهم » وهو عربى عتيق جيد ، فى النثر والشعر ، منه قوله صلى الله عليه وسلم : « خير النساء صوالح قريش ، أحناه على ولد فى صغر ، وأرعاه على زوج فى ذات يده » ، وفى خبر عمار ابن ياسر (ابن سعد ٣ / ١ / ١٨٣ : « كان عمار من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً » ، انظر الروض الأنف ١ : ٤٤ ، وفيه تأويل جيد ، همع الهوامع ١ : ٥٦

(٥) بين القوسين زيادة فى « م » ، وهو مطابق لما رواه الأزهرى فى التهذيب ١ : ١٠ .

(٦) انظر هذا الخبر فى التهذيب ١ : ١٠ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٧٩ ، وطبقات النحويين للزبيدى : ١٧٨ ، ثم أمالى القالى ١ : ١٥٧ ، ثم انظر ما قلته آنفاً تعليقاً على رقم : ٥

(٧) التهذيب للأزهرى ١ : ١٠

(٨) انتهى استطراد ابن سلام . ووصل الكلام بما بدأه فى الفقرة : ٢ .

والمُخَضْرَمين الذين كانوا فى الجاهليّة وأدركوا الإسلامَ ، فنزّلناهم منازلَهم ، واحتجَجْنا لكلّ شاعرٍ بما وجَدْنا له من حُجّـة ، وما قال فيه العلماء .

وقد اختلف الناسُ والرواة فيهم . فنظر قوم من أهْل العِلم بالشعر . والنّفاذ فى كلام العرب ، والعلم بالعربيّة ، إذا اختلفت الرّواةُ فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائرُ بأهوائها ، ولا يُقْنِع الناسَ مع ذلك إلاّ الرِّوايةُ عمّنْ تقدّم . فاقتصرنا من الفُحُول المشهورين على أربعين شاعراً . فألّفْنا من تشابه شعرُه منهم إلى نُظَرائه ، فوجدناهُمْ عَشْرَ طَبقات . أربعةُ رَهْطٍ كلُّ طبقة ، مُتَكافِئين مُعْتَدِلين . (١)

* * *

٣٢ — وكان الشعرُ فى الجاهليّة عند العربِ دِيوانَ علمهم ومُنْتَهَى حُكْمِهم ، (٢) به يأخذون ، وإليه يَصيرون .

— قال ابن سلاّم : قال ابن عَوْنٍ ، عن ابن سِيرِينَ ، قال : قال عمر بن الخطّاب (٣) : «كان الشعرُ علمَ قَومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه» .

(١) انظر ما ذكرته فى المقدمة عن وجود هذا النص فى مخطوطة المدينة ، وكيف غيره بعض من قرأها ، وأن ماطبع من الطبقات فى أوربة أو مصر ، مشتمل على هذا التعبير القبيح المفسد لعمل ابن سلام .

(٢) الديوان : مجتمع الصحف ، أو الدفتر . يعنى أنه ما يقيد فيه علمهم ويدون . والحكم والحكمة سواء : العلم والفقه ، قال تعالى : « وآتيناه الحكم صبياً » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » ، أى حكمة نافعة ، تمنع من الجهل والسفه . وانظر المزهر ٢ : ٤٧٣

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى ، مولاهم ، بصرى . لم يكن بالعراق أعلم منه بالسنة ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥١ . ومحمد بن سيرين الأنصارى ، مولاهم ، إمام وقته . ولد سنة ٣٣ ومات سنة ١١٠ .

-- [1] فجاء الإسلامُ ، فتشاغَلَتْ عنه العربُ ، وتشاغلوا بالجهاد وغَزْوِ فارسٍ والرُّوم ، ولَهَتْ عن الشعر وروايته . [2] فلما كَثر الإسلامُ ، وجاءتِ الفتوحُ ، واطمأنّت العربُ بالأمْصار ، راجَعوا روايةَ الشِّعر ، فلم يَئُولوا إلى ديوانٍ مُدَوَّنٍ ولا كتابٍ // مكتوبٍ ، [3] وألْفَوْا ذلك وقد هلكَ من العرب مَنْ هلك بالموت والقتل ، فحفِظوا أقلَّ ذلك ، وذهبَ عليهم منه كثيرٌ . وقد كان عند النُّعمان بن المُنْذِرِ منه ديوانٌ فيه أشعارُ الفُحول ، وما مُدِح هو وأهلُ بَيْته به ، صَارَ ذلك إلى بَنى مروان ، أو صَارَ منه . [4]

٭ ٭ ٭

٣٣ -- قال يونُس بن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم ممَّا قالتِ العربُ إلاّ أقلُّه ، ولو جَاءكم وَافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ . [5]

---

(١) هذا الكلام من كلام ابن سلام ، لا من كلام عمر . وانظر الخصائص لابن جنى ١ : ٣٨٦ : والاقتراح للسيوطى : ٢٧ ، **والضرائر للآلوسى : ٢٤** .

(٢) لها عن الشىء يلهو ، ولهى عنه (بفتح فكسر) يلهى (بفتح الهاء) : غفل عنه ونسى ذكره وأضرب عنه : وفى « م » : « ولهيت »

(٣) فى « م » : « فلم يئلوا إلى ديوان . . » من « وأل يئل » إذا لجأ إلى شىء ، وهو جيد .

(٤) « صار إليه » ، أى آل إليه ، وانتهى إليه .

(٥) الوافر : التام الذى لم ينقص منه شىء . وروى ابن جنى فى الخصائص هذا الخبر وماقبله ١ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، والسيوطى فى الاقتراح : ٢٧ .

٣٤ — ومما يدلّ على ذَهَاب الشعر وسقوطِه ، قلّةُ ما بقى بأيدى الرُّواة المُصَحِّحين لطرفةَ وعَبِيدٍ ، اللّذين صحّ لهما قصائدُ بقَدْرِ عشرٍ . وإن لم يكن لهما غيرُهُنّ ، فليس مَوضِعُهما حيثُ وُضعا من الشُّهْرة والتَّقْدِمَة ،[1] وإن كان ما يُرْوَى من الغُثَاء لهما ، فلَيْسَ يستحقّان مكانَهما على أفْواهِ الرُّواة[2] . ونَرَى أنّ غيرَهما قد سَقَط من كلامه كلامٌ كثير ، غيرَ أنّ الذى نالهما من ذلك أكثر . وكانا أقدمَ الفحول ، فلعلّ ذلِك لذاك . فلمَّا قلّ كلامُهما ، حُمِلَ عليهما حَمْلٌ كثير.[3]

٣٥ — ولم يكن لأوَائل العرب مِن الشّعْر إلاّ الأبيَات يقُولها الرّجُل فى حَاجتِه ، وإنّما قُصِّدت القصائدُ وطُوِّلَ الشّعرُ على عَهْد عبد المطّلِبِ ، وهَاشِم بنِ عبد مَنَاف .[4] وذلك يدلّ على إسقاط شعرِ عادٍ وثمودَ وحِمْيرَ وتُبّع .

* * *

٣٦ — فمن قديم الشّعرِ الصحيحِ قولُ العَنْبر بن عمرو بن تميم ،وكان

---

(١) التقدمة : مصدر قدمه تقديماً وتقدمة .

(٢) الغثاء : مايحمله السيل من الزبد والقذر والهالك البالى من ورق الشجر . يعنى ما لا غناء فيه ولا خير .

(٣) حمل عليه : ادعى عليه وقوله مالم يقل . ومنه الحميل : وهو الدعى فى النسب .

(٤) هكذا يرى ابن سلام وغيره من المتقدمين . وهو عندى باطل ، فالشعر أقدم مما يزعم ، وطويله أعتق مما يتوهم . وليته قال هنا ما قاله منذ قليل فى سبب ذهاب شعر عبيد وطرفة ، أن قدمهما كان السبب فى قلة ماروى عنهما . فإذا صح ذلك ، فمن كان قبلهما أجدر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من كلامهما . وهذا بحث طويل ليس هذا مكان الاحتجاج له .

جاورَ فى بَهْراء ، فرَابَه رَيْبٌ فقال :[١]

قَدْ رَابني مِن دَلْوىَ اضْطرَابُهَا ۝ وَالنَّأىُ فى بَهْرَاء واغترَابُهَا

۝ إن لاَّ تَجِئْ مَلْأَى يَجِئْ قُرَابُهَا ۝[٢]

٦ / وقد قال قوم إنّه كانَ من بَهْرَاء ، فجَاوَر عَمْرو بن تميم ،[٣] وأنه قال :

قد رَابَنى مِن دَلْوِىَ اضطرابُها ۝ والنأىُ عن بَهرا، واغترابُها

— ولا نَرى ذلك كما قالوا ، بل هو كما ذُكر : العنبر بن عمرو بن تميم . وكان على عائشة مُحَرَّرٌ من ولد إسماعيل ، فلما قَدِمَ سَبْىُ العنبر أمرها رسول الله صلى الله عليه أن تُعْتِقَ منهم ، وهُمْ أصحابُ الحُجُرات .[٤]

---

(١) لم أجد خبر هذه الرواية مفصلا . أما الروايه الأخرى ، فسيأتى خبرها بعد . وبهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعه .

(٢) تدل الأبيات على أن العنبر اتى عنتاً فى بهراء ، وأنهم كادوا له عند السقى بالبئر حتى تركوا دلوه فارغة تضطرب برشائها بين الدلاء الملأى . وقوله : «والنأى» يعنى نأى دلوه فى بهراء واغترابها ، أسند الاغتراب والنأى إليها . وقراب الشىء وقرابه وقرابته : ماقارب قدر تمامه أو امتلائه . وهذا البيت الأخير من الرجز منتزع عما قبله ، وأحسب أن فى الشعر سقطاً قديماً لم تعرفه الرواة ، وكأنه كان يريد أن يقول : لو كنت فى بنى عمرو بن تميم ، لجاءت دلوى بمائها ، « إن لاتجىء ملأى يجىء قرابها » .

(٣) أما خبر هذه الرواية فقد استوفاه أبو العباس فى الكامل ١ : ٢٧٤–٢٧٥ ، وروى عن النسابين أن أم العنبر هى أم خارجة — عمرة بنت سعد الأنمارية ، وأنها تزوجت عمرو بن تميم ، ونقلها الى بلده ، والعنبر معها صغير (وأبوه من بنى بهراء بن عمرو) ، فولدت لعمرو بن تميم أسيداً والهجيم والقليب . فخرج العنبر وإخوته ذات يوم يستقون ، فقل عليهم الماء ، فأنزلوا مائحاً من تميم ، فجعل المائح يملأ الدلو ، إذا كانت للهجيم وأسيد والقليب ، فإذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب ، فقال العنبر ماقال . ومن أول « وقد قال قوم » ، إلى آخر الفقرة ، أخلت به «م» .

(٤) حديث عائشة : رواه بهذا البزار ، عن ابن عمر ، عن عائشة ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠ : ٤٧) ، ومثله فى المستدرك للحاكم (٢ : ٢١٦) عن عبد الله بن معقل . ----

٣٧ - أخبرنى أبو مُحْرِز واصلُ بن شَبِيب المَنافِىّ[1] ، قال : كان سَعْدٌ ومالكٌ ابْنَىْ زيدِ مَنَاة بن تميم ، فكان سَعدٌ أسوَدَهُما ،[2] وكان مالكٌ تِرْعِيّةً يَعْزُبُ فى الإبل ،[3] وأمُّهما : مُفَدَّاةُ بنتُ ثعلبةَ بن دُودَان بن أسد ، وخالتهما : مُمَنَّاةُ بنتُ ثعلبة ، أمُّ ثعلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن على

- وليس فيها جميعاً أن بنى العنبر « هم أصحاب الحجرات » . والمعروف أن بنى تميم هم أصحاب الحجرات (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) [سورة الحجرات : ٤] . أما أنهم هم بنو العنبر ، فهو خبر عزيز جداً ، لم أجده إلا عند البغوى فى تفسير سورة الحجرات ، رواه عن ابن عباس بغير إسناد (البغوى ٨ : ٨ ، بهامش تفسير ابن كثير) .

وذكر حديث عائشة أبو العباس فى الكامل ١ : ٢٧٥ والطبرى ٣ : ١٧٣ فى غزوة عيينة ابن حصن بنى العنبر ، وابن هشام ٤ : ٢٦٩ . ورأى أبو العباس أن بهراء من قضاعة ، وقضاعة من بنى معد أبناء إسماعيل . وأن من زعم أن قضاعة من بنى مالك بن حمير ، وهو الحق ، قال إن النسب الصحيح فى قحطان الرجوع إلى إسماعيل أيضاً ، فهو عندهم قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيدار بن إسماعيل صلى الله عليه وسلم . المحرر : المعتق ، وتحرير الرقبة ، عتقها ، و « المحررون » هم الموالى .

(١) « واصل بن شبيب المنافى » ، لم أجد له ترجمة ، وهو منسوب إلى مناف بن دارم ، وقد جاء فى كتاب « الإنباه على قبائل الرواة » لابن عبد البر : ٧٧ ، « قال محمد بن سلام : قال لى واصل بن شبيب ، من بنى دارم » .

(٢) فى « م » : « كان سعد ومالك ابنا زيد مناة بن تميم » . وهو صواب محض ، قال سيبويه ١ : ٣٦ : « وقال بعضهم : كان أنت خير منه ، كأنه قال : إنه أنت خير منه » . وقال ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٣٣٨ : « كان زيد جالس ، تريد : كان الشأن : زيد جالس » ، على إضمار « الشأن » . وانظر همع الهوامع ١ : ١١١ .

(٣) ساد القوم يسودهم سؤدداً وسيادة . وفى حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب : « ما رأيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود من معاوية . قيل : ولا عمر ؟ قال : كان عمر خيراً منه ، وكان هو أسود من عمر » ، يعنى فضل معاوية على عمر فى شمائل سيادة الناس . ورجل ترعية : جيد رعية الإبل ، يحسن ارتياد الكلأ والتماسه للماشية . وعزب فى الإبل وعزب بها : رعاها بعيداً عن الدار التى حل بها الحى ، وغاب لا يأوى إليهم . وقد ضرب بمالك بن زيد مناة المثل فى حسن الرعية فقالوا : « آبل من مالك » ، ولكنه كان عظيم الحمق ، فهو أحد المعدودين من حمق العرب (المحبر : ٣٨٠ / القالى ٣ : ٢٨) ، وتفصيل قصته هذه دلالة على حمقه .

ابن بكر بن وائل ، أبى شَيْبان وقَيسٍ وذُهْلٍ وَتَيْمٍ ، وهو الحِصْن .[١]
وقال أبو مُحرِز : زَارَ ثعلبةُ ابنَتَهُ وهى حاملٌ بسعْدٍ ،[٢] فَمَخَضَت ليلاً ،[٣]
فاستحيت من أبيها وزوجها ، فخرجتْ ، فأعجلها الوِلادُ ، فطَرَّقَتْ على
قرية نَمْل .[٤] فأدركها أبوها ، وزجَرَ ، فقال : لئن صدقتِ الطّيْرُ ،
ليملأنّ ابنُكِ هذا الأرضَ من وَلَدِهِ .[٥]

قال أبو مُحْرِز : فتزوّج مالكُ بنُ زيد مَناة ، النّوَارَ بنت جَلِّ بن
عَدِيّ بن عَبْدِ مَناة بن أُدّ — وهم عَدِيٌّ وتَيْمٌ ، ويقال لتَيْمٍ : تَيْمُ عَدِيٍّ ،
وهما من الرِّبَاب[٦] - ، وكانت امرأةً زَوْلَةً جَزْلَةً .[٧] فلمّا امتَدَاها

---

(١) يعنى أن الحصن هو ثعلبة بن عكابة ، (نسب عدنان وقحطان للمبرد : ١٥ ، النقائض ٤٥٧ ، ٦١٣) ، ويقال أيضاً « تيم الله » ، . انظر الجمهرة : ٢٩٦ ، والمعارف : ٤٨ ، وسيأتى مثل هذا مرة أخرى ، اطلبه فى الفهارس : « الحصن » .

(٢) يعنى ثعلبة بن دودان بن أسد .

(٣) مخضت المرأة : ضربها المخاض ، وهو الطلق ووجع الولادة ، فهى ماخض .

(٤) الولاد والولادة واحد . طرقت المرأة الحامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب واحتبس بعض الاحتباس ثم خلص . وأما التى يعترض ولدها فى الرحم لا يخرج فقد عضلت . . وقرية النمل : ماتجمعه من التراب فى جحرها ، وهو مسكنها ، بما فيه من الذر والحب والمازن ، وهو بيض النمل (الحيوان ٤ : ١٢) .

(٥) زجر الطير يزجرها زجراً . والزجر : ضرب من الكهانة ، ينظر سنوح الطير أو بروحها ، ثم يتكهن ، بما يرى من التيمن بها أو التشاؤم .

(٦) ويقال لهم تيم الرباب أيضاً . وانظر الرباب (فقرة : ٣٤ رقم : ٥) .

(٧) رجل زول وامرأة زولة . وهى الخفيفة الظريفة الفطنة الداهية . ورجل جزل وامرأة جزلة : لها جزالة رأى ، عاقلة أصيلة الرأى جيدته .

مالكٌ ،[١] خرج سعدٌ فى الإبل فَعَزَبَ فيها ثُمّ أوردَها لِظِمْئِها ،[٢] ومالكٌ فى صُفْرةٍ ،[٣] وكان عَروساً ، فأراد القيامَ ، فمنعته امرأتُهُ من القيام ، فجعل سَعْدٌ وهو مُشْتَمِلٌ يُزاوِل سَقْيَها ولا يَرْفُق ،[٤] فقال :

يَظَلُّ يَوْمَ وِرْدِها مُزَعْفَرَا وَهْىَ خَنَاطِيلُ تَجُوسُ الخَضَرَا[٥]

فقالت النَّوارُ لمالك : ألا تسمعُ ما يقولُ أخُوكَ ؟ أَجِبْهُ . قال : ومَا أقول ؟ قالت : قُلْ :

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ مَاهٰكَذَا تُورَدُ يا سعدُ الإبِلْ[٦]

---

(١) اهتدى الرجل امرأته : جمعها إليه وضمها ، وأعرس بها ، فهى هدى وهدية ، أى عروس .

(٢) أى جاء ليسقيها عند ميقات ورودها . وذلك أنهم يجعلون الإبل ترد الماء يوماً ثم تصدر فتكون فى المرعى يوماً أو يومين أو ما شاؤوا ، ويحبسونها عن الماء ثم يوردونها ، فما بين الشربة الأولى والثانية هو الظمء .

(٣) فى صفرة : يعنى أنه قد تمسح بالزعفران ، وهو الصفرة ، وكانت تلك عادتهم فى جاهليتهم عند العرس . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل . وظن بعضهم أن قوله « فى صفرة » أنه كان يعترى مالكاً الجنون ويزول عقله ، وكانت عادتهم أيضاً أنهم يمسحون المجنون فى أيام زوال عقله بالزعفران . وليس هذا بشىء . والأول هو المراد ، كما ترى فى البيت الآتى .

(٤) اشتمل الرجل : تلفف بثوبه ، حتى يجلل به جسده ، ولا يرفع منه جانباً ، فتكون فيه فرجة تخرج منها يده . وزاول الشىء : عالجه وحاوله .

(٥) يتهكم بمالك ، وأنه آثر عروسه على إبله ، فقضى يومه فى زعفرانه وطيبه ، وترك ورد إبله ، وأنه هو ولى رعيتها عنه . يتبجح بنفسه وعمله . خناطيل : مما جاء على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه . وهى جماعات الإبل متفرقة فى المرعى . و « الخضر » ، بفتح الخاء والضاد ، سعف النخل وجريده الأخضر . (اللسان : خضر ، خنطل). وفي هذه المادة الأخيرة ، نص ابن سلام : وانظر أيضاً : الأمالى ٣ : ٢٨ / المستقصى ١ : ٢ / جمهرة الأمثال ١ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٢٠٠ / البيان والتبيين ٢ : ٢٢٥ / غريب الحديث ٣ : ٤٧٧ .

(٦) يقول : إن الاشتمال يعوق الرجل عن إحسان عمله ، إنما يتطلب العمل التشمير . يضرب مثلا لمن قصر فى الأمر ولم يأخذ له أهبته . وفى المخطوطة رسم : « هكذى » ، مكان « هكذا » ، كما سلف مثله قريباً ، ص : ٢٠ ، تعليق : ٤ .

// فولدَت حنظلةَ الأغرّ ، وفيه بيتُ تميم وشرفُها .[١] وقال حنظلة : وُلدتُ لمالكٍ ووَلدَ لى مالك.[٢] وقال جرير لعمر بن لَجَأ :

فلم تَلِدُوا النوارَ ، ولم تلدْكُم[٣] مُفَدَّاةُ المبارَكَةُ الوَلُودُ[٤]

٭ ٭ ٭

٣٨ — ومما يُرْوى من قديم الشعر قولُ دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد ، قال حين حَضَره الموتُ :[٥]

---

(١) بيت القبيلة : هو الذى يكون فيه شرفها ومآثرها ، وجمعه البيوت ، ثم يجمع : البيوتات ، ومن هنا إلى آخر الفقرة أخلت به « م » .

(٢) فى الأصل : « وقال سعد : ولدت . . . » وهو خطأ لاشك فيه . ويعنى بقوله هذا أنه ولد لمالك بن زيد مناة أبيه ، وفى بيته شرف بنى زيد مناة بن تميم ، ثم ولد له مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة ، فكان فيه شرف بنى زيد مناة بن تميم أيضاً . يقول ذلك حنظلة فاخراً بأبيه وولده .

(٣) ديوانه ١ : ٣٣١ (١٦٤ صاوى) ، واللسان (حنظل) يهجو عمر بن لجأ التيمى ، ويفخر عليه بأمهاته . وابن لجأ من تيم بن عبد مناة بن أد ، والنوار بنت عمه ولم تلده ، وهى النوار بنت جل بن عدى بن عبد مناة بن أد ، وجرير من بنى يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وولدته النوار ، لأنها أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وولدته المفداة لأنها أم مالك بن زيد مناة ، فهو يفضل عدياً على تيم بولادتهم النوار ، ويفخر على ابن لجأ بما ولدته المفداة جدته .

(٤) الخبر : ٣٧ ، كله فى ذكر قديم الشعر الصحيح . فأورد رجز سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولسعد شعر أيضاً فى امرأته الناقمية ، وهى رواش بنت عامر بن جدان بن أسد بن ربيعة بن نزار ، منه ما رواه المفضل :

أجِدَّ بِفِراقُ الناقميَّـــةِ غُدْوةً أم البَيْنُ يَحْلَوْلِى لمن هو مُولَعُ
لقدْ كنتُ أهوَى الناقِميَّةَ حِقْبَةً فقد جَعلَتْ آسانُ بَيْنٍ تَقطَّعُ

انظر اللسان (نقم) (أسن) ، **والمسلسل : ٩٩ .**

(٥) المؤتلف والمختلف : ١١٤ ، الشعر والشعراء : ٥١ ، شرح التصحيف : ٤٢٨ ، معجم ما استعجم ١ : ٣٤ ، المعمرين : ٢٠ ، أمالى الشريف ١ : ٢٣٧ ، الروض الأنف ١ : ٦٧ ، جمهرة الأمثال ١ : ٨٤ ، وجمهرة نسب قريش رقم : ٧٥٩ ، وغيرها .

اليومَ يُبْنَى لدُوَيْدٍ بَيْتُهُ ... لَوْ كانَ للدَّهْرِ بِلًى أَبْلَيْتُهُ[١]

أوْ كان قِرْنِي واحدًا كَفَيْتُهُ ... يارُبَّ نَهْبٍ صالِحٍ حَوَيْتُهُ[٢]

ورُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ ... [ومِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتُهُ][٣]

وقال أيضاً :[٤]

أَلْقَى علىَّ الدهرُ رِجْلاً ويَدَا

والدَّهرُ ما أصلَح يومًا أفسدَا

يُصْلِحُهُ اليومَ ويُفْسِدُهُ غَدَا[٥]

قال : وأوصى بنيه عند موته فقال : أوصيكُمْ بالناس شرًّا ، لا تقبلوا

---

(١) البيت : القبر . على التشبيه . وياله من سكن موحش! يقول : لو كان الدهر مما يبلى لأبليته.

(٢) القرن : الذى يلقاك ليقاومك . وهو مثلك أو كفؤك فى البأس والشجاعة . ويقال : « رجل واحد » ، إذا كان متقدماً فى بأس أو علم أو غير ذلك . كأنه لامثل له ، فهو وحده لذلك . وضمن « كفيته» معنى رددته . أى قمت له واضطلعت بحربه ورددته عنى . والنهب : الغنيمة تنتهب. يذكر ما كان يطيقه فى شبابه . ويعنون بالصالح ، الشيء الذى هو إلى الكثرة .

(٣) الغيل : الساعد الريان الممتلىء ، يصف صاحبته بالشباب والنعمة والكرامة على أهلها. والمعصم موضع السوار من اليد ، وأراد اليد نفسها ، لذكره الخضاب ، وهو الحناء أو غيره مما يصبغ به . يعنى أن صاحبته عروس جديدة الخضاب . كنى بالشطر الأول عن تجاوزه الأحراس والمنعة إلى الكريمة المنعمة ، وكنى بالشطر الثانى عن غلبته على فؤاد الغانية الحديثة العهد بالرواج ، فهى عن التطرف إلى غير زوجها أبعد وأعف .

(٤) انظر المراجع السابقة ص : ٣١ ، تعليق : ٥ ، وزد عليه حماسة البحترى : ٢١٥ ، ورسالة الغفران : ٣٣٢ ، ومعانى القرآن للفراء ١ : ٣٨٨ ، وتفسير الطبرى ١٣ : ٢١ . برواية مخالفة. ومن هنا إلى آخر الفقره ، أخلت به « م » .

(٥) يروى : « يصلح ما أفسده اليوم غداً » و« يفسد ما أصلحه اليوم غداً» وروايات أخرى. وألقى عليه رجلا ويداً : يعنى البطش به وشدة الوطأة عليه .

لهم مَعْذِرةً ، ولا تُقيلُوهمْ عَثْرة .[١]

٣٩ — وقال أعْصر بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان ،[٢] وهو مُنَبِّهٌ ، أبو بَاهلةَ وغَنِيّ والطُّفَاوَةَ :[٣]

قالتْ عُمَيْرَةُ : مَالِرأسِكَ — بَعْدَمَا نَفِدَالزّمانُ — أتَى بِلوْنٍ مُنْكَرِ[٤]
أعُمَيْرَ إنَّ أباكِ شَيَّبَ رأسَهُ كَرُّ اللّيالِي وَاخْتِلافُ الأعْصُرِ

فبهذا البيت سُمِّيَ أعْصُرَ ، وقد يقول قومٌ : يَعْصُرُ ، وليس بشيء .

٤٠ — ومنهم المُسْتَوْغِر بن رَبِيعَة بن كَعْب بن سَعْد بن زيد مناة ابن تميم ، كان قديماً ، وبقي بقاء طويلاً حتى قال :[٥]

ولقَدْ سَئِمْتُ مِنَ الحَياةِ وطُولِها وَازْدَدْتُ من عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينَا
مِئَةٌ أتَتْ مِنْ بَعْدِها مِئَتانِ لِي وَازْدَدْتُ من عَدَدِ الشُّهورِ سِنِينَا
هَلْ ما بَقَا إلاّ كما قَدْ فاتَنا يَوْمٌ يكُرُّ وليلةٌ تَحْدُونَا[٦]

---

(١) انظر سائر وصيته في المعمرين : ٢٠ ، وأمالي الشريف ١ : ٢٣٦ ، وبعض المراجع السابقه .

(٢) انظر الخلاف في « قيس عيلان » في اللسان (عيل) ، والروض الأنف ١ : ٦٠ ، ٦١ ، وغيرهما .

(٣) معجم الشعراء : ٤٦٦ وفيه نص ابن سلام وكذلك الشعر والشعراء : ٥١ ، ٥٢ ، وغيرهما مما سلف ذكره .

(٤) عميرة : ابنته . نفد : ذهب وفني . والزمان : أراد به العمر .

(٥) أمالي الشريف ١ : ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢١٣ ، والمعمرون : ٩ ، التيجان : ٢٥٢ ، الأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٦٩ ، حماسة البحتري : ١٠١ ، ابن هشام ١ : ٩٠ ، الروض الأنف ١ : ٦٦ ، الشعر والشعراء : ٣٤٤ ، وغيرها .

(٦) كر على العدو يكر : ردد عليه الهجمة مرة بعد مرة . وحدا الإبل يحدوها : ساقها وهو يغني لها ، فيكون أنشط لسيرها .

قوله بَقَا : يريد بَقِىَ ، وفَنا : يريد فَنِىَ ، وهما لُغتان لطَيِّئ .[1] وقد تكلمت بهما العربُ ، وهُما فى لغة طيِّئٍ أكثرُ ، قال زُهَيْر بن أبى سُلْمى :[2]

/ تَرَبَّعَ صَارَةً حَتَّى إذَا ما فَنَا الدُّحْلاَنُ عَنْهُ والإضَاء[3]

خرم ورقه (٧)

أنشدَنيها يُونُس .[4] وأنشدنى له عَبْد الله بن مَيْمون المُرِّىّ :[5]

إذا ما المرءُ صَمَّ فَلَمْ يُناجَى وَأوْدَى سَمْعُهُ إلاَّ نِدَايَا[6]
وَلاَعَبَ بِالْعَشِىِّ بَنِى بَنِيهِ كَفِعْلِ الهِرِّ يَحْتَرِش العَظَايَا[7]

---

(١) لا أدرى لم ذكر « فنا » هنا إلا أن يكون استطراداً ، ولكنى أخشى أن يكون قال ذلك ، لأن رواية البيت : كما أنشده إياها يونس هى :

* هَلْ مابَقَا إلا كَمَا قِدْمًا فَنَا *

بيد أن رواية البيت فى سائر الكتب : « إلا كما قد فاتنا » .

(٢) إلى هنا ينتهى نص المخطوطة حتى يبدأ فى فقرة رقم : ٤٩ . ومن هنا يبدأ الاعتماد على نسخة المدينة على صاحبها صلاة الله وسلامه .

(٣) فى ديوانه : ٦٥ . والضمير فى البيت لحمار الوحش. تربع :أقام بها زمن الربيع. صارة : موضع . الدحلان جمع دحل : وهى شقوق فى الأرض عميقة ، يكون فى منتهاها ماء راكد ، وينبت فيها السدر والغضا وغيرها . والإضاء جمع أضاة (مثل أكمة وإكام) : الغدير .

(٤) يعنى أبيات المستوغر الماضية .

(٥) معجم الشعراء : ٢١٣ ، أمالى الشريف ١ : ٢٣٥ وفى حاشية أصلها : « قال : قرأت بخط عبدالسلام البصرى رحمه الله أن هذه القطعة ، لعشكلان بن كواهن الحميرى» ، حماسة البحترى: ٢٠٣ ، المخصص ٨ : ١٠٠ ، ١٥ : ١١٧ ، اللسان (ثمن) (حما) الخصائص ١ : ٢٩٢ ، ٢ : ٣٧٦ ، سر صناعة الإعراب ١ : ١٨٣ ، ما يجوز للشاعر فى الضرورة : ١٥٨ ، مع اختلاف فى الرواية .

(٦) السمع هنا : مصدر سمع سمعاً ، لا اسم الحاسة . ندايا : أراد نداءا ، فقلب الهمزة ياءً . والنداء : الدعاء بأرفع الصوت وأعلاه . يصف ما بلغ من الكبر حتى ما يسمع الصوت إلا دعاء بأعلى صوت .

(٧) حرش الضب واحترشه : أتى جحره فقعقع بعصاه أو بحجر ، فإذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه ، فجاء يزحل على رجليه وعجزه ، متهيئاً للقتال ضارباً بذنبه ، فيناهزه =

يلاعِبُهمْ ، وَوَدُّوا لَوْ سَقَوْهُ ... مِنَ الذِّيفانِ مُتْرَعَةً مِلاَيَا[1]

فلا ذاقَ النَّعيمَ ولا شَراباً ، ... ولا يُسْقَ مِنَ المرضِ الشِّفايَا[2]

٢١ ومنهم زُهَيْر بن جَنَاب الكَلْبيّ ، كان قديماً شريفَ الوَلَد، [3] وطال عمره فقال : [4]

— الرجل ، فأخذ بذنبه ، فيشد عليه قبضته حتى ما يستطيع أن يفلت . والعطايا والعطاء جمع عطايه : وهي المعروفة في مصر بالسحليه . ولا يريد أن فعله بني بنيه كفعل الهر ، بل أراد العكس : أن بني بنيه يفعلون به فعل الهر في احتراش العطاء وصيدها ، يأخذها من هنا وهنا ، ويمسكها مرة ويرسلها أخرى . وهذه عادة الصغار بأجدادهم إذا عجزوا . وقد دخلت أعود شيخي رحمه الله — سيد بن على المرصفي . وقد كسرت ساقه ، فلما رآني أنشدني هذه الأبيات . وذلك أنه كان على أريكة ، فجاء ابن ابنه الصغير ، فظل يعاكسه فانقلب فوقع على الأرض ، فأصيبت ساقه . وكان ذلك في آخر عمره ، تغمده الله برحمته . وكان ذلك أول سماعي للأبيات ، فقرأتها عليه .

(١) يروى : « يفديهم وودوا . . . » . الذيفان : السم الناقع القاتل . مترعة : يعني كؤوساً مترعة . ملايا : ملاءاً فقلب الهمزة ياء ، كما فعل آنفاً .

(٢) يروى : « فأبعده الإله ولا يؤبى » من أباه يؤبيه ، أي لا يقال له « بأبي أنت » تفدية له . ويروى « يبابا » : من بأبأه ، يبأبئه : قال له بأبي أنت . هذا دعاء عليه . والشفايا : الشفاء ، قلب الهمزة ياء أيضاً . ورأيت البحتري روى الأبيات مهموزة كلها . وفي معجم الشعراء بيت زائد ، لعله يأتي قبل البيت الأخير :

فذاكَ الهمُّ ليسَ له دَوَاءٌ ... سِوَى الموْتِ المُنَطَّقِ بالمَنايَا

« المنايا » : الأحداث وقدر الموت ، ومثله قول أبي ذؤيب :

مَنايا يُقَرِّبْنَ الحتوفَ لِأَهْلِها ... قَدِيماً ويَسْتَمْتِعْنَ بالأنَسِ الجَبْلِ

فجعل المنايا تقرب الموت ، ولم يجعلها الموت . و « المنطق » ، أحاطت به كإحاطة النطاق بالخصر ، ومثله قول الأعشى :

قطعتُ ، إذا جنَّ رَيعانُها ... ونَطَّقَ بالهَوْلِ أغفالَها

(٣) كان زهير في زمن كليب وائل ، وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم (والطب كان في ذلك الزمان شرفاً) وحازي قومه (والحزاة : الكهان) ، وكان فارس قومه ، وله البيت فيهم ، والعدد منهم ، ويقال إنه سمي كاهناً لسداد رأيه . ولم تجتمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة — أخي قصي بن كلاب من أمه : فاطمة بنت سعد بن سيل

(٤) الأغاني ١٩ : ٢٢ (هيئة الكتاب) و ٣ : ١٢٨ ؛ أمالي الشريف ١ : ٢٤٠ ، معجم

أَبَنِيَّ إنْ أَهْلِكْ فإنِّى ‏ قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ بَنِيَّهْ[1]
وجَعَلْتُكُمْ أَبْنَاءَ سَا ‏ دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرِيَّهْ[2]
مِنْ كلِّ ما نالَ الفتَى ‏ قَدْ نِلْتُهُ ، إلاَّ التَّحِيَّهْ[3]
ا كم مِنْ مُحَيِّي لا يُوَا ‏ زِينِى ، ولا يَهَبُ الرَّعِيَّهْ[4]
ولقـد رأيتُ النارَ للسُّلاَّ ‏ فِ تُوقَدُ فى طَمِيَّـهْ[5]
ولقـد رحلتُ البازلَ الـ ‏ وجْنَاءَ ليس لها وَلِيَّهْ[6]

ما استعجم : ٤٩ ، المعمرون : ٢٦ ، حماسة البحترى : ١٠١ ، المؤتلف : ١٣٠ ، الروض الأنف ١ : ٦٦ ، شرح التصحيف : ٤٢٧ ، المخصص : ١٢ : ١٨٩ ، ١٥ : ٨٧ ، الفاخر : ٢ ، تهذيب إصلاح المنطق ١ : ١٨٧ : اللسان (بجل) ، مع اختلاف فى الروايات .

(١) البنية : البناء ، يعنى بنية مجد .

(٢) الزناد جمع زند : وهو العود الأعلى الذى تقدح به النار ، والسفلى زندة . يقال : زند وار ، وورى : إذا كان سريع النار ، يريد أنهم إذا راموا أمراً أنجحوا فيه وأدركوه بلا إبطاء ، لشرفهم وعزهم .

(٣) التحية : الملك . والتحية البقاء . قالوا : لم يرد إلا البقاء ، لأن زهيراً كان ملكاً فى قومه . وكذلك فسروها فى قولنا : « التحيات لله » البقاء لله . وحياك الله : أبقاك الله .

(٤) هذه الأبيات الستة الآتية زدتها من كتاب المعمرين واللسان والأغانى ، لحسنها وفائدتها فى تمام معنى الشعر . محي : يعنى ملكاً يحي . يوازينى : يساميى . والرعية : مايتولاه الراعى نعماً كانت أو ناساً . وإنما أراد هنا الإبل التى تمنح عطية .

(٥) السلاف : جمع سالف : وهم المتقدمون فى السير . وطمية : رأس جبل منيع ، كان بمنزل زهير بن جناب . وهذا حديث يوم خزازى ، وذلك أن ملكاً من ملوك مذحج باليمن ، كانت فى يديه أسارى من ربيعة ومضر وقضاعة ، فاحتبسهم رهينة حتى يأتى قومهم إليه ليأخذ عليهم مواثيقهم بالطاعة ، وإلا قتلهم وحارب القوم . فبعث كليب وائل فى ربيعة فجمعهم ، ثم بعث على مقدمته السفاح التغلبى ، وأمره أن يوقد على خزازى (جبل فى نجد) ليهتدوا بناره ، فإن خشى العدو فليرفع نارين . وأقبل ملك مذحج ، ورأى كليب النارين ، فطار بالجموع فصبح جموع مذحج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزمت مذحج وانفض جمعها . وهو اليوم الذى علت فية نزار على اليمن حتى جاء الإسلام . يذكر بهذا البيت قديم عهده فى الحروب .

(٦) البازل من الإبل : الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وبزل نابه ، أى شق لحم منبته ، وذلك فى تمام قوته . والوجناء : الناقة الغليظة الصلبة ، من الوجين وهو سند الجبل . الولية : البرذعة تلى ظهر الناقة . يصف شدته وجلادته وصبره على المشقة فى ركوب الناقة بلا برذعة عند الشر والمخافة .

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفِ الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَغْمِزْ شَظِيَّهْ[1]
فَأَصَبْتُ مِنْ حُمُرِ القَنَا نِ مَعًا وَمِنْ حُمُرِ القَفِيَّهْ[2]
وَنَطَقْتُ خُطْبَةَ مَاجِدٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ وَلَا العَيِيَّهْ[3]
وَالمَوْتُ خَيْرٌ لِلفَتَى وَلْيَهْلِكَنْ وَبِهِ بَقِيَّهْ
مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ البَجَا لَ، وَقَدْ يُهَادَى بِالعَشِيَّهْ[4]

٤٢ وقال جَذِيمة الأَبْرَش:[5]

---

(١) مشرف الطرفين، يعني فرساً: مشرف العنق، مشرف الحجبتين، وهما رؤوس الوركين من أعاليهما. تمدح الخيل بذلك. غمزت الدابة تغمز غمزاً: ظلعت من قبل رجلها ظلعاً خفياً وهو عيب. والشظية: إبرة من العظم في وظيف الفرس لاصقة، فإذا تحركت وشخصت من موضعها ظلع الفرس. يتمدح بفرسه ووثاقة تركيبه، وبركوبه للصيد والغزو.

(٢) الحمر جمع حمار: يعني حمر الوحش. والقنان: جبل لبني أسد، ترتع به الحمر، يقول زهير يذكر حمار الوحش: ٦٦

رَبَعَ بِالقَنَانِ وَكُلُّ فَجٍّ طِبَاهُ الرِّعْيُ مِنْهُ وَالخَلَاءُ

أما قفية، فلم أجده، وكأنه مكان أيضاً تهوى إليه حمر الوحش، و «القفية»: الناحية.

(٣) العي: خلاف البيان. عي في منطقه فهو عي وعيي، وزاد التاء للمبالغة، كما قالوا للرجل كريم وكريمة.

(٤) «الشيخ»، الألف واللام زائدتان، دخلت على الحال، والمعنى شيخاً بجالا، كقوله: «دمت الحميد» أي حميداً (همع الهوامع ١: ٨٠ وغيره). البجال السيد له هيئة وسن وتبجيل. ويروى: «يقاد يهدى بالعشية»، وذلك أنه قد أسن، فإذا جاءت العشية حفوا به يسندونه حتى يؤوب إلى مثواه. يقول: خير للفتى أن يهلك وفيه بقية من شبابه، من أن يتمادى به العمر، حتى يكون تبجيل الناس له مذكراً بما فني من فتوته. ومشى الرجل يهادى بين رجلين: مشى بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله.

(٥) ويقال له: جذيمة الوضاح، من قدماء ملوك العرب. خرج إلى اليمامة يغزو طسما وجديساً، فوجد حسان بن تبع أسعد أبي كرب قد أغار عليهم، فانكفأ راجعاً بمن معه، وتخلفت سرية من سراياه، فأتت عليها خيل تبع فاجتاحتها. فلما بلغ جذيمة الخبر قال هذه الأبيات. ورواها الطبري أحد عشر بيتاً ٢: ٢٩، ثم قال ابن الكلبي: ثلاثة أبيات منها حق، والباقي باطل.

وانظر الأغاني ١٤: ٢٧٣، نوادر أبي زيد: ٢١٠، الخزانة ٤: ٥٦٧، العيني ٣: ٣٤٤ سيبويه ٢: ١٥٣، اللسان (شمل) (فتى)، وقال أبو زيد: «ولا أعرف لجذيمة غير هذا الشعر» وكتاب اللامات للزجاجي: ١١٥، ١١٦.

رُبَّما أَوْفَيتُ فى عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِى شَمالاتُ[1]

فى فُتُوٍّ أنَا رَابِئُهُمْ ، ... مِن كَلالِ غَزْوَةٍ ماتُوا[2]

ليتَ شِعْرِى ما أَماتَهُمُ ؟ ... نَحنُ أَدْلَجْنا وهُمْ باتُوا[3]

---

(١) أوفى على الشيء : أشرف . والعلم : الجبل المرتفع . والشمالات ، جمع شمال : وهى ريح الشمال الباردة الشديدة الهبوب . ويقول النحاة : زاد النون فى « ترفعن » ضرورة . وأقول إنها لغة قديمة لم يجلبها اضطرار . وقوله « فى علم » ، يذكر من حذره وشدته وحدة بصره وعلمه بمواضع المخافة ، أن أصحابه كانوا يكلون إليه حراستهم ، فهو ربيئة لهم على جبل عال ، يصبر فى ليله على شدة هبوب الشمال وإطارتها أطراف ثيابه .

(٢) فتى وجمعه فتيان وفتية وفتو . والرابىء : الذى يعلو جبلا يرقب المخافة للقوم ، وهو الربيئة . وقوله : « ماتوا » ، أى سكنوا وسكنت أعضاؤهم من الإعياء . والموت السكون ، وكل ما سكن فقد مات ، يقال : ماتت الريح : سكنت . وروى الأصفهانى الشطر الثانى : « هم لدى العورة صمات » . يقول : هم عند مواضع العورات التى يخشى منها العدو يصمتون له الصوت ، حتى يأخذوه على غرة .

(٣) الإدلاج : سير الليل كله . يتعجب من تصاريف الأقدار . سار هو وأصحابه ليلا آمنين ، وهم باتوا يستريحون آمنين أيضاً ، فخالف الموت إليهم فاجتاحهم . ومثله فى التعجب بيت آخر رواه الطبرى والآمدى فى المؤتلف مع اختلاف الرواية ، وهو ثالث بيت عندهما وعند غيرهما :

ثمَّ أَبْنا غَانِمِـــينَ معًا ... وأناسٌ بعدَنا ماتُوا

والموت فى هذا البيت ، هو الموت نفسه إهذا ، وقد اختصر ما سلف كله صاحب كتاب الزينة (١ : ٨٩ ، ٩٠) ، فلما فرغ من أبيات جذيمة قال ما نصه :

« ولِلُجَيْمِ بن صَعْب ، أبى : حنيفة وعِجْلٍ :

إذا قالَتْ حَذَامِ فصدِّقُوهَا ... فإنَّ القَوْلَ ماقالتْ حَذَامِ

ولمَعْدِى كَرِب الحِمْيَرِىّ من آل ذِى رُعَيْنٍ ، وكانَ قد عُمِّر :

أَرانى كُلَّما أَفْنَيْتُ يَوْمًا ... أَتانِى بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدُ

يَعودُ شَبابُهُ فى كُلِّ يَوْمٍ ... ويَأْبَى لى شَبابِى ما يَعُودُ

فهذا هو الشعر القديم ، على مارواه ابن سلاّم »

٤٣ — وقال امرؤ القيس :

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا   نَبْكِى الدِّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذامِ[1]

وهو رجل من طيِّئ لم نَسْمَع شعرَه الذى بَكَى فيه ، ولا شِعْرًا غيرَ هذا البيت الذى ذكره امرؤ القيس .

٤٤ — وكان أوَّلَ من قَصَّد القَصائد وذَكَرَ الوقائع ، المُهَلْهِلُ بنُ ربيعة التَّغْلَبِيُّ فى قتل أخيه كُلَيْبِ وائلٍ ، قتلَته بنُو شيبان . وكان اسم المهلهل عَدِيًّا ،[2] وإنما سُمِّى مُهَلْهِلاً لِهَلْهَلَةِ شِعْره كهلهلة الثوب ، وهو اضطرابُه واختلافُه ،[3] ومن ذلك قولُ النابغة :[4]

أتاكَ بقولٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذبٍ   [ولم يَأْتِ بالحقِّ الذى هُوَ ناصعُ]

---

(١) ديوانه : ١١٤ ، يروى « ابن حمام » و « ابن خذام » ، المؤتلف : ١١ ، ١٢٩ ، والعمدة ١ : ٧٠ ، والشعر والشعراء : ١٧ ، وفصل طويل فى تحقيق هـــذا الاسم فى شرح التصحيف : ٢١٠ — ٢١٣ ، ٤٢٩ ، ونقل فيه نص ابن سلام . و ديوان ٢ : ١٣٩ ، ١٤٠ وأحالت الدار : أتى عليها حول أو أحوال وقد غاب عنها أهلها ، فهى بالية ، مهجورة متغيرة .

(٢) يقال اسمه « امرؤ القيس » ، انظر المؤتلف : ١١١ ، ومعجم الشعراء : ٢٤٨ ، والمزهر ٤ : ٤٣٤ عن ابن سلام ، والعمدة ١ : ٦٩ ، والنقائض : ٩٠٥ .

(٣) فى النقائض : « وإنما سمى مهلهلا ، لأنه هلهل الشعر ، يعنى : سلسل بناءه ، كما يقال : ثوب مهلهل ، إذا كان خفيفاً » ، وهـــذا نص جيد جدا . وانظر أيضاً تفسير ابن الأعرابى ، فى الموشح : ٧٤ .

(٤) ديوانه : ٤٩ ، فى قصيدته إلى النعمان ، وقد وشى به بنو قريع بن عوف ، يتبرأ مما كذبوا عليه .

وزعمت العربُ أنه كان يدّعى فى شعره ، ويتكثَّر فى قوله بأكثر من فعله .[١]

٤٥ — وكان شُعَراء الجاهلية فى ربيعةَ : أوَّلُهم المُهَلْهِل ،[٢] والمرقّشَان ،[٣] وسَعدُ بن مالك ،[٤] وطَرَفةُ بن العَبْد ، وعمرو بن قَمِيئَة ، والحارث بن حِلِزّةَ ، والمتلمّس ،[٥] والأعشى ،[٦] والمُسَيّبُ بن عَلَس .

— ثم تحول [الشعرُ] في قيس ، فمنهم : النابغةُ الذبيانى — وهم يَعُدُّون زهيرَ بن أبى سُلْمَى من عبدالله بن غطفان ، وابنَهُ كعباً — ولَبِيدٌ ، والنابغةُ الجَعْدِىّ ، والحُطَيئَة ، والشّمّاخ ، و[أخوه] مُزَرّد ، وخِدَاش بن زُهَيْر ، ثم آل ذلك إلى تميم ، فلم يزلْ فيهم إلى اليوم .[٧]

---

(١) نقل هذا المرزبانى فى الموشح : ٧٤ ، واعتمدت لفظه فى آخر النص ، وكان فيه : « أنه كان يتكثر ويدعى فى قوله بأكثر من فعله » ، كما فى الخزانة ١ : ٣٠٠ . والمزهر ٢ : ٤٧٦ .

(٢) [وهو خال امرىء القيس بن حجر الكندى ، وجد عمرو بن كلثوم الشاعر ، أبو أمه] العمدة ١ : ٢٧٠ ، وانظر النقائض : ٩٠٥ ، والأغانى ٩ : ٧٧ .

(٣) [والأكبر منهما عم الأصغر . والأصغر عم طرفة بن العبد ، واسم الأكبر : عوف بن سعد ، وعمرو بن قميئة ابن أخيه ، ويقال إنه أخوه — واسم الأصغر : عمرو بن حرملة : وقيل : ربيعة بن سفيان ، وهذا أعرف] ، العمدة ١ : ٧٠ .

(٤) [الذى يقول :

يا بُؤْسَ للحربِ التى وضَعَتْ أراهِطَ فاستراحُوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر ، والمرقش الأكبر أم لا؟] العمدة ١ : ٧٠

(٥) [وهو خال طرفة . واسمه جرير بن عبد المسيح]، العمدة ١ : ٧٠ .

(٦) [واسمه : ميمون بن قيس بن جندل — وخاله المسيب بن علس ، واسم المسيب : زهير] العمدة ١ : ٧٠ ، ٧١ . وهذه الزيادات كلها زادها صاحب العمدة ، تتخلل ما رواه عن محمد بن سلام ، فأثبتها لذلك . ثم انظر أيضاً المزهر ٢ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ : وهو نص ابن سلام أيضاً .

(٧) بعد هذا فى العمدة ، والمزهر جميعاً :

— كان امرؤ القيس بن حُجْرٍ بعد مُهَلْهِلٍ ، ومهلهلٌ خالُه ، وطرَفةُ وعَبِيدٌ وعمرو بن قَمِيئَةَ والمتلمّس ، فى عصرٍ واحدٍ .

٤٦ — [1] فكان من الشعراء من يتألَّه فى جاهليته ويتعفّفُ فى شعره،[2] ولا يَسْتَبْهِر بالفواحش ، ولا يتهكّم فى الهجاء — [يقال: يتهكّم ويتكهّم . قال الفضل[3] : ويقال : ليلة بُهْرَةٌ ، إذا كان قمرُها مضيئاً][4] — ومنهم من كان يَنْعَى على نفسه ويتعهّرُ . [5] منهم امرؤ القيس ، [قال :

[ومنهم كان أوس بن حجر ،شاعر مُضَر فى الجاهلية.لم يتقدمه أحدٌ منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاهُ ، وبقى شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع . وكان الأصمعى يقول : أوس ، أشعر من زهير ، ولكنّ النابغة طأطأ منه . وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوجَ أم زهير] ، فلا أدرى أكان من نص الطبقات أم لا ؟

(١) هذه الفقرة بتمامها رواها المرزبانى فى الموشح : ١١٣ ، ١٤٤ ، ومخطوطة المدينة مختصرة فيما أرجح ، بدليل ما ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء : ٥٧ . ثم ما رواه أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ١٦٠،١٦٦ ، ولذلك أثبت هنا نص الموشح ، مع زيادته بين الأقواس . واذكر أن هنا ورقة ناقصة من مخطوطتنا التى اعتمدناها ، وهذا القدر الذى أثبته يكاد يطابق مقدار الخرم .

(٢) تألّه : تنسك وتعبد .

(٣) « الفضل » هو أبو خليفة الفضل بن الحباب ، راوى الطبقات عن ابن سلام ، وانظر ما سلف رقم : ٢٢ ، تعليق رقم ١ :

(٤) تكهم وتهكم فى الشعر : تعرض له واقتحمه . بهر القمر النجوم غمرها بضوئه ، فسميت الليلة السابعة والثامنة والتاسعة الليالى البهر (بسكون الهاء وفتحها) ، ومنه بهر المرأة ببهتان : قذفها بريب وهى بريئة . ومنه حديث عمر أنه رفع إليه غلام ابتهر جارية فى شعره ، فقال: انظروا إليه . فلم يوجد أنبت ، فدرأ عنه الحد . أى قذفها بنفسه وهو كاذب . ومنه حديث العوام : « الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه » . وقال أبو الفرج فى الأغانى ١ : ١١٨ ، « الابتيار : أن يفعل الإنسان الشىء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل »، واستبهر بالفواحش : تبجح بذكرها وفضح ما حقه أن يكتم . ولم أجد استبهر فى المعاجم ، ولكنها عربية متمكنة .

(٥) فى اللسان (نعى) : « فلان ينعى على نفسه بالفواحش : إذا شهر نفسه بتعاطى الفواحش، وكان امرؤ القيس من الشعراء الذين نعوا أنفسهم بالفواحش وأظهر التعهر ، وكان الفرزدق فعولا

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ   فَأَلْهَيْتُها عن ذى تَمائِمَ مُحْوِلِ [(١)]

وقال :

دَخَلْتُ وقَدْ أَلقت لِنَوْمٍ ثِيابَها   لَدَى السِّتْرِ ، إلاَّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ [(٢)]

وقال :

سَمَوْتُ إليها بَعْدَ مانامَ أَهْلُها   سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حَالاً على حَالِ [(٣)]

٤٧ — ومنهم الأعشى ، قال :

فَظَلِلْتُ أَرْعاها وظَلّ يَحوطُها ،   حتى دَنَوْتُ إذِ الظَّلامُ دَنَا لَها [(٤)]

لذلك » . ونص الموشح : « ومنهم من كان يتعهر ولا يبقى على نفسه ولا يتستر » وأظن أن « ولا يبق على نفسه » من عمل ناسخ أو من مصحح الكتاب ، والصواب « ويبقى على نفسه » . ومن عند هذا الموضع نقلت نص الموشح إلى آخر رقم : ٤٨ ، وكان فى الأصلين : [منهم امرؤ القيس والأعشى ، وكان الفرزدق أقول أهل الإسلام فى هذا الفن ، وكان جرير » ، آخر : ٤٨ .

(١) من معلقته : وانظر روايته فى سيبويه ١ : ٢٩٤ . وسياق الشعر « فمثلك » . طرق القوم يطرقهم : جاءهم ليلا . ذى تمائم : صبى ذى تعاويذ تقيه العين والنشر . ومحول ومحيل : صغير أتى عليه الحول أو لم يأت .

(٢) من معلقته أيضاً . المفضال والفضل : ثوب واحد يلبس فى البيت للنوم أو للمهنة والعمل . وتفضلت المرأة فى بيتها ، فعلت ذلك . فهى فضل ورجل فضل (بضمتين) ، ومتفضل ومتفضلة .

(٣) ديوانه : ٣١ . لا أحسبه أفحش فى هذا البيت ، كما أفحش فى السالفين ، فإنه أراد أن يصف خفة وطئه وإخفاءه حركته ، حتى لا يشعر به . وليس فى هذا إقذاع مستعلن ، إلا أن يكون ابتهاراً وادعاءً .

(٤) ديوانه : ٢٣ ، الضمير إلى « شاة محاذر » فى البيت السابق ، يعنى امرأة لها زوج غيور يحاذر عليها . أرعاها : أرقبها بعين لا تغفل . « إذ الظلام دنا لها » ! ما أقدره على البيان ! ثم :

فرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عن شَاتِهِ   فأَصَبْتُ حَبَّةَ قلبِها وطِحَالَها

بيت لا يتم المعنى إلا به .

وقال :

وأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الغَانِيا ... تِ ، إمّا نِكاحًا وإمّا أُزَنّ[١]

وقال :

وقد أُخْرِجُ الكاعِبَ المُسْتَرا ... ةَ مِنْ خِدْرِهَا ، وأُشِيعُ القِمارَا[٢]

وقال :

ورَادِعَةٍ بالطِّيبِ صَفْراءَ عِنْدَنا ، ... لِجَسِّ النَّدامى في يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ[٣]

وقال :

وقَدْ أُخالِسُ رَبَّ البيتِ غَفْلَتَهُ ، ... وقد يُحاذِرُ منّي ، ثُمَّ ما يَئِلُ[٤]

---

(١) ديوانه : ١٥ . أزننته بأمر : اتهمته به . يقول : إما زواجاً وإما فعلا خبيثاً يوجب التهمة والريبة . .

(٢) ديوانه : ٣٥ : استرى الشيء ، اختار سريه وشريفه . المستراة : الشريفة التي آثرها أهلها للنعمة والترف والكرامة ، فهي عزيزة ممنعة. قال الطبرى فى تفسيره ١ : ٣١٣ : « العرب تقول : اشتريت كذا على كذا ، واستريته ، يعنون اخترته عليه » ، وذكر البيت . وأشاع المال بين القوم — أو القدر بين الحى : فرقه فيهم . والقمار ، مصدر قامره قماراً : راهنه، وأراد لعب الميسر على الجزر . وكأنه عنى بالقمار هنا : ما يحرزه من نصيب الفائز فى الميسر ، يفرقه فى الناس . وفى المخصص ١٣ : ٧٠ « وأشيع الفخارا » .

(٣) ديوانه : ١٤٧ ، يذكر مغنية صرح بذكرها فى البيت التالى :

إذا قُلْتُ : غَنّى الشَّرْبَ! قامت بِمِزْهَرٍ ... يكادُ ، إذا دارَتْ لَهُ الكفُّ ، يَنْطِقُ

ورادعة : ردعت صدرها ومقاديم جيبها بالزعفران ، حتى يصفر ويبرق . والزعفران طيب ولون . ودرع المرأة قميصها . مفتق : مكان فتق مشقوق .

(٤) وأل يئل : التجأ إلى ملجأ فنجا . وأراد هنا : النجاة وحسب .

٤٨ — وكان الفَرَزْدَقُ أَقْوَلَ أهلِ الإسْلام فِي هذَا الفنّ قال :

هُمَا دَلَّتَانِي مِن ثَمَانِينَ قامَةً كما انْقضّ بَازٍ أقْتَمِ الرِّيشِ كاسِرُهْ[1]

فلمّا استَوَتْ رِجْلاىَ فى الأرض نادَتا: أحيًّا يُرَجّى ، أم قتيلاً نُحاذِرُهْ؟[2]

فقلتُ: ارْفَعُوا الأسبابَ لا يَفطَنوا بنا! وَوَلّيْتُ فى أعْجازِ لَيْلٍ أُبادِرُهْ[3]

وَأصبحتُ فى القومِ الجُلُوسِ، وأصبحتْ مُغَلَّقَةً دُونى عليها دسَاكِرُهْ[4]

قالها وهو بالمدينة : فأنكرت ذلك قريش، وأزعجه مروان بن الحكم وهو والٍ على المدينة ، فأجّلَه ثلاثًا ، ثمّ أخرجَه عنها .

… قال ، وقال يونس : كان للفرزدق غلامان ، أحدُهما اسمُه وَقّاعٌ والآخر نُقْطة ،[5] ولوَقّاع يقول الفرزدق :

تَغَلْغَلَ وَقّاعٌ إليها ، فأصبحتْ تَخوضُ خُدارِيًّا من اللّيلِ أخضرَا[6]

---

(١) ديوانه ٢٥٩ — ٢٦١ مع اختلاف ظاهر فى الترتيب . صقور الصيد ضربان : صقر وباز ، فالصقور : سود العيون ، محددة الرؤوس طوال الأجنحة قصار الأرجل . والبزاة (جمع باز) : حمر العيون أو زرقها أو صفرها ، مدورة الرؤوس قصار الأجنحة طوال الأرجل حجن المناقير . أقتم الريش : فى ريشه حمرة ضاربة فى السواد . والكاسر : الذى كسر جناحيه ، أى ضمهما ضمًا يسيرًا وهو يريد الوقوع والانقضاض .

(٢) يروى : « قالتا : أحى . . . أم قتيل » . والنصب أجود .

(٣) الأسباب (جمع سبب) : وهى الحبال التى تدلى عليها . وأعجاز الليل : أواخره ، يبادر الليل قبل أن ينشق فجره .

(٤) الدساكر جمع دسكرة : بناء كالقصر حوله منازل للخدم والحشم، وبيوت للهو والشراب.

(٥) زنقطة : اسم من أسمائهم . وفى الأغانى والموشح : « زنقطة » ، ولم أدر ما صوابه هنا ، ولكن رأيت فى الأغانى ١٠ : ١٠٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣ غلاما لأحمد بن أبى دؤاد اسمه « نقطة » أيضاً .

(٦) ديوانه : ٤٣٧ ، وهى أيضاً من جيد الشعر الخبيث . وقبل هذا البيت وهو أولها :

وآنِسَةٍ بَرْدَ الحِجالِ احتَوَيْتُها وقد نَام من يَخْشَى عليها وأسْحَرا

تغلغل : دخل إليها رفيقًا حذرًا خفى المسعى فى سراديبها ، كما يتغلغل الماء فى أصول الشجر المتشابك . الخدارى : المظلم الشديد السواد ، يعنى ظلم الليل . الأخضر : الأسود الذى لا يتبين .

لِطيفٌ، إذاما انغَلَّ أدركَ ما ابتغَى ، إذا هُوَ للظَّبْيِ الغَرِيرِ تقتَّرا[١]

وقال أيضاً :

فأبْلَغَهُنَّ وَحْيَ القَوْلِ عَنِّي وأدخلَ رأسَهُ تحتَ القِرامِ[٢]

أُسَيِّدُ ذو خُرَيِّطةٍ نهاراً ، من المُتَلَقِّطِي قَرَدِ القُمامِ[٣]

فقلنَ له : نواعِدُكَ الثُّرَيَّا ! وذاكَ إليهِ مُجْتَمَعُ الزِّحامِ[٤]

ثلاثٌ واثنتانِ ، فهُنَّ خمسٌ ، وسَادسةٌ تَميلُ إلى الشِّمامِ

الشِّمامُ : المشامَّةُ .[٥]

---

(١) لطيف : رفيق حسن التأتى . انغل : نفذ حتى بلغ غايته . وأما الشطر الثانى فاختلفت الرواية فيه . رواه صاحب الأغانى « إذا هو للظبي المروع نفرا » . ورواية الديوان « إذا هو للطنء المخوف تقترا » ، وهى أعدل الروايات . والطنء (بكسر فسكون) : الريبة والفجور . وتقتر للشيء : تهيأ له ليختله ويستمكن منه . وذلك أشبه بسياق الشعر .

(٢) ديوانه : ٨٣٥ ، وهى أجود وأخبث . وحى القول : الكلام الخفى يلقى على عجلة، بصوت خفيض يخفى على غير متلقيه . والقرام : ستر رقيق ملون فيه رقم ونقوش .

(٣) انظر سيبويه ١ : ٩٥، والخصائص ١ : ١٥٦ . أسيد : تصغير أسود يعنى غلامه وقاعاً . خريطة : تصغير خريطة ، وهى شيء كالكيس يكون من الخرق والأدم . القمام جمع قمامة : وهى كناسة البيت وما كسح منه فألقى بعضه على بعض . والقرد : نفاية الصوف ، ثم استعمل فى سواه من وبر وشعر وكتان . وقال ابن سيده : « إنه عنى سوداء ، وقال من المتلقطى قرد القمام ليثبت أنها امرأة ، لأنه لا يتتبع قرد القمام إلا النساء ، لأنه لو قال « أسيد ذو خريطة . . » ولم يتبعه ما بعده ، لظن رجلا ، فكان ذلك عاراً بالفرزدق وبالنساء ، أعنى أن يدخل رأسه تحت القرام أسود ، فانتفى من هذا وبرأ النساء منه بأن قال : من المتلقطى قرد القمام » (اللسان : قرد) . وإنه لتكلف غالب، بل أراد الفرزدق أن يدل على أن رسوله غلام أسود صغير بعد ، خليق أن يتولى للإماء عملهن ، فلا يؤبه له ولا يتهم على فعله هذا وهو يتلقط النفايات . انظر الأشباه والنظائر للخالديين ١ : ٥٧، ٥٨ .

(٤) يعنى نواعدك اعتراض الثريا فى جوف الليل . ومجتمع الزحام : اجتماعهن ، كما عدد بعد .

(٥) وهو التقبيل والرشف ، ويقول الراجز (المخصص ٢ : ٤٠) :

نجاريةٌ أعظمُها أجمُّها بائنةُ الرِّجْلِ فما تضُمُّها

قد سَمَّنتها بالجَريشِ أمُّها فهى تمنَّى عزَباً يَشُمُّها

فبِتْنَ بجانِبيَّ مُصَرَّعاتٍ ، وبِتُّ أفُضُّ أغْلاقَ الخِتَامِ][1]

* * *

— وكان جريرٌ مع إفْراطِهِ في الهجاء ، يعِفُّ عن ذِكْر النساء ، كان لا يُشَبِّبُ إلا بامرأةٍ يملِكُها .

* * *

٤٩ — [2] قال ابن سلّام : فلما رَاجعت العربُ روايةَ الشعر ، وذِكْرَ أيامها ومآثِرها ، استقلّ بعضُ العشائر شِعْرَ شُعَرائهم ، /[3] وما ذهَبَ من ذِكْر وقائعهم . وكانَ قومٌ قلّت وَقائعُهم وأشعارُهم ، فأرادُوا أن يلحَقوا بِمَنْ له الوقائع والأشعار ، فقالوا على ألسنةِ شُعرائهم . ثم كانت الرُّواةُ بعدُ ، فزادوا في الأشعار التي قيلت . وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادةُ الرواةِ ولا ما وَضَعوا ، ولا ما وضع المولَّدون ، وإنما عَضَّلَ بهم

٨

- أى يقبلها ويرشفها . وكتب اللغة لم تحسن شرح « الشم » . وهذه السادسة التى ذكرها هى خاصته وحده التى استأثر بها .

(١) بين هذا البيت والذى قبله شعر جيد كثير ، يراجع فى ديوانه . قال الفارسى : « أراد : ختام الأغلاق » فقلب . و « الأغلاق » جمع « غلق » (بفتحتين) وهو ما يغلق به الباب . والختام والخاتم ، واحد ، وهو من « الختم » ، وهو التغطية على الشىء ، والاستيثاق من أن لا يدخله شىء . ولئما عنى الفرزدق ما عنى من فحشه ، وكأنه أقر بالفاحشة ، انظر شرح نهج البلاغة ١ : ٤٢٨ ، مع خطأ فيه ، والمستقصى ١ : ٢٠٤ ، واللسان (غلق) (ختم) .
وعند هذا الموضع انتهت الزيادة التى رواها المرزبانى ، كما سلف ص : ٤١ ، تعليق رقم : ١

(٢) رجع إلى ما مضى فى الفقرة : ٣٢ ، كعادته فى الاستطراد . ونقل السيوطى فى المزهر ١ : ١٧٤ - ١٧٦ هذه الفقرات الآتية : ٤٩ - ٥٤ .

(٣) إلى هنا انتهى الخرم الذى بدأ فى الفقرة : ٤٠ ، ومن هنا يبدأ اعتمادنا على مخطوطتنا دون مخطوطة المدينة .

أن يقولَ الرجلُ من أهلِ البادية من وَلَدِ الشُّعراء ،[١] أو الرجلُ ليسَ من ولَدِهم ، فيُشْكل ذلك بعض الإشكال .

٥٠ قال ابن سَلّام : أخبرني أبو عبيدة أنّ ابنَ داوُد بن مُتَمِّم بن نُوَيْرة ،[٢] قدِم البَصْرةَ في بعض ما يَقْدَم له البدويُّ من الجَلَبِ والمِيرَة ، فنزلَ النّحيت ،[٣] فأتيتُه أنا وابنُ نُوحٍ العُطارديّ ،[٤] فسألناه عن شعر أبيه متمِّم ،[٥] وقمنا له بحاجَتِهِ وكَفَيْناه ضَيْعَتَه ،[٦] فلما نَفِدَ شعرُ أبيه ،

---

(١) عضل به الأمر وأعضل به وأعضله : اشتد واستغلق وضاقت به الحيل ، فهو معضل لايهتدى لوجهه .

(٢) قال ابن حزم في الجمهرة : ٢١٣ « ولمتمم ابن شاعر اسمه داود بن متمم » ، وفي بعض النسخ « داود بن متمم » بحذف ابن وهو خطأ ، فلا شك أن داود بن متمم هذا ، لم يدركه أبو عبيدة ، ولداود بن متمم بيت في النقائض : ٣١٦ ، ولمتمم ابن آخر اسمه إبراهيم بن متمم كان متمم يكنى به أبا إبراهيم ، وله شعر في أنساب الأشراف ٤/٢ : ١٣٠ ، وله خبر في الموشح : ٢٤٠ ، وانظر معجم الشعراء : ٤٦٦ ، والشعر والشعراء : ٢٩٨ .

(٣) الجلب : ما يأتي به البدوي من الإبل والغنم ليبيعه في الأمصار . والميرة : الطعام ، ويعني هنا ما يأتي له البدوي ليمتاره من طعام المصر . و « النحيت » ، من قرى البصرة الصغيرة الدانية ، ذكرها البكري في معجمه (١٢٢٨) ومواضع أخرى ، وذكرها ابن دريد في مقصورته (١٠٤) :

سَقَى العَقِيقَ فالحَزِيزَ فالمَلَا ... إلى النَّحيتِ فالقُرَيّات الدُّنا

والعقيق والحزيز والملا والنحيت : مواضع بالبصرة ونواحيها . وانظر ما سيأتي رقم : ٥٤٩ « حزيز البصرة » .

(٤) « ابن نوح العطاردي » ، جاء ذكره في خبر في الأغاني (٢٠ : ٣٥٤) ، خرج هو ويونس ، ولقيا رؤبة . وهو ، كما سيأتي : إبراهيم بن محمد بن نوح العطاردي ، وانظر ص : ٧٦٥ ، الخبر رقم : ٩٣٣ ، تعليق : ٣ . « ابن نوح العطاردي » ، من ولد عطارد بن حاجب ابن زرارة بن عدس التميمي .

(٥) شعر أبيه : يعني جده ، كما أسلفت في التعليق رقم : ٢ .

(٦) الضيعة هنا : المكسب والتجارة . وضيعة الرجل : حرفته وصناعته . والضيعة : العقار والأرض المغلة .

جعلَ يزيدُ في الأشعارِ ويصنَعُها لنا ، وإذا كلامٌ دون كلامِ مُتمِّم ، وإذا هو يحتَذِي على كلامه ، فيذكُر المواضع التي ذكرها متمّم ، والوقائع التي شَهِدها . فلما توالَى ذلك علمنا أنه يَفتَعِلُه .

* * *

٥١ — وكان أوّلَ من جَمَع أشعارَ العرب وساقَ أحادِيثها : حمّادٌ الرّاوِيةُ ، وكانَ غيرَ موثوقٍ به ، وكان ينحَل شِعْرَ الرجُلِ غيرَه ، ويَنْحله غيرَ شعره ،[1] ويزيدُ في الأشعار .

٥٢ — [2] قال ابن سلام ، أخبرني أبو عبيدة ، عن يونس ، قال : قَدِمَ حمّادٌ البَصْرَةَ على بِلال بن أبي بُرْدَة وهو عليها ، فقال : أَمَا أَطْرَفْتَني شيئًا ! فعادَ إليه فأنشدَه القصيدةَ التي في شعر الحطيئة مديحَ أبي موسى ، قال : ويحك ! يمدحُ الحطيئةُ أبا مُوسى لا أعلم به ، وأنا أروى شعرَ الحطيئة ؟! ولكن دَعْها تذهبْ في الناس .

٥٣ — قال ابن سلام ، أخبرني أبو عبيدة ، عن عمر بن سعيد بن وهب الثقفيّ قال : كان حمادٌ لي صديقًا مُلْطِفًا ، فعَرَضَ عليّ ما قِبَلَه يومًا ،[3]

---

(١) نحله القول ينحله : نسبه إليه وهو من قول غيره . وانتحل هو القول : ادعاه لنفسه .

(٢) هذا الخبر ، رواه أبو الفرج في الأغاني بنصه هنا ١٢ : ١٤٠ ، ورواه أيضا بزيادة بعض أبيات قصيدة الحطيئة (ديوانه : ٢٢٥ - ٢٣٢) في ٢ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ورواه من غير طريق ابن سلام ، بمعناه ٦ : ٨٨ .

(٣) ما قبله : أي ما عنده ، يعني من الشعر . الملطف : من الإلطاف : وهو البر والتكرمة ، وألطفه : كرمه فأتحفه بخير ما عنده .

فقلتُ له : أَمْلِ عليّ قصيدةً لأخوالى بَنِى سعد بن مالك ، لطَرَفَة ، فأملى عليّ :[1]

إنّ الخَلِيطَ أَجَدَّ مُنْتَقَلُهْ ... ولذاكَ زُمّتْ غُدْوَةً إِبِلُهْ[2]

عَهْدِى بِهِم فى النَّقْبِ قَدْ سَنَدُوا ... تَهْدِى صِعابَ مَطِيِّهِم ذُلُلُهْ[3]

وهي لأعشى هَمْدان.[4]

٥٤ - وسمعت يونس يقول : العَجَبُ مِمَّن يأخُذ عن حمّادٍ // ، وكان يكذب ويلحَنُ ويَكْسِرُ.

* * *

٥٥ - ثم إنّا اقتصرنا - بَعْدَ الفَحْصِ والنّظَر والرِّواية عمَّن مَضَى

---

(١) لم أعرف عمر بن سعيد بن وهب ، ولا من أخواله من بنى سعد بن مالك . وفى المزهر : «عمرو بن سعيد» ، وقال « فأملى على لطرفة » وطرفة بن العبد من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة ، وقد ألحق هذان البيتان بديوان طرفة ، وشعر أعشى همدان ، نقلا عن المزهر ، وانظر المؤتلف : ١٤ ، ونثوار المحاضرة ١ : ١٠١ ، ورواية العجز :

* ولوَشْكِ بينٍ حُمِّلتْ إِبِلُهْ *

(٢) الخليط : القوم المختلطون ، وكانت العرب تجتمع فى أيام الكلأ قبائل شتى فى مكان واحد ، فتقع بينهم الألفة ، فإذا حان رجوعهم إلى أوطانهم فافترقوا ، ساءهم ذلك . وأجد : صار إلى الجد والاجتهاد . ومنتقله : انتقاله ورحيله . وزم الناقة : علق عليها زمامها لأهبة الرحيل .

(٣) النقب : الطريق بين الجبلين . وسند فى الجبل يسند وأسند : صعد فيه ليرقاه . الذلل جمع ذلول ، وهو اللين من الدواب السهل القياد الرفيق السير .

(٤) هذا الخبر غير موجود فى «م» ، وهذا دال على أن هذه النسخة مختصرة الرواية ، كما مر وكما سيمر بنا كثيراً فى خلال نص الطبقات . ونسخة المدينة هى التى طبع عنها ما طبع من الطبقات فى أوربة ومصر .

من أهل العلمِ – إلى رَهْطٍ أربعةٍ ،[١] اجتمعوا على أنهم أشعرُ العربِ طبقةً ،[٢] ثم اختلفوا فيهم بَعْدُ . وسنسوقُ اختلافَهم واتفاقهم ، ونسمّى الأربعةَ ، ونذكرُ الحجّةَ لكلّ واحدٍ منهم – وليس تَبْدِئَتُنا أحدَهُمْ فى الكتاب نحكُمُ له ،[٣] ولا بُدَّ من مُبْتَدأٍ – ونذكُرُ من شِعْرِهم الأبياتَ التى تكونُ فى الحديثِ والمعنَى .

---

(١) استعمل ابن سلام « اقتصر إلى كذا » بمعنى انتهى إليه . وهو صحيح فى القياس والعربية ، من قولهم : قصرك أن تفعل كذا وقصاراك : غايتك وآخر أمرك . يقول : انتهينا بعد الفحص ... إلى رهط أربعة .

(٢) هذا موضع تغيير ثان ، ارتكبه قارىء نسخة المدينة ، كما سلف فى آخر رقم : ٣١ ، بأن وضع بين « أربعة » و « واجتمعوا » علامة تخريج فى الهامش وكتب بخطه زيادة : « من فحول شعراء الإسلام » ، ثم ضرب بعد ذلك على لفظ « العرب » من قوله « أشعر العرب » ، وكتب فوقها « الإسلاميين » ، وعلى هذا التغيير القبيح المفسد ، طبع ما طبع من الطبقات فى أوربة ومصر . وانظر مقدمة هذا الكتاب .

(٣) بدأه تبدئة : مثل قدمه تقدمة ، وزناً ومعنى . ومنه الحديث : « الخيل مبدأة يوم الورد » أى مقدمة يبدأ بها فى السق قبل الغنم والإبل . وتحذف الهمزة فتصير « مبداة » و « بداها » وهى لاتزال باقية كذلك فى عاميتنا .

الطَّبَقَةُ الأُولى

٥٦ — امرؤ القَيْس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حُجْرٍ آ كل المُرَار بن عَمْرو بن مُعاوية بن يَعْرُب [بن ثَوْر] بن مُرَتِّع بن مُعاوِية ابن كِندة .(١)

٥٧ — ونابغةُ بنى ذُبْيان ، واسمه زِيادُ بنُ معاويةَ بن ضِبَاب بن جابر ابن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان ، ويكنى أبا أُمامة .(٢)

٥٨ — وزُهَيْر بن أبى سُلْمى — واسم أبى سُلْمى رَبيعةُ — بن رِياح ابن قُرْط بن الحارث بن مازِن بن ثَعْلَبة بن ثور بن هُذْمة بن لاَطِم بن عثمان ابن مزينة .(٣)

---

(١) المرار حمض إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها . وسمى آكل المرار ، لما رووا من أن ابن هبولة الملك لما سبي ابنة حجر قالت له : كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار ، تعنى من الغضب قد بدت أنيابه . ويقال . مرتع ومرتع ويقال : اسمه عمرو ، وهذا لقب، لأنه كان يأتيه الطالب أن يرتعه فى أرضه ، فيقول: قد أرتعتك كذا وكذا. والاختلاف فى نسبه كثير، انظر الأغانى ٩ : ٧٧ ، والمؤتلف : ٩ ، وجمهرة ابن حزم : ٤٠٦ ، ومختصر جمهرة ابن الكلبى وغيرها .

(٢) الأغانى ١١ ، ٣ ، المؤتلف : ١٩١ ، الخزانة ١ : ٢٨٧ ، وجمهرة ابن حزم : ٢٤١ ومختصر الجمهرة : ١١٩ . وضبط فى المخطوطة « الضباب » وفى مختصر الجمهرة ، بفتح الضاد ، وفى « م » بكسرها ، وانظر شرح التصحيف : ٤٩٣

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٨٨ : مع اختلاف كثير ، وجمهرة ابن حزم : ١٩٠ ، ١٩١ : ومختصر الجمهرة : ٧٧ ، وفى شرح التصحيف : ٤٧٥ . « هذمة » فى المخطوطة « هدمة » بكسر الهاء وبدال مهملة .

٥٩ — والأَعْشَى ، وهو ميمونُ بن قَيْس بن جَنْدَل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثعلبة ، ويكنى أبا بَصِير .[1]

٭ ٭ ٭

٦٠ — أخبرنى يونس بن حبيب : أن علماء البَصْرة كانوا يقدّمون امْرَأ القيس بن حُجْر ، وأهلَ الكوفة كانوا يقدّمون الأعْشى ، وأن أهل الحِجازِ والبادية كانوا يقدِّمون زُهَيْراً [والنابغة].[2]

٦١ — وأخبرنى يونس كالمتعجّب : أنّ ابنَ أبى إسحاق كان يقول : أشعر أهْلِ الجاهليّة مُرَقّش ، وأشْعَر أهلِ الإسلام كُثَيِّر .[3] ولم يُقْبَلْ هذا القول ولم يُشَيَّعْ .[4]

٦٢ — وأخبرنى شُعَيْب بن صَخْر ، عن هارون بن إبراهيم ، قال : سمعتُ قائلاً يقولُ للفَرَزْدق : مَنْ أشعرُ الناس يا أبا فِرَاس ؟ قال :

---

(١) الأغانى ٩ : ١٠٨ ، والمؤتلف ومعجم الشعراء : ١٢ ، ٤٠١ ومختصر الجمهرة : ١٥٦ .

(٢) نقله شارح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، والعمدة ١ : ٨٠ : وردت « النابغة » ، لأن ذكره وارد فى « م » ، وفى هذين المرجعين جميعاً . وزاد صاحب العمدة : « وكان أهل العالية لايعدلون بالنابغة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لايعدلون بزهير أحداً » .

(٣) قال صاحب العمدة ١ : ٨٠ لما ذكر ابن أبى إسحاق : « وهو عالم ، ناقد ، متقدم مشهور » ، ثم عقب على رأيه هذا فقال : « وهو غاو مفرط ، غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح » . وأنا أعجب من ابن أبى إسحاق ومن جودة رأيه ، والذى بلغنا من شعر مرقش قليل ، فإن لا يكن كما وصف ، فليس منزل المرقش عندى دون هذه المنزلة إلا قليلا : وليس قوله غاويا مفرطا ، كما زعم صاحب العمدة وغيره .

(٤) فى « م » « لم يتبع » ، وليس بذاك . يقال : « شيعه على رأيه وشايعه ، كلاهما تابعه وقواه . يقال ، « فلان يشيعه على ذلك » ، أى يقويه . « شيع » ، مشددة الياء . وهذه اللفظة مضبوطة فى مخطوطتنا بضم الياء الأولى .

ذُو القُرُوح ، يعني امرأ القيس.[١] قال: حين يقول ماذا؟[٢] قال: حينَ يقولُ:

وقاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ ... وبالأشْقَيْنَ ما كانَ العِقابُ[٣]

وأفلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ... ولوْ أدركْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ][٤]

٦٣ - [أخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلّام قال : سمعتُ رجلاً يسأل يونس عن قوله : « صَفِرَ الوِطابُ » ، فقال : سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله ، فصفرتْ وِطابُه من اللبن . وقال غيرُه : صَفِرَ الوطابُ ، أي أنه كان يُقْتَلُ ، فيكون جسمه صِفْرًا من دمه ، كما يكون الوطابُ صِفْراً من اللبن] . (الأغاني ٩ : ٩١) .

---

(١) سمى ذا القروح ، فيما رووا ، لأن ملك الروم بعث إليه قميصاً مسموماً فتقرح بدنه فمات . هذه الكلمة ذكرها السيوطي في المزهر ٢ : ٤٧٩ . وتنسب أيضاً للبيد . الشعر والشعراء : ٥٢

(٢) « ماذا » ، انظر ما كتبته سالفاً في رقم : ٢٥ ، س : ٢٠ تعليق : ٤ ، فإنها رسمت هنا أيضاً « مادى » وكذلك في سائر المخطوطة .

(٣) ديوانه : ١٣٨ . الجد : الحظ والسعد . والأشقين : جمع أشقى ، يعني الأشقياء الذين ساء حظهم ولا ذنب لهم . وقال هذه الأبيات بعد مقتل أبيه ، قتلته بنو أسد . وخبر الأبيات أن امرأ القيس استعان ببكر وتغلب على بني أسد قتلة أبيه ، فأنذرهم بذلك علباء بن الحارث الكاهلي ، فانضمت بنو أسد إلى بني كنانة ، فلما جاء الليل رحلوا ولم يعلموا بني كنانة ، ولم يعلم بذلك امرؤ القيس ، فانتهى إلى كنانة فوضع فيهم السلاح ، يحسبهم بني أسد . فلما علم جلية الأمر قال ذلك . وقوله « بني أبيهم » ، لأن أسداً وكنانة ابنا خزيمة وهما أخوان . وهذا الخبر ، ذكره بإسناده صاحب شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، والعمدة ١ : ٧٧ .

(٤) علباء بن الحارث الكاهلي ، كان ممن أعان على قتل أبيه . يقال : أفلت جريضاً : أي بعد شر كاد يقضي عليه من الجهد . والجرض : غصص الموت . والوطاب جمع وطب : سقاء من جلد يكون فيه اللبن . زدت هذا البيت ، لأن الخبر الآتي (رقم : ٦٣) شرح له . وأنا أرجح كل الترجيح أن هذا الخبر كان في نسخة أبي الفرج الأصبهاني ، التي كتب بها إليه أبو خليفة راوي الكتاب عن ابن سلام . ولم أجد له موضعاً خيراً من هذا الموضع .

٦٤ — وأخبرنى شُعَيْب بن صخر ، قال : سمعت عيسى بن عمر يُنشدُ عامر بن عبد الملك لزُهير أو النابغة ، فقال : ياأبا عبد الله ، هذا والله لا قَوْلُ الأعْشى :

لسْنا نُقاتِلُ بالعِصِىّ ولا نُرامى بالحِجارهْ[١]

٦٥ — / وأخبرنى أبان بن عُثمان البَجَلىّ قال : مَرَّ لبيدٌ بالكوفة فى بنى نَهْدٍ ،[٢] فأتْبَعوه رَسولاً سَؤُولاً يَسألُهُ : مَنْ أشْعر الناس ؟ قال : الملكُ الضِّلِّيلُ .[٣] فأعادوه إليه . قال : ثم مَنْ ؟ قال الغلامُ القتيل

وقال غير أبان : ابنُ العِشرين يعنى طرَفة قال : ثم مَنْ ؟ قال : الشّيخُ أبو عقيل يعنى نفسه[٤]

فهذان امرؤُ القيس وطَرَفة .

قال يونس : كل شىء فى القرآن : « فأتْبَعه » ، أى طالَبَه .

---

(١) ديوانه : ١١٥ ، وتليه فى «م» :

.. إلا عُلالةَ أو بُداهةَ قارحٍ نَهْدِ الجُزارهْ .

وأظنه أضيف خطأ ، فهو ليس مما تقدم ، ولأن الأول يقع فى عدة القصيدة ٥٥ ، وهذا ٩٠ : ولأن المعنى لا يقتضى إثباته . وهذا الخبر فى الشعر والشعراء : ١٠٨ .

(٢) كأنه يعنى : قبائل بنى نهد ، وهم من قضاعة .

(٣) هو امرؤ القيس . ويقال أيضاً « الملك الضليل » . والضليل الكثير الضلال المبالغ فيه يزعمونه لعب به أبواه . (انظر شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣) . والضليل : الذى لا يقلع عن أمر يزعمونه أصلاً لما كان من حرصه فى الثأر لأبيه وطلبه ملكه ، وإخفاقه بعد الجهد .

(٤) روى هذا الخبر بنصه فى شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٢ ، وانظر العمدة ١ : ٧٧ والمزهر للسيوطى ٢ : ٤٧٩ ، ثم الشعر والشعراء : ١٤٢ .

و « أَتْبعه » ، يَتْلوه .[١]

٦٦ــ فاحتجّ لامرئ القيس من يُقدّمه قال : ماقال مالم يقولوا ، ولكنه سبق العربَ إلى أشياء ابتدعها ، واستَحْسَنَتْها العربُ ، واتّبعتْه فيها الشعراء : استيقافُ صَحْبه ، والتّبْكاء في الدّيار ،[٢] ورقّة النّسيب ، وقُرْب المآخذ ،[٣] وشبّه النّساء بالظّباء والبَيْض ، وشبّه الخَيل بالعِقْبان والعِصيّ ، وقيَّدَ الأوابد ، وأجاد في التشبيه ،[٤] وفَصَل بين النّسيب وبَيْنَ المعنى .[٥]

ــ كان أحسن أهلِ طبقته تشبيها ، وأحسنَ الإسلاميين تشبيهاً ذو الرُّمّة .[٦]

---

(١) هذا الفرق غير واضح في كتب اللغة ، ولم يذكروا مقالة يونس . وانظر اللسان ومشارق الأنوار .

(٢) في « م » : « البكاء » . و « التبكاء » مصدر أيضاً لتكثير البكاء .

(٣) يريد أنه لطف الكلام ولينه حتى جعله قريب المتناول ، وأزال عسره .

(٤) في « م » : « المشبه » . وفي شرح نهج البلاغة : « في النسيب » .

(٥) يريد ما يتميز به شعر الملك الضليل من إخلاصه القول في النسيب ، لايخلطه بصفة ناقته أو فرسه أو صيده أو مآثره ، فإذا فرغ من النسيب الخالص ، أخذ في أى معنى من هذه المعانى . وهذا بين جداً في شعره .

هذا على أنى أرى أكثر هذه الفضائل ، وإن كانت بينة في شعر امرىء القيس ، لايتاح إثبات سبقه إليها ، لما ضاع من قديم شعر العرب ، ولأنها ليست من الخفاء بالموضع الذى يدل عليه هذا الوصف المفرط بابتداعه لها واتباع الشعراء له فيها . ولشعر الملك الضليل براعة أخرى هى أحق بأن تكون السبب في تفضيله وتقديمه على كثير من شعراء الناس ، لا العرب وحدهم .

(٦) هذا الخبر رواه شارح نهج البلاغة ٤ : ٢ ٥٠ ، ثم انظر الشعر والشعراء : ٥٧ ، والعمدة ١ : ٧٧ ، وشرح شواهد المغنى : ٨ . والعلى الفقرة الأخيرة مما سيأتى رقم : ٧٣٥ ، نقلا عن الأغانى .

النابغة الذبياني

٦٧ — وقال من احتجّ للنابغة : كان أحسنَهم ديباجةَ شِعْر ، وأكثرَهم رَوْنقَ كلامٍ ، وأجزلَهم بَيْتاً ، كأنّ شعره كلامٌ ليس فيه تكلُّف.[١] والمنطِقُ على المتكلِّم أوسعُ منه على الشاعر ، والشعر يحتاج إلي البناءِ والعَرُوض والقَوَافى ،[٢] والمتكلم مُطْلَقٌ يتخيّرُ الكلامَ . وإنما نبغ بالشعر بعد ما أسنَّ واحْتَنك ، وهَلَك قبل أن يُهتر.[٣]

٦٨ — ويروى أنّ عُمر بن الخطّاب قال : أيُّ شُعرائكم يقول :

فَلستَ بمستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه إلى شَعَث ، أيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ ؟[٤]

قالوا : النابغة . قال : هو أشعرُهم . وبنو سَعْد بن زيد مَناةَ تدّعى هذا البيتَ لرجلٍ من بنى مالك بن سعدٍ يُقال له : شِقّةُ ،[٥] أنشدَناه له

(١) الديباج والديباجة : ثوب حيد الملمس ناعمه موشى ، يتخذ من الحرير والإبريسم . رونق السيف والشباب وغيرها : ماؤه الذى يترقرق فى صفائه ولألائه.

(٢) يعنى بالبناء : بناء القصيدة فى جملته ، وترتيب الألفاظ على معانيها فى الشعر ، ورصفها فى عروضه وقوافيه .

(٣) احتنك الرجل : استحكم رأيه واستحصدت قوته ، وحنكته التجارب . وأهتر الرجل (بالبناء للمجهول) : صار إلى الهتر ، وهو سقط الكلام ، والخطأ فيه ، واللجاجة والهذيان به . وكذلك يكون إذا بلغ أرذل العمر . وهذا الجزء رواه صاحب شرح نهج البلاغة بنصه تقريباً ٤ : ٥٠١ ، والشعر والشعراء : ١٠٨ .

(٤) ديوانه ٥٧ . الرواية المشهورة « على شعث » ، أما رواية المخطوطة فلم أجدها ، وهى رواية غريبة ولكنها شريفة محكمة . و «إلى» تدخل المعنى « مع » كقولهم : هو حليم إلى أدب وفقه أى مع ، وقولهم : « أحمد الله إليك » أى معك . فمعناه مع ماترى فيه من زلل ، فتلمه وتصلحه وتجمع ما تشعث من أمره بالخلاف ، أو سوء العشرة ، أو قلة التفطن .

(٥) لم أجد له ذكراً ولا خبرا ولا شعراً غير هذا . واسم « شقة » موجود فى بنى تميم ، ومن سمى به «صمرة بن ضمرة النهشلى» فإن اسمه«شقة» ، انظر مختصر جمهرة النسب : ٥٣ ، وأصل الجمهرة ١٤٩ ، وهو مضبوط فيها بكسر الشين . وقد وجدت هذا الخبر بحمد الله ونعمته فى شرح ديوان -

خُلاَبسُ العُطارِدِىّ . وأخبرنى خلفٌ الأحمرُ أنّه سمع من أعرابِ بنى سعدٍ لهذا الرجُلِ .

٦٩ — وأخبرنى خلفٌ : أنه سمع أهلَ الباديةِ من بنى سَعدٍ يروُون بيتَ النابغة للزِّبْرِقان بن بدرٍ ، فمن رواه للنابغة قال :

تَعْدُو الذِّئابُ على من لاَ كِلابَ لَهُ ... وتَتَّقِي مَرْبِضَ الُمستَثْفِرِ الحامِى[1]

// وهى الكلمة التى أولها :

قالتْ بَنُو عامرٍ : خَالُوا بَنِي أَسَدٍ[1] ... [يَابُؤْسَ للجَهْلِ ضرَّارًا لأقْوامِ]

ومن رواه للزِّبْرِقَان بن بدرٍ قال :

إنَّ الذئابَ تَرَى مَنْ لا كلابَ لهُ ... وتحتمى مَرْبِض الُمستَثْفر الحامى

ويروى : « وتَتَّقى » ، وهذا البيتُ فى قوله :

=أبى تمام للتبريزى ٤ : ٣٥٣ ، على تصحيف فى الشعر ، قال التبريزى : «وقد كانت الشعراء فى القديم يأخذ أحدهم البيت المشهور من شعر غيره ، فيزيده فى شعر نفسه على المعنى الذى يسمى «التضمين» ، ومن ذلك أن بنى سعد بن زيد مناة ينشدون لرجل منهم يقال له « شقة » :

أرَأيْتَكَ إن رَابَتْك مِنِّيَ خَلَّةٌ ... فأَبعدُ منّى شِيمةً لكَ أَرْيَبُ

ولستَ بمُسْتَبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ ... على شَعَثٍ أىّ الرِّجالِ الُمهَذَّبُ

وهذا البيت مروي فى شعر النابغة » . هذا وبقية هذا الخبر من أول قوله : « وبنو سعد » ساقط من « م » وهو أحد الأدلة على اختصارها .

(١) ديوانه : ٢٢٢ . مربض الأسد : غيله حيث يربض . و «والمستثفر» . من قولهم : استثفر الكلب : إذا أدخل ذنبه بين رجليه حتى يلزقه ببطنه . وهى صفة للكلب الحامى ، المانع لحوزة الغنم . وانظر الحيوان ٢ : ٨٣ ، والأغانى ١ : ٧٩ ، ١٤٨ ، ففيهما فوائد . وفى «م» : « المستنفر » من قولهم : « استنفر الوحش وأنفرها ونفرها » ، إذا ذادها وطردها .

(٢) ديوانه : ٢٢٠ ، ٢٢٢ . خالوا : أمر من المخالاة ، خالاه يخاليه : تاركه وقطع مابينه وبينه.

« أبلغ سَرَاةَ بنى عوف مُغَلْغَلَةً » [١]

— وسألتُ يونس عن البيت فقال : هو للنابغة ، أظنُّ الزِّبْرِقانَ استزادَه فى شِعْرِه كالمَثَل حين جاء موضِعُه ، لا مُجْتَلِباً له . [٢]

٧٠ — وقد تَفْعَلُ ذلك العربُ ، لا يريدون بِهِ السَّرِقَة ، قال أبو الصَّلْت بن رَبيعة الثقفى :

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ مِنْ لبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادَا بعدُ أبوالَا [٣]

وقال النابغة الجَعْدِىُّ ، فى كلمة فَخر بها ، وَرَدَّ فيها على القُشَيْرِىّ : [٤]

فإنْ يَكُنْ حاجِبٌ مِمَّنْ فَخَرتَ بِهِ ... فلَمْ يَكُن حاجِبٌ عَمًّا ولا خالَا [٥]

---

(١) لم أجد تمام البيت . ومنها فى المؤتلف ١٢٨ ، وحماسه البحترى : ٣٢ ، أبيات والبيان والتبيين٣ : ١٧٩ . ومن أول قوله : «ومن رواه للزبرقان» إلى آخر هذا الموضع أخلت به . «م».

(٢) اجتلاب الشعر : سرقه وضمه إلى شعره ليقويه به ، ومنه قول جرير :

ألم تعلمْ مُسَرَّحِىَ القوافِى ... فلاَ عِيًّا بهِنَّ ولا اجتلابا

وقول الراجز :

يا أيها الزاعمُ أنى أجتَلِبْ ... وأنَّنى غَيْرَ عِضَاهِى أنْتَجِبْ

ونقل هذا والخبر الذى بعده إلى آخر رقم : ٧١ ، السيوطىُ فى المزهر ١ : ١٨٣ .

(٣) من قصيدته فى مدح أهل فارس حين جاءوا إلى اليمن وأخرجوا الحبشة ، وستأتى الأبيات (انظر الفهارس) . وأخلت «م» بهذا من أول قوله « قال أبو الصلت » القعب : قدح من خشب غليظ جاف . وشاب الشىء : خلطه .

(٤) انظر شعر النابغة : ٩٩ — ١١٢ والأغانى ٥ : ١٥ ، ١٦ . القشيرى : هو ابن حيا القشيرى ، واسمه سوار بن أوفى ، وكان هجا النابغة وسب أخواله فى أمر كان بين قشير وبنى جعدة . وهم يومئذ متجاورون بأصبهان . وقشير وجعدة أخوان ، هما ابنا كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن .

(٥) يعنى حاجب بن زرارة ، وهو من بنى تميم . وكيف يفخر به شاعر من بنى عامر بن صعصعة ؟

هَلاَّ فَخَرْتَ بِيَوْمَىْ رَحْرَحانَ ، وَقَدْ ظَنَّتْ هَوَازِنُ أنَّ العِزَّ قَدْ زَالاَ [١]

تِلْكَ المكارِمُ لَا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بماء فَعَادا بَعْدُ أَبْوَالاَ [٢]

ترويه عامرٌ للنابغة ، والرواةُ مُجْمعون أنّ أبا الصَّلت بن أبي ربيعة قاله.

٧١ — [٣] وقال غيرُ واحدٍ من الرُّجَّاز :

* عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرى * [٤]

إذا جاء موضعه جعلوه مثلاً ، وقال امرؤ القيس :

وُقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ يقولون : لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ [٥]

وقال طرفة :

وُقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مطيَّهُمْ يقولون : لا تهلك أَسًى وتجَلَّدِ [٦]

* * *

٧٢ — [٧] ويروى عن الشَّعْبِي ، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش ، [٨] أن عمر

---

(١) رحرحان : جبل بينه وبين الربذة بريدان . ويوما رحرحان لبني عامر بن صعصعة (هوازن) على بني تميم .

(٢) في هامش المخطوطة : « فصارا » ، مقابل « فعادا »

(٣) من رقم : ٧١ — ٧٤ . أخلت به « م » ، وانظر ماسيأتي رقم: ٣٥٩ .

(٤) مثل يضرب : للطالب يجد الراحة . بعد المشقة في السعي إلى مايطلبه . وهو في رجز كثير

(٥) معلقته . الأسى : الحزن البالغ . التجمل : ترك مايقبح بالمرء من الجزع .

(٦) معلقته أيضاً .

(٧) يعني أن هذه رواية أخرى عن عمر ، غير التي مضت في رقم : ٦٨ . ومابينهما استطراد.

(٨) ربعي بن حراش، سمع من عمر ، وروى عنه خطبته بالجابية . ومات سنة ١٠٠ ، و«حراش» يصحف في كتب «خراش» ، انظر شرح التصحيف : ٢٦ ، ١١٩ .

ابن الخطاب قال : أيُّ شعرائكم الذى يقول :

فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنْها كذلك كان نُوحٌ لا يَخونُ[1]

وهذا غلطٌ على الشّعبى ، أو مِن الشّعبي ، أو من ابن حِرَاش . أجمع أهلُ العلم أن النابغة لم يقُلْ هذا ، ولم يسمعْه عُمَر ، ولكنهم غلطوا بغيره من شِعْر النابغة ، فإنه قد ذُكِرَ لى أنّ عمرَ بنَ الخطّاب سأل عن بيت النابغة :

حَلَفْتُ فلم أتْرُكْ لِنَفْسكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَراء اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ[2]

وحَرِيٌّ أن يكون هذا البيتَ ، أو البيتَ الأوّلَ.[3]

٧٣ — وجدنا رواة العِلْمِ يغلطون فى الشعر ، ولا يضبط الشعرَ إلا أهله . وقد تروى العامّةُ أن الشعبيَّ كان ذا علم بالشعر وأيامِ العرب ، وقد روى عنه هذا البيت ، وهو فاسدٌ .

وروى عنه شىءٌ يُحمَلُ على لبيدٍ :

---

(١) ديوانه : ٢٦٥ ، وقبله فى خبر الأغانى عن عمر (١١ : ٤) رواية ربعى أيضاً :

أتيتُكَ عاريًا خَلَقًا ثيابى على خَوْفٍ تُظَنُّ بى الظنونُ

والأمانة تقع على أشياء كثيرة ، تعود كلها الى معنى الأمن من المخافة . وأراد بها هنا الثقة بقديم صداقته ومروءته .

(٢) ديوانه ٧٦ . الريبة : الشك . يقول : حلفت بالله ، فصدقنى ، فليس بعد اليمين بالله مهرب لأحد ، يعنى أبلغ يمين إلى الثقة بما أقول .

(٣) أى الذى مضى برقم : ٦٨ ثم انظر العقد الفريد ٥ : ٢٧ فقد جمع الشعرين فى خبر واحد .

باتَتْ تشَكّى إلىَّ النَّفْسُ مُجْهِشَةً وَقَدْ حَملْتُكِ سَبْعًا بعد سَبْعِينِ [(١)]
فإن تعيشى ثلاثًا تَبْلُغى أمَلاً ، وفى الثّلاثِ وفاءٌ للثمانينِ

ولا اختلاف فى أن هذا مصنوعٌ تُكَثَّر به الأحاديث ، [(٢)] ويُسْتَعانُ به على السَّهَر عند الملوكِ ، والملوكُ لا تَسْتَقصِى

٧٤ — وكان قَتادة بن دِعامَة السَّدُوسِىّ من رُواة الفِقْه ، [(٣)] عالماً بالعرب وبأنسابها ، ولم يأتنا عن أحدٍ من رُواة الفقه من علم العرب أصحُّ من شىء أتانا عن قَتادة .

٧٥ — [(٤)] أخبرنا عامر بن عبد الملك قال : كان الرجلان من بنى مَرْوَان يَختلفان فى الشعر ، فيُرْسِلان راكباً فيُنيخُ ببابه ، [يَعْنى قتادة بن دعامة] ، فيسأله عنه ثم يَشْخَص . [(٥)]

---

(١) انظر تخريجهما فى ديوان لبيد : ٤٠٢ ، وزد عليه: ابن سعد فى الطبقات ٦ : ١٧٨ ، أنشدهما الشعبى . وقافية البيتين فى سائر الكتب : سبعينا ، للثمانينا .

(٢) انظر ما كتبته على « مصنوع » فيما سلف ص : ٤ ، تعليق : ١

(٣) قتادة، روى عن كبار التابعين وكان من أحفظ الناس ، إذا سمع شيئاً لم يستقر حتى يحفظه . ولد سنة ٦١ أكمه ، ومات سنة ١١٧ . وكان من علماء الناس بالقرآن والفقه . وانظر شرح التصحيف : ٣ ، ٤ .

(٤) عامر بن عبد الملك بن مسمع الجحدرى . وهو شيخ بكر بن وائل (الأغانى ٨ : ٩) وكان جده مالك بن مسمع أنبه الناس . قال رجل : لعبد الملك بن مروان : لو غضب مالك لغضب معه مئة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السؤدد ! وكان عامر نسابة ، وأخوه مسمع بن عبد الملك ، ولقبه كردين ، علامة بالنسب إلى الشعر . وسيأتى ذكرهما بعد فى هذا الكتاب (المعارف : ٢١٤ ، الجمهرة : ٣٠١ ، الموشح : ١٠٩ ، ١١٨ ، والشعر والشعراء : ٤ ، وفى التعليق عليه خطأ) .

(٥) شخص يشخص شخوصاً : ذهب ، وسار من بلد إلى بلد .

٧٦ ــ أخبرني سَعيدُ بن عُبَيد ، عن أبي عَوَانة أنه قال :[١] شهدتُ عامِرَ بن عبد الملك يسألُ قَتادة عن أيام العرَب وأنسابها وأحاديثها ، فاستحسنتُه . فعدت إليه فجعلت أسألُه عن ذلك ، فقال : مالَكَ ولهذا ؟ دَعْ هذا العلم لعامِرٍ ، وعُدْ إلى شأنك .[٢]

٧٧ ــ [٣] ويُرْوَى عن بعض أصحابنا ، قال : رأيتُ راكباً قَدِمَ من الشَّأم ، فأناخَ على باب قَتادة ، فسأله : من قتل عَمْراً وعامراً التغلبيَّين يوم قِضَّة ؟[٤] قال جَحْدَر : فأعادوا إليه الرسولَ : كيف قتلهما جميعًا ؟ قال : اعتَوَراهُ ، فطعن هذا بالسِّنان وهذا بالزُّجِّ ، فعادَى بينهما .[٥] ثم رحل مَكانَهُ .[٦]

٧٨ ــ وكان أبو المعتمِرِ الشَّيبانيُّ كثيرَ الحديثِ عن العرب ، وعن

---

(١) سعيد بن عبيد بن حساب ، أخو محمد بن عبيد بن حساب ، يرويان عن أبي عوانة . وأبو عوانة : هو الوضاح بن عبد الله اليشكري ، يروى عن قتادة ، كان من أئمة الحفاظ . مات سنة ١٧٦ .

(٢) يعني إلى رواية الحديث والفقه .

(٣) رقم : ٧٧ ، ٧٨ ، أثبتت بهما « م » .

(٤) قضه : عقبة بعارض اليمامة ، ويوم قضة هو يوم التحالق (يوم تحلاق اللمم) ، في حرب بكر وتغلب (العقد ٥ : ٢٢٩ الأغاني ٥ : ٣٤ ــ ٦٤) . و « قضة » بكسر القاف وفتح الضاد » وابن دريد يقولها بتشديد الضاد ، وكذلك ضبطت في المخطوطة . وجحدر ، هو جحدر بن ضبيعة بن قيس ، جد عامر ومسمع اللذين مضى ذكرهما في ص : ٦١ ، التعليق رقم : ٤ .

(٥) اعتور الرجلان فلاناً وتعاوراه : تعاونا عليه ، فكلما أمسك واحد أقبل الآخر يضربه . السنان : نصل الرمح يطعن به . والزج : حديد تركب في أسفل الرمح من الجهة الأخرى ، عمدة العلو ، تركز به في الأرض ، ولكنها تصلح للطعن . وعادى الفارس بين صيدين أو رجلين : طعنهما طعنتين متواليتين ، فيصرع أحدهما على إثر الآخر في طلق واحد .

(٦) يقال : فعل الشيء من مكانه ، وفعله على المكان . أي من فوره بلا إبطاء ولا تريث .

معاويةَ وعمرِو بنِ العاص وزيادٍ وطبقتهم، وكان يقول: أخذتُه عن قتادة، [١] وكان أبو بكر الهُذَلىّ يروى هذا العلمَ عن قتادة. [٢]

* * *

٧٩ — أخبرنى عيسى بن يزيد [بن دأبٍ] بإسنادٍ له، عن ابن عبّاس قال، قال لى عمر: أنشدْنى لأشْعَرِ شُعرائكم. قلت: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. قلت: وكان كذلك! قال: كان لا يُعاظِلُ بين الكلامِ، ولا يَتْبَعُ وَحْشيّه، ولا يمدحُ الرجلَ إلاَّ بما فيه. [٣]

٨٠ — [٤] وأخبرنى عُمر بن موسى الُجمحى، عن أخيه قُدَامة ابن موسى، [٥] وكان من عُلماء أهل المدينة: أنه كان يقدّم زهيراً. قلنا: فأىُّ شعره كان أعجبَ إليه؟ قال: التى يقول فيها:

---

(١) أبو المعتمر هو يزيد بن طهمان الرقاشى. روى عن الحسن وابن سيرين. ورقاش هى أم مالك وزيد مناة ابناء شيبان بن ذهل، فالرقاشى والشيبانى واحد.

(٢) أبو بكر الهذلى، اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى، ويقال: روح. روى عن الحسن البصرى وغيره، وكان من علماء الناس بأيامهم. مات سنة ١٦٧.

(٣) المعاظلة: أن يعقد الكلام، ويوالى بعضه فوق بعض حتى يتداخل ويغمض. فى «م»: «ولا يتبع حوشيه»، وحوشى الكلام: وحشيه وغريبه. المزهر ٢ : ٤٨٢، والعمدة ١ : ٨٠.

(٤) رقم: ٨٠، أخلت به «م»، وهو فى الأغانى ١٠ : ٢٨٩، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٧.

(٥) قدامة بن موسى، من ثقات الرواة، كان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات سنة ١٥٣. روى عنه أخوه عمر بن موسى، وابنه إبراهيم بن قدامة.

قدْ جَعلَ المبتَغُون الخيرَ في هَرِمٍ والسائلونَ إلى أبوابِهِ طُرُقَا[١]
مَنْ يلقَ يومًا على عِلاَّتِهِ هَرِمًا يلقَ السَّماحةَ منْهُ والنَّدَى خُلُقَا[٢]

٨١ — وقال أهل النَّظَر : كان زُهير أحْصَفَهُمْ شعراً ،[٣] وأبعدَهم من سُخف ، وأجمعَهم لكثير من المعَنى في قليل من المنطِق ، وأشدَّهم مبالغةً في المدح ،[٤] وأكثرهم أمثالاً في شعره .[٥]

٨٢ — وأخبرني أبو قَيْس العَنْبري — ولم أرَ بَدَويًّا يزيدُ عليه[٦] عن عِكرمة بن جَرير ، قال : قُلتُ لأبي : ياأبَهْ ، مَنْ أشعرُ الناسِ ؟ قال : أعن أهلِ الجاهليّةِ تسألني أم أهلِ الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلاّ الإسلام ، فإذْ ذكرْتَ أهلَ الجاهلية فأخبرْني عن أهلها . قال : زُهَيرٌ

---

(١) ديوانه : ٤٩ ، ٥٣ ، وبين البيتين أبيات في رواية ثعلب وقوله « في هرم » ، أي عند هرم . يقول : إن طالبي المعروف وسائليه قد جاءوا من كل أوب ، فنهجوا إليه في كل وجهة طريقاً وطأوه بكثرة ترددهم عليه . يصف كثرة القصاد واختلاف قبائلهم ومنازلهم .

(٢) العلة : الحدث يشغل صاحبه عن حاجته . وقولهم « على علاته » معناها : على مانابه وشغله عن قضاء مايجب عليه ، ثم استعملت بمعنى « على كل حال » . وأراد زهير : إن تلقه على قلة مال أو عدم ، تجده بذالا سمحاً . فكيف به وهو غني موسر ؟ والندى : السخاء والكرم بلا جهد ولا منة .

(٣) أحصفهم : أحكمهم وأجزلهم . من الحصافة : جودة الرأي وإحكامه . واستحصف : استحكم واشتد . والحصيف : المحكم الرأي ، الجيد التدبير .

(٤) انتقد صاحب العمدة ١ : ٨٠ قوله « وأشدهم مبالغة في المدح » وزعمه يناقض قول عمر : « لا يمدح الرجل إلا بما فيه » . ولم يذهب ابن سلام إلى المبالغة الذميمة بل أراد الاجتهاد في تصحيح معنى المدح وتوفيته حقه .

(٥) هذه الجملة الأخيرة ، أخلت بها « م » وهي بتمامها في الأغاني ١٠ : ٣١٥ ، وفي شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٨ ، إلا أنه قال في أولها : « قال : وقال من احتج لزهير » ، وقال في آخرها ، كان الجملة الأخيرة : « وأبعدهم تكلفا وعجرفية ، وأكثرهم حكمة ومثلا سائراً في شعره » .

(٦) يعني يزيد عليه أو يعادله في حسن الحديث ، وفتنة الكلام ، وسعة الرواية

شاعرُها . قال: قلتُ : فالإسلام ؟ قال : الفَرَزْدقُ نَبْعةُ الشِّعر.[١] قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيدُ مدحَ الملوكِ،ويُصيبُ صِفةَ الخمر . قلت : فما تركْتَ لنفسِك ؟ قال : دَعْنى ، فإنى أنا نَحرْتُ الشعرَ نَحْرًا .[٢]

* * *

٨٣ — وقال أصحابُ الأعشى : هو أكثرُهم عَروضًا،[٣] وأذهبُهم فى فنون الشعر ، وأكثرُهم طويلةً جيدةً ، وأكثرُهم مدحًا وهِجاءً وفَخْرًا وَوَصْفًا ،[٤] كلُّ ذلك عنده .

٨٤ — وكان أوّلَ من سأل بشعره ، ولم يكن له مع ذلك بيتٌ نادرٌ على أفواهِ الناسِ كأبيات أصحابه .

٨٥ . وشَهِدْتُ خَلَفًا ، فقيل له : من أشعَرُ الناس ؟ فقال : ما نَنْتَهِى

---

(١) النبعة : وجمعها النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل تتخذ من أعواده القسى ، وعودها أصفر رزين ثقيل فى اليد ، وإذا تقادم احمر . وكل القسى إذا ضمت إلى قوس النبع كرمتها قوس النبع وفضلتها ، لأنها أجمع القسى للأرز واللين (الأرز : الشدة) ، ولا يكون عود القوس كريمًا حتى يكون شديدًا لينًا . عنى جرير أن فضل شعر الفرزدق على الشعر ، كقوس النبع فى فضلها على سائر القسى .

(٢) أصله من نحر البعير نحرًا : طعنه فى نحره . يريد كأنه قتل الشعر استمكانًا منه واقتدارًا عليه . وهذا الخبر رواه فى الأغانى ٨ : ٣٤ ، ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٧ ، والزهر ٢ : ٤٨٠ ، والعمدة ١ : ٧٩ . وانظر ماسيأتى رقم : ٣٩٥ ، ورقم : ٦٦٩ .

(٣) يعنى كثرة أوزانه واختلافها ، وكذلك تجد شعر الأعشى .

(٤) فى م : « ونظرًا وصفة » ، « نظرا » كأنه يريد استنباط المعانى واستخراجها بالنظر ، وهو التأمل والتفكر . وكذلك بعض شعر الأعشى . وانظر الزهر ٢ : ٤٨٣ ، وشرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣ .

إلى واحدٍ يُجتَمَعُ عليه ، كما لا يُجتمعُ على اشجع الناس وأخْطَبِ الناس وأجْمَلِ الناس. قلت : فأيُّهمْ أعجبُ إليك ياأبا مُحْرِز؟ قال: الأعشى . قال: أظنُّه قال : كان أجْمَعَهم .

٨٦ ـــ وكان أبو الخطَّاب الأخْفش مُستهتَرًا به يُقدِّمه .[1] وكان أبو عمرو [بن العَلاء] يقول : مثَلُه مَثلُ البازِى ، يَضرِبُ كبيرَ الطَّيْرِ وصغيرَه .[2] ويقولُ : نظيرُه في الإسلام جَرير ، ونظيرُ النابغة الأخطل، ونظيرُ زهيرِ الفرزدق .[3]

٨٧ -- [4] وروَى سُليْمان بن إسحق الرَّبَالى ، [5] / عن يونس ، أنه قال : الشِّعر كالسَّراء والشجاعة والجمال ، لا يُنتهَى منه إلى غاية [6]

٨٨ -- أخبرنى المسيَّب بن سعيد ، عن هشام بن القاسم ، مولى بنى

---

(١) استهتر بالشيء (بالبناء للمفعول) : أولع به .

(٢) البازى ضرب من الصقور يصاد به (مضى س: ٤٤ ، تعليق رقم ١:) . يقول إنه يصطاد الجيد والردىء لا يبالى .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٥٠٣

(٤) رقم : ٨٧، ٨٨، أخلت بهما «م» .

(٥) لم أعرف سليمان بن إسحق . و « الربالى » ، فى المخطوطة بالراء المهملةالمفتوحة، فإن كان بالزاى، فهو بضمها، و «الزبالى» : نسبة إلى زبالة أخى عمرو بن تميم ، أو إلى مكان يقال له «زبالة» قريب من الكوفة ، من منازل بنى غاضرة ،من بنى أسد .

(٦) السراء والسرو : الشرف والسخاء والمروءة ، ورجل سرى : سخى شريف ،والجمع سراة بفتح السين .

غُبَرَ [1] — وقد رأيته ، وكان من عِلْيَةِ أهلِ البَصْرة ، وكان يُصَلِّى على جنائز بنى غُبَرَ — قال : أوّلُ من سألَ بشعره الأعشى .

٭ ٭ ٭

٨٩ · [2] ولم يُقْوِ من هذه الطَّبقةِ ولا من أشباهِهم إلاَّ النابغةُ فى بيتين ، قولُه :

أَمِنْ آلِ مَيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُغْتَدِى   عَجْلانَ ، ذَا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ [3]
زَعَمَ البَوارِحُ أَنَّ رِحْلَتَنا غدًا   وبذاكَ خبَّرنا الغُدافُ الأسْوَدُ [4]

وقولُه :

---

(١) « بنو غبر » ، بطن ، وهم : « بنو غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر ابن وائل » .

(٢) اقتصرت «م» على السطر الأول من هذا الجزء وصدر البيت الأول، وأخلت بسائر الكلام إلى أول رقم : ٩٠ . والخبر بتمامه فى الموشح : ٣٨ ، ٣٩ ، ومن أول هذه الفقرة إلى آخر الفقرة رقم : ١٠٢ استطراد طويل عن الشعر وعيوبه .

(٣) ديوانه ٢٨ ، وهى القصيدة التى جود فيها صفة « المتجردة » امرأة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وقد دخل النابغة على النعمان ، ففاجأته المتجردة فسقط نصيفها عنها ، فغطت وجهها بمعصمها توارى وجهها ، ويقال : إن النعمان هو الذى سأله أن يصفها فى شعره ، فلما بلغ ما بلغ من صفتها شك النعمان ، فاتهمه بها وعاداه ، وكان من أمرها ما كان .

غدا يغدو ، واغتدى ، وغادى : بكر ، من الغدوة : وهى البكرة ، بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . وراح يروح ، من الرواح وهو من لدن زوال الشمس إلى الليل . ينعى على نفسه قلقه خشية الرحيل ، فلا يزال يذهب إلى آل مية ويجىء بكرة وعشيا ، وهو فى كل ذلك عجلان يختطف النظر إليهم ، فإما تزود من مية نظرة أو سلاماً ، وإما رجع بلا زاد منها .

(٤) البوارح جمع بارح : وهو من الظباء والطير والوحش ما يمر عن يمينك إلى يسارك ، وبعض العرب يتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف . أما السانح : فبعضهم يتيمن به ، فإنه يمر بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك ، فهو أمكن للرمى والصيد . هكذا زجرهم . والغداف : الغراب الضخم الوافر الجناحين ، أسود حالك .

سَقَطَ النَّصيفُ ولم تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فتناولَتْهُ واتَّقَتْنَا باليَدِ (١)
بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَانَهُ ... عَنَمٌ يَكادُ من اللطافةِ يُعْقَدُ (٢)

[العَنَم : نبت أحمر يُصْبَغُ به] ، فقدم المدينة ، فعِيبَ ذلك عليه ، فلم يأبَهْ لهما حتى أسمعوه إيَّاه فى غناء — وأهلُ القُرَى ألطفُ نَظَرًا من أهل البدْوِ، وكانوا يكتبون ، لِجِوَارِهِم أهلَ الكتاب — فقالوا للجارية : إذا صِرْتِ إلى القافية فرَتِّلى . (٣) فلما قالت : « الغدافُ الأسودُ » و« يعقدُ » و « باليدِ » ، علم وانتبه ، فلم يَعُدْ فيه . وقال : قدمتُ الحجاز وفى شعرى صَنْعَةٌ ، (٤) ورحلت عنها وأنا أشعر الناس .

٩٠ — قال يونس : عُيُوبُ الشعرِ أربعةٌ : الزِّحافُ ، والسِّنادُ ، والإقْواء ، والإيطاء ، والإكْفاء وهو الإقواء . (٥)

-- والزحاف أهونُها ، وهو أن ينقصَ الجزء عن سائرِ الأجْزَاء ، فيُنكِرُه السَّمعُ ويثقُلُ على اللِّسانِ . وهو فى ذلك جائز . والأجْزَاء

---

(١) النصيف : ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها .

(٢) بمخضب : يعنى كفيها ، قد خضبت بالحناء ، وذلك من زينة النساء ؛ وذكر الصفة وقد أراد العضو . وهو كثير فى كلامهم . ورخص : ناعم البشرة رقيقها لين المس .

(٣) الترتيل : إبانة التسلق والتمهيل فيه والترسل ، بلا بغى ولا إسراف .

(٤) فى المخطوطة ، وفى اللسان (قوى) : « وفى شعرى صنعة » ، وأنا فى شك منها . وأثبت ما فى الموشح .

(٥) هذه الكلمة الأخيرة مروية عن الخليل ، انظر اللسان (كفأ) .

مختلفة ، فمنها ما نُقصانه أخفى ، ومنها ما نُقصانه أشنع . قال الهُذَلِى :[1]

لَعَلّكِ إمّا أمُّ عَمْرٍو تَبدّلَتْ ... سِوَاكِ خَلِيلاً شاتِمِى تَستَخيرُها

فهذا مُزَاحَفٌ فى كافِ « سِوَاكِ » ، وهو خفىٌّ ، ومن أنشده :

// لعلّكِ إما أمُّ عمرٍو تبدّلَتْ ... خَلِيلاً سِوَاكِ شاتِمِى تَستَخيرُها

فهذا أفظع ، وهو جائز — والاستخارة : الاستِعطافُ . ويقال : تَبَغَّمَتِ الظَّبْيَةُ تَستَخِيرُ وَلَدَها ، أى تَستَدْعِيه .[2] ومنه قِيلَ : أَستَخيرُ اللهَ : أى أستعطفه .[3]

وهو نحو قول الفرزدق :[4]

فإنْ كانَ هٰذا الأَمْرُ فى جاهِلِيّةٍ ... علمتَ مَنِ المَوْلَى القَلِيلُ حَلائِبُهْ[5]

---

(١) هو خالد بن زهير الهذلى ، كان رسول أبى ذؤيب ، فى جاهليته ، إلى صاحبته أم عمرو فغلبه عليها ، وتقارضا الشعر من أجل ذلك . والبيت فى شرح أشعار الهذليين : ٢١٢ .

(٢) بغام الظبية : أرخم صوتها حين تصيح بولدها تناديه . بغمت تبغم بغاماً ، وتبغمت : ناغته بصوتها .

(٣) من أول قوله : « ومنه قيل » إلى آخر الفقرة . أخلت به «م» .

(٤) الضمير عائد إلى الزحاف . وخبر الأبيات أن الحتات بن يزيد المجاشعى (من رهط الفرزدق) قدم على معاوية ، فأجازه ، ولكنه طعن فى جهازه فمات قبل أن يرحل ، فحبس معاوية جائزته ، فقال الفرزدق يعنف معاوية على ما فعل . ديوان الفرزدق: ٥٦ ، والنقائض : ٦٠٨ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ١٣٥ ، مع اختلاف الرواية .

(٥) المولى : ابن العم يرث الميراث . وحلائب الرجل : أنصاره من بنى عمه خاصة ، لأنهم يحلبون إليه من كل وجه ، أى يتألبون لينصروه .

ولو كانَ هٰذا غيْرَ دِينِ مُحَمّدٍ   لأدّيْتَهُ ، أو غصَّ بالماء شاربُهْ [١]

مُزَاحَفٌ خفيٌّ ، ومن قال : « لأدّيْتَ أوْ لَغصّ بالماء شَارِبُهْ » فهو أفظع . وهو أكثر من أن يُعَدّ .

٩١ — وكان الخليلُ بن أحمد يَستَحْسِنُه في الشعرِ إذا قلّ ، في البيتِ والبيْتين ، فإذا توالَى وكثُر في القصيدة سَمُج .

— فإن قيل : كيف يُستَحسَنُ منه شيء وقدْ قيل هو عَيْبٌ ؟ قال : يكون هذا مثل القَبَل والحَوَل واللَّثَغ في الجارية ، [٢] قدْ يُشْتَهى القَليلُ مِنْه الخفيف ، وهو إن كَثُر عند رجلٍ في جَوارٍ ، أو اشتدّ في جاريةٍ ، هَجُنَ وسَمُج . [٣] والوَضَحُ في الخَيْل يُستَطْرَفُ ويُشْتَهى خفيفُهُ ، مِثلُ الغُرّة والتحجيل ، فإذا كثُر وفَشا كانت هُجْنةً وَوهْنًا . وخفيفُ البَلَقِ يُحْتَمل في الخَيْل ، ولم أرَ أبْلقَ قطُّ ، ولم أسْمَعْ بِهِ سابقًا . [٤]

---

(١) لأديته : يعنى ميراث الختات . غص بالماء : شرق به فوقف فى حلقه لايكاد يسيغه ، ضربه مثلا للشدة .

(٢) القبل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، كأنه يريد أن ينظر إلى طرف أنفه . رجل أقبل وامرأة قبلاء .

(٣) هجن هجنة : صار عيباً شديد القبح . ومن أول قوله : « رجل فى جوار . . » خرم فى « م » ، بين ص ١٩ ، وص : ٢٠ ، ويمتد هذا الخرم إلى الخبر رقم : ١١٧ .

(٤) من أول الخبر : ٩٠ ، إلى نهاية ٩١ ، نقله قدامة فى نقد الشعر : ١٠٧ ، ١٠٨ . إلا قول الفرزدق والتعليق عليه . والوضح : شية بياض . والغرة قدر من البياض فى جبهة الفرس ، وهو ضروب كثيرة منها المحمود والمذموم . والتحجيل بياض فى قوائم الخيل كلها أو ثلاث منها ، يبلغ

٩٢ - [١] والإقواء هو الإكفاء، مهموز. وهو أن يختلفَ إعرابُ القوافي، فتكونُ قافيةٌ مرفوعةً، وأُخرى مخفوضةً أو منصوبةً، وهو في شِعْر الأعْراب كثير، ودُونَ الفُحُول من الشعراء[٢] ولا يجوز لمولَّد، لأنهم قد عرَفُوا عيْبَه، والبدويُّ لا يأبَهُ لَهُ فهو أعذرُ.[٣]

٩٣ - [٤] فقلت ليونس: أكان عُبَيْدُ الله بن الحُرِّ يُقْوِي[٥]؟ قال: الإقواءُ خيرٌ منه — يعني من فوقه من الشعراء يُقْوِي — غيرَ أنّ الفحولَ قد استجَازُوا في موضعٍ نحو قول جرير:

عَرِينٌ من عُرَيْنَةَ لَيس مِنَّا ... بَرِئْتُ إلَى عُرَيْنةَ من عَرِينِ[٦]

عَرَفْنَا جَعْفراً وبَنِي عُبَيْدٍ ... وأنْكَرْنا زَعَانِفَ آخَرِينِ[٧]

ثلث الوظيف أو ثلثيه ولا يبلغ الركبتين، وهو أيضاً ضروب. والوهن: الضعف، يعني أنه عندئذ دال على الضعف والآفة. والبلق: ارتداع التحجيل إلى الفخذين. والجملة الأخيرة: «ولم أر أبلق..» نقلها الجاحظ في الحيوان ١: ١٠٤، ٣: ٢٥٢، ٥: ١٦٦. وفي البرصان والعرجان: ٢٤.

(١) هذه الفقرة والتي تليها إلى قوله في رقم: ٩٤ «إذ كان عنده عيباً»، رواها المرزباني في الموشح: ٢٢، مع حذف في بعض مواضع قليلة.

(٢) في الموشح: «وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر».

(٣) لا يأبه له: لا يفطن فيبالي به.

(٤) هذا تابع للفقرة: ٩٠.

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفي، شاعر مجيد وكان من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاة واجتهاداً، وغضب لقتل الحسين رضي الله عنه فخرج، وتطرف بناحية الجبل، وضم إليه جماعة يغير بهم، وقال لا يعطي الأمراء طاعة. وكان خروجه سنة ٦١ وقتل سنة ٦٨، وله في خروجه شعر كثير جيد.

(٦) ديوانه: ٥٧٧، والنقائض: ٣١ جرير من بني كليب بن يربوع، وعرين بن ثعلبة بن يربوع، فهم بنو عمومته ولكنه تبرأ منهم ونسبهم إلى عرينة بن نذير بن قسر بن عبقر من أنمار اليمنيين.

(٧) جعفر وعبيد ابنا ثعلبة بن يربوع، أخوا عرين. والزعانف جمع زعنفة: وهي أهداب الثوب المتعلقة. وزعانف السمك: أجنحته. أراد بها رذال الناس وحثالتهم وأتباعهم.

وقال سُحَيم بن وَثِيلٍ :

عَذَرْتُ البُزْلَ إنْ هِيَ خاطَرَتْني ... فَما بالِي وَبالُ ابْنِ اللَّبُونِ [1]

وَماذَا يَدَّرِي الشُّعَراءُ مِنِّي ... وَقَدْ جاوَزْتُ رَأْسَ الأَرْبَعِينِ [2]

فموضعُ هذه الأبيات ، التي له ولجرير ، النصبُ ، ولكنّه كأنّه سكتَ عند القافية .

٩٤ — ومنه الإيطاء ، وهو أن تتّفق القافيتان في قصيدة واحدة ، فإن كان أكثرَ من قافيتين فهو أسمجُ له ، وقد يكون . ولا يجوز لمولَّد ، إذ كان عنده عيبًا . فإذا اتّفق اللفظُ واختلف المَعْنى ، فهو جائزٌ ، نحو قولك : « محمدٌ » تريدُ الاسم ، و« جوادٌ محمَّدٌ » ، تريدُ الفِعْل . وتقول : « خِيارٌ » ، تريد : خيارٌ من الله ، وتقول : « خيارٌ » ، أى خِيارٌ من قوم ،

---

(١) الأصمعيات : ٧٣ ، وسيأتى بعد ، برقم : ٢٧٥ ، وخبر الأبيات أن الأبيرد الرياحى وابن عمه الأحوص أرسلا إلى سحيم رجلا بأبيات يتعرضان له بها ، فلما سمعها أخذ عصاه وجعل ينحدر فى الوادى يقبل ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال له : اذهب وقل لهما :

أنا ابنُ جلاَ وطلّاعُ الثنايا ... متى أضَعِ العمامةَ تعرفونى

الأبيات ، فجاءاه فاعتذرا له . البزل جمع بازل : وهو الذى بزل نابه (انشق) استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وذلك زمن استحكام قوته . وخاطره : ساماه وصاوله ، أصله من خطران الفحل بذنبه ، يرفعه مرة بعد مرة ، من نشاطه وصولته . واللبون : الناقة ذات اللبن . وابن لبون : ولد الناقة استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ، فصارت أمه لبونا ، لأنها تكون قد حملت حملا آخر ووضعته . وابن لبون ، كناية عن الضعف . ويروى : « ابنى لبون » ، وهى موافقة لما فى خبر الأبيات . يقول : أعذر الأقوياء إذا صاولونى طلبا للغلبة ، ولكن ما عذر هؤلاء الضعاف ولا قبل لهم بصولتى .

(٢) ادرى الصيد : ختله ، وأراد : ماذا يعتمدون ويقصدون بالمشاغبة ؟

فيجوز . ونحو هذا كثير ، وأهل البادية لا يُنكرونه . وأنشد سَلَمة ابن عيَّاشٍ أبا حَيَّةَ النُّمَيريّ ، كلمةً طويلةً جدًّا يقول فيها : [١]

طَرِبتَ ، وما هذا بحينِ تطرُّبِ ! وَرَأسُكَ مُبْيَضُّ المِذارَيْنِ أشْيَبُ [٢]

قال له النُّمَيريّ : أرَى فيها عيبًا . قال : ما هو ؟ قال : لم أرَكَ أعدتَ قافية بعدَ قافية . عدَّه عيبًا . أظنُّه عابه إذ رأى أنّه هرَبَ منه .

٩٥ — والمُوَاطَأةُ في الأمرِ ، يقال منه : وَاطَأْته على كذا وكذا ، [٣] ومنه : ﴿ لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [سورة التوبة : ٣٧] ، أي ليوافقوا . [٤]

. . كانت العرب تُحَرِّم أربعةَ أشهرٍ من السَّنَة ، كما كان بأيديهم من إرْثِ إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكانت تَوَالَى عليهم ثلاثةُ أشهر : ذُو القَعْدة ، وذو الحِجَّة ، والمُحَرَّم ، فيطُولُ عليهم أنْ لا يغزُوا ولا يُحاربوا ، وكان لهم نَسَأَةٌ من بَنِي كنانة ، [٥] تُؤَخِّر المحرّم عامًا وتَرُدُّه

---

(١) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمي الدولتين ، كان يتدين ويتصوّن ، وكان يعابث سماءة أبي حية النميري الشاعر ، فقال له يومًا يهزأ به : ويحك يا أبا حية ، أتدري مايقول الناس ؟ قال : لا ! قال : يزعمون أني أشعر منك . قال : إنا لله ! هلك والله الناس !

(٢) هكذا في الأصل ، وعليها علامة الشك (صـ) ، وكأنه أراد أن يقول : « بحين فتطرب » ولكنه لم يكتب شيئًا . يقول : ماهذا بحين للطرب فتطرب . والطرب هنا : خفة المشتاق وصبوته لمن يحب . والمذاران من الإنسان : جانبا اللحية ، وهما العارضان .

(٣) كتب في المخطوطة : « كذى وكذى » ، وقد سلف مثله ص : ٥٣ ، تعليق رقم : ٢

(٤) اختصر قدامة هذين الخبرين في أسطر ، نقد الشعر : ١١٠ .

(٥) النسأة جمع ناسىء : لأنه كان ينسأ لهم الشهور ، أي يؤخرها ، فيحل الحرام ويحرم الحل . وبنو كنانة : هم بنو مالك بن كنانة بن خزيمة ، أخو النضر بن كنانة وهو قريش ، فأولئك هم النسأة دون سائر بني كنانة .

عامًا ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ إنّما النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فى الكُفْرِ [سورة : التوبة : ٣٧ ، وهى فى الذين يُريدون // أن يجعَلُوا أربعة حُرُمًا . . .

. . . . . المحرّم ، عامَ حجَّة الوَداع من النبي صلى الله عليه ، الشهر الذي حرّمه الله بعَيْنِه ،[1] فقال : « إنَّ الزَّمَانَ قد استَدَار كهيْئَتِه يَوْم خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ والأرْض » .

— وكان الذي يُسمِعُ الناس عنه صلى الله عليه ، رَبِيعَةُ بن أميّة ابن خَلف الجُمَحىّ ، وكان فى صوته رُفَاعٌ .[2] فأصاب بعد ذلك فى عهد عمرَ بن الخطّاب حدًّا بالشّأم ، فضُرِب فأدركَتْه الحَمِيَّةُ ، فلحق بالرُّوم ، فهلك فيهم ، فكَرِه الناسُ بعد ذلك أن يُقيموا حدًّا بأرْض العدوّ .

— وكانت العربُ تُسَمّى رَجَبًا : الأصَمّ ، ويُسمُّونه مُنْصِلَ الأسِنَّة ، وكانوا يُنْصِلُون أسِنّتهم فيه لِوَضْعِ الحرب ،[3] قال دُرَيد بن الصِّمَّة :

تَدَارَكَهُ فى مُنْصِلِ الألّ بَعْدَمَا ... مَضَى غيرَ دَأْدَاءٍ ،وَقَدْ كادَ يَعْطَبُ[4]

---

(١) النقط مرسم ببعض سطر أكلته الأرضة ، ومعناه مفهوم من سياقه حديثه ، أراد : أن الآية نزلت فى الذين يريدون أن يجعلوا أربعة حرماً على ما يؤخر لهم النسأة ، فلما وافق المحرم عام حجة الوداع . . . وسميت حجة الوداع ، لأن المسلمين تودعوا من نبيهم صلى الله عليه وسلم فى هذه الحجة ، وكانت آخر حجه ودع فيها البيت الحرام ، حتى قبض صلى الله عليه وسلم .

(٢) رفاعة الصوت ورفاعته (بالفتح والضم) جهارته ، ورجل رفيع الصوت . ولم أجد « الرفاع » فى المعاجم ، ولكن فعال وفعالة يتعاقبان كثيراً فى المصادر فيما نتبعته منها .

(٣) سمى رجب الأصم : لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ، ولا قعقعة سلاح ، لحرمته ونصلهم أسنتهم . وأنصل النصل : نزعه من الرمح والسهم .

(٤) البيت ثابت وديوان الأعشى : ١٣٨ ، وفى الأصل «يداركه» ، وهو خطأ فى سياق الشعر والأل : جمع ألة : وهى الحربة . يقول : تداركه وأنقذه آخر يوم من رجب ، ولولا ذلك لقتل

والدَّأْداةُ : الليلةُ التي تكون في آخر الشهر يُشَكُّ فيها .

٩٦ — [1] والسِّنَاد : وهو أن تَخْتلِف القوافي نحو : « نَقِيبٌ ، وعَيْبٌ ؛ وقَرِيب ، وشَيْب » ، منه قول الفضل بن العباس اللَّهَبيّ : [2]

عَبْدُ شَمْس أَبِي، فإنْ كُنْتِ غَضْبَى فامْلَئِي وَجْهَكِ الجميلَ خُمُوشَا [3]

وقال :

« وبنا سُمِّيَتْ قريشٌ قُرَيْشَا » [4]

وقال :

« . . . . . وَلاَ تَمَلَّيْتُ عَيْشَا » [5]

وقال عديُّ بن زَيْد :

= فإنه إذا انسلخ حل لهم القتل والقتال. وفي المخطوطة : «دأداء» و « الدأداة» بالتاء ، والذى في كتب اللغة ، وفي الديوان وغيره : « دأدْء » بالهمز في آخره: وفيها أيضاً « دأداءة» بالمد . وأثبت ما في الأصل لأنى أراه جائزاً .

(١) من أول رقم : ٩٦ ، إلى آخر : ٩٨ ، رواها المرزباني في الموشح : ٢٢ ، ٢٣ ، واختصره قدامه في نقد الشعر : ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم ، نسب إلى جده أبي لهب .

(٣) قوله : «عبد شمس أبي» وهو هاشمى صليبة، لأن أم عتبة بن أبي لهب، هي أم جميل بنت حرب ابن أمية بن عبد شمس (أخت أبي سفيان) . ورواه ابن كيسان في تلقيب القوافي : ٥٦ « هاشم معشرى »، وهو واضح .

(٤) صدره في نقد الشعر : ١١١ : « نحن كنا سكانها من قريش » وفي تلقيب القوافي : « نحن سكانها وفيها رباها »، وانظر مثل هذا الشعر في أخبار مكة للأزرقى ١ : ٦١ ، منسوبا إلى تبع ، وفي المزهر ١ : ٣٤٤ منسوباً إلى المشمرج بن عمرو الحميرى .

(٥) صدره في تلقيب القوافي : « واسألى لاحييت عنا وعنكم ، بصلاح ، ولا . . . . »

فَنَاجَاهَا ، وقدْ جَمَعَتْ فُيُوجاً عَلَى أَبْوَابِ حِصْنٍ مُصْلَتِينَا[1]

فَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيْهِ وأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً ومَيْنَا[2]

قال المفضَّل : « كَذِباً مُبِينَا » ، فرٌّ من السِّنَادِ ، والرِّوايةُ هي الأُولى على قوله : « ومَيْنَا » .

٩٧ — وقال الفَضْلُ بنُ عبد الرحمن بن عبّاس ،[3] في مَرْثِيَةِ زيد ابن علي ابن الحسين رضي الله عنهم :

---

(١) قصيدة عدي في مجموع شعره : ١٨١ ، وتخريجها هناك ، ويزاد عليه : في المنتهى ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ستة وعشرون بيتاً ، والأوائل لأبي هلال العسكري : ٦٣ — ٦٥ واحد وعشرون بيتاً . ذكر عدي في قصيدته خبر الزباء وغدرها بجذيمة الأبرش الملك . في كل الكتب « فناجاها » والذي في مخطوطة الطبقات أجود ، وأراد بقوله « فناجاها » ، الحديث الذي جرى بين جذيمة والزباء . و « الفيوج » هنا ، الحراس ، يدخلون السجن ويخرجون ، ويحرسون . وهو مثل هذا المعنى في قول عدي نفسه :

ذلكَ خَيْرٌ من فُيُوجٍ على البابِ وقَيْدَيْنِ وغُلٍّ قَرُوصْ

بعد مجيء جذيمة ، وقد أدخل إليها في حصنها مخدوعاً بما عرضته عليه من زواجها ، ورأى الحراس من حولها بأيديهم السيوف المصلتة .

(٢) الأديم : الجلد المدبوغ ، الراهشان : عرقان في باطن الذراعين ، وهو العرق النابض كما يعرف ، والجمع رواهش . والمين : الكذب يخالطه ختل وخديعة . وفي قصتهما أنه قيل للزباء : احتفظي بدمه ، لا تصيب الأرض منه قطرة ، وإلا فاجأك الطلب بثأره . فمن أجل ذلك قدمت له نطعاً وقطعت رواهشه عليه . ويروى : « وقددت » ، أي شققت الأديم على قدر ، حتى لا يسيل شيء من دمه .

(٣) بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، (معجم الشعراء : ٣١٠) كان شيخ بني هاشم في وقته ، وسيداً من ساداتهم ، وشاعرهم وعالمهم ، وهو أول من لبس السواد على زيد ابن علي ، وشعره جيد ، احتج به سيبويه في كتابه ١ : ١٤١ وهو قوله :

إيّاكَ إيّاكَ المِراءَ ، فإنّه إلى الشرِّ دَعّاءٌ وللشرِّ جالبُ

« . . . . . ليس ذا حين الجُمُودِ »[١]

ثم قال :

« . . . . فوق العَمُودِ »

ثم قال :

« وكيفَ تَجودُ دمْعك بعد زَيْدِ »

٩٨ — ومنه قول العرب : خرج [القومُ] برأسينِ مُتَساندَيْنِ ، أى هذا على حِيالِه وهذا على حِيَاله[٢] وهو [من] قولهم : « كانت قُرَيْش يوم الفِجَار مُتَسانِدين » ، أى لا يقودُهم رجلٌ واحدٌ .[٣]

٩٩ — وقال العجّاج ، فأفرطَ وجاوز السِّنادَ ، مع حِذْقه :[٤]

ثُمَّ رأى أَهْلَ الدَّسيعِ الأَعْظَمِ   خِنْدفَ ، والجَدِّ الخِضَمِّ المُخْضَمِ[٥]

---

(١) القصيدة كلها ـ أو أكثرها فى مقاتل الطالبيين : ١٤٩ ، وإن كان أبو الفرج قد حذف منها موضع الشاهد على السناد .

(٢) الرأس : الرئيس . على حياله : وحده يكفى ما يقابله .

(٣) أيام الفجار خمسة أيام فى أربع سنين ، بين بنى كنانة وهوازن ، وشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع عشرة سنة ، وكان ينبل على أعمامه ، أى يناولهم النبل . وانظر ابن هشام ١ : ٢٩٧ . ورقم : ٩٨ ، مذكور فى سر الفصاحة : ١٧٧ ، بنصه ، وانظر التعليق على رقم : ١٧٧ .

(٤) ديوانه : ٦٠ وشرحه (٢٩٩) ، وردنا ما بين القوسين منه لتمام المعنى .

(٥) فى المخطوطة : «خندفة الجد» وهو غريب ، وأثبت ما فى الديوان . الدسيع والدسيعة : العطية الواسعة . خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة ، امرأة اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . سمى أولادها جميعاً باسمها ، فهم خندف ، وهم جذم العرب الأكبر . والجد : الغنى . والخضم : الكثير الخير ، شبه بالبحر . والمخضم : الواسع الموسع .

وعِلْيَةَ النّاسِ وأهْلَ الحُكْمِ ... ومُستَقَرّ المصْحَفِ المرقّمِ [١]

١٣ عِنْدَ كَريمٍ مِنْهُمُ مُكرَّمِ ... مُعَلَّمٍ آيَ الهُدَى مُعَلَّمِ

مُبارَكٍ لِلأنْبِيــــاءِ خاتِمِ ... وخِنْدِفٌ هامَةُ هذا العَالَمِ

فساند في بيتين سِناداً فاحشًا أخذه الناسُ عليه .

١٠٠ - [٢] وأخبرني سلمة بن عيّاش ، قال قلت لرُؤْبة : أبوك أشعرُ منك . قال : أنا أشعرُ منه ، هو يقول :

« وخِنْدِفٌ هامَةُ هذا العالمِ »

١٠١ - [٣] وقال العجّاج : [٤]

« يا ليتَ أيامَ الصِّبا رواجِعا »

وهي لغةٌ لهم ، سمعتُ أبا عَوْنٍ الحِرْمازِيّ يقول : « ليتَ أباكَ

---

(١) « وعلية » هكذا قرأتها في المخطوطة ، وفي الموشح : ٢١٧ « وغاية الناس » . ورواية الديوان : « وذروة » ، و « علية الناس » ، أشرافهم وعِلْيتهم ، والحُكم جمع حاكم ، وجمعه حكام أيضاً مثل جاهل وجهل وجهال . أراد الحكام العرب المشهورين . المصحف : الجامع للصحف بين دفتين . والمرقم ، من رقم الكتاب ورقمه : أعجمه وبينه . يعني كتاب الله عز وجل ، نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأبيات بعده من صفته صلى الله عليه .

(٢) رواه المرزباني في الموشح : ٢١٧ ، ثم أعقبه بقوله : « قال ابن سلام ... وقبل هذا البيت : « وغاية الناس وأهل الحكم » . فأفرط وجاوز السناد مع حذقه ... » ، فقدم وأخر .

(٣) رواه المرزباني في الموشح : ٢١٧ ، والسيوطي في شرح شواهد المغني : ٢٣٦ .

(٤) سيبويه ١ : ٢٨٤ . الخزانة ٤ : ٢٩٠ ، وزعم أنه من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها .

منطلقاً ، وليتَ زيداً قاعداً » . وأخبرنى أبو يَعْلَى : أن مَنْشأه بلادُ العجّاج ، فأخذها عنهم.[1]

١٠٢ — [2] وقد تغلَط مَقَاحِيمُ الشعراء وثُنْيَانُهُمْ — والمُقْحَم : الذى يَقْتحم سِنًّا إلى أخرى ، ليس بالبَازِل ولا المُستَحكِم . والثُّنْيانُ : العاجِزُ الواهِنُ[3] ، قال أَوْس بن حَجَر :

وقد رَامَ بَحْرِى قَبْل ذَلك طامياً   مِنَ الشُّعَراءِ كُلُّ عَوْدٍ وَمُقْحَمِ[4]

وقال أوس بن مَغْراء :

ثُنْيانُنا ، إنْ أَتاهُمْ ، كان بَدْأَهُمُ   وبَدْؤُهم ، إن أتانا ، كان ثُنْيانَا[5]

فيغلَطُون فى السِّين والصّاد ، والميم والنُّون ، والدّال والطّاء ، وأحرفٍ

---

(١) الضمير فى « منشأه » يرتد إلى أبى عون الحرمازى . وفى الموشح وشرح شواهد المغنى: « وأخبرنى ، أو بلغنى » مكان « أبو يعلى »

(٢) رواه فى الموشح : ٢٣ ، وحذف الشاهدين ، والعمدة ١ : ٩٨

(٣) يعنى من الإبل ، فيلقى سنين من أسنانه فى عام واحد ، ولا يكون ذلك إلا للسيء الغذاء ، أو ابن الهرمين . فكل شيء نسب إلى الضعف الشديد فهو مقحم . أما الثنيان ، فقد استخدمه كما ترى للمفرد والجمع ، وهو عندى بمنزلة «قنعان» يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . وعندى أنه فى الأصل جمع ثنى : وهو من الإبل الذى يلقى ثنيته إذا استكمل الخامسة وطعن فى السادسة ، فهو ضعيف بعد ، ولكنه فى طريقه إلى أن يكون بازلا . ثم استعملوا الثنيان (جمع ثنى) فى معنى المفرد ، وهو من الرجال ما دون السيد فى المرتبة . فمن أجل ذلك لم يجمعوه ولم يؤنثوه ، وتركوه على حاله نظراً إلى أصله الذى نقل عنه .

(٤) ديوانه ، قصيدة رقم : ٤٣ . العود : الجمل المسن المدرب ، جاوز العاشرة من عمره ، أشد من البازل . يريد ، كل ضعيف وقوى من الشعراء .

(٥) البدء : السيد الأول فى السيادة ، والمستجاد الرأى المستشار . والثنيان : الذى يليه . وقد مضى تفسيره .

يتقارب مخرجُها من اللسان ، [تَشْتَبه عليهم] .[1] أنشدني أبو المطّاف:[2]

أرمِي بها مَطالعَ النُّجُومِ ... رَمْيَ سُلَيْمان بِذِى غُضُونِ[3]

وقال زُغَيْب بن نُسَيْر العَنْبرىّ :[4]

نظَرْتُ بأعْلى الصُّوقِ والبَابُ دونَه ... إلى نَعَمٍ تَرْعَى قوافي مسردِ[5]

الصُّوق : السُّوقُ . ثم قال : « كُحَيْلٍ مُخْلَطِ » ،[6] فقلت له : [قل] « مُنْعَقَدِ » فيصحُّ لك المعنى وتستقيمُ القوافى . قال : أجل ! فاستمددته فعاد إلى قوله الأوّل . وقال أبو الدَّهْماء العَنْبرى :

فَلاَ عَيْبَ فيها غيرَ أنّ جَنِينَها ... جَهِيضٌ، وفى العَيْنَيْنِ منها التَّخاوُصُ[7]

---

(١) ذكر هذا مضموماً إلى السناد ، لأنه منه . قال الأخفش — بعد أن ذكر ما السناد وحده : — «أما ما سمعت من العرب فى السناد ، فإنهم يجعلونه كل فساد فى آخر الشعر ، وهو عندهم عيب . قال : ولا أعلم إلاّ أنّى قد سمعت بعضهم يجعل الإقواء سناداً » ، كتاب القوافى : ٥٥ . فمن أجل ذلك ضمه ابن سلام إلى السناد . وذكر ابن رشيق ١ : ١٤٤ الإصراف ، وقال : « وهو أن تكون القافية دالا والأخرى طاء »، وبعضهم يجعل الإصراف والإكفاء والإقواء كلها واحداً.

(٢) انظر ماسيأتى من رقم : ٤٧٠ ، إلى رقم : ٤٧٢ .

(٣) لم أعرف البيت ولم أفهمه ، وإن كان موجوداً في الموشح : ٢٣ .

(٤) فى الموشح : ٢٣ « رغيب بن قيس العنبرى » ، ولم أجده ، ولا أعرف صحة اسمه .

(٥) لم أعرف البيت ولا كيف أضبطه، ولم أفهم معناه فتركته كما هو . وهو فى الموشح: ٢٣.

(٦) فى الموشح : ٢٣ : « عجيل مخالط » وهو خطأ . وإنما هو كحيل بالتصغير : وهو القطران تطلى به الإبل الجربى . والمعقد : من قولهم عقد القطران والعسل وأعقده : طبخه حتى يخثر ويغلظ .

(٧) الجهيض : الولد يلقى من بطن أمه لغير تمام قبل أن يستبين خلقه . والتخاوص : أن يغمض بصره عند نظره إلى عين الشمس ، يريد ضيق العينين وغؤورهما من الضعف ، يصف ناقته .

ثم قال : « بالثياب الطيالسُ » ، ثم قال : « والماءُ جامسُ » . وكان يقول : « الصَّوِيق ،[١] وبرٌّ مكيول ، وثوبٌ مَخيوط » . // وقال أبو الدَّهماء يهجو شُوَيْمِرًا من عُكْل وكان أبو الدهماء أفْصَحَ الناس — فقال يذكر جُرْدانه :

وَيْلُ الحَبالى إذ أصاب الرَّكبا ... يَسْتَخْرِجُ الصِّبْيان منه خِذَما

* * *

(امرؤ القيس

١٠٣ — واستحسن الناسُ من تشبيه امرئ القيس :[٢]

كأنّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا ... لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالِى[٣]

وقوله :

كأنّى بِفَتْخَاءِ الجَناحَيْنِ لِقْوَةٍ ... دَفُوفٍ من العِقْبان، طأطأتُ شِمْلالِ[٤]

---

(١) « الصويق » هو : السويق : وهو شراب يتخذ من الشعير والحنطة، ما سلف ص : **١٥**

(٢) عاد ابن سلام إلى ماقطعه باستطراده منذ آخر الفقرة : ٨٥، وهذه الفقرة كلها اختيار من قصيدته النبيلة التي أولها : (ديوانه : ٢٧)

ألا عِمْ صباحًا أيها الطَّلَلُ البالى ... وهل يَعِمَنْ من كان فى العُصُر الخالى

وانتزع الأبيات انتزاعاً على غير ترتيب الشعر ، وكلها مفردة .

(٣) البيت فى صفة العقاب ، تصطاد الطير وتحمله إلى وكرها فتأكله وتدع القلوب لاتأكلها، فلا يزال بعضها طرياً غضاً كالعناب — وهو ثمر أحمر غض ذو ماء كثير — وبعضها قد جف وتقبض حتى كان كالحشف البالى — وهو التمر لم يكد يظهر له نوى ، فإذا تقادم صلب وتجعد . والبالى : القديم الفاسد .

(٤) البيت تشبيه لفرسه بالعقاب التى يصفها . والباء مسوقة من بيت سبق ، وهو قوله : « وقد أغتدى والطير فى وكناتها . . . » « بمجازة قد أثرز الجرى لحمها » . يقول : بل كأنى =

وقولَه :

بِمَجْلِزَةٍ قد أَتْرَزَ الجَرْىُ لَحْمَها ، كُمَيْتٍ ، كأنَّها هِرَاوَةُ مِنْوَالِ[١]

وصُمٍّ حَوامٍ ما يَقِينَ من الوَجَى ، كأنّ مكانَ الرِّدْفِ منْها على رَالِ[٢]

وقولَه :

نَظَرْتُ إليها ، والنُّجُومُ كأنّها مَصابيحُ رُهْبانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ[٣]

أغتدى بفتخاء الجناحين . والفتخاء : هى العقاب ، وصفت بذلك للين جناحيها ، لأنها إذا انقضت ، كسرت جناحيها كسراً يدل على أشد اللين ، تقلبه كيف شاءت . والفتخ : اللين و التثنى . والاقوة صفة أخرى للعقاب ، لأنها تلقى نفسها فى انقضاضها خفيفة سريعة الاختطاف . دفوف : حانية الدنو من الأرض فى انقضاضها ، وهى تضرب بجناحيها . وشملال : خفيفة سريعة ، وهذه آخر صفاتها، يريد بها سرعة اختطافها وإصعادها عالقة . وقوله « طأطأت » يريد طأطأتها : حثثتها وحركتها وأتى بها فاصلة معترضة قبل « شملال » ليزيد فى سرعة انطلاقها .

(١) مضى صدر هذا البيت فى التعليق الماضى . والمجلزة : الفرس الصلبة الشديدة الأسر ، صفة للأنثى ، لا يوصف به المذكر . وأترز الجرى لحم الفرس : أيبسه وشده ونفى رخاوته والكميت : صفة للفرس ، لونها بين الاحمر والأسود، والعرب تجد الكميت أقوى الخيل وأشدها حوافر . والهراوة : العصا . والمنوال : النساج الذى ينسج على النول . والمنوال أيضاً : نول النساج . وهو يتخذ عصاه من أصلب الخشب وأملسه ، ويزيدها العمل املاساً . شبه فرسه بها فى اندماجها وصلابتها وملاسة أديمها .

(٢) يصف فرساً آخر ذكراً كان يركبه للغارة . الواو عاطفة على صفات أخرى لهذا الفرس سبقت . والصم جمع أصم . حافر أصم وحجر أصم : صلب مصمت . الحوامى جمع حامية ، وحوامى الفرس : ميامن حوافره ومياسرها، أى حروفها عن يمين وشمال . ويروى «وصم صلاب » . ووقى الفرس من السيرتى : إذا هاب السير من وجع يجده فى حافره حين رق من صلابة الأرض . وصلابة الحافر من أجمد ماقى الخيل . الوجى ما يصيب باطن الحافر الرقيق من الحفا فيظلع . مكان الردف : من كفل الفرس ، حيث يركب الردف خلف الفارس . والرال : تخفف الرأل : وهو ولد النعامة . يعنى أنه مشرف ، ويستحب من الفرس إشراف عنقه وإشراف ردفه . وفى المخطوطة : « حوامى » وتحت الميم كسرتين ، وهى الكتابة القديمة

(٣) هذا من أبيات امرىء القيس التى صرفها الدراج إلى غير معناها . والضمير فى قوله : « نظرت إليها » للمرأة التى وصفها كأنها نار من جمالها وتوقدها، كأنها تهديه وتقوده إليها، وذلك-

كأنَّ الصُّوَارَ ، إذْ تجاهَدْنَ غُدْوَةً ... على جَمَزَى ، خَيْلٌ تَجولُ بأجلالِ [1]

وقولَه :

أيقتُلُني والمَشرَفيُّ مُضاجِعِي ! ، ... ومَسْنونَةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوَالِ ؟ [2]

١٠٤ — وقولَه :

كأنِّي غَداةَ البَيْنِ حِينَ تَحَمَّلوا ... ، لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ ، نَاقِفُ حَنْظَلِ [3]

وقولَه :

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ [4]

= في ليلة غاب قمرها ، واشتد لألاء نجومها ، فكأنها مصابيح رهبان في دير منفرد في الصحراء ، فرقوها وشبوها ليهتدى بها المسافرون من بعد . والقفال جمع قافل : وهو الراجع من سفره . وأراد المسافرين ، بلا قيد ، ذاهبين أو آيبين .

(١) البيت في حديث صيد بقر الوحش ؛ والصوار : القطيع من البقر . تجاهدن : بذلن طاقة الوسع واجتهدن في العدو لما روعهن . وهكذا روى « على جمزى » ، وجمزى : عدو شديد فيه نزو . وقيل : موضع . وأجود الروايتين : « على جد » . والجد : المكان الصلب الغليظ وذلك أجهد لهن . والأجلال جمع جل : وهو ما يوضع على متن الفرس يصان به . وبقر الوحش بيض الظهور سود القوائم ، فهو يشبهها وهى تعدو من بعيد ، بخيل مجللة قد أسرعت الحضر فجالت عليها أجلالها البيض . وإنما أراد تشبيه حركة عدوها وهى تختلف خلفاً .

(٢) هذا في حديث آخر ، يهزأ ببعل امرأة دب إليها ، ويصف الهول الذى وقع في قلبه من الإقدام على قتله ، مع شدة غيرته . المشرفى : السيف ينعت بالجودة ، منسوب إلى مشارف الشام أو اليمن ، وهى القرى تشرف على حد الريف . والزرق : نصال الرماح والسهام ، نعتت بالزرقة لشدة التماعها وبريقها حتى ترى زرقاً

(٣) في هذه الفقرة شواهد التشبيه من معلقته ، على غير ترتيب السياق . البين : الفراق . وتحملوا : حملوا متاعهم وهوادجهم على الإبل استعداداً للرحيل . والسمرات جمع سمرة : وهى من شجر الطلح . وناقف الحنظل ينقفه : يشقه بظفره ليستخرج حبه . والحنظل شديد الرائحة تدمع معها العين . يصف هيئة وقوفه تحت ظلال السمرات ، ينظر إلى أهل صاحبته وهم على وشك الرحيل ، فهو منكس الرأس ، مستسلم لما هو فيه ، يفتل أصابعه ليخفى لواعج قلبه ، ودمعه يتحدر لا يملك رده ولا يحاول كفكفته بيد أو رداء . ولذلك شبه نفسه بناقف الحنظل .

(٤) يصف الفرس الذى خرج عليه للصيد . وهو من الأبيات التى تداورها الشراح ليزيلوا تناقضها لقوله « مكر مفر معاً » ، وهما صفتان لا تجتمعان معاً . والمكر : الحسن الكر ، أى العطف =

وقولَه :

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ، وساقا نَعامَةٍ، وإرخاءُ سِرْحانٍ، وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (١)

وقولَه :

دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوَلِيدِ، أَدَرَّهُ تَتابُعُ كفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ (٢)

وقولَه :

كُمَيْتٍ، يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حالِ مَتْنِهِ كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزِّلِ (٣)

ـــ والرجوع إلى ما انصرف عنه . والفر : الحسن الفرار عما يريد أن ينصرف عنه . وما أراد امرؤ القيس إلا ما ظنوه تناقضاً يجب أن يزيلوه . فهو يصور سرعة انفتال فرسه من كر إلى فر ومن إقبال إلى إدبار حتى يعجز رائيه أن يفرق بين كرته وفرته ، لا يكاد يقول كر حتى يراه فر . ثم شبه اجتماع بدنه وقوائمه وسرعته في نزوه ، وشدة اندماجه في ذلك ، بجلمود صخر حطه السيل من رأس الجبل فتدهدى يقذف على صفحة الجبل خطفاً ، يمسها مسة ثم ينقذف في الهواء حتى يمس صفحة الجبل مرة أخرى ، وهكذا دواليك ، وفي خلال ذلك تبدو صفحة منه وتخفى أخرى مرة بعد مرة .

(١) الإطل والأيطل : منقطع الأضلاع من الخاصرة . والظبي ضامر الخاصرتين ، وهذا مما يستجاد في الخيل . وشبه ساقيه بساق النعامة في الطول وعريهما من الشعر وصلابتهما . الإرخاء : هو أعلى التقريب ، والتقريب : أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً ويرجم الأرض رجماً . والسرحان : الذئب . وإرخاؤه : عدوه . والتتفل : الثعلب . وعدوهما يشبه به هذان الضربان من العدو . وهو مما يمدح في الخيل . وفي المخطوطة ضبط « تتفل » بضم التاء وفتح الفاء ، وهو صواب .

(٢) فرس درير : مدمج الخلق يعدو عدواً شديداً لا ينقطع . والخذروف : عود مشقوق في وسطه ، يشد بخيوط ثم يدخل الصبي أصابعه في أطراف الخيوط ، ثم يجذبها تارة ، ويرخيها تارة ، فيدور حتى لا تضبطه العين من شدة دورانه ، ويسمع له حفيف ورنين . يلعب به الصبيان . أدرت المرأة المغزل : إذا فتلته فتلا شديداً ، فرأيته كأنه واقف لا يتحرك من شدة دورانه . والرواية المشهورة : « أمره » ، وأمر الحبل : فتله ، وأراد به إدارة الخذروف . والخيط الموصل : وصفه بذلك ، لأن الصبي قد لعب به حتى تقطع فوصله ، وصار أملس ، وذلك أشد لسرعة دوران الخذروف وإنما شبه فرسه بالخذروف في سرعته واجتماع خلقه ، وصوت مروره في الريح .

(٣) الكميت من أشد الخيل ، ولونه حمرة يخالطها سواد . زل يزل : زلق . والحال من الفرس : موضع اللبد على ظهره وعنده تجتمع لحم المتنين ، والمتن : أراد متنيه ، وهو ما يكتنف

وقوله :

كأنَّ دماءَ الهادياتِ بنَحْرِهِ ، عُصارةُ حِنّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّلِ [١]

وقوله :

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ ، أرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ ، بأنْواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلي [٢]

بعد الصلاء عن يمين وشمال . والصفواء والصفوان والصفاة : الصخرة الملساء . والمتنزل : الذي ينزل عليها متجنبها حذراً . يصف ملاسة ظهره وارتفاع لحم المتنين على الصلب ، فلا يكاد لبد السرج يستقر عليه ، فهو ينزل مرة بعد مرة ، كالنازل على الصخرة الملساء ينزلق مرة هنا ومرة هنا ويتماسك .

(١) الهاديات : أوائل الوحش التي تخرج لصيدها . والعصارة والعصير : ما يتحلب من الشيء إذا عصرته . والمرجل : المسرح . وهذا البيت أيضاً مما حير الشراح فدلسوا معناه . ذكر امرؤ القيس طول جرى فرسه حتى لحق أوائل الصيد الشارد ، فنضح عرقه وخالطه دم الصيد . وعرق الفرس يبيض إذا يبس ، فلما در عرقه ثانية شابت حمرة الدم بياض يبيس العرق وتحدر على نحره ، فهو كشيب يخضب بعصارة الحناء ويرجل ، وهى تقطر حمراء . ولولا ما أراد من ابيضاض العرق ، لم يكن للبيت ولا للتشبيه معنى . وإنما غرر بهم إدماج امرىء القيس لما يريد من ذكر تحدر العرق المخالط للدم فى قوله « عصارة حناء » ، فلما أغفل ذكر العرق ظنوا التشبيه واقعاً على الدماء فى نحره ، وهو خطأ ، لأن الفرس الذى وصفه كميت لا أصدر ، وهو الأبيض الصدر . وانظر خبراً طريفاً فى شرح البيت ، الذخيرة لابن بسام ٤ / ١ / ٢١ . الانتصار للبطليوسى : ٣٥ — ٣٧ .

(٢) وهذا البيت أيضاً مما زعم الشراح أنه شبه الليل فيه بموج البحر فى ظلمته ووحشته وهوله ، وأن قوله « بأنواع الهموم » متعلق بـ« أرخى على » . والتشبيه الذى زعموه هو هنا فاسد فيما أرى . والموج فى البيت مصدر لا اسم . وأصل سياقة البيت « وليل يموج بأنواع الهموم ليبتلى ، موجاً كموج البحر أرخى على سدوله » . فطامة الليل فى قوله « أرخى على سدوله » ، أما التوحش والهول فهو توحش الهموم الطاغية المتضربة عليه فى ظلام الليل . وهذا أحق بامرىء القيس ونبالة معانيه . ومن تأمل عرف ما فيه من الروعة والإيجاز واللمح البعيد الغريب للمعانى المختلفة . وههنا أمر مهم ذلك أن الحذف الطويل فى شعر امرىء القيس خاصة ، وفى شعر غيره كثير ، فمن ذلك قول امرىء القيس :

إذا قامتا تَضَوَّعَ المِسْكُ منهما نسيمَ الصَّبا جاءت بريّا القرنفلِ

ومعناه : تضوع تضوعاً مثل تضوع نسيم الصبا

قولَه :

فَيالَكَ مِنْ لَيْلٍ كأنَّ نُجومَهُ ... بأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[1]

خَيَّرُوا بينه وبين قول النابغة :

وقال أيضاً في صفة سهم :

بِرَهِيشٍ مِنْ كِنانَته ... كتَلَظِّي الجَمْرِ من شَرَرِهِ

أى يتلظى تلظيا كتلظى الجمر . وقال صخر الغى يصف البرق :

أَرِقْتُ له مِثْلَ لَمْعِ البَشِيرِ ... يُقَلِّبُ بالكَفِّ فَرْضًا خفيفا

أى أرقت للبرق وهو يلمع مثل لمع البشير .

وفى كتاب الله سبحانه : «فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت» ، قال العز بن عبد السلام : «تقديره : ... ينظرون إليك دائرة أعينهم دوراناً كدوران عين الذى يغشى عليه من حذر الموت». فهذا باب ينبغى إحكامه لمن أراد أن يستوعب ذكاء العربية ، انظر كتاب الإشارة والإيجاز للعز : ٥ ، باب الحذف ، والأشباه والنظائر للسيوطى ١ : ١٤١ ومابعدها .

(١) هكذا رواه ابن سلام وبعض الرواة غيره ، ورواية سائرهم :

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ ، كأَنَّ نُجُومَهُ ... بكلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كأَنَّ الثُرَيَّا عُلِّقَتْ فى مَصَامِها ... بأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

أغار الحبل : فتله فتلا شديداً محكماً فهو مغار . ويذبل : جبل فى نجد . والثريا : ستة نجوم ظاهرة ، وبينها كواكب خفية كثيرة العدد ، وهى جميعاً تسمى : النجم ، جعلوه كالعلم لها . ومصام النجم : مقامه ومكانه فى السماء ، من الصوم : وهو القيام بلا عمل ولا حركة . والأمراس جمع مرس : وهو الحبل الشديد الفتل . والصم جمع أصم : وهو الصلب . والجندل : الصخور الضخام الشداد .
ويكاد المتعجل يرى أن معنى البيتين واحد ومكرر ، وهو عماد فيه . بيد أنى أرى أن امرأ القيس رمى فى البيت الأول إلى غير ما رمى فى الثانى : والبيتان تابعان لما تقدم فى أبياته عن الليل ، مع ما احتدم فى صدره من الهم المتلاطم ، والليل لا يزال « يتمطى بصلبه » أى يمتد ويتطاول ، ويمنى صاحبنا أن ينجلى بصبح ، وكل ذلك فى أوسط الليل وعماه . فنظر فى النجوم عامة فرآها مبهمة لاتسير ولاتتحرك ولا يكاد يختلف مكانها من السماء ، فشدها بالحبال الغليظة إلى شىء ضخم ثابت مبهم أيضاً لا يزول من مكانه ، وهو يذبل (الجبل) . هذا البيت الأول . أما الثانى ، فإنه رأى الثريا تزهر وتتلألأ ، =

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ[1]

فزعم بعضُ الأشياخ أن بيتَ النابغةِ أحكَمُهما

١٤ / وقوله :

= وهى تنصب للمغيب قبيل الفجر ، ولكنها حركة خفية ثقيلة بطيئة ، فأخرج من جميع ذلك تشبيهه ، مرآها كأنها شدت بأمراس من الكتان الأبيض إلى صخور ضخام بجرها ، فلا يكاد يرى حركة هويها المغيب إلا بطيئة ثقيلة . ولكنها حركة على كل حال .

ومن أجل ما يعرض من توهم التكرار ، اختصر بعض الرواة رواية البيتين ، فجعلهما بيتاً واحداً ، كما رأيت فى صنيع ابن سلام أو من روى عنه . ثم انظر الكامل لأبى العباس ٢ : ٦٧ ، وتعليق شيخنا المرصفى عليه فى رغبة الأمل ٦ : ٢٣٤ .

(١) ديوانه : ٤١ ، ٥٢ . لا أرى وجهاً للتخيير والموازنة . ويا بعد ما بين موقع كل منهما من سياقه ومعناه . فامرؤ القيس أراد ما رأيت من بطء الليل وثقله عليه . والنابغة أراد شيئاً يخالفه كل المخالفة حين ذكر الليل . وللشراح كلام كثير ، ولكنه كلام ! قال بعضهم : لا معنى لتخصيص الليل ، لأن النهار يدركه كما يدركه الليل . (انظر الأزمنة والأمكنة ١ : ١٦٦) مثلا . ثم تراجعوا القول بينهم بما لاغناء فيه ، فإن النابغة يقول للنعمان بن المنذر :

فإن كنتُ لاذُو الضِغْنِ عَنّى مكذَّبٌ ... ولا حَلِفِى على البراءة نافِعُ

ولا أنَا مأمونٌ بشىء أقولهُ ... وأنت بأمرٍ لا محالةَ واقعُ

فإنك كالليل . . . . .

يقول : فإن كان شأنى أنا ــ فيما رمانى به عدوى عندك ــ أن لا أجد منك إنصافاً ولا حيلة ، فلا الواشى المضطغن مكذب لما تعرف من ضغنه وعداوته ، ولا حلفى لك على براءتى مما قرفنى به ينفع ، ولا حسن ما أحتال به من القول يجدى على فى ابتغاء مرضاتك حتى أنال الأمن من سطوتك ، وكان شأنك أنت أنك قد طويت عزمك على الإيقاع بى لا محالة ، ولا مهرب لأحد مما تريد ــ فإنما مثلى فى كل هذا ومثلك : كالسائر نهاراً فى أرض مرهوبة مخوفة ، لا ينجو أحد من غوائل ليلها مهما حرص واحتال . وإنه ليبصر فى نهارها كل حيلة تنجيه من مخاوفها ، وكلما نجا من مخوف أوهمته نجاته أن الليل بعيد ، وإنه خليق أن يخلص منها قبل أن يدركه ، ولكن الليل مدركه لامحالة بغوائل لاينجو عليهن ناج أبداً .

بهذا نعلم أنه لا وجه للتخيير بين البيتين ، إلا أن يراد بالتخيير الموازنة بين قدرة الشاعرين فى البيان وحده .

. . . . تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[1]

هى المرآة بالرومية .

وقوله :

إذا ما الثُّرَيَّا فى السَّماء تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْناء الوِشَاحِ المُفَصَّلِ[2]

---

(١) الترائب جمع تريبة : وهى أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته ، وهى موضع القلادة من الصدر . وصقل الشيء : جلاه . والسجنجل كما قال ـ المرآة بالرومية ، وكانت الروم تصنع المرآة من خليط النحاس والقصدير أو الرصاص المعروف بالبرنز ، فإذا جلى صار بين الفضة والذهب فى لونه ، وكان من أجود صناعتهم . ومن أجل هذه الصفة خلط اللغويون فقالوا : السجنجل : قطع الفضة وسبائكها . وقالوا هو ماء الذهب ، وقالوا : الزعفران ، وإنما جاء هذا الأخير من نفس هذا التشبيه . لأن نساء العرب كن يطلين بالزعفران ، ولونه عندئذ كلون البرنز المجلو . قال المخبل :

والزَّعْفَرانُ على تَرَائِبِهَا شَرِقٌ به اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ

ولا أظن أن تشبيه امرىء القيس قد جاء إلا بعد الصفة التى وصف بها الترائب بقوله «مصقولة» ، فإن هذا النعت يحمل من معانى النعمة والترف وحسن الغذاء والصحة والامتلاء وغضارة البشرة ونضارتها واستوائها وخفاء العظام من تحتها ، وخلوها من الخشونة والمسام التى تكون كمغارز الإبر فى الأديم ، مالا يدرك إلا بالتأمل . والمرأة تعلم موضع الفتنة من هذا المكان ، فهى تحتال للكشف عنه بما يزيده لألاء وبهجة ، والرجل يرى فيه من روائع الجمال ما لا يراه فى غيره ، ولذلك أمر الله نساء المؤمنين أن يضربن بخمرهن على جيوبهن .

(٢) ذكر ابن منظور فى كتابه «نثار الأزهار» : ١٠٩ هذا البيت ثم قال :

[قال محمد بن سلام : أنشد يونس النحوى هذا البيتَ الذى لامرىء القيس ، فزَوَى وَجْهَه وجمع حاجبيه وقال : أخطأ مع إحسانه ، إن الثريَّا لا تعترض ، إنما الاعتراض للجوزاء ، هلاَّ قال كما قال ذو الرمة :

وردْتُ اعتِسَافًا والثُّرَيَّا كأنَّها على قِمَّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ]

وقال الوزير أبو بكر فى شرح ديوانه : [قال ابن سلام : الثريَّا تتعرَّض عند السقوط ، كما أن الوشاح إذا طُرِح تلقَّاك بناحيته] .

قال : فأنكر قومٌ قوله : « إذا ما الثُّرَيا فى السماء تعرَّضَت » ،[١]
وقالوا : الثريَّا لا تَعَرَّضُ . وقال بعض العلماء عَنَى الجَوْزَاء . وقد تفعل
العربُ بعضَ ذلك ،[٢] قال زهير :

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلْمانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُمْ كأحمرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ[٣]

يعنى : أحمرَ ثمود . وقوله :

يَظَلُّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ[٤]

١٠٥ . وقال يصف فرسًا :

ونقلت هذين هنا ، لأنى أظنهما من أصل ابن سلام فى هذا الموضع أو فى موضع غيره مما سقط من كلامه عن شعراء هذه الطبقة . وقد نقل نص ابن سلام ، الأنبارى فى شرح القصائد السبع : ٥١ مع عيب فى نقله .

تعرضت : تعرفت وأبدت عرضها . والأثناء جمع ثنى : وهى ماانثنى من الوشاح . والوشاح : قلائد تضم بعضها إلى بعض ، تكون من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، تتوشح به المرأة ، فتشده بين عاتقها وكشحها . والمفصل : المرصع ما بين كل خرزتين منه لؤلؤة أو ذهب ، وتعرض الثريا يكون عند انصبابها للمغيب فى زمان الدفء ، وذلك منها فى أول الليل أو بعده ، لقوله بعد « فجئت وقد نضت لنوم ثيابها » . والذى قاله يونس وغيره رأى منقوض . وقال : أبو عمرو بن العلاء : « تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة » (شرح السبع الطوال : ٥١) .

(١) هذا رأى يونس كما رأيت فى التعليق السابق .

(٢) يقال : وهذا رأى أبى عمرو ، كما جاء فى كتب كثيرة ، منها شرح ديوان امرىء القيس : ٢٧ ، والذى نقلته آنفاً ، غير هذا .

(٣) ديوانه : ٢٠ ، فى صفة الحرب وشبهها بالناقة ينزو عليها الفحل ثم تضع ، فوصف ماتلد لهم . غلمان أشأم : يعنى غلمان شؤم أشأم من كل مولود ، فاختصر . وقوله : ثم ترضع فتفطم أى ترضع أهلها العداوة والفجور والبغى ، ثم تفطمهم ، فيتم أمر الحرب .

(٤) يذكر ناقته التى عقرها للعذارى بدارة جلجل . وترامى القوم بالشىء وارتموا : رمى به بعضهم بعضاً ، أو إلى بعض . هدب الثوب وهدبته وهدابه : ما تدلى من طرفه وخمله . والدمقس : الإبريسم والخز ، كالحرير . والمفتل : الذى لوى بعضه على بعض فتلا غير محكم . وإنما أراد خيوط -

بِذِى مَيْعَةٍ ، كأنَّ أدنَى سِقاطِه ... وَتقرِيبِه ، هَوْنًا ، دآلِيلُ ثَعلَبِ (١)

عَظِيمٌ ، طويلٌ ، مُطمَئِنٌّ ، كأنّه ... ، بأسفَلِ ذِى مَأْوَانَ ، سَرحَةُ مَرقَبِ (٢)

لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعامَةٍ ، ... وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائِمٍ فوقَ مَرْقَبِ (٣)

لهُ جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ ، كأنّ لِجامَهُ ... يُعالَى به فى رأسِ جِذْعٍ مُشذَّبِ (٤)

الدمقس المتدلية التى جمعت ولويت، فى بياضها وامتلائها ولينها ولم يرد امرؤ القيس أنهن يتقاذفن الشحم واللحم بينهن ، كما قالوا فى تفسيره ، بل أراد باختياره هذه الكلمة « يرتمين » أن يدلك على اجتماعهن حول ناقته وشوائها من هنا وهنا ، وأنهن لم يدعن الضحك والبهجة ، واستغرقن اللهو والمزاح والتندر به ، وأن الضحك يميل بهذه ناحية وبأختها ناحية ، وهن يتهادين بينهن أطايب لحمها وشحمها ، تقول هذه : خذى ! وتلك : خذى أنت ! وهن يتعابثن ويتهانفن ، فرحاً له وعبثاً به .

(١) اختلفت الروايات فى هذه الأبيات ، وهى من القصيدة التى عارضه بأختها علقمة الفحل فى قصة التحكيم ، ودخل شعر أحدهما فى شعر صاحبه ، حتى صعب تخليص القصيدتين تخليصاً يطمأن إليه . « بذى ميعة » : متعلق بقوله فى البيت قبله « وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل . . . » . ميعة الشباب والسكر والنهار وحضر الفرس : أوله وأنشطه وأسهله . وساقط الفرس سقاطاً فى عدوه : جاء مسترخياً . والتقريب ضرب من عدو الفرس ، والتقريب الأدنى يقال له الثعلبية . ودآليل جمع دألان : وهو عدو متقارب فيه نشاط وسرعة . ويروى « ذآليل » بالذال جمع ذألان ، وهو مثله فى المعنى . وكان حق جمعهما ذآلين ودآلين ، ولكنهم أبدلوا من النون لاماً ، اقتداراً على لغتهم . وقوله : « هوناً » ، أراد تقريباً ليناً غير مبالغ فيه ، ويروى « رسلا » وهى متقاربة المعانى .

(٢) أراد بالاطمئنان هنا : سكونه فى سيامه وقيامه . وذو مأوان : مكان فى طريق مكة ، وهو واد . وهكذا والشارحون بالهمز ، وأكثرهم على ترك الهمز ، قال ابن دريد : « يهمز ولا يهمز » . والسرح واحدته سرحة : شجر طوال عظام يستظل بها ، ينبت بنجد فى السهل والغلظ ولا ينبت فى رمل ولا جبل ، وهو مائل النبتة أبداً ، وميله من بين سائر الشجر فى شق اليمين . والمرقب هنا : الأرض المشرفة على ما حولها . شبه فرسه هنا بالسرحة الباسقة فى المكان المشرف .

(٣) مضى تفسير صدر البيت فى رقم : ١٠٤ ص : ٨٤ . والصهوة : موضع اللبد من الفرس ، وهو مقعد الفارس منه . والعير : حمار الوحش . والمرقب هنا : ربوة أو علم يوفى عليه المرء لينظر من بعد . وقال أصحاب المعانى : إنه ليس فى الدواب أحسن صهوة من حمار الوحش إذا قام واستوى فى موقفه ، وإنما يفعل ذلك عند إرادة الماء ، فهو يجمع أتنه ويشرف بها ، ثم يوفى إلى ربوة يقلب طرفه فى الأرجاء حتى تدنو ساعة انطلاقه إلى الماء بصواحبه .

(٤) الجؤجؤ : ملتقى الفهدتين من الفرس ، من أسافلهما إلى أعاليهما . والفهدتان : اللحم

وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ ، وَمَحْجِرٌ ... إلى سَنَدٍ مثلِ الرِّتاجِ المُضَبَّبِ (١)

إذا ما جرَى شَأْوَيْنِ وابتلَّ عِطفُه ... تقولُ هَزِيزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بأثْأَبِ (٢)

كأنّ دِماءَ الهادياتِ بنَحْرِهِ ... عُصارةُ حِنّاءٍ بشَيْبٍ مُخَضَّبِ (٣)

١٠٦ — وقال أيضاً :

تَرُوحُ كأنّها مِمّا أصابَتْ ... مُعَلَّقَةٌ بأَحْقِيها الدِّلِيُّ (٤)

الناتىء في صدره . والمشر : اللطيف الدقيق الطرف . قال ابن قتيبة في المعاني الكبير : ١٣٥ : « وعرض الصدر محمود ، فأما الجؤجؤ والزور ، فيوصفان بالضيق . . . ويقال إن الفرس إذا دق جؤجؤه وتقارب مرفقاه ، كان أجود لجريه » . ورواية أبي عبيدة : « له عنق حشر » ، وهي جيدة . ويقال : يعد به إلى أعلى ويرفع . والمشذب الذي استؤصل ما عليه من الأغصان ، فاستوى وبان طوله . وطول العنق واستواؤه مما يمدح به الفرس .

(١) الماوية ، المرآة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفائها ، وأن الصور ترى فيها كما ترى في الماء الصافي . المحجر : ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن . والسند : ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل ، وعلا عن السفح . والرتاج : الباب العظيم المغلق يكون فيه باب صغير وبابان . والمضبب : الذي ألبس الحديد . يرى موقع عينيه الصافيتين ومحجره من رأس مشرف صلب ، كأنه باب مضبب بالحديد .

(٢) الشأو : الشوط والمدى . والعطف : الجانب ، وهما عطفان لكل إنسان ودابة ، وأفرد على إرادة الاثنين ، وتقول : تظن ، كقول عمر : « فتى تقول الدار تجمعنا » ، أي تخال وتظن . وهزيز الريح : صوت حركتها . الأثأب : شجر واسم الطلال ينبت في بطون الأودية ، يستظل تحته الألوف من الناس . والفرس الجواد ذو عفو وعقب ، فالعفو أول عدوه ، والعقب أن يعقب حضراً أشد . ويستحب منه أن يعرق مرة ويجف مرة ، لأنه لو دام العرق لأضعفه ، وأن لا يعجل عرقه ولا يبطئ ، ولذلك قال : « إذا ما جرى شأوين . . . » ، وذلك عندئذ أشد لجريه ، فإذا اضطرم في عدوه سمع له حفيف كحفيف الريح في الشجر المتكاثف .

(٣) مخضب أراد ، يخضب ، ومضى تفسير بيته الآخر ص : ٨٥ ، تعليق رقم : ١ .

(٤) هما في صفة المعزى ، وذكر قبلهما أنها رعت الربيع حتى حفلت ضروعها باللبن . تروح : تؤوب بعد المرعى عشياً . مما أصابت : من الربيع ، فامتلأت ضروعها . والأحقي جمع حقو : وهو الخصر والجانب . والدلي جمع دلو . يقول : هي تعود من المرعى حافلة الضروع ، كأن دلاء علقت بجنوبها .

إِذَا ما قامَ حَالِبُها أَرَنَّتْ ‏ ‏ كأَنَّ الحَيَّ صَبَّحَهمْ نَعِيُّ [١]

١٠٧ — أخبرنى يونس بن حبيب ، قال ، قال ذو الرُّمَّة : مَنْ أحسنُ الناس وصفاً للمطر ؟ فذكروا قولَ عَبِيد :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه ‏ ‏ يَكادُ يَدْفَعُهُ من قامَ بالرَّاحِ [٢]

فَمَنْ بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِهِ ‏ ‏ والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ [٣]

فجعلها يونس لعَبِيد ، وعلى ذلك كان إجماعُنا ، فلما قدِم المفضَّل صَرَفها إلى أَوْس بن حَجَر . [٤]

// وذكروا قولَ عبد بنى الحَسْحاس : [٥]

---

(١) أراد بالحالب : جماعة الحالبين ، لا واحداً . أرنت ، من الرنة والإرنان : وهو الصيحة الحزينة عند البكاء . جعل ثغاء الشاء عند الحلب، واختلاط أصواتها كأنه صوت مأتم فجأهن نعى عزيز عليهن مع الصبح ، فهو أشد لبكائهن واختلاط أصواتهن .

(٢) هو عبيد بن الأبرص ، ديوانه : ٧٥ يصف السحاب والمطر . دان : سحاب قريب من الأرض . مسف : من أسف الطائر إذا دنا من الأرض دنواً شديداً وهو يرفرف بجناحيه ، يصف شدة تدليه كأنه طائر مسف . والهيدب : ما تدلى منه كهدب الثوب وخمله ، يخيل للمرء لشدة دنوه وإطباقه أنه لو استوى قائماً لنالته يده .

(٣) يذكر مطره وكثرته ، ومكان البيت فى آخر القصيدة ، وإن رواه أكثر الرواة تالياً لسابقه . والنجوة نجوة الوادى ، فهى سنده المشرف الذى لا يعلوه السيل . والمحفل : حيث يحتفل السيل أى يجتمع ماؤه . والضمير فى «نجوته» و «محفله» للوادى، وإن لم يذكر فى الشعر . والمستكن: الذى استكن فى بيته ، والكن : البيت . والقرواح : الأرض البارزة للشمس لا يسترها شىء . فمن شدة مطره وتدفقه وكثرته لا يجد الذى فى سند الوادى أو فى بطنه مخلصاً من سيله، والمستكن فى بيته والسائر تحت السماء سواء فيما ينالها من مائه .

والقصيدة من روائع الشعر ، فاطلبها فى الديوان ، أو فى مختارات ابن الشجرى .

(٤) ديوان أوس بن حجر القصيدة رقم : ٤

(٥) هو سحيم ، عبد بنى الحسحاس، أحد أغربة العرب، كان شديد السواد ، وأدرك الجاهلية . يذكرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بشىء من شعره ، إن صح ذلك فى خبر مذكور. وقد قتله مواليه فى خلافة عثمان لتعرضه لنسائهم .

نَعِمْتُ به ظَنّا ، وأيقنْتُ أنه   يُحُطُّ الوُعُولَ والصخُورَ الرَّواسيا[1]

وَما حَرَّكَتْه الرِّيحُ ، حتّى ظَنَنْتُه   بحَرَّةِ ليلَى أو بنَخْلَةَ ثاوِيَا[2]

فدَرَّ على الأنْهاءِ أوّلُ مُزْنِهِ   فعَنَّ طَوِيلا يَسْكُبُ الماءَ ساحِيَا[3]

رُكامٌ يَسُحُّ الماءَ عن كُلِّ فِيقةٍ   ويُغْدِرُ فى القِيعانِ رَنْقًا وصافِيَا[4]

ومَرَّ على الأجبالِ أجبالِ طيِّئٍ   كما سُقْتَ مَنكوبَ الدَّوابرِ حافِيَا[5]

---

(١) ديوانه : ١٦ - ٣٣ ، وهى قصيدة من مستجاد أشعار الناس . وأرقام الأبيات التى أنشدها من ٨١ - ٨٦ ، ٩٠ . نعمت به ظنا : الظن هنا بمعنى الرجاء والطمع . يقول : قرت به عينى وأنا أرجو غيثه وأطمع فيه . والضمير فى « به » للسحاب الذى ذكره فى أبيات سبقت . والوعول جمع وعل : وهى الأروى ، تيس الجبل ، لايرى إلا فى رؤوس الجبال ، فإذا اتبع المطر نزل إلى السفح . والصخور الرواسيا : الثابتات ، يقتلعها ويدهديها من شدته .

(٢) حرة ليلى القصوى ، حرة بنى سليم ، من الحجاز ناحية المدينة . ونخلة : قريب من مكة . ثوى بالمكان : حل به وأقام . يقول : ولم تستطع الريح تحركه لثقله ، حتى ظننته سيلقى ماءه فى هذا المكان أو ذاك . **انظر مجلة العرب ٩ : ١٣٤ ، رقم : ٤ .**

(٣) در المطر يدر : صب ماءه مطرة بعد مطرة واندفق . والأنهاء جمع نهى (بفتح أو كسر فسكون) : وهو حيث يجتمع الماء فى طرف الوادى ، فيصير غديراً . ولعله عنى بها هنا مكاناً بعينه كثير الغدران . والمزن ، جمع مزنة وأراد المطر ، والمزنة المطرة هنا لا الغيم الأبيض . وعن يعن : اعترض فى الأفق . ويروى : « فعق » ، أى انشق بمائه واندفق . الساحى : الذى يسحو الأرض ويجرفها ، ويقشرها من شدته . ورواية الديوان وغيره : ساجيا ، بالجيم . والساجى : الساكن لايتحرك . يذكر سكون هذا السحاب وهو يريق ماءه .

(٤) الركام : السحاب الغليظ المتراكم بعضه فوق بعض ، وذلك أشد لمطره . سح الماء يسحه : صبه صباً شديداً متتابعاً . و « عن » هنا بمعنى « بعد » . والفيقة : أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع لبنها ، ثم يعاد حلبها . فأراد أن السحاب يسح المطر ثم يسكن شيئاً ثم يسح أخرى ، فما بين السحين هو الفيقة . وغادر الشىء وأغدره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، وهو مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً . القيعان جمع قاع : وهو أرض سهلة واسعة مستوية مطمئنة ، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط ، لاحصى فيها ولا حجارة ، ولا تنبت شجراً ، وما حواليها أرفع منها ، ينصب فيها ماء المطر ، ويصير غدراناً . الرنق : الماء المكدر من التراب والقذى . يصف شدة وقعه وتتابعه مرة بعد مرة ، فيجرف الأرض ، فغادر فى القيعان غدراناً بعضها كدر وبعضها صاف .

(٥) جبال طيئ معروفة : أشهرها سلمى وأجأ . المنكوب : الفرس الذى نكبت الحجارة حافره ، أو أثرت فيها فظلع وضعف مشيه . ودوابر الفرس : مؤخر حوافره ، جمع دابرة ، وهى -

أجشُّ هزيمٌ سَيْلُهُ معَ وَدْقِهِ ... تَرَى خُشُبَ الغُلَّانِ فيه طَوافيا[١]

بَكَى شَجْوَهُ واغتاظَ حتَّى حَسِبْتُهُ ... من البُعْدِ لمَّا جَلْجَلَ الرَّعدُ حاديا[٢]

فقال ذو الرُّمَّة : بل قولُ امرئُ القيس أجودُ حيث يقول :[٣]

دِيمَةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ ... طَبَقَ الأرضِ تحَرّى وتَدِرْ[٤]

— ماحاذى موضع رسغه . وفي المخطوطة «الدوائر» وليس بشيء . وحفي حافر الفرس حفاً ، فهو حاف : رق حافره من كثرة العدو وشدته ، فهو أشد لظلمه إذا نكبته الحجارة . يصف ثقل السحابة وبطء سيره من ثقل مائه وتراكمه ، شبهه بالفرس البين الحفا والظلع يساق سوقاً ليناً رفيقاً بطيئاً .

(١) الأجش : السحاب الغليظ صوت الرعد ، كصوت الطحن بالرحا : والهزيم : السحاب الذي يكون رعده متشققاً كأنه صخر يتقصف بعضه على بعض ويتكسر . والودق : قطر المطر إذا عظم واندفق : والغلان جمع غال : وهو بطن الوادي الذي ينبت الطلح والسلم . والطواف جمع طاف : وهي تعلو الماء طافية عليه . يصف شدة رعده ، وذلك من تراكمه واحتفاله ، وأن مانزل منه صار سيلا ، ومع ذلك لم ينقطع ودقه بعد ، حتى اجترف شجر الوادي فهو طاف على وجه السيل .

(٢) الشجو : الهم أو الحزن يعترض في القلب والنفس حتى يختنق صاحبه بالبكاء . وبكى شجوه : بكى حتى أنزف ما اختنق به من الدمع ، كأن السحاب كان قد اختنق بمائه فبكى حتى زال شجوه . واغتاظ من الغيظ : وهو أشد الغضب يعتلج في النفس ، يريد أنه حمي واشتد وعنف فجلجل الرعد كما يهدر المغيظ المحنق ، فحسب صوته من البعد البعيد حادياً يحدو بإبل معيية حداء يجلجل في أرجاء المفاوز . وهو كلام حسن يجود على التأمل .

(٣) قال الشنتمري في شرح ديوان امرىء القيس : « كان الأصمعي يحدث عن أبي عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال : أي الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟ فقال : امرؤ القيس . قال أبو عمرو ، فأنشدني قوله : ديمة هطلاء . . . » . وذكر الجاحظ في الحيوان ٦ : ١٣١ ، ١٣٢ ، الأبيات الثلاثة الأولى ، من شعر امرىء القيس ثم قال : « كان أبو عبيدة يقدم هذه القصيدة في الغيث على قصيدة عبيد بن الأبرص أو أوس بن حجر » . وذكر البيتين السالفين (ص : ٩٢)، ثم قال . « أنا أتعجب من هذا الحكم » . قلت : وأنا أتعجب من تعجب أبي عثمان ! ولم يرد في المخطوطة غير البيت الأول والثاني ، ولكني أتممتها لجودتها وسبقها، (ديوانه : ١٤٤) .

(٤) الديمة : مطر ساكن ليس فيه رعد ولا برق ، ولكنه يشتد ويدوم ، وأقل ما يسمى منه ديمة ما يدوم ثلث النهار أو ثلث الليل ، ثم يبلغ عدة أيام . والهطلاء ، وصف لها من الهطلان =

تُخْرِجُ الوَدَّ إذا ما أَشْجذَتْ　　　وتُوَارِيهِ إذا ما تَشْتَكِرْ (١)

وَتَرَى الضَّبَّ خَفِيفاً ماهِرًا　　　ثَانِياً بُرْثُنَهُ ما يَنْعَفِرْ (٢)

وتَرَى الشَّجْراءَ في رَيِّقِها　　　كَرُءُوسٍ قُطِّعَتْ فيها الخُمُرْ (٣)

ساعةً ، ثُمَّ انْتَحَاهَا وَابِلٌ　　　سَاقِطُ الأَكْنَافِ وَاهٍ مُنْهَمِرْ (٤)

-- والهطل : وهو المطر المتفرق العظيم المتتابع المسترخى . والوطف في السحاب : أن يندلى ويتساقط من نواحيه مسترخياً كأنه يحمل حملا ثقيلا من كثرة مائه ، وتكون في السحابة أهداب كأهداب الخميلة . وطبق الأرض : وجهها وأديمها الواسع الراحب . وهو منصوب بقوله « تحرى » ؛ ويروى بالرفع بمعنى الغشاء ، أي عم الأرض شملها كأنه طبق ، أي غطاء ، والنصب أحب إلى . وتحرى الشيء : قصده واجتهد في طلبه وعزم على بلوغه . ودرت السحابة : صبت ماءها صبا كالدرة . يقول هذه الديمة التي وصفها تتحرى وجه الأرض تحريا كأنها طالبة جاهدة ساعية سعى صاحب العزم على بلوغ ما أراد ، وإسناد التحرى للديمة عجب في البيان .

(١) الود : جبل قرب جفاف الثعلبية . وجفاف الثعلبية من جفاف الطير ، وهى الطريق بين مكة والكوفة من أرض نجد . وأشجذ المطر : سكن وضعف ثم أقام . واشتكر المطر : حفل واشتد وقعه . يقول إن هذه الديمة من كثافة ودقها إذا احتفلت طمست الود على ضخامته فلا يكاد يرى منه شيء ، فإذا أقامت ، فكأنما هى تخرجه بعد أن احتوت عليه . وهذه أحسن عبارة عن كثافة المطر وديمته .

(٢) الماهر : الحاذق الجيد السباحة ، هنا . وبرثن الضب : بمنزلة الأصابع من الإنسان ، والضب أشبه الحيوان كفا بكف الإنسان . وثنى برثنه . قبضه وبسطه في سبحه . والضب أحسن الحيوان سباحة . وقوله : ما ينعفر : أي لا يجد عفراً (وهو التراب) فينعفر برثنه ، أي يصيب تراب الأرض ، وذلك من عظم السيل وارتفاعه . وكأنه ذكر العفر ههنا ليدل على تباعد جانبي السيل ، فكأنه لو طلب اليابسة لما وجدها .

(٣) الشجراء : اسم لجماعة الشجر واحدته شجرة . ولم يأت من الجمع على هذا المثال إلا أحرف يسيرة ، وإنما نظر في الإتيان به إلى معنى الصفة للدلالة على تكاثف الشجر وتراكبه . وريق المطر : أول شؤبوب به قبل أن يشتد ويظلم . والخمر جمع خمار : وهو ما تغطى به المرأة رأسها . والذي يغطى به الرجل رأسه هو العمامة . يقول : إن الأشجار المتكاثفة يعلوها السيل حتى يبلغ رؤوسها فيتضرب موجه ، ويكثر زبده وغثاؤه ، فتراها على وجه السيل كأنها رؤوس قطعت وعليها عمائمها البيض .

(٤) « ساعة » ترد إلى البيت الأول ، أي ديمة تحرى وتدر فعلت ذلك في الشجراء ساعة ، ثم انتحاها وابل . انتحى الشيء : قصده واعتمد ناحيته . والوابل : المطر الشديد الضخم القطر الحثيث . الأكناف جمع كنف : وهى النواحى والجوانب . وساقط الأكناف ، كأنه يدنو من --

رَاحَ تَمْرِيهِ الصَّبَا ، ثم انْتَحَى ... فِيهِ شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْفَجِرْ (١)

ثَجَّ حتى ضَاقَ عن آذِيِّهِ ... عَرْضُ خَيْمٍ فَخُفَافٌ فَيُسُرْ (٢)

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِى فى أَنْفِهِ ... لَاحِقُ الأَيْطَلِ مَحْبُوكٌ مُمَرّْ (٣)

امرؤ القيس

= الأرض ويتهدم عليها ساقطا لا يمسكه شيء. واه : قد استرخى من ثقله وشدته فهو لا يتماسك.
منهمر : سريع السكب متتابع متدفق.

(١) راح : أى عاد فى آخر النهار بالمطر. ومرى ضرع الشاة يمريه : مسح ضرعها مسحاً متتابعاً حتى يدر لبنها. والصبا : ريح تأتى من قبل الشمال ، وتناوحها الدبور. والعرب تقول : إن (الدبور) تزعج السحاب وتشخصه فى الهواء ثم تسوقه ، فإن علا كشفت عنه واستقبلته (الصبا) فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، و (الجنوب) تلحق روادفه به وتمده. ولذلك جمع امرؤ القيس بين الصبا والجنوب ، فجعل الصبا تمريه وتمسحه حتى يجتمع ماؤه كما يجتمع اللبن فى الضرع ، ثم اعتمدته الجنوب ففتحته وشققته بشؤبوب منفجر. والشؤبوب : دفعة المطر وشدته. والمنفجر : المندفق المنسكب بأشد قوة.

(٢) ثج المطر : صب صبا غزيراً مصمت الصوت من كثرته. والآذى : الموج المتلاطم. وخيم وخفاف ويسر : أودية عظيمة من ناحية البحرين واليمامة إلى نجد. يقول : إن المطر ثج ثجا حتى سالت بالسيل هذه الأودية وضاقت عن مائه المتلاطم تلاطم أمواج البحر.

(٣) أنف البرد وأنف العدو : أوله وأشده. والضمير فى أنفه راجع إلى السيل ، وإن لم يذكر عيناً ، ويعنى أشد سيلانه فى الوادى وتدفقه. لاحق : ضامر. والأيطل : الخاصرة والكشح. والمحبوك : المدمج الخلق. والممر : المفتول فتلا شديداً كأنه حبل محكم الفتل. يصف فرساً. يقول : إن هذا الفرس الضامر قد عدا به فى الوادى ، والسيل المتدفق من ورائه يتبعه على الأثر فلا يدركه. فانظر كيف هول أمر المطر ، وهول سرعة السيل المتلاطم فى سبعة أبيات ، لكى يصف سرعة فرسه وشدة حضره فى بيت واحد ؟ ! صورة واضحة لا تحول ألوانها أبداً.

الطبقة الثانية

١٠٨ — أوْس بن حَجَر بن عَتّاب بن عبد الله بن عَدِيّ بن نُمَيْر بن أُسَيِّد بن عَمْرو بن تَميم ، وهو المقدَّم عليهم .[١]

١٠٩ — وبِشْر بن أبى خَازِمٍ الأَسَدىّ .

١١٠ — وكعبُ بن زُهَيْر بن أبى سُلْمَى .

١١١ — والُحطَيْئة ، أبو مُلَيْكَة ، جَرْوَلُ بن أوْس بن مالك بن جُوَيّة بن مَخْزُوم بن مالك بن غَالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان .

* * *

١١٢ — وأوْسٌ نظيرُ الأَربعة المتقدِّمين،[٢] إلَّا أنَّا اقتصرنا فى الطَّبقات على أربعةِ رهْطٍ .

١١٣ — وقال يونُس ، قال أبو عمرو بن العَلاء : كان أوْسٌ فَحْلَ مُضَر ، حتى نشأ النابغةُ وزهيرٌ فأخْمَلاهُ . وكان زُهَيْرٌ راويتَه .[٣]

---

(١) اختلف فى نسبه ، انظر الأغانى ١١ : ٧٠ ، وساقه على رواية ابن سلام فى الجمهرة : ٢٠٠

(٢) يعنى أهل الطبقة الأولى .

(٣) الشعر والشعراء : ١٥٤ : وذكره أيضاً صاحب كتاب « الغرة » ، المخطوط : ١٨٤

١١٤ — وقال أبو على الحِرمازىّ : كان أوسٌ زوجَ أمِّ زُهَيْر .

١١٥ — قلتُ لعمرو بن مُعاذ التَّيْمىّ ، [١] وكان بَصيرًا بالشعر : من أشعرُ الناس ؟ قال : أوْس . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : أبو ذُؤَيْب .

١١٦ — قال : فأوسٌ شاعر مُضَر ، والأعْشَى شاعرُ ربِيعةَ . [٢] /

خرم من (١٥ — ٢١)

. . . . [٣]

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

---

(١) فى المخطوطة « عمر بن معاذ ». ذكره المرزبانى فى معجمه : ٢١٧ ، وروى هذا الخبر نفسه عن ابن سلام فى التعريف به ، والشعر والشعراء : ١٥٤ ، وانظر ماسيأتى رقم: ١٥٤ ، ٣٠٥

(٢) فى المخطوطة خرم بعد هذا الموضع من الورقة ١٥ إلى الورقة ٢١ ، سبع ورقات .

(٣) تفضل على أخونا وأستاذنا خير الدين الزركلى ، فأطلعنى على مخطوطة عتيقة من كتاب « الغرة » ، ولم أتيقن من يكون مؤلفه ، ولكنه نقل نصوصاً مهمة عن ابن سلام فى تراجم الشعراء تطابق كل المطابقة ما فى طبقات فحول الشعراء ، ففى ترجمة أوس بن حجر ، ذكر الخبر السالف ص : ١٨٤ وأتبعه بقوله :

« وذكر أبو الغَرّافِ الضَّبّى أن أوْسًا قال له قومه : قُلْ فينا . قال لهم : أبْلُو حتى أقُول »

وهذا الخبر يوشك أن يكون من نص الطبقات ، لأن أبا الغراف الضبى من شيوخ ابن سلام ، وقد أكثر الرواية عنه فى الطبقات ، انظر الفهارس .

وإذن ، فقد سقط فى الطبقة الثانية : « أوس بن حجر » و « بشر بن أبى خازم » ، وشىء من حديث « كعب بن زهير » قليل .

كعب بن زهير

١١٧ — [. . . وكان أخوه بُجَيْرُ بن زهير أسلم ، وشهد مع النبيّ عليه السلام فتحَ مكّة وحُنَيْناً ، فأرسل إليه كعبٌ أبياتاً يَنهاهُ عن الإسلام ، وذكره للنبيّ عليه السلامُ فأوعدَهُ ، فأرسل بُجَيرٌ إليه : « ويلكَ ! إنّ النبيّ أوعدكَ] / وقد أَوْعَدَ رجالًا بمكّة فقتلهم ، وهو وَاللهِ قاتِلُك أو تأتيه فتُسْلِم » ، فَاستُطِيرَ ولَفَظَتْهُ الأرْض .[1] (٢٠م)

١١٨ — [2] أنا أبو خَليفة ، نا ابن سَلّام ، قال : وأخبرَني محمد بن سُلَيمان ، عن يَحْيي بن سَعيد الأنصاريِّ ، عن سَعِيد بن المُسَيَّب قال :

قَدِمَ كَعْبٌ مُتَنكِّراً حين بلغهُ عن النَّبيِّ ما بَلَغه ،[3] فأتى أبا بكرٍ ،

---

(١) من عند قوله : « وقد أوعد رجالا . . . » ، انتهى خرم « م » ، الذى أشرت إليه في رقم : ٩١ (س : ٧٠ ، تعليق : ٣) . وهو يبدأ بالصفحة ، ٢٠ منها ، وسأعتمد مخطوطة «م» من عند هذا الموضع إلى أن ينتهى الخرم في مخطوطتنا ، رقم : ١٧١

وصدر هذا الخبر : ١١٧ ، وجدته في مخطوطة كتاب « الغرة » ، وقد ذكر قبله ما يأتى :

« كان بعضُ الحكماء يفضِّله على أبيه »

وأتبعه بالخبر الآتى رقم : ١٢٦ ، ثم ذكر هذا الخبر رقم : ١١٧ ، ١١٨ فى سياق واحد .

وخبر كعب بن زهير وأخيه بجير في الشعر والشعراء : ١٠٤ — ١٠٦ ، كأنه منقول من الطبقات وفي سيرة ابن هشام ٤ : ١٤٤ — ١٥٨ ، والأغانى ١٧ : ٨٦ (هيئة الكتاب) ٣ : ٥٧٨ ، ومجالس ثعلب ، ٤٠٨ . وكتاب الزينة ١ : ١٠٤ ، والمصون : ٢٠٠ — ٢٠٤ ، وفي كل فوائد .

استطير الرجل يستطار (بالبناء للمجهول) : ذعر ذعراً شديداً فرق قلبه واستخفه وطار به فى كل وجه . ولفظ الشيء من فمه : رماه كارهاً . ولفظته الأرض : رمت به ولم تقبله .

(٢) « أنا » اختصار فى الخط دون النطق لقول الراوى : أنبأنا . . و« نا » اختصار « حدثنا » . وهذا الاختصار فى « م » دون مخطوطتنا ، فليس فيها اختصار قط . وهذا الخبر رواه السبكى بإسناده إلى محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشافعية ١ : ٢٢٩ — ٢٣١ ، تاماً .

(٣) يعنى ما أنذره به أخوه بجير فى كتابه إليه .

فلمّا صلّى الصبحَ أتى به وهُوَ مُتَلَثّم بعمامَتِه ، فقال : يا رسولَ الله ! رجلٌ يُبَايعك على الإسْلام . وبَسَط يَده وحَسَر عن وَجْهه ، وقال : بأبى أنْتَ وأمّى يا رسولَ اللهِ ، [هذا] مكانُ العَائِذِ بك ، أنا كَعْبُ بن زُهَيْر.[١] فتجهّمَتْه الأنْصار وغَلّظَتْ عليه ، لما ذكر به رَسُولَ الله ، ولاَنَتْ لهُ قريش وأحبُّوا إسْلاَمَه وإيمَانَه.[٢] فأمّنَه رسول الله ، فأنشدَ مِدْحَته التى يَقُول فِيها :

بانتْ سُعادُ ، فقلبي اليومَ مَتْبولُ   مُتَيَّمٌ إثْرَهَا ، لم يُشْفَ ، مَكْبُولُ[٣]

حتى انتهى إلى قوله :

وقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنْتُ آمُلُه: لاَألْفِيَنَّكَ ، إنّى عنكَ مَشْغُولُ[٤]

---

(١) مابين القوسين زيادة من نص رواية السكرى ، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١٠٤ . العائذ : اللاجىء من مكروه يخافه ويرجو النجاة .

(٢) إيمانه هنا من قولك : آمنت العدو المستجير إيماناً فأمن . أى ضمنت له الأمن والأمان . وأمنه بالتشديد مثله .

(٣) ديوانه : ٦ وما بعدها . بانت فارقت وبعدت ، والمتبول : الذى غلبه الحب وهيمه وأسقمه والتبل : أن يسقم الهوى الإنسان . تيمه الحب فهو متيم : استولى عليه واستعبده وجعل عقله تبعاً لهواه . والمكبول : المحبوس فى كبل ، وهو القيد ، وهو المكبل أيضاً . يقول إن قلبه متبول متيم مكبول ذليل . ويروى « لم يفد » مكان « لم يشف » . لم يفد : أى لم يجد ما يطلقه من إسار الهم والشوق والصبابة ، كالأسير الذى لم يفده أهله ، فهو ذليل يائس لا يملك إلا طاعة آسره .

(٤) لا ألفينك : من قولهم : ألفى الشىء : وجده وصادفه ، ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر من أمرى ، مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لاأدرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » ، أى لا أجد ذلك من أحدكم ، يحمل معنى الإنكار والنهى الشديد . وحذف كعب كأنه قال له : لا ألفينك قاعداً تتطلب منى النصرة وتأمل المعونة ، فدعنى ، إنى عنك مشغول . وقال السكرى فى شرحه : « لا ألفينك : أى لا أكون معك ، وقال غيره : لا أنفعك فاعمل لنفسك » .

فقُلتُ: خَلُّوا سَبيلي، لا أبَا لَـكُم ، فـكلُّ ماوَعَدَ الرَّحْمٰنُ مَفْعُولُ[١]

كلُّ ابنِ أُنْثَى، وإنْ طَالَتْ سَلَامتُه ، يَوْماً على آلةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ[٢]

نُبِّئْتُ أن رَسولَ اللهِ أوْعَدَنى ، والعَفْوُ عِنْدَ رَسولِ الله مأمُولُ

إلى قوله :

إن الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُستضاءُ بِهِ : مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ اللهِ مسْلُولُ[٣]

في فِتْيَةٍ من قُرَيْشٍ قَالَ قائِلُهُمْ ببَطْنِ مَكَّةَ،لمَّا أسْلَموا: زُولُوا[٤]

---

(١) يروى « ما قدر الرحمن » ، وهما سواء فى المعنى . وخلى سبيله : أى أرسله وتركه . ويقول الشراح : إنه لما رأى أخلاءه لايغنون عنه شيئاً ، يئس من نصرتهم ، وأمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمضى فيه حكمه ، فإن نفسه أيقنت أن كل ما قدر الله واقع . ولا أرتضى هذا السياق فى معنى الشعر ، فإنه ذكر قبل أن كل خليل قال له : إنى عنك مشغول ، فليس أحد منهم يحبسه أو يمسكه ، حتى يصح سياق هذا الشرح ، وأرى أن معنى « خلوا سبيلى » هو الاستنكار والاستهزاء والأنفة من التجائه إليهم ، والتحقير لشأنهم يقول : افسحوا طريقى وابتعدوا عنه أيها الجبناء . وليس منهم إمساك ولا حبس له عن المثول بين يدى رسول الله . وقوله : لا أبالكم ، مما يستعمله العرب على وجه الذم الشديد ، ويأتون به فى المدح على طريق التعجب .

(٢) الآلة : النعش ، واحد الآل ، وهو الخشب والأعواد . ويسمون النعش : الأعواد لأنهم يضمون عوداً إلى عود فيحمل الميت عليه . والحدباء : الشاقة الصعبة الغليظة التى لا يطمئن عليها صاحبها.

(٣) بين البيت والذى قبله أبيات كثيرة جياد . والمهند والهندى والهندوانى : السيف يعمل ببلاد الهند مطبوعاً من حديد الهند ، وهو عندهم أجود السيوف وأحكمها صنعة . يقول السكرى وغيره : الهاء فى « به » راجعة على النبى صلى الله عليه وسلم . وهو ليس بشىء عندى . ومن أعجب البيان قوله : «سيف يستضاء به» . وقطع ثم قال : مهند ، فهو خبر لمحذوف لا صفة لقوله «لسيف» . ولذلك يجب الوقوف عند آخر الشطر الأول .

(٤) قال قائلهم : يعنى عمر بن الخطاب ، فاروق هذه الأمة ، رضى الله عنه . وكان المسلمون قد اشتد عليهم الأذى من قريش ، فأذن الله لهم فى الهجرة إلى المدينة ، فجعلوا يتجهزون ويتواقفون ويتواسون ويخرجون أفراداً ويخفون مخرجهم ، حتى هاجر عمر ، فخرج جهرة فى عشرين راكباً من أهله وقومه وحلفائهم . زولوا ، من زال عن مكانه يزول : فارقه وتنحى عنه . يأمرهم بالهجرة من مكة إلى المدينة .

زَالُوا ، فما زالَ أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ   يَوْمَ اللِّقاءِ ، ولا سُودٌ مَعَازِيلُ(١)

لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلّا فى نُحُورِهِمُ   وما بِهِمْ عن حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ(٢)

فنظرَ النبىُّ صلى الله عليه إلى من عنده من قُرَيش ، أى : اسمعُوا ! حتى قال :

يَمْشُونَ مَشْىَ الجِمالِ الزُّهْرِ ، يَعْصِمُهُمْ   ضَرْبٌ ، إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ(٣)

يُعَرِّض بالأنصار ، لِغِلْظَتِهم — كانَتْ — عليه . فأنكرتْ قُرَيش ما قال ، وقالوا : لم تمدحْنا إذْ هجوتَهُمْ ! ولم يقبَلُوا ذلك حتّى قال :

---

(١) الأنكاس جمع نكس (بكسر فسكون) ، وهو الضعيف العاجز الهياب الذى ينقلب راجعاً من الخوف والذلة . والكشف : جمع أكشف وهو الذى لا يثبت فى الحرب ولا يصدق القتال ، فينكشف وينهزم . «سود» ، قد شان أعراضهم ما يدنسها ويعيبها . ويروى «ميل» وهى أشهر الروايات . والميل جمع أميل : وهو هنا الجبان ، كأنه يميل عن عدوه من الخور . والمعازيل هنا جمع معزال : وهو الذى ينزل ناحية من رفقته فى السفر وينزل وحده ، وهو ذم . وأراد به هنا اعتزال المقاتل عن حومة الحرب لا يعين من يدعوه لنجدته .

(٢) هذا البيت آخر القصيدة ، وبينه وبين السابقة أبيات . حياض الموت : موارد الهلاك ، كأن الشجاع يأتيها وارداً كالظامىء إليها . وهلل عن عدوه : جبن وفزع وولى ناكصاً . وقوله : لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ، أى لا يفرون بل يواجهون القتال لا يرتدون ولا يميلون .

(٣) هذا البيت ، فى رواية الديوان وغيره ، واقع قبل البيت الماضى ببيت أو بيتين فى بعض الرواية . الزهر جمع أزهر : وهو الأبيض المستنير المشرق ، والجمال الزهر : هى الهجان ، وهى خالصة اللون كريمة عتيقة . وشبههم بالجمال الزهر ، فى اطمئنانها فى مشيها وإشراف هاماتها ، وكأنها لا تحفل بشىء ، من وقارها وعتقها . يعنى أنهم كرام أهل سؤدد ووقار وركانة ورزانة ، إذا لبسوا الدروع ومشوا إلى الحرب لم يفارقهم شىء من ذلك . يعصمهم : يمنعهم ويحميهم ويكفيهم عدوهم . ضرب : يعنى ضرب بالسيوف فى الملحمة . ونكره زيادة فى تفخيمه وتهويله ، كأنه قال : ضرب معلوم مشهور لا مثيل له . وعرد الرجل عن قرنه : أحجم ونكل وفر منهزماً . والتنابيل جمع تنبال : وهو القمىء القصير . والسود : ذم لهم ، لم يعن سواد الألوان على الحقيقة ، بل ما يطمس المحاسن من ذميم الأخلاق والأفعال .

(٢١ م)

/مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَيَاةِ، فلا يَزَلْ ... فى مِقْنَبٍ من صَالِحِ الأَنْصَارِ[1]

البَـــاذِلِينَ نُفُوسَهُمْ لنَبِيِّهِم ... يَوْمَ الهِيَاجِ وسَطْوَةِ الجَبَّارِ[2]

يتَطَهَّرُونَ - كأنَّهُ نُسُكٌ لَهُمْ - ... بِدِمَاءِ من عَلِقُوا من الكُفَّارِ[3]

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ صَدْمَةً ... ذَلَّتْ لوَقْعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ[4]

يعنى بنى عَلِىّ بن مَسْعود، وهم بنو كِنانة.[5]

فكساهُ النبىُّ صلى الله عليه وسلم بُرْدَةً، اشتراهَا معاويةُ من آلِ كعب بن زهير بمالٍ كثير قد سُمِّي.[6] فهى البُرْدةُ التى تلبَسُها الخلفاء فى العِيدَيْن. زَعم ذلك أَبَان.[7]

° ° °

---

(١) ديوان: ٢٥. الكرم: العزة والشرف، يريد، أن يعيش حياة عزيزة مكرمة، والمقنب: جماعة الخيل والفرسان. يذكر أنهم أهل حرب وبأس وعدة.

(٢) هذا البيت يأتى بعد أبيات فى صفة الأنصار. يوم الهياج، هياج الشر، وهو يوم الحرب. والسطوة: شدة البطاش، وذلك يوم الحرب أيضاً حين تستحر ولا يبقى إلا جبار يبطش بجبار.

(٣) وهذا يأتى بعد أبيات كثيرة أيضاً. التطهر هنا: هو التطهر من الذنوب بتوبة أو ذبيحة يذبحها قرباناً يفتدى به من معصيته. والنسك: العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله، ومنه سميت الذبيحة نسكا. علق الشيء وعلق به: نشب فيه وتعلق به ولزمه. يعنى من وقع فى المعترك من الكفار فألحوه القتال فلم يجد مخلصاً.

(٤) الصدم: فى الأصل، ضرب الشيء الصلب بشيء صلب مثله. ونزار بن معد بن عدنان، تفرعت منه قبائل عدنان، ومنهم قريش وبنو كنانة.

(٥) فى المخطوطة «.. بن سود» وهو خطأ، إنما عنى قريشاً، وأهل مكة جميعاً من بنى كنانة ابن خزيمة. وقوله كنانة هم بنو على بن مسعود، يعنى بنى عبد مناة بن كنانة أخو النضر بن كنانة جد قريش. وإنما سموا علياً لأن عبد مناة بن كنانة كان له أخ لأمه، وهى امرأة من بلى، هو على بن مسعود الغسانى، فلما مات عبد مناة بن كنانة حضن على بن مسعود على ولد أخيه فسموا: بنى على. وأطلق كعب التسمية على قريش كلها، لأن بنى كنانة كانوا ولاة البيت قبل قريش، ثم كانوا معهم فى مكة.

(٦) البردة: شملة مخططة مربعة من صوف لها هدب. انظر المصون: ٢٠٤، ونقل عن ابن سلام كلاماً غير هذا.

(٧) يعنى أبان بن عثمان البجلى.

الحطيئة

١١٩ — وكان الُحطَيْئة مَتِينَ الشعْر شَرُود القافية .[١] وكان راوية لزُهَيْرٍ وآلِ زهير ، واستفْرغَ شعرَه في بني قُرَيْع .[٢]

١٢٠ [٣] وقال لكعب بن زُهير : قد علمتَ رِوَايتى شِعْرَ أهلِ البيتِ وانقطاعى ، وقد ذهبَ الفحولُ غيرى وغيرُك ، فلو قلت شعراً تذكرُ فيه نفسَك وتضَعُنى موضعاً ،[٤] فإن الناس لِأشعارِكم أرْوَى وإليها أسْرَع . فقال كعب :

فمَنْ للقوافِى شَانَها مَنْ يَحُوكُها ... إذاماثَوَى كَعْبٌ وفَوّزَ جَرْوَلُ[٥]

يقول ، فَلا يَعْيَى بشىءٍ يقُوله ، ... ومِنْ قَائليها من يُسِيءُ ويَعْمَلُ[٦]

---

(١) قافية شرود : سائرة نزالة فى مواسم الناس ، تشرد كما يشرد البعير ويبعد الذهاب فى الأرض ، والقافيه هنا : القصيدة . قال أبوالفرج فى الأغانى بعد هذا (٢: ١٦٥ الدار) : « وكان دنىء النفس ، وما تشاء أن تطعن فى شعر شاعر إلا وجدت فيه مطعناً ، وما أقل ذلك فى شعره . قالا (يعنى أبا عبيدة وابن سلام) : فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئة راوية زهير وآل زهير فقال له : قد علمت روايتى . . . »

(٢) قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وابنه جعفر بن قريع ، أنف الناقة . مدح الحطيئة ولده ، حتى صار هذا اللقب فخراً لهم بعد أن كان نبزاً يغضون منه .

(٣) الخبران : ١٢٠ ، ١٢١ رواهما أبو الفرج فى الأغانى ٢ : ١٦٥ ، ١٦٦ (الدار) و١٧ : ٨٢ (هيئة الكتاب) ، والشعر والشعراء : ١٠٦ ، مختصراً

(٤) فى كتاب « الغرة » ، « وتضعنى معك موضعا » ، وفى الأغانى « موضعاً بعدك »

(٥) ديوانه ٩٥ . وفى بعض الكتب وفى « م » « شأنها » وهو خطأ صرف . شانها : جاء بها شائنة معيبة ، وحاك الثوب يحوكه : نسجه . يريد نسج الشعروتجويده . وثوى : هلك ، وأقام فى المنزل الذى لايبرح نازله — القبر . وفوز وفاز : مات ، وكأنهم جعلوه نجاة للمرء من شر هذه الدار . يقول : إذا ماتا فلن تسمع من الشعر إلا كل شائن معيب . وجرول : هوالحطيئة .

(٦) هذا بيت لا غنى عنه . والضمير فى « يقوله » راجع على الحطيئه . والرجل يتكلف عملا فيعيي به وعنه : إذا لم يهتد لوجه عمله . وقوله « من يسىء ويعمل » مقلوب ، ويريد من يعمل ويسىء ، وعنى بالعمل هنا الاجتهاد فى العمل . ومنه قولهم : فلان ابن عمل ، إذا كان قوياً عليه مجتهداً فيه . وفى بعض نسخ الأغانى « ويعجل » . و « ويجمل » وليستا بشىء .

كَفَيْتُكَ ، لا تَلقَى من النّاس واحداً تَنخَّلَ منها مثلَ ما يَتَنَخَّلُ[١]
يُثقِّفُها حتّى تَلِينَ مُتُونُها فيَقْصُرُ عنها كلُّ ما يُتَمثَّلُ[٢]

١٢١ — فاعترضه مُزَرِّد [بن ضِرار ، واسمه يزيد ، وهو أخو الشَّمّاخ ، وكان عِرِّيضاً — [أي شديدَ العارضةِ كثيرَها] [٣] — فقال : [٤]

وَبِاسْتِكَ إذْ خَلَّفتَنِي — خَلْفَ شاعرٍ من النّاس — لم أُكْفِئْ ولم أَتَنَحَّلِ[٥]
فإن تَجْشِبَا أَجْشِبْ ، وإن تَتَنَخَّلا ، وإنْ كنتُ أَفْتَى منكما ، أَتَنَخَّلِ[٦]

---

(١) كفيتك هنا : بمعنى حسبك وكفاك . تنخل الشيء : اختاره واصطفاه ، ونقاه مما يعيبه .

(٢) التثقيف للرماح : أن يسوى بالثقاف ، وهى خشبة صلبة فى طرفها خرق يتسع للرمح أو القوس ، فيدخل فيها حتى يقوم ويلين . والمتون جمع متن : وهو جنب الظهر ، ومتن الرمح والسهم وسطهما . يقول إنه يجود صنعة الشعر حتى يستوى فلا يبقى فيه عوج ولا تعقيد . وقصر عن الشيء : وقع دونه ولم يبلغه . يقول : أجود ما يتمثل به من الشعر ، أى ، ما ينشده المنشدون ، لا يدانى جيد شعر الحطيئة .

(٣) الزيادة بين الأقواس من الأغانى . العريض : الذى يكثر أن يتعرض للناس بالشر ، ولا يكون ذلك إلا من جلد وصرامة ، ولذلك جاء فى الشرح : شديد العارضة ، وهو الرجل الشديد ذو الجلد والصرامة والقدرة على الكلام .

(٤) ذكر الحاتمى فى الرسالة الموضحة : ١٥٠ ، ١٥١ بيتين من شعر مزرد ، غير هذه الأبيات ، وهما :

مَرَرْتُ على كَعْبٍ فبذّلْتُ أَوَابِدِى أوابدَ تعلُو فوق كعبٍ وجَرْوَلِ
فهل خُضْتَ بحراً قصَّرَ النّاسُ دُونَهُ من الشِّعْرِ ، أم هل قُلْتَ ما لم تَقَوَّلِ

(٥) وباستك : سب قبيح . وقوله : خلف شاعر من الناس ، نداء يعنى يا خلف شاعر . يقال : هذا خلف سوء لناس : إذا كان رديئاً خسيساً لا خير فيه . يقول : كيف تتركنى ، يا خلف السوء ، وأنا لم أكفئ ولم أنتحل ؟ والإكفاء ، وهو الإقواء : اختلاف إعراب القوافى ، مضى تفسيره فى رقم : ٩٠ ، ٩٢ من كتابنا هذا . وتنحل الشعر وانتحاله : ادعاه لنفسه وهو من كلام غيره .

(٦) إن صحت المخطوطة ، فهى من قولهم : كلام جشيب أى غليظ جاف ، فقوله : تجشبا ، أى تأتيا بكلام غليظ جاف لم يثقف ولم ينق . والرواية الأخرى فى الأغانى « فإن تخشبا أخشب » . يقال : خشب الشعر يخشبه : أى أمره كما يجيئه ، لم يتأنق فيه ولم يتعمل فيه ، ولم يحكمه ولم يجوده . وقوله : أفتى منكما : أى أصغر منكما سناً وأطرى عوداً .

وَلَسْتَ كَحَسَّانَ الْحُسَامِ بنِ ثَابِتٍ ... وَلَسْتَ كَشَمَّاخٍ وَلَا كَالْمُخَبَّلِ[١]

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِنْ أَهْلِ قُدْسِ أُوَارَةٍ ... أَحَلَّتْكَ عَبْدُ اللهِ أَكْنَافَ مُبْهِلِ

مُبْهِل : جَبَل لعبد الله بن غَطَفان . وقُدْس أُوارة : جبل لمُزَيْنَة .[٢] فعزاه إلى مُزَيْنَة .

١٢٢ — وكان أبو سُلْمَى وأهلُ بيته في بني عبدالله بن غطفان، فبهم يُعْرَفُونَ، وإليهم يُنْسَبُونَ ، فقال كعبُ بن زُهَيْر يُثْبِتُ أنه من مُزَيْنَة :

ألَا أَبْلِغَا هٰذَا المُعَرِّضَ آيَةً : ... أَيَقْظَانَ قالَ القوْلَ إذ قالَ أَوْ حَلَمْ[٣]

---

(١) المعاب الكعب بن زهير . والمخبل : هو المخبل السعدي ، يأتي ذكره في الطبقة الخامسة رقم : ١٨٤ وما بعده . وفي المخطوطة : « ولا كالمنخل » والصواب ما في سائر المراجع .

(٢) الخلاف في قدس أوارة طويل . انظر معجم ما استعجم : ١٠٥٠ فهو يرويه ويصححه « قدس وآرة » ، ويقول : قدس : جبل لمزينة . وآرة جبل لجهينة ، وهما بين حرة بني سليم وبين المدينة . وانظر ماقاله أخي الأستاذ العلامة حمد الجاسر في نقده لهذا الكتاب . **ومجلة العرب ٩ : ١٣٣**

(٣) ديوانه : ٦٤ . والاستيعاب ١ : ٢٢٠ ، وفيهما : « أنه » ، مكان « آية » ، وهي ضعيفة جداً ، والصواب ما في المخطوطة . وقد جاء أبو جعفر الطبري بهذا البيت شاهداً على أن « الآية » ، القصة ، وأن كعباً عني بقوله « آية » ، رسالة مني وخبراً عني . و« الآية » بمعنى الرسالة ، لم تذكره كتب اللغة ، ولكن شواهده لا تعد كثرة ، من ذلك قول حجل بن نضلة (الأصمعيات : ٤٣) :

أبلغْ مُعَاوِيَةَ المُزَنَّقَ آيَةً ... عَنِّي ، فلستُ كبعضِ ما يُتَقَوَّلُ

وقول أبي العيال الهذلي : (شرح أشعار الهذليين : ٤٣٣) :

أبلغ معاوية بن صخرٍ آيةً ... يَهْوِي إليك بها البريدُ الأعجلُ

وهذا تفسير واضح في الشعر ، وأوضح منه قول القائل (الأشباه والنظائر ١ : ٧)

أتتني آيةٌ من أُمِّ عمرو ... فكِدْتُ أغصُّ بالماء القَرَاحِ

فما أنْسَى رسَالَتَها ولكن ... ذَليلٌ من ينُوءُ بلا جَنَاحِ

وفي هذا حجة كافية وبرهان . ورواية الديوان : « أم حلم » . « والمعرض » ، أراد به هنا « المعترض بالشعر المتهجم » .

يقال : حَلَمَ فى المنام ، وحَلُم [من الحِلْم] [١] — إلى قوله :

[أعيَّرتَنِى عِزًّا عزيزاً ، ومَعْشراً   كِرَاماً بَنَوْا لِى المجدَ فى بَاذِخٍ أَشَمّْ ؟
همُ الأَصْلُ مِنِّى حيثُ كنتُ ، وإنّنى]   من المُزَنِيِّينَ المُصَفَّيْنَ بالكَرَمْ [٢]

وقد كانتِ العرب تفعَلُ ذلك ، لا يُعْزَى الرّجل إلى قبيلةٍ غيرِ الّتى هو منها ، إلاّ قَالَ : أنا من الّذين عِبْتَ . [٣]

☆ ☆ ☆

١٢٣ — كان أبو ضَمْرَةَ ، يزيدُ بن سِنان بن أبى حَارِثَة ، لاحَى النابغة فَنَماه إلى قُضَاعة ، [٤] فقال النابغة :

---

(١) هذه زيادة لابد منها ، وسياق الكلام يدل عليها .

(٢) وزدت ما بين القوسين ، لأنى أظنه كان ثابتاً فى أصل ابن سلام ، ويدل على ذلك كلامه بعده . وليس من عادته أن يختصر هذا الاختصار المخل . ومخطوطة المدينة ، كما تعلم ، كثيرة الاختصار والإخلال . والكرم : العتق والعز ، صفاهم عتق أصولهم وعز أوائلهم .

(٣) فى « م » : « الذين عنيت » ، وليس له معنى يطمأن إليه . ويؤيد ما ذهبنا إليه قول كعب : «أعيرتنى عزا» وقول النابغة بعد « بالنسب الذى عيرتنى » ، أى عبتنى به . ومن هذه الفقرة إلى أول رقم : ١٢٥ ، استطراد وبيان

(٤) أبو ضمرة ، هو أخو هرم بن سنان ، الذى مدحه زهير بن أبى سلمى . ويأتى ذكره فى بعض الكتب بلقبه : « ذو الرقيبة المرى » أو « الأشعر المرى» أو نبزه « المقشعر » ، لأنه كان إذا حضر حرباً اقشعر . ولاحى فلان فلاناً : نازعه وسابه . ونماه وعزاه ونسبه إلى كذا ، واحد فى المعنى . أبو ضمرة من بنى نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . والنابغة من بنى يربوع ابن غيظ بن مرة بن عوف . . . وكانت أخت النابغة تحت أبى ضمرة فطلقها ، وهاج الشر بينه وبين النابغة ، فكان يقول له : والله ما أنت من قيس عيلان ، وما أنت إلا من قضاعة . وكانوا يزعمون أن رهط النابغة بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، إنما هم بنو يربوع بن تيم بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة بن سعد هذيم ، من قضاعة . وذكر ابن السكيت فى ديوان النابغة ، أن يزيد قال للنابغة :

الحَقْ بِسَحْمَةَ ، إنّ أصلك مِنْهُمُ   حُقَّ ابنُ سحمَةَ أن يكونَ لئيما

فقال النابغة يرد عليه . « سحمة » هى سحمة بنت كعب بن عمرو ، من قضاعة ، وهى أم ولد عوف بن عامر بن عوف الأكبر ، ويقال لهم : بنو سحمة .

جَمِّعْ مِحَاشَكَ ، يايزيدُ ، فإنّنى أعدَدْتُ يَرْبُوعاً لكم وتَميما[(١)]
ولَحِقْتُ بالنَّسَبِ الّذى عَيَّرْتَنِى ووجَدْتُ نَصْرَكَ ، يا يزيدُ ، ذَميما
حَدِبَتْ علىَّ بُطُونُ ضِنَّة كُلُّها ، إنْ ظالماً فيهمْ وإنْ مَظْلوما[(٢)]
لَوْلَا بنو نَهْدِ بن عَوْفٍ أصْبَحَتْ بالنَّعْفِ أُمُّكَ ، يايزيدُ ، عَقيما[(٣)]

(١) ديوانه : ٧٣ ، (١٧٨) . كان أبو ضمرة قد جمع بنى ثعلبة بن غيظ بن مرة بن عوف ، وبنى صرمة بن مرة بن عوف ، وبنى مالك بن مرة ، وبنى سهم بن مرة ، وبنى خصيلة بن مرة ، على أبناء عمومتهم بنى يربوع بن غيظ بن مرة (رهط النابغة) ، فأوقدوا — على عادتهم — ناراً وتحالفوا لديها على بنى يربوع ، فسماهم «المحاش» ، سخرية بهم وهزءاً ، جعلهم كالشىء الذى محشته النار فأصبح رماداً لا خير فيه . ومحشتهم النار : أحرقتهم حتى صاروا حمما . وقوله : «أعددت يربوعا لكم وتميما» يعنى قومه بنى يربوع بن غيظ بن مرة الذين نسبهم أبو ضمرة إلى قضاعة ، وبنى تيم بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة ، الذين نسب إليهم ، كما ترى فى التعليق السابق .

(٢) هو من شواهد سيبويه ١ : ١٣٢ ، حدب على فلان وتحدب : تعطف وحنا عليه ، وصار له كالوالد الحدب الشفيق . و « ظالماً » منصوب على حذف كان ، ويكثر فى مثله حذفها ، ويقول : ينصروننى على كل حال ، إن كنت فيهم ظالماً أو مظلوماً .

(٣) رواية الديوان : «لولا بنو عوف بن بهثة» يعنى عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان . أما بنو نهد بن عوف ، فلم أعرفهم ، ولعله زيد بن عوف كما سيأتى ، أو نهد بن زيد فى قضاعة . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مجرى السيل فى بطن الوادى . وروى الوزير أبو بكر البطليوسى فى شرح ديوان النابغة : « عيره بهذا اليوم ، وهو يوم قراقر ، وكان عمرو بن كلثوم أغار فأصاب ثعلبة بن غيظ بن مرة ، فأغاثهم زيد بن عوف فى قومه بنى عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان ، فاستنقذوا ما فى يد عمرو بن كلثوم وأسروه » .

وفى الأغانى ج ١١ : ١٠٨ وما بعدها خبر فيه ذكر أم أبى ضمرة ، وهى سلمى بنت كثير ابن ربيعة ، من بنى غنم بن دودان بن أسد (وبنو أسد حلفاء بنى غطفان) ، وكانت دفعت شرحبيل بن الأسود بن المنذر (أخا النعمان بن المنذر) ، إلى الحارث بن ظالم المرى فقتله ، فغزا الأسود بنى ذبيان وبنى أسد ، وأخذ سنان بن أبى حارثة المرى (أبو هرم بن سنان ، وأبى ضمرة بن سنان) فأتاه الحارث بن سفيان أحد بنى الصارد (وهم من بنى مرة بن عوف من غطفان) ، فاعتذر إليه أن يكون سنان علم أو اطلع على مافعلته امرأته ، وحمل دية شرحبيل عن سنان ، فخلى الأسود سبيله .

فلعل بيت النابغة يشير إلى هذه الحادثة : وهو أقرب إلى السياق ، وتؤيدها رواية الديوان « بالنعف أم بنى أبيك عقيما » . يقول له : لولا هؤلاء الذين نصروا أباك واستنقذوه ، لبقيت أمك عاقراً لم تلد أنت ولا إخوتك .

— ضِنَّة بن كَبِير بن عُذْرَة .[١]

١٢٤ — وكان رهطُ الزِّبْرِقان بن بَدْر يُخْلَجُون إلى بنى كَعْب بن يَشْكُر ، إلى ذِى المَجَاسِد ، عَامِر بن جُشَم بن كَعْب ،[٢] فقال الزبرقان:

فَإن أَكُ من كَعْبِ بن سَعْدٍ ، فإنّنى رَضِيتُ بِهم من حَىِّ صِدْقٍ وَوالِدِ[٣]
وإن يَكُ مِنْ كَعْبِ بنِ يشْكُر مَنْصِبِى فَإنَّ أَبَانا عامِرٌ ذُو المَجَاسِدِ[٤]

* * *

١٢٥ — قال ابنُ سَلَّام :[٥] ولقد أَخبرَنى بعضُ أهلِ العِلمِ من غَطَفَان أنَّهم من بَنى عبدِ الله بن غَطَفان ، وأنَّ اعتزاءه إلى مُزَيْنة كقولِ هؤلاء ،

---

(١) فى المخطوطة : « كثير » ، وهو خطأ .

(٢) خلجه : إذا جذبه وانتزعه . ويستعمل فى النسب إذا نوزع فيه ، كأنه جذب من قوم إلى قوم وانتزع . ومنه قوم خلج (جمع خليج) : إذا شك فى أنسابهم ، فتنازع النسب قوم وتنازعه آخرون . والزبرقان بن بدر ، من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، من مضر بن نزار . وأما بنو كعب ، فهم بنو كعب بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط ، من ربيعة بن نزار . وذو المجاسد : سيد بكر بن وائل فى الجاهلية وصاحب مرباعهم ، وهو أول من أعطى الذكر حظين والأنثى حظاً ، كأنه عاد بهم إلى الحنيفية شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام. ويسمى ذا المجاسد ، لأنه كان يصبغ ثيابه بالجساد ، وهو الزعفران . ومنه ثوب مجسد (بضم الميم وفتح السين) ، وجمعه مجاسد : أى أشبع صبغه من الزعفران أو من الحمرة .

(٣) فى المخطوطة « من سعد بن كعب » ، وهو خطأ محض ، كما ترى من سياق نسبه آنفاً . وأتى على الصواب فى الاشتقاق : ٢٠٦ . حى صدق ، بالإضافة ، أى يلزمون الصدق فى المودة وفى العمل وفى الحروب ، من جلدهم وشدتهم وعتقهم .

(٤) المنصب والنصاب : الأصل والمنبت الذى يرجع إليه النسب . يقال : فلان إلى منصب صدق ونصاب صدق ، أى هو كريم المحتد والأصل .

(٥) رجع إلى إتمام حديثه فى الفقرة : ١٢٢ . والضمير فى الكلام يرجع إلى بيت أبى سلمى وولده .

وأما العامّة فهو عندهم مُزَنِيّ.[١] وليس لزهير، ولا لِبَنيه صَلِيبيةً،[٢] شعرٌ يَعْتَزُون فيه إلى غَطَفان ولا مُزَيْنة، إلاّ بيتُ كعبٍ ذاك، وقولُ بُجَيْر:

[صَبَحْناهم بسَبْعٍ من سُلَيمٍ]   وألفٍ من بَنِي عُثْمانَ وَافِ[٣]

وقد يجوز أن يكون يعنى غيرَ قومه من المُزَنِيِّين، فذكرهم كما ذكر سُلَيْماً.[٤]

١٣٦ — ولم يَزَلْ فى ولدِ زُهَير شعرٌ. ولم يتّصِلْ فى وَلَد أحدٍ من فُحول الجاهليّة ما اتّصل فى وَلد زُهيرٍ، ولا فى وَلَدِ أحدٍ من الإسلاميين ما اتّصل فى ولد جَريرٍ.[٥]

° ° °

١٢٧ — وكان الحُطَيئة قد عُمِّر دَهْراً فى الجاهليّةِ، وبقى فى الإسلام

---

(١) يعنى أن اعتزاء كعب إلى مزينة، كاعتزاء الذين ذكرهم فى استطراده، حين عيروا أو اختلجوا عن قومهم إلى قوم آخرين، فقالوا: نعم، نحن منهم، وأثنوا عليهم. والعامة: يعنى عامة أهل العلم والأدب لا أهل الجهالة من أغفال الناس.

(٢) فى المخطوطة «أصلية»، وليس لها معنى. يقال عربى صليبة، أى خالص النسب من صلب العرب. وامرأة صليبة: كريمة المنصب عريقة، وصليبة الرجل: من كان من صلب أبيه. ومنه قولهم: آل النبى صلى الله عليه وسلم، الذين تحرم عليهم الصدقة، هم صليبة بنى هاشم وبنى المطلب، أى الذين من صلبهم.

(٣) تمام البيت من سيرة ابن هشام ٤ : ٦٨. وهذا شعر بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم فتح مكة، وكانت بنو سليم بن منصور سبعمئة، وهو قوله: سبع من سليم. وكانت بنو مزينة ألفاً، وهم بنو عثمان بن عمرو بن أد، فنسب إلى أمه مزينة بنت كلب بن وبرة.

(٤) يعنى أنه ذكر مزينة: وهم بنو عثمان، كما ذكر بنى سليم بن منصور، وهو ليس منهم.

(٥) انظر ما سلف رقم: ١١٧، تعليق: ١:

حيناً ، وكان جَشِعاً سَؤُولا .[١]

١٢٨ - وكان مع عَلْقَمة بن عُلاثَة حين نافر عَامِر بن الطُّفَيْل ، فقال يفضِّل عَلْقَمة :

/ ياعَامِ ، قد كنتَ ذَا بَاعٍ ومَكْرُمةٍ ... لَوْ أَنَّ مَسْعاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ [٢] (٢٢٣م)

جَارَيْتَ فَرْعاً أَجَادَ الأَحْوَصانِ بِهِ ، ... ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ ، في عِرْنِينِهِ شَمَمُ [٣]

لاَ يُصْعِبُ الأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ ، ... ولا يَبِيتُ على مَالٍ له قَسَمُ [٤]

---

(١) رقم: ١٢٨ ، ١٢٩ ، استدلال على قدمه في الجاهلية ، ثم رقم : ١٣٠ استدلال آخر على أنه كان جشعاً سؤولا . والجشع : هو شديد الحرص ، الذي يأخذ نصيبه ويطمع في نصيب غيره ، والسؤول : الملحف في السؤال . وانظر ما نقلته عن الأغاني آنفا رقم : ١١٩ ، تعليق : ١ ، وانظر رقم : ١٣٠ .

(٢) ديوانه: ٦٤ ، (١٦) ياعام : ترخيم ياعامر . والباع : السعة في المكارم والشرف ، وأصله من الباع : وهو قدر مد اليدين إذا بسطتها وما بينهما من البدن . والمسعاة وجمها المساعي ، هي مآثر أهل الشرف والفضل لسعيهم فيها ، كأنها مكاسبهم وأعمالهم التي أنصبوا أنفسهم في طلبها . وأمم : قريب مقارب .

(٣) الفرع : الشريف الذي يعلو قومه بكرمه وفعاله . والأحوصان : الأحوص بن جعفر ابن كلاب ، وولده عمرو بن الأحوص ، وساد قومه ، فلما قتل مات أبوه وجداً عليه . وعلقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص . والذي في شعر الحطيئة يدل على أنه عنى بالأحوصين : الأحوص بن جعفر وابنه عوف بن الأحوص ، وبنو الأحوص يسمون جميعاً الأحاوص . ويقال . أجاد به أبواه : إذا ولداه جواداً شريفاً . الدسيعة : العطية الواسعة ، أي يعطى فيجزل العطية . وعرنين الأنف : ماتحت مجتمع الحاجبين ، وهو أول الأنف حيث يكون الشمم . والشمم عند آبائنا دليل على العتق والأصالة ، ولذلك يوصف به الأحرار الذين لايقبلون ضيما .

(٤) أصعب الأمر : وافقه صعباً أووجده شاقا . (انظر رقم : ٢٨٣) . يقول: لايكاد ينظر في أمر فيجده صعباً وعراً فيتوقف فيه إلا بقدر ساعة ركوبه ، من شدة بأسه وجلده وقدرته على التصرف ، ولا يفعل فعل اللئام ، فيقسم على ماله وإبله أن لاينحرها لأحد أو يهب منها له ، وأن لايجود بشيء منها ، في غضب أو خصام . (انظر اللآلى : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ومجالس ثعلب : ٣١٠)

وكان الأعشى مع عامر بن الطفيل ولَبيد بن ربيعة .

١٢٩ — وشهد الحطيئةُ نِفَارَ عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر ، أحد بنى عَدِىّ بن فَزَارة [١] ، وزَبّانِ بن سَيَّار بن عَمْرو بن جَابِر ، أحد بنى مازن بن فَزَارة ، فقال يفضِّل عُيَيْنة على زَبَّان :

أَبَى لَكَ آبَاءٌ ، أَبَى لَكَ مَجْدُهُم ... سِوَى المَجْد، فانظُرْ صاغراً مَنْ تُنافِرُهْ [٢]

قُبُورٌ أَصَابَتْها السُّيُوفُ ثلاثةٌ ... نُجُومٌ هَوَتْ فى كلِّ نَجْمٍ مَرَائِرُهْ [٣]

فَقَبْرٌ بأَجْبالٍ ، وقَبْرٌ بحاجِرٍ ، ... وقَبْرُ القليبِ أسْعَرَ الحَرْبَ سَاعِرُهْ [٤]

وشَرُّ المَنَايا هَالِكٌ وَسْطَ أَهْلِهِ ... كَهُلْكِ الفَتَاةِ أَيْقَظَ الحَىَّ حاضِرُهْ [٥]

« قبرٌ بأَجْبالٍ » : يريد قبرَ بَدْر بن عَمْرو ، قتيلِ بنى أَسَد بن خُزَيمة .

---

(١) عيينة بن حصن ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأحمق المطاع ، فى خبر طويل .

(٢) المجد : الكرم والشرف القديم فى الآباء . والصاغر : الذليل المهان . والمنافرة : أن يفتخر كل رجل على صاحبه ، أيهما أعز نفراً ، ثم يحتكمان إلى حكم يغلب أحدهما على صاحبه . ويقول: يمنعك أن تطاول هؤلاء الآباء فى مجدهم ، ما أنت فيه من الذلة ، فانظر من تفاخر ؟

(٣) « فى » هنا بمعنى « مع » . والمرائر جمع مريرة ، وهى عزة النفس . يقول : قتلوا فهوت نجوم ، مع كل نجم عزة نفسه ، لم يقبل ضيما ولا ذلا ولا مات على فراشه .

(٤) روى فى معجم ما استعجم : ١١٢ « أسعر القاب » . يقول: أسعر نار الحرب من أسعر فى هذا القبر أحقاد المطالبين بثأر هذا القتيل .

(٥) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١٠٩ ، منسوباً ، وفى تفسير الطبرى ١ : ٣١٧ ، وأمالى الشريف ١ : ٤٩ ، منسوباً للحطيئة ، وغير منسوب فى شرح السبع الطوال : ١٠٥ ، مع خطأ فيه ، وما يجوز للشاعر فى الضرورة للقزاز : ٢٨ ، ٧٨ ، وروايه جميعها : « وشر المنايا ميت » ، ورواية العجز : « كهلك الفتى قد أسلم الحى » ، إلا الطبرى فإنه روى: « كهلك الفتاة أسلم الحى » . يقول : شر المنايا منية هالك وسط أهله ، وذلك موته حتف أنفه على فراشه ، لا يشهد حرباً حمية ولا حفاظاً ، إنما يموت كما تموت الفتاة المقصورة فى بيت أهلها ، تموت فتبكى ، فيستيقظ الناس من صوت الباكين عليها .

و « قبرُ القليب » ، وهو الهَبَاءة : قبرُ حُذَيفْة بن بدر بن عمرو ، قَتيل بني عَبْس .و « قبرٌ بحاجِر » : يعنى قبرَ حِصْن بن حُذَيفْة بن بدرٍ ، قتيلِ بنى عُقَيْل بن كَعْبٍ ونُمَيْر بن عامرٍ .

١٣٠ — [1] قال : [كان الحطيئة سؤولاً جَشِعاً] ، فقدم المدينةَ وقد أرْصَدتْ له قريشٌ العَطايا ، [والناس فى سنة مُجْدِبةٍ ، وسَخْطَةٍ من خَليفة . [2] فمشى أشْرافُ أهلِ المدينةِ بعضُهم إلى بعضٍ ، فقالوا : قد قَدم علينا هذا الرجُل ، وهو شاعرٌ ، والشاعرُ يظنُّ فيحقِّقُ ، وهو يأتى الرجُلَ من أشرافكم يسألُه ، فإن أعطاهُ جَهَدَ نَفْسه بَهَرَها ، [3] وإن حَرَمه هجاهُ . فأجمعَ رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قُرَيش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارًا ، حتى جمعوا له أربعمئة دينار ، وظنُّوا أنهم قد أغنَوْهُ ، فأتوه فقالوا له : هذه صِلَةُ آل فلانٍ ، وهذه صلةُ آل فلانٍ . فأخذها ،

- وقوله « حاضره » الضمير عائد إلى الموت وإن لم يذكر بلفظه ، يعنى نازل الموت . ومنه « حضره الهم والموت ، وحضر المريض واحتضر » (بالبناء للمجهول) : إذا نزل به الموت.

(١) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى أغانيه ٢ : ١٦٤ عن ابن سلام وغيره ، ولأن مخطوطة المدينة كثيرة الاختصار لكتاب الطبقات كما سلف مراراً ، وكما سيأتى ، فإنى أظنه اختصر خبر ابن سلام اختصاراً شديداً ، فجعله هكذا : « وقدم الحطيئة المدينة ، وقد أرصدت له قريش العطايا. فقام بعد الصلاة فقال : من يحملنى على نعلين » ، والخبر هكذا ضعيف الدلالة على جشع الحطيئة ودناءته ، فلذلك أثبت نص الأغانى ، وفى أوله الكلمة التى سلفت برقم : ١٢٧ .

(٢) أرصد له شيئاً : أعده له . وقوله : سخطة من خليفة ، أى غضبة منه على أهل المدينة ، ولعل ذلك كان فى زمن معاوية رضى الله عنه ، وقد مات الحطيئة سنه ٥٩ من الهجرة .

(٣) بهر نفسه : تكلف الجهد حتى يضيق عنه ذرعه ، وينقطع من الجهد .

فظنُّوا أنهم قد كَفَوْهُ عن المسئلة ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمامَ ماثلاً يُنادِي [بعد الصّلاة ، فقال : مَنْ يَحْمِلُنى على نَعْلين [وقاه الله كَبَّةَ جهنّم] .[1]

١٣١ — [2] أنا أبو خليفة ، نا ابن سلّام ، قال وأخبرنى يونس النحوىّ ، قال : خرَج الحطيئةُ مع ابنَتِهِ مُلَيْكَة ، وامرأتِهِ أُمامة ، على ذَوْدٍ له ثلاثٍ ، فنَزَلَ منزِلاً وسَرَحَ ذوْدَه . فلما قام للرَّوَاح فَقَدَ إحْداهنَّ ،[3] فقال :

أَذِئْبُ القفرِ أمْ ذِئْبٌ أنيسٌ ... أصابَ البَكْرَ ، أم حَدَثُ اللّيالى ؟[4]

ونَحْنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ ، ... لقد جَارَ الزَّمانُ على عِيالي ![5]

١٣٢ — [6] وكان سببُ هجائِهِ الزِّبْرِقان ، أنّه صادَفَه بالمدينة ، وكان قَدِمَها على عمرَ رضى الله عنه ، فقال الحطيئة : وَدِدْتُ أَنّى أصَبْتُ رجلاً

---

(١) كبة جهنم : شدتها وصدمتها حين يكب فيها لوجهه ، أى يقلب ويلقى فيها.

(٢) هذا الخبر فى الأغانى ٢ : ١٧٣ (الدار) .

(٣) الذود : القطيع من الإبل من الثلاثة إلى التسع ، وجاء فى الحديث : « ليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة » ، كما قيل هنا ثلاث ذود ، جعلت الناقة الواحدة ذوداً ، كما قالوا : ثلاثة نفر وتسعة رهط. وسرحت الماشية ، وسرحها صاحبها ، يتعدى ولا يتعدى : أسامها فى المرعى.

(٤) الأنيس : الذى يؤنس به ، يعنى ذئباً من ذئاب البشر ، وما أكثرهم . والبكر : من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . وحدث الليالى : نوائبها ونكباتها .

(٥) هو من شواهد سيبويه ٢ : ١٧٥ .

(٦) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى الأغانى ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ عن ابن سلام وغيره ، دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ، ولذلك لم أستطع تخليص نص ابن سلام منه ، مع أنه مستقصى بأوضح =

يَحْمِلنى وأُصْفِيه مديحي وأَقْتَصِر عليه.[١] قال الزبرقان: قد أصبْتَه، تَقْدَمُ على أهْلى فإنّى على / إثْرك. فقدم فنزل بحَرَاه،[٢] وأرسَلَ الزّبْرقان إلى امرأته أَنْ أَكْرِمى مَثْواه. وكانت ابنته مُلَيْكَةُ جميلةً، فكرهتْ امرأته مكانَهــا، فظهرتْ لهم منها جفْوةٌ — وبَغِيضُ بن عامر بن لأْيِ بن شَمَّاس، أحدُ بنى قُرَيْع بن عَوْف، يُنازع يومئذ الزِّبْرِقانَ الشَّرَفَ؛ والزِّبْرِقان أحدُ بنى بَهْدَلة بن عَوْف، وبَغِيضٌ أرسخُ فى الشَّرفِ من الزِّبرقان، وقد ناوَأَه الزِّبْرقان ببَدَنه حتى ساوَاه بل اعْتَلاه[٣] — فاغتنم بَغِيضٌ وأخَواه، عَلْقمةُ وهَوْذَةُ، مافيه الحطيئة من الجفْوة، فدعوَاه إلى ماعِنْدَهُما، فأسْرَع. فَبنَوْا عليه قُبَّةً، ونَحرُوا له، وأكرَمُوه كلَّ الإكْرَام، وشدُّوا بكل طُنُبٍ من أطْناب خِبائه جُلَّةً من بَرْنِيِّ هَجَر[٤] — قال: والمُخَبَّل شاعرٌ مُفْلِق، وهو ابنُ عمِّهم

(٢٤ م)

= مما هنا. ورواه أيضاً، بما يشبه مافى الأغانى، ابن السكيت عن محمد بن سلام، فى شرح ديوان الحطيئة (مجلة العرب السنة الثالثة ص: ٣٥٢)، وانظر أيضاً شرح شواهد المغنى: ٣٠٩، والتنبيهات لعلى بن حمزة: ١٤٧ — ١٥٠، ومختارات ابن الشجرى ٣: ٣ — ٨، أما نص مخطوطة المدينة من الطبقات، فهو مختلط، فيما أرى، وسأشير إلى ذلك فى التعليقات بعد.

(١) يحملنى: يريد يكفينى مؤونة العيش. وأصفاه مودته، أو مديحه: أخلصه له وأعطاه صفوه.

(٢) «الحرا»، الناحية والكنف، يقال: «نزل بحراه»، أى بساحته وكنفه.

(٣) البدن: نسب الرجل وحسبه. والحسب: الفعال الصالح الحسن الذى يحسب فى مناقبه.

(٤) الطنب: حبل طويل يشد به الخباء (بيت من وبر أو صوف) بين الأرض والطرائق. و«الجلة»، وعاء من الخوص يوضع فيه التمر، يكنز فيها. و«البرنى» ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة، مدور مذهب الحلاوة، وهو أجود التمر. و«هجر» قاعدة البحرين، مشهور تمرها، وفى المثل: «كمبضع التمر إلى هجر».

يلقاهم إلى أنف الناقة ، وهو جعفر بن قُرَيع .[١] قال : وقَدِم الزِّبْرقانُ أسِيفاً عاتبًا على امرأته — فمدح بَنِي قُرَيْع ، وذمّ الزبرقانَ فاستَعْدَى عليه الزبرقانُ عُمَر ،[٢] فأقدمه عمر ، وقال للزبرقان : ما قال لك ؟ فقال قال لى :

دَعِ المكارمَ لا ترْحَلْ لِبُغْيَتِها وَاقْعُدْ،فإنّكَ أنتَ الطّاعِمُ الكاسِى[٣]

فقال عمر لحسّان : ماتقول ؟ أهجاه ؟ وعُمر يعلم من ذلك مايعلم حَسّان ، ولكنه أرادَ الُحجّة على الحطيئة — قال: ذَرَقَ عليه ! فألقاه عُمر فى حُفْرةٍ اتّخَذَها مَحْبِسًا ،[٤] فقال الحطيئة :

ماذا تقولُ لِأفراخٍ بذى مَرَخٍ حُمْرِ الحَواصلِ، لاماءٌولاشَجَرُ؟[٥]

---

(١) ذكر المخبل هنا ، مقحم فيما يظهره هذا النص ، وقد جاء فى موضعه فى الأغانى ٢ : ١٨١ ، حيث جاء فى الخبر أنه كان أحد رسل بنى أنف الناقة إلى الحطيئة لكى يتحول إليهم . وانظر ماسيأتى بعد فى رقم : ١٣٣ ، وما قلته آنفاً فى ص ١١٤ ، تعليق : ٦ .

(٢) الأسيف : الكئيب الحزين الغاضب . والعاتب : الغاضب . واستعدى فلاناً على فلان فأعداه : استنصره واستعانه ، فنصره وأعانه .

(٣) بغى الرجل الشيء يبغيه بغيه بكسر الباء وضمها : طلبه وسعى إليه . والطاعم والكاسى ، أتى به على النسب ، أى صاحب طعام تشتهيه وكسوة تتخيرها وتأنق فيها . ولذلك قال الزبرقان لعمر إذ قال له : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة . فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس . ثم انظر تفسير الطبرى ١٥ : ٣٣٣ .

(٤) ذرق عليه ، من الذرق : وهو مايلقيه الطائر من ذى بطنه . والمحبس : السجن .

(٥) ديوانه : ٨٠ ، (٢٠٨) قال ياقوت فى مادة (مرخ) : الرواية المشهورة « بذى أمر » . وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . انظر ماقاله الأخ الأستاذ حمد الجاسر ، فى تعليقه على الطبقات . والأفراخ : صغاره ، شبههم بصغار الطير ، حمر حواصلهم ، لم تكس الريش بعد ، إنما هو اللحم بادياً . ويروى « زغب الحواصل » ، عليها الزغب الناعم ، لم تستحكم ، ولا تقوى على طيران .

أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ، فَاْغْفِرْ ، عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ(١)

[أنتَ الإمامُ الذى من بعد صَاحِبِه ألقى إليكَ مَقاليدَ النُّهَى البَشَرُ](٢)

ما آثرُوكَ بِهَا إذْ بايَعُوكَ لَها لَـكِنْ لِأَنْفُسِهِم كانتْ بِكَ الإِثَرُ(٣)

١٣٣ — وكان الزِّبْرِقان شاعرًا مُفْلِقًا ، وكان يُعاتِبُهم ، ولم يكن يهجوهم ، وكان حَليماً .(٤) وكانا فى عداوتهما مُجْمِلين ،(٥) وقد تَقَدّم عليه المخبَّل بالهجاء ، فقال :

لَعَمْرُكَ إنّ الزِّبْرِقانَ لَدَائِبٌ على النَّاسِ يَعْدُو نُوكُه ومَجَاهِلُهْ(٦)

---

(١) الـكاسب : الذى يكسب لهم طعامهم . والمظلمة : البئر التى احتفرها عمر وجعلها سجناً .

(٢) النهى جمع نهية : وهى غاية كل شىء وآخره . والمقاليد : المفاتيح . يريد : فوضوا اليه التصرف فى الأمور العظام التى لايطيق الناس التصرف فيها . وإنما عنى الخلافة .

(٣) آثروك : فضلوك وقدموك على أنفسهم وأكرموك بخيرها . والإثر (بكسر ففتح) جمع إثرة : وهى الخيرة والإيثار . أى آثروا أنفسهم وضمنوا لها الخير بولايتك ، تحمل عنهم المؤونة ، وترد عليهم فضل تدبيرك وعقلك وحزمك .

(٤) مجىء هذا الحديث فى هذا الموضع غريب غير متسق . والضمير فى قوله « يعاتبهم . . . يهجوهم » إلى بنى أنف الناقة وعلقمة وهوذة ، كما مضى فى رقم : ١٣٢ .

(٥) وهذا أيضاً مما يدل على فساد النص واختلاطه . فالضمير فى « كانا » ، فيما أظن ، راجع إلى الزبرقان والمخبل ، الذى أقحم ذكره فى رقم : ١٣٢ كما أشرنا إليه قبل ، وقوله : « وكان مجملين فى عداوتهما » ، ورد فى آخر خبر رواه ابن السكيت عن ابن سلام فى ديوان الحطيئة (مجلة العرب ٣ : ٣٥٥) ، وهذا فيما أرجح ، دليل على اختلاط نسخة المدينة وإخلالها .

(٦) كان من سبب الهجاء بينهما ، أن المخبل خطب إلى الزبرقان أخته خليدة ، فنعه إياها ورده لشىء كان فى عقله . والأبيات من قصيدة رواها صاحب منتهى الطلب ، والاختيارين : ٢٠٢ ، وأربعة أبيات فى الاغانى ٣ : ١٩٢ . والأبيات هنا على غير ترتيب . والنوك : أبلغ الحماقة . والمجاهل ، جمع ليس له واحد ، كقولهم محاسن وملامح ، وهى مثل الجهل : ومعناه الطيش والغضب والأخذ بالحمق والأذى بالناس . ويعدو ، من العدوان : وهو الاعتداء والظلم .

(٢٥ م) / ولمَّا رأيتَ العِزَّ في دارِ أهْلِهِ ... تَمَنَّيْتَ، بعدَ الشَّيبِ، أنَّك ناقِلُهْ[1]

ولمَّا تَرَ الأَخْفَافَ تَمْشِي على الذُّرَى، ... ولمَّا يَكُنْ أعْلَى العِضَاهِ أسافِلُهْ[2]

ولمَّا يَزُلْ عن رَأْسِ صَهْوةَ عُصْمُها، ... ولمَّا يَدَعْ وِرْدَ العِرَاقِ مَنَاهِلُهْ[3]

ويَنْفَسُ في ما أوْرَثَتْني أوائِلي ... ويَرْغَبُ عمَّا أوْرَثَتْهُ أوائِلُهْ[4]

فإنْ كُنْتَ لا تُمْسي بحَظِّكَ راضِيًا ... فدَعْ عَنْكَ حَظِّي، إنَّنِي اليومَ شاغِلُهْ[5]

---

(١) يعني: لما رأيت العز والشرف ونحن أهله ، قد استقر في دارنا ، ظننت بهجائك إياى أن تنقله إلى دارك .

(٢) الأخفاف جمع خف : وهو للبعير كالحافر للفرس . والذرى جمع ذروة : وهى أعلى سنام البعير ، وهى من كل شىء أعلاه . والعضاه : شجر عظام له شوك . يقول : كيف يتم هذا لك ، ولم ينقلب أمر الدنيا بعد ، حتى ترى القدم تمشى على الرأس ، وحتى يصبح الشجر منكوساً فى مغارسه .

(٣) صهوة : فيما أرى ، اسم جبل عال ، وصهوة كل شىء : أعلاه . ولكنى لم أجده جبلا. ورواية الاختيارين : « رهوة » بالراء ، وهو أشبه بالصواب ، و « رهوة » جبل مذكور فى شعر الحارث بن حلزة ، وعمرو بن كلثوم ، وابن مقبل ، وغيرهم . والعصم جمع أعصم : وهو الوعل ، سمى بذلك لبياض فى ذراعيه ، وهو يسكن أعلى الجبال لا يكاد يفارقها . ورد العراق : نهرها الأعظم . والمناهل : منازل السفار وغيرهم على الماء . يقول : وكيف يتم لك ما تريد ، والوعول فى جبالها الشم لم تفارقها بعد ، ولم يجف ماء الفرات بعد ، فلا تجد عنده وارداً ولا مستقياً ؟ وكل ذلك كناية عن شرفه وكرمه وسخائه ، لم يتغير منها شىء ، كما لم تتغير هذه جميعاً ولم تنقلب أحوالها ، وأن الزبرقان لا يبلغ مبلغه ، إلا إذا تبدل كل شىء عن حالته إلى نقيضها .

(٤) البيت تابع لبيت آخر لم يأت فى النسخة . نفس فى الأمر : طمع فيه ورغب ، وهو أمر منفوس فيه ، مرغوب فيه . ورغب عن الشىء : تركه وأعرض عنه زهدا فيه أو ازدراء له . وأعاد الضمير إلى الغائب ، تعجباً وزيادة فى تحقيره ، كأنه قال : ويطمع هذا الذليل فيما ورثت من مجد آبائى ، ويزهد فيما خلف له آباؤه من الضعة والهوان !

(٥) أجود الروايتين « إنى عنك شاغله » ، اللسان (قعا) ، يقول : إن كنت لا تقنع بحظك من المنزلة التى أنزلكها الله فى الناس ، وتطمع فى أن تنال عز غيرك ، فلا تمن نفسك الطمع فى عزى وشرف ، فإنى مانعه منك وشاغلك عما يمضك ويؤذيك . وفيه قلب وأصله « إنى عنه شاغلك » . وأما رواية الأصل ، فكأنه أراد بالشاغل : المانع لحوزته .

أَتَيْتَ امْرَءًا أَحْمَى عَلَى النَّاسِ عِرْضَهُ ... فمازلتَ ، حتّى أنتَ مُقْعٍ ، تُنَاضِلُهْ[1]

فَأَقْعِ كما أَقْعَى أَبُوكَ على اسْتِهِ ... رَأَى أَنَّ رَيْمًا فوقَهُ لا يُعادِلُهْ[2]

١٣٤ – ومدح سَعِيدَ بن العاص ، وكان سعيدٌ لا تأخذه العينُ ، كان يقال له : « عُكَّةُ العَسَل » ،[3] فقال :

خَفِيفُ المِعَى ، لا يَمْلأُ الهَمُّ صَدْرَهُ ، ... إذا سُمْتَهُ الزّادَ الخبيثَ عَيُوفُ[4]

١٣٥ – وقال له أيضًا :

سَعِيدٌ ، فَلَا يَغْرُرْكَ خِفَّةُ لَحْمِهِ ؛ ... تَخَدَّدَ عنه اللَّحْمُ ، وَهْوَ صَلِيبُ[5]

---

(١) أحمى المكان : جعله حمى لا يقربه أحد . وأقعى الكلب وغيره : جلس على استه مفترشاً رجليه وناصباً يديه . وهو في الناس مجاز : أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض ، وينصب ساقيه وفخذيه ، ويضع يديه على الأرض كما يقعى الكلب ، وهي جلسة الذليل المكروب المغيظ يهم بشيء . يقول له : جئت تنازع الشرف كريماً حمى عرضه على كل طامع ، فما زلت تجهد جهدك حتى أقعيت إقعاء الكلب الذليل ، من الكرب والحسد ، تحسب أنك قادر على أن تناله وتساميه .

(٢) الريم : الفضل والزيادة . يقول له : اقنع بما قنع به أبوك من الذل ، حين رأى الشرف أمراً لا يطيق أن يناله ، وأنه ليس بكفء له ، فأقعى إقعاء الكلب المطرد والبيت في المخطوطة هكذا :

فأقع كما أقعى أبوك ، فإنما ... لكُلِّ امرىء ما أورثته أوائلُهْ

والذى أثبت صواب روايته فى كل الكتب .

(٣) فى الاستيعاب ٢ : ٤٥١ : « ذكر محمد بن سلام ، عن عبد الله بن مصعب » ، ويوشك أن يدل هذا على إخلال المخطوطة ببعض أسانيد الأخبار . لا تأخذه العين : تتخطاه ولا تقف عليه ، وقد كان سعيد آدم نحيلا خفيف اللحم (أنساب الأشراف ٤/٢/١٣٠ ، والبيان ١ : ٣١٥ ، ٣ : ١١٦) . ومن أجل ذلك سمى « عكة العسل » . والعكة : زق صغير جدا ، أصغر من قربة السمن . وفى تسميته أيضاً ما يشير إلى ما كان عليه من السخاء العجيب ، لا يرد سائلا .

(٤) ديوانه : ٤٢ ، (٢٥٧) . المعى وجمعه الأمعاء : أعفاج البطن ، وصفه بخمة المعى ، لزهده وقلة اكتراثه بطعام بطنه ، ولا يبيت مهموماً لفاقة مال ، إذا استهلكه فى سخائه وجوده . وسامه على شيء : أراده عليه . يقول : إنه يعاف المكسب الخبيث لا يقربه ، وإن اضطر عليه اضطراراً .

(٥) ديوانه : ٤٢ ، (٢٤٧) . تخدد اللحم : هزل ونقص . وقوله تخدد عنه اللحم ، صفته - -

وهو أحدُ من اتّصَل به الشّرف من خمسة آباء ، وابنُه عَمْرُو ابن سَعيد .(١)

* * *

١٣٦ — [أخبرنى الفضْلُ بن الحُبَاب الجمحىُّ أبو خليفة ، فى كتابه إلىّ ، بإجازته لى ، يذكر عن محمد بن سلام : أن الحطيئةَ كان يَنْتَمى إلى بنى ذُهل بن ثعلبة ، فقال :

إنَّ اليَمَامَةَ خَيْرُ سَاكِنِها ... أهْلُ القُرَيَّةِ من بَنِى ذُهْلِ(٢)

قال : والقُرَيّة ، منازلهم ، ولم ينبُتِ الحطيئة فى هؤلاء] ،

(الاغانى ٢ : ١٥٨)

١٣٧(٣) — [قال محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشعراء : دخل الحطيئة على سعيد بن العاصِ متنكّرًا ، فلما قام الناسُ وبقى الخواصُّ : أراد

= معنى زال وسقط . يقول : هو مع نحوله صليب العود لا يكسر . وكان سعيد أحد الشجعان وأهل البأس في الحروب . ورواية الديوان « فهو صليب » ، وهى أجود .

(١) هو عمرو بن سعيد الأشدق ، كان كأبيه سخياً سيداً لسناً شجاعاً .

(٢) الديوان : ٩٠ ، (٨١) ، ويشير ابن سلام إلى بيت لم يذكره ، وهو قول الحطيئة :

قومٌ إذا انتسبُوا ففرعُهُمُ ... فَرْعى ، وأثبتُ أصلِهم أصلِى

(٣) هذا الخبر أفادنيه أخى الأستاذ السيد أحمد صقر حفظه الله ، فى نقده كتاب طبقات فحول الشعر (مجلة الكتاب ١٢١ : ٣٨٦ فى جمادى الآخرة ١٣٧٢ ، مارس ١٩٥٣) .

الحاجبُ أن يُقيمَه ، فأبىَ أن يقوم ، فقال سعيد : دَعْهُ . وتذاكروا أيّامَ العرب وأشعارَها ، فلما أسهبوا قال الحطيئةُ : مَا صنعتُمْ شيئًا . فقال سعيد : فهل عندك علمٌ من ذلك ؟ قال : نعمْ . قال : فمن أشعرُ العربِ ؟ قال الذى يقولُ :

قَدْ جَعَلَ المبتغُونَ الخيرَ فى هَرِمٍ وَالسَّائلونَ إلى أبوابهِ طُرُقَا

قال : ثم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

فإنَّكَ شمْسٌ والملُوكُ كواكِبٌ إذا طَلَعتْ لم يَبْدُ مِنْهُنَّ كوكَبُ

يعنى زهيرًا والنابغةَ ، ثم قال : وحَسْبُكَ بى إذا وضعتُ إحدَى رجْلَىَّ على الأُخرَى : ثم عَوَيْتُ فى إثْر القوافِى كما يَعْوِى الفصيلُ فى إثْر أُمِّه ! قال : فمنْ أنت ؟ قال : أنا الحطيئةُ . فرحَّب به سعيدٌ ، وأمر له بألف دينارٍ] (شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٩٨) .

الطبقة الثالثة

١٣٨ — أبو ليلى ، نابغة بنى جَعْدَة : وهو قَيْسُ بن عبد الله بن عُدَس بن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة .[(١)]

١٣٩ — وأبو ذُؤَيْب الهُذَلىّ ، وهو خُوَيْلد بن خالد بن مُحَرِّث بن زُبَيْد بن مَخْزُوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد ابن هُذَيْل .

١٤٠ — والشَّمَّاخُ بن ضِرار بن سِنَان بن أُمامة ، أحَــدُ بنى سَعْد ابن ذُبْيان .[(٢)]

١٤١ — ولَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جَعفر بن كِلاب بن رَبيعة ابن عامر .

* * *

١٤٢ — [(٣)] وكان النابغة قديمًا ، شاعرًا مُفْلِقًا ، [طويل البَقاء] فى الجاهلية والإسلام ، وكان أَكْبَرَ من النَّابغة الذُّبْيانى ، ويدُلُّ على ذلك قولُه :

---

(١) روى نسبه أبو الفرج فى الأغانى ٥ : ٤ .

(٢) روى نسبه تاماً عن أبي خليفة عن محمد بن سلام ، أبو الفرج فى الأغانى ٩ : ١٥٨ ، « ... بن أمامة بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان » .

(٣) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى الأغانى ٥ : ٥ ، وصدره فى معجم الشعراء : ٣٢١ .

فَمَنْ يَكُ سائلًا عَنِّى فإِنِّى   من الفِتْيانِ أيّامَ الخُنانِ[1]

/ أَتَتْ مِئةٌ لِعامَ وُلِدْتُ فيهِ   وعَشْرٌ بعدَ ذاكَ وحِجَّتانِ[2] (٢٦ م)

وَقَدْ أبقَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ مِنِّى ،   كما تُبقِى مِنَ السَّيْفِ اليَمانِى

[تفلَّلَ وَهْــو مأثُورٌ جُرَازٌ   إذا اجتَمَعتْ بقائِمِهِ اليَدانِ][3]

وقوله :[4]

ندامايَ عنــدَ المُنذِرِ بن مُحَرِّقٍ   فأَصْبَحَ منهم ظاهِرُ الأرضِ مُقْفِرَا

وكان الذُّبْيانىُّ مع النُّعمانِ وفى عصره ، ولم يكن له قِدَمٌ .

١٤٣ — [5] وكان الجَعْدىُّ مُختلِفَ الشِّعرِ مُغَلَّبًا ، فقال الفرزدق : مَثَلُه

---

(١) « الخنان » ، زكام للابل ، أيام الخنان كانت على عهد المنذر بن ماء السماء . وماتت منه الإبل . وقيل : سمى عام الخنان ، أن بنى عامر بن صعصعة كانت لهم وقعة مع بعض العرب ، فلم يصل بعضهم إلى بعض ، فقال قائل : يابنى عامر ، خنوهم بالسيوف ، من قولهم . « خننت الجذع بالفأس ، قطعته » ، وأنكر الأزهرى هذا الحرف ، وقيل غير ذلك ، انظر التنبيه والإشراف : ٢٠٤ ، الأزمنة والأمكنة ١ : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢ : ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، الأغانى ٥ : ٥ المعمرون : ٦٤ ، واللسان ، والتاج (خنن) ، وانظر شعر النابغة : ١٦٠ ، وتخريجه هناك .

(٢) الحجة : السنة . والأبيات مختلفة الرواية .

(٣) زدت البيت من أمالى المرتضى ١ : ٢٦٤ لأنه تمام المعنى . السيف اليمانى : منسوب إلى اليمن وهم ، يعدونه من أجود السيوف ، يريد : أبقت الأيام له مضاء كمضاء السيف اليمانى ، وإن تقادم عهده بالضراب . وتفلل : تثلم حده من طول القراع . مأثور : باق فيه أثره ، وهو فرنده ورونقه وتسلسله . وقيل : المأثور الذى يقال إنه تعمله الجن ، وليس من الأثر الذى هو الفرند . والجراز : الماضى النافذ فى الضريبة . وقائم السيف : مقبضه . يقول : هو إن تفلل لا يزال حياً كعهده مذ صنعته الجن ، إذا أخذته كف الضارب مضى فى ضريبته . وأراد باليدين هنا كف اليد الواحدة ، وثنى للدلالة على أنه يؤخذ بقوة .

(٤) انظر قصيدته وتخريجها فى شعره : ٥ : ٣٥ — ٧٦ .

(٥) من ١٤٣ - ١٤٥ ، رواه فى الموشح : ٦٥ ، ثم المزهر ٢ : ٤٨٧ ، والعمدة : ٨٨ .

مثلُ صاحبِ الخُلْقان : تَرَى عنده ثَوْبَ عَصْبٍ وثَوْبَ خَزٍّ ، وإلى جَنْبِه سَمَلُ كِسَاءٍ .[١] [وكان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلة التكلّف ، فيقول: عنده خِمارٌ بواف ومُطرَف بآلاف. بواف: يعني بدرهم وثلث] .

— وإذا قالتِ العرب : مُغلَّبٌ ، فهو مغلوب . وإذا قالوا : غُلِّب ، فهو غالبٌ .[٢]

١٤٤ — وغُلِّبتْ عليه لَيْلَى الأَخْيَلِيَّة وأوسُ بن مَغْراء القُرَيْعيّ ، ولم يكن إليه ولا قَرِيباً منهُ . [وغُلِّبَ عليه] عِقَال بن خالد العُقيليّ ، وكان مُفْحَماً ، بكلامٍ لا بشعر .[٣]

١٤٥ — وهجاه سَوَّار بن أَوْفَى القشيري وفاخَره ، وهجاه الأخطلُ بأَخَرَةٍ .[٤]

* * *

١٤٦ — [حدثني إبراهيم بن شِهاب قال ، حدثنا الفضل بن الحباب قال، حدثني أبو الغرّاف قال ، قال النابغةُ الجَعْدِيّ : إنّي وأوس بن مَغْراء لنبتَدِرُ بيتاً ماقلناهُ بعدُ ، لو قاله أحدُنا لقد غُلِّب على صاحبه . قال ابن

---

(١) صاحب الخلقان : هو الذي يبيع قديم الثياب في السوق . والعصب : من أجود برود اليمن ، سمي بذلك لأن غزلها كان يعصب — أي يجمع — ويدرج ويشد ثم يصبغ ثم ينسج ويحاك، فيأتي موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . والخز : الحرير . والسمل : الخلق من الثياب ، أكثر ما يأتي هكذا على الإضافة ، ومنه قول عائشة : « ولنا سمل قطيفة » .

(٢) في اللسان (غلب) ، عن محمد بن سلام نص هذا مع بعض الاختلاف .

(٣) المفحم : الذي لا يقول الشعر . وأفحمه الهم وغيره : أعجزه عن قول الشعر .

(٤) يقال لقيته بأخرة: أي أخيراً .

سَلّام : وكانا يتهاجيان ، ولم يكن أوسٌ إلى النابغة فى قريحة الشعر ،[1] وكان النابغةُ فوقه ، فقال أوسُ بن مَغْراء :

فلَسْتُ بعافٍ عن شَتِيمَةِ عامرٍ ، ولا حَابِسِي عَمّا أقولُ وَعيدُها

تَرَى اللُّؤْمَ مَا عَاشُوا جَدِيدًا عليهمُ ، وأبْقَى ثِيابِ اللّابِسِينَ جديدُها

لَعَمْرُكَ ما تَبْلَى سَرَابِيلُ عامرٍ من اللُّؤْمِ ، مادامَتْ عليها جُلودُها

فقال النابغة : هذا البيتُ الذى كُنّا نبتدرُ! وغَلّب الناس أوسًا عليه] .

(الموشح : ٦٦ ، ٦٧ / الأغانى ٥ : ١٢ مختصرا ، وحماسة ابن الشجرى : ١٢٧ مختصرا والفرء مخطوطة : ١٩٣ ، وانظر ماسيأتى فى آخر الطبقة الثالثة من الإسلاميين ، فى ترجمة أوس بن مغراء ، بعد الخبر رقم : ٧٧٦) .

° ° °

١٤٧ — نا ابن سلّام قال ، قلت ليونس : كيف تقرأُ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ [سورة النمل : ٢٢] ؟ فقال : قال الجعدىُّ ، وهو أفصحُ العرب :

مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[2]

— وهو على قِرَاءةِ أبى عمرو ويونس — فجعل يونس القصيدةَ

---

(١) القريحة : خالص الطبيعة التى جبل عليها وجوهرها الصافى غير المشوب ، يعنى استنباط الشعر بجودة الطبع ، وسيأتى مثله رقم : ١٧٦ ، ٢٥٩ .

(٢) شعر الجعدى : ١٣٤ ، وابن هشام ١ : ١٥ ، العرم : الأحباس والسدود تبنى فى أوساط الأودية تمسك الماء . وأمر سبأ ومأرب وسد مأرب وسيل العرم مشهور .

للجَعْدِيّ. وسمعتُ أبا الوَرْد الكلابيّ سأل عنها أبا عُبَيْدة فقال: لأُمَيّة.
ثم أتينا خَلفاً الأحمر فسألناه، فقال: لِلنَّابغة، وقد يقال لأُمَيّة.

١٤٨ — [(١)] نا ابن سلّام قال، ذكر مَسْلمة بن مُحارب، عن أبيه، قال: دَخَل النابغةُ على عُثْمانَ بن عفّان، فقال: أَسْتودِعُك الله يا أمير المؤمنين وأَقرأُ عليك السَّلام. قال: لِمَهْ؟ قال أنكَرْتُ نفسِي، فأردْتُ أن أخرُجَ إلى إبلي فأشْرَبَ من ألبانِها وأشَمَّ من شِيحِ البادِيَة. [(٢)] وذَكَر بَلَده. فقال: يا أبا لَيْلى: أما علمتَ أن التَعَرُّبَ بعد الهجْرة لا يصْلُح؟ [(٣)] قال: لا واللهِ ما علمتُ، وما كُنْتُ لأخرُجَ حتى أستَأْذِنَك. فأذِنَ له، وضرَبَ له أجَلاً. فخرجَ من عنده فدخلَ على الحَسَن بن عليّ فودَّعه، فقال له الحسن: أنشدنا من بعض / شِعْرِك. فأنشدَه: (٢٧ م)

الحمْدُ لِلهِ لاشَرِيكَ لهُ،   من لم يَقُلْها فنفسَهُ ظَلَمَا

---

(١) رواه فى الأغانى بمثله، عن مسلمة من غير طريق ابن سلام ٥: ٩، ١٠، و «مسلمة ابن محارب الزيادى»، كوفى مترجم فى التاريخ الكبير للبخارى ٣٨٧/١/٤، والجرح والتعديل ٢٦٦/١/٤، وأبوه أيضاً فيهما ٢٩/٢/٤ ثم ٤١٧/١/٤، وسيأتى فى رقم: ٥١٢، «مسلمة ابن محارب بن سلم بن زياد»، نقلا عن أخبار أبى تمام. وهى زيادة تستفاد فى ترجمته وترجمة أبيه. وانظر فهارس الحيوان والبيان. وتاريخ الطبرى.

(٢) أنكرت نفسى: أى تغيرت نفسه من غربته حتى أنكرها ولم يكد يعرفها من شدة التغير. وفى المخطوطة: «وأشرب من شيح البادية» وهو خطأ ولا شك، والشيح من أمرار البادية، طيب الرائحة، يجد أهل البادية راحة فى تنسمه.

(٣) التعرب: أن يرتد أعرابياً ويعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا، وكان من رجع بعد هجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد. وروى الحديث: «ثلاث من الكبائر، منها: التعرب بعد الهجرة».

فقال له : يا أبا لَيْلَى ! ما كُنَّا نروى هذه الأبيات إلاّ لأُمَيّة بن أبى الصَّلْت ؟ قال : يا ابنَ رَسُولِ الله ، واللهِ إنّى لأَوّلُ النَّاس قَالَها ، وإن السَّرُوق من سَرَقَ أميَّةَ شِعْرَه .[1]

١٤٩ — وقال يونس : كان الجعدىُّ أوْصَفَ الناس لِفَرَسٍ ، أنشدت قولَه رُؤْبَةَ :

فَإنْ صَدَقُوا قَالُوا : جَوادٌ مُجَرَّبٌ ضَلِيعٌ ، ومِنْ خَيْرِ الجِيَادِ ضَلِيعُهَا[2]

قال رؤْبة : ما كنتُ أَرَى المُرْهَفَ مِنها إلّا أسْرَع .[3] ولم يكن رؤْبةُ والعجّاج صاحِبَىْ خَيلٍ ، ولكن كانا صاحبى إبلٍ ونَعْتِها .[4]

١٥٠ — نا ابن سلام ، قال : أخبرنى ابن دَأْبٍ ، قال : تَزَوَّج النابغةُ امرأةً من بنى المجنُونِ ، وهم عَدَدُ بنى جَعْدة وشَرَفهم ، فنازعته وادَّعتِ الطلاقَ ، فكان يراها فى مَنامِه ،[5] فقال :

مَالِى ومَا لِابْنَةِ المَجْنُونِ تَطْرُقُنِى بالَّليلِ ؟ إنَّ نَهارِى مِنْكِ يَكْفِينِى

---

(١) السروق : الخبيث السرقة ، مبالغة فى السارق . وعدى سرق إلى مفعولين ، حمله على معنى سلب . وهى عربية محكمة .

(٢) فرس ضليع : تام الخلق ، مجفر الأضلاع ، واسع الجنبين ، عظيم الصدر ، غليظ الألواح ، كثير العصب . وهو محمود .

(٣) فرس مرهف : لاحق البطن خميصه ، متقارب الضلوع ، وهو عيب .

(٤) النعت : وصف الشيء وصفاً دالا بليغاً .

(٥) يراد بالعدد ههنا كثرة العدد . وفي كتب الأنساب يقولون : « فيهم البيت والعدد » ، فالبيت الشرف ، والعدد الكثرة . وادعت الطلاق : أى زعمت أنه طلقها ، انظر رقم : ١٥٧ ، ٤٣٥ .

لاأَجْذَعُ البَوَّ، بَوّ الزُّعْمِ ، أَرْأَمُهُ وَلَا أُقِيمُ بِدَارِ العَجْزِ والهُونِ[١]

وشَرُّ حَشْوِ خِبَاءٍ أَنْتَ مُولِجُهُ : مجنونةٌ هُنَّبَاءٌ بِنْتُ مَجْنُونِ[٢]

تَسْتَخْنِثُ الوَطْبَ لَمْ تَنْقُضْ مَرِيرَتَهُ وَتَأْكُلُ الحَبَّ صِرْفاً غيرَ مَطْحُونِ[٣]

١٥١ — قال ابن دَأْب : وكان النابغةُ عَلَوِيَّ الرأيِ ، وأخذ مَرْوانُ

---

(١) فى المخطوطة : «لا أخدع البو» ولم أجد لها وجهاً ولا معنى. يقال : جذع الرجل يجذعه جذعاً ، حبسه ، ويقال بالدال . والبو : جلد حوار (وهو ولد الناقة) يؤخـذ فيحشى تبناً ثم يلطخ بما يخرج من أذى الرحم . ويفعلون ذلك بالناقة إذا ألقت ولدها لغير تمام تخيف انقطاع لبنها ، فيشدون على عينيها وأنفها غمامة ، وتدس فى رحمها خرقة مدرجة ، فتظن أنها قد مخضت للولادة ، ثم تنزع الخرقة ، ويقرب منها البو الملطخ برائحة الرحم ، وتنزع الغمامة عن عينيها وأنفها ، فترى البو فتخدع وتظن أنها قد ولدت فيدر لبنها أو يمسك . ويقال : رأمت الناقة ولدها ترأمه : شمته وعطفت عليه . والزعم ، مثلثة الزاى ، الـكذب . يعنى أباطيل الأحلام وتـكاذيبها التى كان يراها فى منامه ، لا يقيم عليها ولا يباليها . والهون والهوان : الخزى والقهر . يقول : لست أخدع عن نفسى بأضاليل الأحلام ، ولا أقيم حيث يراد قهرى وإذلالى .

(٢) فى المخطوطة « مجنونة هيبان » ، وهو خطأ . وقد جاء على صحته منقولا عن ابن سلام فى التهذيب واللسان وتاج العروس وجمهرة ابن دريد « هنب » . وهنباء بضم الهاء وتشديد النون المفتوحة وزن لا نظير له فى العربية . وامرأة هنباء : شاذة الحمق فى حماقات الناس ، كشذوذ وزنها فى قياس العربية . والضمير فى قوله « مولجه » ، إلى حشو الخباء ، وهى هذه المرأة ، كأن قال : أنت مولجه خباءك تحشوه به . وقد أجاد فى صفة هذه البغيضة ، حين سماها « حشو خباء » !

(٣) خنث السقاء وخنثها (بتشديد النون) واختنثها : ثنى فاها إلى خارج فشرب منه . وجاء النابغة به على وزن استفعل . وهو حسن . والوطب : سقاء اللبن خاصة ، وهو قربة من جلد . والمريرة : الحبل المفتول ، أراد عصام القربة الذى يربط به فمها . يقول : هى من شرها وجوعها ولؤمها وجنونها ، تعجل إلى وطب اللبن فتثنى فمه قبل أن تحل رباطه ، لا تتحرج من شىء ، ولا تحذر أن يكون فى فم الوطب أذى أو حشرة أو قذر . وقوله : « تأكل الحب » ، أجود الرواية « وتقضم الحب » ، وهى فى تاج العروس « هنب » . وهـذا جنون آخر ، وشره مفرد . والصرف : الخالص من كل شىء ، لم يمزج ولم يخالط ، كما يقولون : شرب الخمر صرفاً . وجعل الحب صرفاً ، استهزاء وإغراباً وتعجيباً من شأن هذه المجنونة . وإنما أراد أنه لم يهيأ ولم يعالج بطحن أو طبخ حتى يستساغ .

وهى أبيات جيدة محكمة ، أتمنى أن أعرف سائرها .

أَبْنَه وإِبِلَهُ بالمدينة ، فخرج ومَدَح مَرْوانَ بن الحَكَم بأبياتٍ . (١)

— قال ابن سلّام : وأنا مِنْها في شكٍّ، ولكنه قال ما لا أشكُّ فيه : (٢)

فَمَنْ رَاكِبٌ يأتى ابْنَ هِنْدٍ بِحَاجَتِى ... ومَرْوانَ ، والأَنباءُ تُنْمَى وتُجْلَبُ (٣)

ويُخْبِرُ عَنِّى مَا أقولُ ابنَ عَامِرٍ ... فنِعْمَ الفَتَى ، يُأْوَى إليهِ، المُعَصَّبُ (٤)

فَإِنْ تَأْخُذُوا مَالِى وأهْلِى بِظِنَّةٍ ، ... فَإِنِّى لَحَرَّابُ الرِّجَالِ مُحَرَّبُ (٥)

---

(١) ليس فيه مدح لمروان ، ولا أثق بنص مخطوطة المدينة . والذى فى الأغانى ٥ : ٣١ أن النابغة دخل على معاوية ، وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده .. وهو أقرب إلى الصواب .

(٢) هكذا جاءت العبارة ، ولا أعرف لها معنى ، وأظن الصواب : « ولكنه قول من لا أشك فيه » . والخبر فى الأغانى ٥ : ٣١ ، والخزانة ١ : ٥١٤ ، والأبيات فى شعر النابغة : ٣ — ١١ .

(٣) رواية الأغانى « على النأى والأنباء ... » . نمى الحديث ينميه : رفعه وبلغه وأذاعه على وجه الإصلاح والخير . ويجلب : يحمل من بلد إلى بلد . وابن هند : هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما .

(٤) يعنى عبد الله بن عامر بن كريز ، ولد بمكة بعد الهجرة بأربع سنين، وحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عام عمرة القضاء ، وهو ابن ثلاث سنين ، فحنكه رسول الله ، فلم يزل عبد الله شريفاً ، وكان سخياً كريماً كثير المال والولد ، وهو ابن خال عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقال فيه على بن أبى طالب رضى الله عنه : هو سيد فتيان قريش غير مدافع . وقال فيه معاوية حين مات : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ! وبمن نباهى ! وهو الذى فتح عامة فارس وخراسان وسجستان وكابل . وأخباره تدل على شرفه وسؤدده ونبالته ، وسخائه الدائم ، ونفعه الذى لا ينقطع .

وقوله : يأوى إليه : أى ملجأ إليه ويعتصم به . والمعصب : الرجل الذى سوده قومه ، ومثله المعمم ، مأخوذ من العصابة ، وهى العمامة . وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر لسادة العرب وأشرافهم . وأما ما جاء فى شرح الأبيات فى الأغانى ٥ : ٣١ ، فهو خطأ محض .

(٥) الظنة : التهمة تظن ولا تحقق . الحراب مبالغة من الحارب : وهو الذى سلب أموال أعدائه فى الحرب والغارة ، يريد أنه أخو حرب وغارة . ومنه سمى الحارث الحراب ملك كندة جد امرىء القيس . والمحرب : من قولهم حربته أى أغضبته ، يقال أسد محرب : مغضب مغيظ —

صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ المَرْءُ كُلِّهِ ، سِوَى الظُّلْمِ، إِنِّى إِنْ ظُلِمْتُ سَأَغْضَبُ[(١)]

أُصِيبَ ابْنُ عَفَّانَ الإِمَامُ ، فَلَمْ يَكُنْ لِذِى حَسَبٍ بَعْدَ ابْنِ عَفَّانَ مَغْضَبُ[(٢)]

* * *

أبو ذؤيب الهذلي

١٥٢ — [(٣)] وكان أَبو ذُؤَيْبٍ شاعراً فَحْلاً لا غَمِيزَةَ فيه ولا وَهْن.[(٤)] (٢٨ م)

١٥٣ — [(٥)] قال أبو عمرو بن العَلاء : سُئل حَسّان : مَنْ أَشعر الناس ؟ قال : حيًّا أو رجلًا ؟ قال : حَيًّا . قال : أشعر الناس حَيًّا هُذَيْل — وأشعر هُذَيْل غيرَ مُدَافَعٍ أَبو ذُؤَيب . [قال ابن سلام : هذا لَيْسَ من قول أبى عمرو ، ونحن نقوله]

١٥٤ — [أخبرنى أبو خليفة قال ، حدثنا محمد بن سلّام قال ، أخبرنى

= قد هيج و أغضب ، وهو عندئذ أشد بأساً وأجرأ شراً . يهدد النابغة بالشعر، وأنه لا يهاب حرباً لإلفه لها وتمرسه بها .

(١) بيت نبيل . وبعده فى الأغانى ما نصه : « فالتفت معاوية إلى مروان ، فقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن لا ترد عليه شيئاً . قال : ما أهون والله عليك أن ينجحر هذا فى غار ، ثم يقطع عرضى على ، ثم تأخـذه العرب فترويه . أما والله إن كنت لممن يرويه . اردد عليه كل شىء أخذته منه » .

(٢) هذا البيت لم يروه صاحب الأغانى ، وكأنه بيت مفرد من القصيدة وضع فى غير موضعه . والمغضب ، مصدر ميمى من الغضب . يقول : بعد الذى أصاب عثمان على شرفه ومنزلته من ظلم الناس له وعدوانهم عليه ، لم يبق لذوى الشرف والحسب نجاة من نزول الظلم بهم ، ولو تركوا الحمية لأحسابهم ففى عثمان أسوة للمؤتسى .

(٣) الخبر فى الأغانى ٦ : ٢٦٤ .

(٤) يقال لا غميزة فى الشىء ولا مغمز : أى ما فيه عيب يغمز به ويعاب ويطعن . والوهن : الضعف .

(٥) مراجعه مع الخبر التالى ، وهو فى معجم الأدباء ٤ : ١٨٦ .

عمرو بن مُعَاذ المَعْمَرِىّ ،[1] قال: فى التوراة : أبو ذؤيبٍ مؤلِّف زُورا.[2]
وكان اسم الشاعر بالسُّريانية : « مؤلف زورا » .

فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية ، وهو كَثِير بن إسحق ، فأُعجِبَ منه ،[3] وقال: قد بلغنى ذاك — وكان فصيحاً ، كثيرَ الغريب ، متمكِّناً فى الشِّعر[4]] . (الأغانى ٦ : ٢٦٥ ، العمدة ١ : ٧١ ، المزهر ٢ : ٤٨٣) .

* * *

الشماخ بن ضرار

١٥٥ — [5] فأمّا الشَّمّاخُ ، فكان شديدَ مُتُونِ الشِّعر ، أشدَّ أَسْرَ كلامٍ من لبيد ، وفيه كَزَازةٌ ، ولبيدٌ أسهلُ منه مَنْطِقاً .[6]

١٥٦ — وكان للشمّاخ أَخَوَان ، وهو أَخَاهم ، : مُزَرِّد ، وهو

---

(١) فى الأغانى : « محمد بن معاذ . . . » ، والصواب ما أثبت ، من العمدة والمزهر ، وقد سلف في رقم : ١١٥ ، وسيأتى رقم : ٣٠٥ .

(٢) فى العربية أم الألسنة : كلام زور ومزور : محسن منتقب ، يزوقه المتكلم ويهيئه قبل أن يتكلم به .

(٣) فى الأغانى « فعجب منه » ، كيف يعجب ، وهو يقول بعد « قد بلغنى » ! والصواب ما فى العمدة والمزهر . « أعجبه الأمر ، وأعجب به » ، سره ، وجعل « من » مكان الباء بمعناها ، روى ذلك الأخفش عن يونس .

(٤) يعنى بهذه الصفة عمرو بن معاذ ، كما مضى رقم : ١١٥ ، أو يعنى « كثير بن إسحق » ، وهو الأرجح عندى .

(٥) الأغانى ٩ : ١٦٠ ، الخزانة ١ : ٥٢٦ . والإصابة فى ترجمته .

(٦) متون الشعر : يراد بها عباراته وألفاظه وصياغته ، انظر الفقرة ٧٨ رقم : ٣ . والأسر : الشد والعصب ، وأسر الكلام بناؤه وتركيبه ، يعنى أنه غير مسترخ ولا ضعيف متخالف . والكزازة : اليبس والتقبض ، يريد أنه قليل الماء غير لين ولا سهل .

أشبههما به ، وله أشعارٌ وشُهْرَةٌ [1] — وجَزْءٌ ، وهو الذى يقول يرثى عُمَرَ بن الخطّاب :

جَزَى اللهُ خيراً من أميرٍ، وبَارَكَتْ	[يَدُ الله فى ذاكَ الأديمِ المُمزَّقِ [2]
فمن يَسْعَ أو يركَبْ جَنَاحَىْ نَعَامةٍ	لِيُدْرِكَ ما حَاوَلْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدَها	بَوَائِقَ فى أكمامِها لم تَفَتَّقِ [3]
وما كنتُ أخشَى أن تكونَ وفاتُهُ	بكَفَّىْ سَبَنْتَى أزرقِ العَيْنِ مُطرِقِ] [4]

---

(١) الأغانى ٩ : ١٥٨ ، وقال : « وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران » .

(٢) الأديم : الجلد ، وذلك حين طعنه الكلب أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وطعن معه اثنى عشر رجلا من المسلمين فى صلاة الفجر ، فمات منهم ستة هو سابعهم رضى الله عنهم .

(٣) قضى الأمر: قدره وأحكمه ثم أمضاه وفرغ منه . ومنه قوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات فى يومين » . والبوائق جمع بائقة : وهى الغوائل والدواهى العظام . والأكمام جمع كم (بضم الكاف وكسرها) : وهو وعاء الثمر وغلاف الزهر قبل أن ينشق عنه ويظهر. وقوله « لم تفتق » ، أصلها لم تتفتق ، حذف إحدى التاءين . وتفتق الكم عن الزهر: انشق وتفطر . وصدق ، فقد غادر عمر بعده أكماماً تفتقت عن أشد الدواهى .

(٤) السبنتى: النمر ، وهو لئيم خبيث الطبع ، لايملك نفسه من شدة الغضب ، وإذا شبع نام ثلاثة أيام . وقدماء علمائنا يقولون : يشبه أن يكون سمى بذلك لجرأته . وأنا أرى أنه مأخوذ من الإسبات : هو أن تطرق الحية فلا تتحرك ، والمسبوت : العليل إذا بقى كالنائم يغمض عينيه فى أكثر أحواله . وذلك صفة النمر كما رأيت ، ولا معنى للجرأة هنا ، فإنه أراد الذم ، وسائر البيت دال عليه . وأزرق العين ، من صفة عين النمر . والعرب تعد كل أزرق العين لئيما يتشاءمون به .

والمطرق : من الإطراق : وهو السكوت والسكون وإرخاء العين ينظر إلى الأرض ، وهى صفة المترصد بالشر ، الحنق . وتوصف به الحية ، وكل خبيث شديد المكر ، ولله در الذى قال ، يصف الحاقد الخبيث والنكراء المترصدة :

مُطرِقٌ يَرْشَحُ سَمًّا ، كما أطرَقَ أفعَى يَنفُثُ السَّمَّ صِلُّ

وقوله : « وما كنت أخشى » ، أى ما كنت أظن ذلك فأخشاه على عمر ، أن يفتك به عبد ئيم ذليل ، متخشع مطرق بالغدر والغيلة . والأبيات جيدة رواها أبو تمام فى حماسته ٣ : ٦٥ ، ونسبها للشماخ ، ونسبها أبو محمد الأسود الغندجانى لجزء بن ضرار أخى الشماخ ، ونسبها الجاحظ فى البيان ٣ : ٣٦٤ ، لمزرد . وينسبها ناس للجن، نعت بها عمر ، وانظر ابن سعد ٣ : ٢٤١ .

١٥٧ — أنا ابن سلام،[1] قال: أخبرنى شُعَيب بن صَخر قال: كانت عند الشماخ امرأةٌ من بنى سُلَيم، | إحدَى بنى حَرَام بن سَمَّال |،[2] فنازعته وادَّعَتْ عليه طَلاقًا،[3] وحَضَر [معها] قومُها فأعانوها، واختصَمُوا إلى كَثِير بن الصَّلت — وكان عثمان أقعدَه للنَّظر بين الناس، وهو رجل من كِنْدة، عِدَادُه فى بنى جُمَح، ثم تحوّلوا إلى بنى العبَّاس، فهُمْ فيهم اليوم — فرأى كَثِير عَلَيْهِ يَمينًا، فالتوَى | الشماخ باليمين، يحرِّضُهم عليها |،[4] ثم حَلَف. وقال:

أَتَتْنِي سُــلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بالبَقِيعِ سِبَالَها[5]

يَقُولُونَ لى: يا احْلِفْ! ولستُ بِحالفٍ ... أُخَاتِلُهمْ عَنْها لِـكَيْما أنالَها[6]

---

(١) الأغانى ٩ : ١٦١، ١٦٢، والخزانة ١ : ٥٢٥.

(٢) فى الأغانى: «بن سماك»، وهو خطأ، وانظر ما سيأتى رقم: ٤٢٥.

(٣) فى الأغانى: «وادعته طلاقاً». أى ادعت ما كان من النزاع بينهما طلاقاً، انظر ما سلف: ١٥٠، وما سيأتى: ٤٣٥.

(٤) النظر بين الناس فى الخصومات، وليس قضاء. والتوى بدينه أو يمينه: تعسر بها وماطل.

(٥) ديوانه: ١٩ — ٢٠ (٢٨٧ ـ ٢٩٥). ضرب الشماخ امرأته هذه فكسر يدها، وهجا قومها. فلما شكوه إلى عثمان أنكر، فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقال: جاء القوم قضهم وقضيضهم، وقضهم بقضيضهم، وبقضهم وقضيضهم، إذا جاءوا مجتمعين كأنما ينقض بعضهم على بعض من التزاحم. والبقيع: هو بقيع الغرقد، كانت فيه مقبرة أهل المدينة. والسبال: جمع سبلة (بفتحتين)، وهى مقدم اللحية، وما أسبل منها على الصدر. وتمسح: تمر أكفها عليها كفعل المغيظ المتوعد أن يجد شفاء غيظه من عدوه. ويروى «تذمر حولى». يقال: جاء فلان ناشراً سبلته: إذا جاء يتهدد ويتوعد.

(٦) يا احلف: «يا» صوت يستجلب لمعان كثيرة منها الزجر، يتقدم فعل الأمر فى بعض المواضع. وللنحاة فيه ثرثرة ولجاجة. ولست بحالف: كأنه قال، وأقول لهم: لست بحالف، فحذف. يقول: هذا قولهم لى، وهذا قولى لهم، أخاتلهم: أخادعهم عن اليمين، أوهمهم بتشددى وورعى، أنها لا تهون على، ولا يهون على طلاق المرأة، حتى إذا ظنوا شدتها على رميتهم باليمين. والهاء فى قوله: «أنالها» راجع على الحالفة، ولم تذكر فى الكلام، لدلالة القصة عليها.

فَفَرَّجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّى بِحَلْفَةٍ كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا[١]

لبيد بن ربيعة

* * *

١٥٨ – وكانَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ ، أبو عَقِيلٍ ، فارساً شاعراً شُجاعاً ، وكان عذْبَ المَنْطِقِ ، رَقِيقَ حَوَاشِي الكلام ،[٢] وكان مُسْلِماً رجُلَ صِدْقٍ .

١٥٩ – قال : وكتَبَ عُمَرُ إلى عامِلِه : أنْ سَلْ لبيدًا والأَغْلَبَ ما أحْدَثَا من الشعر فى الإسْلام . فقال الأغلب :[٣]

أَرَجَزًا سَأَلْتَ أمْ قَصِيدًا ؟ فقدْ سَأَلتَ هَيِّنًا مَوجُودَا

وقال لبيد : قد أبْدَلَنِى اللهُ بالشعرِ سُورَةَ البَقَرة وآلِ عِمْرَان . فزاد

---

(١) قال ابن قتيبة فى كتاب المعانى الكبير : ١ : ٨٤ « أى كما وطئت فرس شقراء على جلالها ، فخرجت منها ، وكذلك خرجت أنا من هذه اليمين » . والجلال ، كما يرى ابن قتيبة ، جمع جل : وهو كساء تلبسه الدواب تصان به . وهذا عندى تفسير غير حسن . وأرى أن الشقراء هنا : هى المرأة الحسناء البيضاء ، يعلو بياضها حمرة صافية . وجلال كل شىء : غطاؤه كالحجلة ونحوها ، والحجلة . هى قبة العروس والعذارى المقصورات ، توضع عليها ثياب مزينة موشاة تسترها . وذلك أنهم كانوا طمعوا منه فى اليمين التى تعلق بها هذه المرأة ، فلما أقبلوا يحثون : يا احلف ، ويقول لهم : لست بحالف ، مرة وأخرى وثالثة ، يخادعهم حتى يستيقنوا أنه لن يحلف ، وأنه يعز عليه طلاقها ، فلما استيقنوا ويئسوا أن يسمعوا اليمين خارجة من فيه ، فرج كرب نفسه بهذه المرأة البغيضة ، بيمين شقت بأسماعهم من سماعها ، أرسلها عليهم فجأة واضحة بينة سريعة خاطفة ، أذهلت السامعين ، كما تذهل الناظرين حسناء محجبة منيعة ، قد يئس المترقبون من رؤيتها ، فإذا بها تشق حجابها فجأة فتدهش أبصارهم من رؤيتها واضحة المحيا مشرقة الوجه .

(٢) حاشيتا الثوب : جنبتاه الطويلتان يكون فيهما الهدب ، ومنهما تعرف جودة حوكه ورقة نسجه . فقولهم رقيق الحواشى ، يريدون أن الناظر المتأمل يعرف جودته وحسن ديباجته من عند أول النظر .

(٣) هو الأغلب العجلى الراجز ، وترجم له ابن سلام فى أول الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين ، فى آخر الكتاب .

عُمَر فى عَطَائِهِ ، فبلغ به أَلْفَين . فلمّا وَلِى مُعَاوية قال : يا أبا عَقِيلٍ ، عَطائِى وعَطاؤُكَ سَوَاء ! لا أُرَانى إلا سَأحُطُّك ! [١] قال : أَوْ تَدَعُنِى قليلاً ، ثم تضُمُّ عَطَائى إلى عَطَائِك فتأخذه أجمعَ .

(٢٩ م) ١٦٠ — / قال وعُمِّر عُمْرًا طويلاً . وكان فى الجاهلية خيرَ شاعرٍ لقومه : يمدحُهم ، ويرْثيهم ، ويَعُدُّ أيامَهم وَوَقائعهم وفُرْسانهم . وكان يُطْعم ماهبّتِ الصَّبَا ، وكان المُغيرةُ بن شُعْبَة إذا هبّت الصَّبَا قال : أَعِينُوا أبا عقيل على مُرُوءَته . [٢]

---

(١) العطاء : هو الفريضة التى كانت تفرض للمسلمين على مراتبهم من بيت المال ، وللخليفة حط منها فى مرتبته كسائر حظوظ الناس . وحط عطاءه : نقصه عما قدر له .

(٢) بيان هذه الأخبار ، فى الأغانى ١٤ : ٩٤ .

الطَّبقةُ الرَّابعةُ

١٦١ — [١] وهم أربعةُ رَهْطٍ فُحولٌ شعراء ، موضعُهم مع الأوائل ، وإنما أخلَّ بهم قلّةُ شِعْرهم بأيْدِى الرُّوَاة .

١٦٢ — طَرَفة بن العَبْد بن سُفْيان بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة .

١٦٣ — وعَبِيدُ بن الأبْرَص بن جُشَم بن عَامِر ، أحدُ بنى دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة .

١٦٤ — وعَلْقَمة بن عَبَدَة بن نَاشِرة بن قيس بن عُبَيْد بن رَبِيعة بن مالك بن زَيْدِ مَنَاة بن تَمِيم .

١٦٥ — وعَدِىّ بن زَيْد بن حِمَار بن زَيْد بن أيُّوب ، [٢] أحدُ بنى امرئ القَيْس بن زَيدِ مَنَاة بن تَمِيم .

* * *

---

(١) ذكر هذه الطبقة ، الحافظ الذهبي فى تاريخ الإسلام ٤ : ١٥١ ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ١ : ٢٤٩ ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى : ١٦١ ، وصاحب كتاب الغرة ، وزاد فقال : « بأيدى الرواة المصححين » ، وابن عساكر فى تاريخه ١١ : ١٩١ (مخطوط) .

(٢) فى مخطوطة المدينة : « زيد بن حماد » بتشديد الميم آخره دال مهملة ، وكذلك جاءت فى كثير من الكتب ، وفى مطبوع الأغانى ٢ : ٩٧ ، ١٢٨ ، إلا أن الحافظ الذهبي قال : « . . . زيد =

١٦٦ — فأمّا طَرَفَةُ فأشْعَرُ النّاس واحدةً ،[1] وهى قوله :

لِخَوْلَةَ أطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ   وَقَفتُ بها أبْكِى وأبْكِى إلى الغَدِ[2]

وتَليها أُخرَى مثلُها وهى :

أصَحَوْتَ اليومَ أم شَاقَتْكَ هِرّ   ومن الحُبّ جُنُونٌ مُسْتَقِرّ[3]

ومِنْ بعدُ له قَصَائد حِسانٌ جِيَادٌ .

* * *

١٦٧ — وعَبِيدُ بن الأبْرَص ،[4] قديمٌ ، عَظِيمُ الذكْر ، عَظِيمُ الشُّهرة ، وشِعرُه مُضْطرب ذَاهِبٌ ، لا أعرف له إلاّ قوله :

= ابن الحمار ، وأما أبو الفرج صاحب الأغانى فقال : ابن الخمار ، بخاء معجمة مضمومة » ، ومثله فى النجوم الزاهرة ، منقولا عنه وفى تاريخ ابن عساكر ، فهذا نص على تصحيح ما فى الأغانى ، وتصحيح ما فى الطبقات « حمار » بالحاء المهملة المكسورة والراء ، وذكر ذلك ابن ماكولا فى الإكمال ٢ : ٥٤٩ ، وعلى هذا جاء فى مخطوطات النسب : مختصر جمهرة النسب لابن الكلبى ، والجمهرة له ، وفى المقتضب ، وفى إحدى نسخ تاريخ الطبرى ١ : ١٠١٦ (أوربة) ، ومعجم الشعراء : ٢٤٩ ، وفى مخطوطة تاريخ ابن عساكر .

هذا ، ومن أغرب ما وقع أن صاحب النجوم الزاهرة : جعل عدى بن زيد من وفيات سنة ١٠٢ من الهجرة ، لأنه نقل عن تاريخ الإسلام ، والذهبى إنما وضعه فى تراجم أعيان هذه الطبقة ، بعد « عدى بن الرقاع » وقال : « ذكرته هنا تمييزاً له من ابن الرقاع العاملى ، وأظنه مات قبل الإسلام أو فى زمن الخلفاء الراشدين » . ولكن ابن تغرى بردى وهم وأخطأ .

(١) « أشعر الناس واحدة » ، كأنه يعنى ما نسميه المعلقة ، انفردت من شعر كل واحد من أصحاب السبع الطوال . ذكر الأنبارى بإسناده إلى أبى عبيدة قال : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن عبد » . فهذا موضع نظر ، (شرح السبع الطوال : ٤٣٢) ، وانظر رقم : ١٩٠ .

(٢) ديوانه : ٢١ ، وشرح السبع الطوال ، ١٣٢ . وهكذا روى ابن سلام عجز البيت . وفى رواية الأصمعى : « تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد » ، ثم يروى بعده :

فَرَوْضَةِ دُعْمِىٍّ ، فأكْنَافِ حَائِلٍ   ظَلِلْتُ بها أبْكِى وَأبْكِى إلى الغَدِ

(٣) ديوانه : ٦٣ . مستقر : دائم ثابت قد استقر فى صاحبه لا يتحول . ورواية الديوان « مستمر » .

(٤) نقله صاحب الأغانى ١٩ : ٨٤ .

أَقْفَرَ من أَهْلِهِ مَلْحُوبُ ... فَالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ[١]

ولا أدرى مَا بعد ذلك .

* * *

١٦٨ — وعَلْقَمَةُ بن عَبَدَة ، وهو عَلْقَمة الفَحْل — وعلقمةُ الخَصِىُّ من رَهْط علقمة الفَحْل —[٢] ولابن عَبَدَة ثلاثٌ رَوَائعُ جيادٌ ، لا يفوقُهُنَّ شعر :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فى كلِّ مَذْهَبِ ... ولم يَكُ حقًّا كلُّ هذا التَّجَنُّبِ

والثانية :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فى الحِسَانِ طَرُوبُ ... [بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ]

والثالثة :

هَلْ ماعَلِمْتَ وما استُودِعْتَ مَكْتُومُ ... [أَمْ حَبْلُها إذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصرومُ][٣]

ولا شىء بعدهُنَّ يُذْكَرُ .[٤]

---

(١) ديوانه : ٥ . والذى فى الشعر أسماء مواضع ومياه . وقصيدته هذه من أجود الشعر .

(٢) سمى علقمة الفحل فى خبره فى منازعة امرىء القيس وتحكيم أم جندب ، وكانت تحت امرىء القيس ، فلما غلبت عليه علقمة فى قصيدته البائية ، طلقها امرؤ القيس ، وخلف عليها علقمة ، فسمى علقمة الفحل . أما علقمة الخصى ، فهو علقمة بن سهل ، من ربيعة الجوع رهط علقمة الفحل ، وكان قد خصى إذ أسر باليمن فهرب ، فظفر به ، فهرب ثانية ، فأخذ فخصى . وكان امرأ له إسلام وقدر ، (المؤتلف والمختلف . ١٥٢) .

(٣) الأولى ، ديوانه : ٨٣ ، والثانية : ١٧ ، والثالثة : ٤٣ . طحا همه : ذهب به كل مذهب .

(٤) وهذه الكلمة من كلام ابن سلام ، غير شك ، وهى فى المخطوطة ، فى آخر الخبر التالى المرقم : ١٦٩ ، فرددتها إلى مكانها .

١٦٩ — [1] نا أبو خليفة ، نا أبو عثمان المازنىّ ، عن الأصمعىّ ، عن نافع بن أبى نُعَيْم قال : مرّ رجلٌ [من مُزَيْنَةَ] بباب رجلٍ [من الأنصار ، وقد كان يُتَّهم بامرأته] ، / فتمثل :[2] (٣٠ م)

ه هل ما عَلِمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ ه

فاستَعْدَى ربُّ البيتِ عليه عُمَرَ ، فقال له عمر : ما أرَدْت ؟ قال : [وما علىَّ فى أن أنشدتُ] شعراً ! قال : قد كان له موضعٌ غير هذا . ثم أمر به فَحُدَّ .

ه ه ه

١٧٠ — وعدىُّ بن زيدٍ كان يسكُنُ الحِيرَة ويُرَاكِنِ الرِّيفَ ،[3] فَلانَ لسانُه وسَهُل مَنْطِقُه ، فحُمِل عليه شىء كثيرٌ ، وتخليصُه شديدٌ . واضطرَب فيه خَلَفٌ [الأحمر] ، وخلَّط فيه المُفَضَّل فأكثر .

١٧١ — وله أربع قصائد غُرَرٌ رَوَائعُ مُبَرِّزاتٌ ، وله بعدَهُنَّ شعرٌ حَسَن ، أوّلهن :

أَرَوَاحٌ مُودِّعٌ أَمْ بُكورُ ؟ أنْتَ ، فَاعْلَمْ ، لأىِّ حالٍ تَصِيرُ

---

(١) هذا الخبر كما ترى ، رواه أبو خليفة ، وهو مقحم على نص الطبقات ، لم يروه ابن سلام .

(٢) فى « م » : « مر رجل بباب رجل وقد كان فتمثل » ، وهى عبارة فاسدة جداً ، استظهرت صوابها من الأغانى ٢١ : ١١٣ (ساسى) من خبر غير خبر أبى خليفة .

(٣) فى « م » : « ويراكز » بالزاى ، ولا أعرف لها وجها . وأثبت ما فى الموشح : ٧٣ ، حيث روى الخبر بتمامه ، وما فى مخطوطة كتاب « الغرة » . ٢٠٩ . و « يراكن » ، لم أجده ، ولكن يقال : ركن فى المنزل يركن ، إذا ضن به فلم يفارقه . ويعنى : يلازمه ويطيل الإقامة فيه

١٤١

ــ نا أبو خليفة ، نا ابن سلام . قال : سمعتُ يونس وقد تمثّل بهذا البيت :

/ أيّها الشّامِتُ المُعَيِّر بالدّهْرِ ، أأنْتَ المبرّأ الموْفُورُ[1]
أمْ لدَيْكَ العَهْدُ الوَثيقُ من الأيّامِ ؟ بلْ أنْتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ !

٣٢
انتهى الخرم

فقال : لو تمنّيتُ أن أقولَ شعرًا ما تمنّيتُ إلّا هذه ، أو قال : مثلَ هذه ــ .

ــ وقوله :

أتعرف رَسْم الدّار من أمِّ مَعْبَدِ ؟ نَعَمْ ، فرَمَاكَ الشّوق قبْلَ التجلّدِ[2]

وقوله :

ليس شَيْءٌ على المَنُونِ بباقٍ غيْرُ وجْهِ المُسَبَّحِ الخَلّاقِ[3]

---

(١) انتهى الخرم الذى بدأ فى آخر رقم : ١١٦ ، وتبدأ مخطوطتنا بهذا البيت ، وعليها نعتمد من عند هذا الموضع . وضع الدهر هنا موضع مصائب الدهر ، وهو جيد بليغ . الموفور : الذى لم ينل منه شيء ، ولم يرزأ فى مال ولا بدن . ولا يقال ذلك إلا إذا ذكر المرء فى كلامه ما أصيب به غيره . والقصيدة من أجود الشعر . والقصيدة فى ديوانه : ٨٤ ــ ٩٢ ، وتخريجها هناك ، ويزاد عليه أمالى الشجرى ١ : ٩١ ، ٩٢ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٧٣ ، والروض الأنف للسهيلى ١ : ٥٧ ، ٥٨ فى خبر عجيب ، والشعر فيه منسوب إلى عدى بن سالم المرى العدوى .

(٢) ديوانه : ١٠٢ ــ ١٠٩ .

(٣) ديوانه : ١٥٠ ــ ١٥٦ ، ذيل الديوان . والمسبح : المنزه عن كل سوء .

وقوله :

لم أَرَ مِثْلَ الفِتيانِ فى غُبّرِ الأيّام ، يَنْسَوْنَ ما عَوَاقِبُها ![1]

---

(١) ديوانه : ٤٥ — ٤٩ ، وتخريجها هناك . « غبر » ، فى المخطوطة بضم العين ، وعلامة الإهمال على الراء . و« غبر» كل شىء (بضم فسكون) ، وغبره (بضم العين وباء مشددة مفتوحة) : بقيته . و « الغبر » بالتشديد أيضاً جمع « غابر » ، والغابر الباقى ، يعنى : مابقى من أيامهم فى هذه الدنيا ، ثم يقول بعده :

يرونَ إخوانَهمُ ومَصْرَعَهم　　　وَكَيفَ تَغتَالُهمْ مَخَالِبُهَا

وفى بعض الكتب أيضاً : « فى غير الأيام » بكسر الغين وفتح الياء المثناة ، وهى أحوال الدهر المتغيرة من صلاح إلى فساد ويروى أيضاً : « فى غبن » بفتح الغين والباء الموحدة ، وهو ضعف الرأى والنسيان والغفلة ، يقال : غبن الشىء وغبن فيه (بكسر الباء) نسيه وأغفله وضيعه ، و « غبن الأيام » ، ما ينسيهم ما هم فيه من مر الأيام وصروف الدهر ، آخرة الحياة . وفسره أبو الفرج فى الأغانى ٢ : ١٤٧ ، فقال : « يقول : الأيام تغبن الناس ، فتخدعهم وتختلهم ، مثل الغبن فى البيع » . وفى « م » : « غبن » أيضاً . وانظر المعانى الكبير : ١٠٢٧ .

الطَّبقةُ الخامسةُ

وهم أربعةُ رَهْطٍ[1] :

١٧٢ — خِداشُ بن زُهَيْر بن رَبيعة ذِى الشَّامة بن عمرو ، وهو فارس الضَّحْياء ، بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة .

١٧٣ — والأسْود بن يَعْفُر بن عَبد الأسْود بن جَنْدل بن نَهْشل ابن دارم .

١٧٤ — وأبو يَزيد ، المُخَبَّل بن رَبيعة بن عوف قِتَال بن أنف الناقة بن قُرَيْع[2] .

١٧٥ — وتَميم بن أُبَيّ بن مُقْبِل بن عوف بن حُنَيف بن قُتَيْبَةَ[3] بن العَجْلان بن عَبْد الله بن ربيعة بن كَعب بن عامر بن صَعْصَعَة .

* * *

---

(١) هذه الطبقة ، ذكرها أبو الفرج فى موضعين من الأغانى ١٣ : ١٥ ، ١٨٩ ، وفى أول الموضعين خطأ ظاهر ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى : ٥١ ، نقلا عن الأغانى فأخطأ ، والخزانة ١ : ١٩٥ .

(٢) فى المخطوطتين : « قتال » بفتح القاف وتشديد التاء ، والصواب كسر القاف وتخفيف التاء ، وقد ذكره فى شعره فقال : (الأغانى ١٣ : ١٩٣) .

وأبوكَ بدرٌ كان مُشْتَرَطَ الْحِمَى ... وأبى الجوادُ ربيعةُ بن قِتَال

وانظر الخزانة ٢ : ٥٣٥ ، ٥٣٦ .

(٣) « ابن قتيبة » ، ليس فى كتب النسب ، ولا فى « م » ، ولكنه مذكور فى نسبه فى الخزانة ١ : ١١٣ والإصابة فى ترجمته ، وغيرهما .

١٧٦ — فَخِدَاشٌ شاعرٌ . قال أبو عمرو بن العَلاء : هو أَشْعَر فى قَرِيحَة الشِّعْرِ من لبيد ، وأَبَى النَّاسُ إِلَّا تَقْدِمَةَ لَبِيد .[١]

١٧٧ - وكانَ يهجُو قُرَيْشًا ، ويقال إن أباه قتلته قُرَيْش أيَّامَ الفِجَار ،[٢] وهو الذى يقول :

أَبِى فارسُ الضَّحْياء عَمْرُو بن عامرٍ ، أَبَى الذَّمَّ واخْتارَ الوفاءَ على الغَدْرِ[٣]
فيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وأُمِّنَا ، إِلَيْكُمْ إِلَيكم ، لا سَبِيلَ إلى جَسْرِ[٤]

---

(١) قريحة الشعر : مضى تفسيرها فى رقم : ١٤٦ ، وسيأتى رقم : ٢٥٩ . وقد روى ابن قتيبة فى الشعر والشعراء هذا الخبر عن أبى عمرو : ٦٢٧ وفيه « خداش بن زهير أشعر فى عظم الشعر ، يعنى نفس الشعر ، من لبيد . إنما كان لبيد صاحب صفات » . وعظم (بفتح فسكون) ، وعلق عليه أخى الأكبر أحمد ، أن الصواب ضم العين وأن لا معنى لفتحها ، وكأنه اتبع فى ذلك قول الراجكوتى فى التعليق على اللآلى : ٧٠١ — ٧٠٢ ، لأنه وجده فى أصل اللآلىء مضموم العين ، قال « وهو الصواب » . ولا صواب ، وإنما هو بفتح العين لا غير ، وقد عقد ابن قتيبة فى كتابه أدب الكتاب : ٢٢٧ باباً سماه « باب الحرفين اللذين يتقاربان فى اللفظ والمعنى ويلتبسان ، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر » ، وأول كلمة فيه هى : « قالوا عظم الشىء (بضم فسكون) : أكثره . وعظمه (بفتح فسكون) : نفسه » . ورواية الطبقات قاطعة بأن المراد من قوله « فى عظم الشعر » : فى طبيعته ونفسه وجوهره . وقد استعمل أبو عمرو بن العلاء هذا الحرف فى موضع آخر فقال : « أبو حية النميرى أشعر فى عظم الشعر من الراعى » (الموشح : ١٥٧) .

(٢) أيام الفجار : خمسة أيام فى أربع سنين (انظر العقد الفريد ٥ : ٢٥١ — ٢٦٠) معروفة معدودة . وقد أوهم هذا السياق بعض الناقلين أن الشعر الآتى قيل فى أيام الفجار ، وليس كذلك كما سيأتى ، بل الشعر الذى يليه هو الذى قيل فى يوم الفجار الآخر ، وهو بين قريش وكنانة كلها ، وبين هوازن . وهو من الأيام التى شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فيه : كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار ، وأنا ابن أربع عشرة سنة (انظر فقرة : ٩٨ تعليق : ٣)

(٣) القصيدة من المجمهرات ، رواها أبو زيد بن أبى الخطاب فى جمهرة أشعار العرب : ١٠٧ -- ١٠٩ . قالها فى يوم شواحط ، وهو يوم لبنى محارب بن خصفة ، على بنى عامر بن صعصعة . والضحياء : فرس عمرو بن عامر ، جد خداش .

(٤) « فيا أخوينا » ، يعنى بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وبنى أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وذلك أنهما بعد يوم شواحط أرادا أن يميلا على حلفاء بنى عمرو --

١٧٨ - وهو الذى يقول :

يَاشَدَّةً مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ   عَلَى سَخِينَةَ ، لولا اللَّيْلُ والحَرَمُ [١]

إذْ يَتَّقِينَا هِشَامٌ بالوَلِيد ، ولوْ   أَنَّا ثَقِفْنَا هِشَامًا ، شَالَتِ الجِذَمُ [٢]

سَخِينَة : شيءٌ تُعَيَّرُ به قريش ، فجعله اسمًا لها . [٣] هِشَامٌ والوليد : ابنا المُغيرة المخزوميّان .

١٧٩ — وقال القصيدةَ المُنْصِفَة : [٤]

ـ ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (رهط خداش) . وهؤلاء الحلفاء هم بنو جسر من بنى محارب ابن خصفة ، وكانوا قد خرجوا على سائر بنى محارب بن خصفة وحالفوا رهط خداش ، فنهاهم خداش ، وحذر بنى عقيل وبنى أبى بكر بن كلاب عاقبة فعلهم ، وأنه فاعل ما فعل جده من اختيار الوفاء والموت على الغدر والمذمة الباقية ، فهو مقاتلهم إن فعلوا وعدوا على حلفائه . إليكم إليكم : أى تنحوا وابتعدوا عن ذلك . (العقد ٥ : ١٦٢ ، الأغانى ٣ : ٢٧٢ ـ ٢٧٤) .

(١) شد على القوم فى القتال : حمل عليهم فقتلهم . والشدة : الحملة الشديدة . وهذا هو الشعر الذى قاله خداش فى يوم نخلة ، وهو الفجار الآخر (العقد ٥ : ١٥٥ ، والأغانى ١٩ : ٧٦ ، وأنساب الأشراف ١ : ١٠١ ، ١٠٢) وقوله « لولا الليل والحرم » ، وذلك أن قريشاً فى هذه الحرب ظلت تقاتل حتى دخلت الحرم وجن عليهم الليل ، فكفوا عن القتال . ويروى « لولا البيت » وليست بشىء .

(٢) ثقف فلاناً فى موضع كذا : صادفه وظفر به . « الجذم » جمع جذمه (بكسر فسكون) ، وهو السوط ، لأنه يتقطع مما يضرب به ، والجذم القطع . قال الأشناندانى فى معانى الشعر : ٢٩ ، وذكر البيت : « ضربنا خيلنا بالجذم ، أى بالسياط ، حتى تلحقه فتقتله » . وشالت : ارتفعت ، يعنى عند إرادة حث الخيل بالسياط .

(٣) السخينة : طعام يتخذ من الدقيق ، دون العصيدة فى رقته وفوق الحساء ، وإنما كانت تؤكل فى شدة الدهر وغلاء السعر وهزال الأنعام ، فعيروا بأكلها . وهذا التفسير أخلت به « م » .

(٤) المنصفة : هى القصيدة التى يمدح فيها الشاعر أعداءه ، ويذكر ما أوقعوا بقومه وما أوقع قومه بهم ، إنصافاً وعدلا . ورواها صاحب الأغانى ١٩ : ٧٨ . وفى « م » ، بتشديد الصاد حيث وردت ، (انظر رقم : ٣٧٤) ، وانظر الأشباه والنظائر ١ : ١٤٩ ، والتعليق عليه .

فأبلغْ ، إنْ عَرَضْتَ ، بنا هِشَامًا … وعبدَ الله أبْلِــغْ والوليدَا[١]

أولئكَ، إن يَكُنْ في النَّاس خَيْرٌ ، … فإنَّ لَدَيْهِــمُ حَسَبًا وَجُودَا

هُمُ خَيرُ المَعَاشِرِ مِن قُرَيْشٍ … وَأَوْرَاهَا ، إذَا قَدَحتْ ، زُنُودَا[٢]

بِأَنَّا يومَ شَمْطَةَ قَدْ أَقَمْنَا … عَمُودَ المَجْدِ ، إنّ له عَمُودَا[٣]

فَجَاؤُوا عارِضًا بَرِدًا ، وَجِئْنَا … كما أَضْرَمْتَ في الغَابِ الوَقُودَا[٤]

فَعَانَقْنَا الكُمَاةَ وعَانَقُونَا ، … عِراكَ النُّمْرِ وَاجَهَتِ الأُسُودَا[٥]

فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ هُزِمُوا وَفُلُّوا ، … ولا كَذِيادِنَا عُنُقًا مَجُودَا[٦]

---

(١) قوله عرضت : أى أتيت العروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها ، أو أعراض المدينة وقراها . ثم استعملت بمعنى مررت بهم ونزلت . وأبلغ بنا : ضمنه معنى أخبر فعداه بالباء ، يقول : أخبر هؤلاء بما كان من أمرنا .

(٢) الزنود جمع زند : وهو ماتستقدح به النار . ورى الزند : خرجت ناره . يقال : وريت بك زنادى ، وهو أوراهم زنداً : فى النصرة والنجاح والظفر والمعونة المؤدية إلى قضاء الحاجة . قدح : ضرب الزند بالزندة ليستخرج النار ، والضمير فى « قدحت » عائد على قريش .

(٣) شمطة : مكان من مواقع حروب الفجار . ويروى « شمظة » بالظاء المعجمة . وفى الأغانى « سمطة » ، وفى المخطوطتين : « سمط » ، وأثبت ما فى أكثر المراجع وكتب البلدان .

(٤) فجاءوا ، يعنى قريشاً . العارض : السحاب يعترض فى أفق السماء حتى يسده . والبرد : ذو البرد الشديد ، أو الذى يرمى بالبرد . يذكر كثرتهم التى سدت الأفق ، ويصف بأسهم الذى لا يتقى ولا يرد .

(٥) الكماة جمع كمى : وهو الشجاع الذى لايحيد عن قرنه ولا يهاب . والنمر جمع نمر : وهو الأرقط المعروف . وبين الأسد والنمر عداوة متمكنة ، وكلاهما ذو بأس شديد . فى المخطوطة « النمر » بكسر النون ، وهو معروف فى الواحد ، ولكن لايقال جمعا .

(٦) فل الجيش . كسرهم فانقلبوا منهزمين متفرقين . والفل المنهزمون . وذاد الشىء عن نفسه ذياداً وذوداً : دفعه ورده . فى المخطوطتين « عنقاً مجوداً » ، وفى الأغانى ١٩ : ٧٨ « عنقاً مذوداً » ، وفى معجم البلدان (شمطة) « عنقاً مذوداً » وفى العينى ٢ : ٣٧١ « عنقاً مذوداً » ، وفسرها تفسيراً لايستجاد . و « العنق » بضمتين ، القطعة من المال ، أى الإبل . و « المجود » ، من قولهم : جيد الرجل يجاد (بالبناء للمجهول) ، الذى أجهده العطش ، و « الجواد » بضم الجيم ، =

هشام والوليد : أبنا المغيرة ، وعبد الله : ٱبن جُدْعان . وكان يعتمد على ٱبن جُدعان بالهجاء ، [١] فزعموا أنه لمّا رآه ورأى جماله وجَهارَته وسِيماه قال ، والله لا أهجوه أبداً . [٢]

° ° °

١٨٠ — والأسود بن يَعْفُر ، يُكْنَى أبا الجرّاح — أخبرنى يونس : أن رُؤْبة كان يقول : يُعْفُر ، بضم الياء والفاء ، فقال يونس: يقال يُونُس ويُونِس ، ويُوسُف ويُوسِف . [٣]

١٨١ — وكان الأسْوَدُ شاعرًا فَحْلًا ، وكان يُكثِر التنقّل فى العرب يُجاوِرهم ، فيَذمُّ ويَحْمَدُ ، وله فى ذلك أشعارٌ . وله واحدةٌ رائِعةٌ طويلة ، لاحقةٌ بأجْودِ الشعر ، لو كان شَفَعها بمثلها قدّمناه على مرتبته ، وهى :

نَامَ الخَلِىُّ وما أُحِسُّ رُقادى | والهَمُّ مُحْتَضِرٌ لدَىَّ وِسَادِى [٤]

وله شعرٌ جيِّدٌ ، ولا كهذه .

= العطش . يقول : ذدناهم كما تذاد الإبل العطاش عن الماء ، فهى تقبل على الماء مصممة ، وتردها عصى الذائدين يركب بعضها بعضا ، تدفعها غلة الظمأ ، وتنهاها مخافة العصى .

(١) اعتمد عليه فى كذا : قصده به واشتد عليه فيه وأثقل . وانظر الحيوان ١ : ٣٦٤ ، بكاء عبد الله بن جدعان من بيت لخداش بن زهير ، وهجاءه فى الشعر والشعراء : ٦٢٨ .

(٢) الجهارة : مايجهر العين ويروعها من حسن منظره وأبهته . ورجل جهير وامرأة جهيرة : تروع الناظر . والسيما : أمارة الخير أو علامة الشر تعرف فى وجوه الناس .

(٣) وفيهما أخرى ثالثة : يونس ويوسف بفتح النون والسين فيهما ، ونقل هذا فى كتاب الغرة : ٢١٣ . وقال : «وكان أبو عمرو بن العلاء يقول بفتح الياء» ، وانظر شرح التصحيف : ٤٣٣ .

(٤) رواها المفضل فى مختاره ، المفضليات رقم : ٤٤ .

١٨١ م — وذكر بعضُ أصحابنا أنه سمع المفضَّل يقول : له ثلاثون ومئة قصيدةٍ . ونحن لانَعْرِفُ له ذلك ولاقريبًا منه . وقد علمتُ أن أهلَ الكوفة يَرْوُون له أكثر مما نروِي ، ويتجوَّزون فى ذلك بأكثرَ مِن تجوُّزِنا .

١٨٢ — [(١)] وأسمَعنى بعضُ أهل الكوفة شعرًا زَعم أنه أخذَهُ عن خالد بن كُلْثوم ، يرثى بهحاجبَ بن زُرَارة . فقلت له : كيف يروى خالدٌ مثلَ هذا ، وهو من أهل العلم ، وهذا شعرٌ مُتَداعٍ خبيثٌ ؟ فقال : أخذْناه من الثقات — ونحن لانعرِفُ هذا ولا نقبلُه .

١٨٣ — وقال يمدحُ الحارثَ بن هِشَام بن المُغيرة — وكانت أسماء بنت مُخرِّبَة النَّهْشَليّة عند هِشَام بن المغيرة ، [(٢)] فولدت له أبا جَهْل والحارثَ ، ثم تزوّجها أبو رَبيعَة بن المغيرة فأولدها عَبدَ الله وعَيَّاشًا ، [(٣)] وكان الحارثُ بن هشام / قام بغزوةِ أُحُدٍ ، وكان له فيها أثَرٌ . فقال : ٢٣

إنَّ الأكارِمَ من قُرَيْشٍ كُلِّها ... قاموا،فَرامُوا الأمْرَ كلَّ مَرَامِ [(٤)]

---

(١) هذه الفقرة : ١٨٢ ، أخلت بها « م » .

(٢) قال أبو الفرج فى أغانيه ١ : ٦٤ وقيل : « مخرمة » . وكانت عطارة تبيع العطر من اليمن . وتعرف أسماء أيضاً بالحنظلية ، لأنها من بنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، رهط الأسود بن يعفر .

(٣) فى المخطوطة : « عباسا » ، والصواب ما فى « م » .

(٤) ديوان الأعشين ، أعشى نهشل : ٢٠٩ ، وشعر الأسود : ٦١ . الأكارم جمع كرام ، والكرام جمع كريم . وفى المخطوطة : « كلها » كتبها بالجر أولا ، ثم ضرب على الكسرة وجعلها بالفتح .

حَتَّى إذا كَثُرَ التَّحاوُلُ بَيْنَهم ... فَصَلَ الأُمُورَ الحارِثُ بنُ هِشَامِ [١]

وَسَمَا لِيَثْرِبَ لا يُرِيدُ طَعَامَها ... إلَّا لِيُصْلِحَ أهلَها بِسُوَامِ [٢]

وغَزَا اليَهُودَ فأَسْلَمُوا أَبْنَاءَهُمْ ، ... صَمِّى، لِما لَقِيَتْ يَهُودُ ، صَمامِ ! [٣]

* * *

١٨٤ — والمُخَبَّل شاعرٌ فَحْلٌ وهو أبو يَزِيد ، [٤] وله يقول الفَرَزْدَق :

وَهَبَ القَصائدَ لِي النَّوابغُ إذ مَضَوْا ... وأَبُو يَزِيدَ وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ [٥]

---

(١) هكذا فى المخطوطتين « التحاول » بالحاء المهملة ، وفى مخطوطتنا تحت الحاء حاء ، دلالة على الإهمال ، وكأنه « تفاعل » من قولهم « حاول الشىء محاولة » : رامه وطلبه بالحيل ، يعنى إذا كثر بينهم التحاور والتنازع والتخادع وطلب الغلبة بالحيلة ، فصل الأمور الحارث بن هشام . وسيأتى مثله فى خبر مالك وخالد بن الوليد رقم : ٢٧٦ .

(٢) سما إليه : شخص إليه ، يريد خروج قريش من مكة إلى أحد لقتال المسلمين . السوم والسوام : عرض السلعة على البيع ، ومنه أخذ : سمته الخسف : جشمته إياه وألزمته به ، وأكثر مايستعمل فى العذاب ، يقول سبحانه وتعالى : « يسومونكم سوء العذاب » ، فكأنه أراد بالسوام هنا : العذاب والنكال . وفى « م » : « إلا ليصبح أهلها » بنصب « أهلها » .

(٣) رواية ابن سلام غير جيدة ، وفى اللسان وغيره (صمم) (هود) ، والمخصص ١٦ : ١٠٢ ، « فرت يهود وأسلمت جيرانها » ، ويروى « حلفاءها » . ويعنى بالجيران ، المهاجرين الذين نزلوا المدينة على الأنصار . وأسلم فلان صديقه : خذله فى مكروه وفر ليسلم هو . ويهود لم تفر فى غزاة أحد — وهم أهل الفرار والغدر — ولكن ردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما خرجوا مع عبد الله بن أبى ابن سلول وقال : لا أستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك . ثم جاء آخرون من الأنصار فذكروا لرسول الله الاستعانة بحلفائهم من يهود ، فأبى من أن يستعين بمشرك . ويروى « صمى لما فعلت يهود » . وصمى صمام : كلمة تقال عند استفظاع أمر بشع قبيح ، كأنه يقول : اخرسى ياداهية ، فإن الذى أرى أكبر منك . وصمام : اسم الداهية الشديدة . وهذا الخبر والشعر ، يدلان على أن الأسود أدرك الإسلام حتى يوم أحد ، ولم أجد ذلك فى شىء من المراجع .

(٤) من أول قوله : « وله يقول الفرزدق » ، إلى آخر الخبر ، أخلت به « م » ، وانظر الأغانى ١٣ : ١٨٩ .

(٥) ديوانه : ٧٢٠ والنقائض : ٢٠٠ . والنوابغ : نابغة بنى ذبيان ونابغة الجعدى ونابغة بنى شيبان . وذو القروح : امرؤ القيس بن حجر ، وجرول : الحطيئة . ولم أحقق بعد نسبه إلى هؤلاء جميعاً ، ولكنه يعنى أن أمهاته فى بنى مجاشع بن دارم من هؤلاء الذين ورثوه الشعر .

— وللمخبَّل شعرٌ كثيرٌ جيّدٌ ؛ هجا به الزِّبرقانَ وغيرَه ، وكان يمدحُ بنى قُرَيعٍ ويذكر أيامَ سَعْدٍ . وشعرُه كثيرٌ .(١)

* * *

١٨٥ — وتَمِيم بن أُبَيّ بن مُقْبِل ،(٢) شاعر مُجيدٌ مُغَلَّبٌ ، غُلِّبَ عَلَيْه النَّجاشىُّ ،(٣) ولم يكُنْ إليه فى الشِّعْر ، وقد قهرَه فى الهجاء فقال :

إذَا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ ودِقَّةٍ ... فعادَى بنى العَجْلانِ رَهْطَ ابنِ مُقْبِلِ(٤)

— ثم هاجى النِّجاشىُّ عبدَ الرحمن بن حسان بن ثابت ، فغلبه عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت .

١٨٦ — وكان ابن مقبل جافياً فى الدّين ، وكان فى الإسلام يبْكى أهلَ الجاهلِيّة ويَذْكرها ، فقيل له : تبْكى أهلَ الجاهليةِ وأنتَ مُسْلِم ؟(٥) فقال :

وَمَا لِىَ لَا أَبْكِى الدِّيارَ وأهْلَها ، ... وقَدْ زَارَها زُوّارُ عَكٍّ وحِمْيَرَا ؟(٦)

وجَاءَ قَطَا الأجْبَابِ من كلِّ جانبٍ ... فوَقَّعَ فى أعْطانِنا ثُمَّ طَيَّرَا(٧)

---

(١) انظر مامضى فقرة : ١٣٣ .

(٢) فى المخطوطتين « تميم بن أبى مقبل » ، وهو خطأ ظاهر .

(٣) فى « م » « مغلب عليه » ، وفيها أيضاً « شاعر خنذيذ » ، والخنذيذ : الشاعر المجيد المنقح للكلام المفلق . وانظر فقرة : ١٤٣ فى تفسير « مغلب » . والنجاشى الحارثى : قيس بن عمرو بن مالك ، وخبره مع تميم بن أبى فى كتب كثيرة مشهور . انظر الشعر والشعراء : ٢٩٠ .

(٤) الدقة : الخسة البليغة . (٥) العمدة ١ : ٢٧٤ .

(٦) ديوانه : ١٢٩ — ١٤١ يعنى ملوك عك وحمير باليمن ، وانظر ماقاله ابن سلام فى عك فقرة : ١٢ . وهذا البيت فى آخر قصيدته . وفى العمدة : « رادها رواد » ، وفى الديوان : « وقد حلها رواد » .

(٧) هذا البيت من أوائل أبيات القصيدة ، وصواب روايته : « أتاه قطا الأجباب » « ونقر فى أعطانه » ، والضمير فى « أتاه » و « أعطانه » عائد على منهل قديم باد أهله ذكره قبل . والأجباب جمع جب : وهى البئر الكثيرة الماء .

الطبقة السادسة

١٨٧ — أربعةُ رهْطٍ ، لكلّ واحدٍ منهم واحدةٌ :

١٨٨ — أوّلهم عمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم بن بَكْر بن حُبَيْب بن عمْرو بن غَنْم بن تَغلِب . وله قصيدةٌ ، التي أوّلها :

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا ۝ وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا[1]

١٨٩ — والحارث بن حِلِّزَة بن مَكْرُوه بن بُدَيْد[2] بن عَبْدِالله بن مَالك بن عَبْد سَعد بن جُشَم بن ذُبيان[3] بن كِنانة بن يَشْكُر بن بكر ابن وَائل . وله قصيدةٌ ، التي أوّلها :

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ ۝ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ[4]

---

(١) هى طويلته المشهورة فى المعلقات .

(٢) فى المخطوطتين « يزيد » ، وقد نص على صوابه الفيروزبادى فى (بدد) ، وهو على الصواب فى مخطوطات جمهرة النسب .

(٣) فى المخطوطتين : « زبان » ، و « ذبيان » هو ما أطبقت عليه مخطوطات جمهرة النسب ، ونسبه فى المفضليات ، وشرح المعلقات ، وغيرها . وانظر رقم : ١٩١ ، ونص عليه ابن حبيب فى مختلف القبائل : ٢٤ .

(٤) طويلته المشهورة فى المعلقات . وقال الأصمعى : إنه قالها وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين ومئة سنة (شرح السبع الطوال : ٤٣٣) .

ولـه شعرٌ سوى هذا ، وهو الذى يقول فى شِعْرِه :

لا تَـكْسَعِ الشَّوْلَ بأَغْبَارِهَا ، إنَّكَ لا تَدْرِى مَنِ النَّاتِـجُ[(١)]

١٩٠ — وعَنْتَرة بن شَدَّاد بن مُعاوية بن قُرَاد بن مَخْزوم بن مالك ابن غَالب بن قُطَيْعة بن عَبْس . وله قصيدةٌ ، وهى :

يادَارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّمِى ، وَعِمِى صَباحاً دَارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِى[(٢)]

وله شعرٌ كثيرٌ ، إلَّا أن هٰذِهِ نادِرَةٌ ، فألحقوها مع أصْحَابِ الواحِدَة.[(٣)]

١٩١ - وسُوَيْد بن أبى كاهل بن حَارِثة بن حِسْل[(٤)] بن مالك بن عبد سَعْد بن جُشَم بن ذُبْيان[(٥)] بن كِنانة بن يشكر بن بَكْر بن وائل ،

---

(١) ديوانه : ٢٧ وشرح المفضليات : ٨٨٥ ، والـكامل ١ : ٢٢١ ، والبيان ٣ : ٣٠٣ . والبيت مثل سائر . الشول جمع شائلة : وهى من الإبل ما أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها ، فلم يبق فى ضروعها إلا شول ، أى بقية . والأغبار ، جمع غبر : وهى بقية اللبن فى الضرع . وكسع الناقة بغبرها : تركه فى خلفها ليغزر لبنها وتشتد ، وربما نضحوا ضرعها بالماء البارد فيرتد اللبن فى ظهرها ، فيكون ذلك أسمن لأولادها التى فى بطونها وأقوى لها . يقول : لاتفعل ذلك رجاء أن تستجيد نتاج إبلك ، فإنك لاتدرى أتموت فيرثها وارث ، أو يغير عليها مغير ، فيأخذها منك . يحضه على الـكرم ، وأن يحلب لأضيافه ولا يبخل ، كما تمم ذلك فى البيت الذى يليه :

واحلُبْ لأضيافك ألْبَانَها فإنَّ شرَّ اللَّبنِ الوالِجُ

(٢) طويلته المشهورة فى المعلقات .

(٣) قوله أصحاب الواحدة : هم الذين عرفناهم بعد بأصحاب المعلقات ، انظر ما سلف : ١٦٦

(٤) فى المخطوطة « جل » بفتح الجيم المعجمة التحتية ، ولا أدرى ما هو ، والذى هنا هو الثابت فى جميع مخطوطات كتب جمهرة النسب ، وكتب النسب وغيرها . وقد أخلت « م » بآخر النسب من بعد قوله « مالك » .

(٥) فى المخطوطة هنا أيضاً : « زبان » ، وانظر رقم : ١٨٩ ، تعليق : ٣

ولهُ قصيدةٌ ، أوَّلها :

بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا ، فَمَدَدْنا الحَبْلَ مِنْها ، مَا اتَّسَعْ[1]

وله شعر كثير ، ولكن بَرّزت هذه على شعره . وهو الذي يقول:

جَرَرْتُ عَلَى راجي الهَوَادةِ منهُم وقد تَلْحَقُ المَوْلَى العَنُودَ الجرائِرُ[2]

١٩٢ — قال، وحَدَّثنى أبُو بَكر عبد الله بن مُصْعَب قال : لما خَلَع ابنُ الزُّبير يَزِيدَ بن مُعاوية ، والمُنْذِرُ بن الزُّبير يومئذ بالبَصْرة ، وعُرْوَةُ بن الزُّبير بمصر ، شَخَصَا إليه [ومَسافَتُهما يومئذٍ غير مُتَقاربة] — فلما رآهما تمثّل بِبَيت سُوَيد :

جَرَرْتُ على راجى الهَوَادةِ منهم وقد تَلْحَقُ المولَى العَنُودَ الجرائِرُ

(١) رواية المفضليات : « فوصلنا الحبل منها ما اتسع » ، وفى « م » ومخطوطة ا« فانقطع » ، ولكن كتب فوقها في مخطوطتنا : « ما اتسع » وعليها علامة تصحيح .

(٢) نسب قريش للمصعب : ٢٤٥ ، وفيه : « باغى الهوادة » . جررت على فلان جريرة : إذا جنيت جناية . وراجى الهوادة ، وباغى الهوادة : طالب الموادعة والصلح . والعنود : الرجل الذى يحل ناحية ولا يخالط الناس . يقول : أنزلت جرائرى بأهل المصالحة منهم ، ورب معتزل عن الناس لم ينج من أذى يلحقه . ورواية اللسان غير منسوبة فى (عند) : « مولى عنود ألحقته جريرة » ، وما أدرى أهو هو ؟

الطَّبَقَةُ السَّابِعَةُ

١٩٣ — أَرْبَعَةُ رَهْطٍ مُحْكِمُونَ مُقِلّون،[1] وفى أشعارِهم قِلّةٌ، فذاك الذى أَخَّرَهم.

١٩٤ — [2] منهم سَلاَمة بن جَنْدَل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو بن الحارث، وهو مُقاعس، بن عمرو بن كعب بن سعد.[3]

١٩٥ — وحُصَيْن بن الحُمَام المُرّىّ، بن رَبِيعة بن مُسَاب[4] بن حَرَام بن وَائِلة بن سَهْم بن مُرّة، وهو فارسٌ شاعرٌ شريفٌ.

١٩٦ — والمُتَلَمِّس، وهو جَرِير بن عبد المَسِيح بن عبد الله

---

(١) ذكر هذه الطبقة أبو الفرج، الأغانى ٢١ : ١١٨ (ساسى). «محكمون»، من إحكام القول، وانظر هذه الصفة فى رقم : ٢٣١، وضبطت فى المخطوطة هنا بضمة على الميم وفتحة على الحاء، والذى أثبت هو ضبط «م»، وقال فى اللسان (حكم) : «وقد سمى الأعشى القصيدة المحكمة : حكيمة» فقال :

وغريبةٍ تأتى الملوكَ حَكيمةٍ قد قُلْتُها ليُقَالَ مَنْ ذَا قالَها

(٢) أخلت «م» بأكثر ما فى هذه الطبقة، وهذا نص ما أثبته : «... سلامة بن جندل، أحد بنى كعب بن سعد، والحصين بن الحمام المرى، والمتلمس، وهو جرير بن عبد المسيح، أحد بنى ضبيعة ابن ربيعة، ويقال ضبيعة الأضجم، والأضجم الخير بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن، وبه ضجمت ربيعة، والمتلمس خال طرفة بن العبد، والمسيب بن علس الضبعى، واسم المسيب... »، وأخلت بما بقى، كما ترى.

(٣) سياقة النسب غريبة جداً. والذى فى جميع كتب الأنساب : «... جندل بن عبد عمرو ابن عبيد بن مقاعس»، وكذلك فى رواية ديوانه عن الأصمعى وأبى عمرو الشيبانى : ٨٩، وليس فى جميعها «عبد الرحمن».

(٤) فى جميع مخطوطات النسب «مساب»، ثم أثبتها، وفى المخطوطة : «مسار»، وعلى الراء علامة إهمال، وعلى الميم فتحة. وضبط فى الخزانة ٢ : ٩ «مساب، بضم الميم وتخفيف السين»، والأغانى ١٤ : ١، وصحح فى الطبعة الثانية من جمهرة ابن حزم : ٢٥٤.

ابن زيد بن دَوْفن بن حرب بن وهب بنُ جُلَىّ[1] بن أحمس بن ضُبَيْعة بن ربيعة ، ويقال: ضُبَيْعَةُ أضجَمَ ، / والأضجم: الحارث الخير بن عبد الله بن رَبيعة بن دَوْفن ، وبه ضُجِّمت رَبيعَة ، وكان سيّدًا .[2] والمتلمِّس خَالُ طَرَفة بن العبد ، وإنما سُمِّى المتلمِّس لقوله : ٢٤

فَهذا أوانُ العَرْضُ حَيَّ ذُبابُه   زَنابِيرُه والأَزْرَقُ المتلمِّسُ[3]

١٩٧ — والمُسَيَّبُ بن عَلَس بن عمرو بن قُمامة بن زيد بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بلال بن خُماعة بن جُلَىّ بن أحمس بن ضُبَيْعة.[4] واسم المسيَّب : زُهَيْر ، وإنما سُمّى المسيَّب حين أوْعَد بنى عامر بن ذُهْل ، فقالت بنو ضُبَيْعة : قد سَيَّبْنَاكَ والقومَ . وهو خَالُ الأعشى ، وهو الّذِى يقولَ فى القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زُرَارة :

---

(١) فى المخطوطة هنا وفى رقم ١٩٧ «جل» بفتح الجيم، والصواب ما أطبقت عليه كتب النسب، كما أثبته.

(٢) « الأضجم » ، المائل الأنف إلى أحد شقى الوجه ، وربما كان معه ميل فى الشدق ، ويكون ذلك من مرض يقال له « اللقوة » . وقد أصابته اللقوة .

(٣) من أبيات جياد فى ديوانه رقم: ٥ ، وفى كتب كثيرة منها : الحماسة ٢: ١٠٢ — ١٠٥ ، والبيت فى المعانى الكبير : ٦٠٤ ، وغيره . والعرض : واد مريع باليمامة ، حى ذبابه : يريد أن الأرض أمرعت وكثر ذبابها فى الرياض، ويروى : « طن » و « جن » . والمتلمس : المتطلب للشىء من هنا وهنا . والأزرق ضرب من ذباب الرياض . وهو يسخر فى هذا الأبيات بعقليم بنى حنيفة أصحاب اليمامة . ويقال إنه هجا عمرو بن هند بذلك . الاشتقاق : ١٩٢ .

(٤) « ... علس بن عمرو بن قامة » ، و «ثعلبة بن عمرو بن مالك »، هكذا هنا، وفى كتب النسب . وفى الجمهرة : ٢٧٥، وشرح المفضليات : ٩١ «علس بن مالك بن عمرو ... » و « ثعلبة ابن عدى » ، وأراه الصواب . وفى المخطوطة « خماعة » ، مضبوطة ، وفي سائر كتب النسب والاشتقاق : ١٩١ « جماعة » بالجيم المضمومة، ولكنى أبقيت الأصل ، لأنى رأيت فى شرح المفضليات: ٩٢ مانصه : « ... وأما عبد الله بن رستم ، فأخبرنى عن يعقوب : خماعة ، بالخاء معجمة من فوق بواحدة » ، ثم رد قول يعقوب ، فلعله رواه عن ابن سلام كذلك .

فَلَأُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّياحِ قَصِيدَةً مِنِّى ، مُغَلْغِلَةً إِلى القَعْقَاعِ[١]
أَنْتَ الَّذِي زَعَمَتْ مَعَدٌّ أنه أهلُ التَّكَرُّمِ والنَّدَى والباعِ[٢]

---

(١) شرح المفضليات : ٩١ــ١٠٠ . مغلغلة : تتغلغل مسرعة فى الارض وتذهب كل مذهب.

(٢) زعمت : قالت وذكرت حقاً ، لا بمعنى ظنت باطلا . والباع : السعة فى المكارم ، من قولهم للكريم : رحيب الباع ، وهو مد ما بين الكفين إذا بسطت الذراعين . ورواية البيت فى المفضليات ، غير هذه ، وديوان الأعشين : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

الطَّبقةُ الثامِنَة

أربعةُ رَهطٍ :[1]

١٩٨ عَمْرو بن قَمِيئَة بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قَيْس بن ثَعْلَبة .

١٩٩ والنَّمِرُ بن تَوْلَب بن أُقَيْش[2] بن عبد الله بن كعب بن عوف بن الحارث بن عدىّ[3] بن عوف بن عَبْد مَناة بن أُدّ ، وهو عُكْل .

٢٠٠ — وأَوْس بن غَلْفَاء الهُجَيْمِىّ .

٢٠١ — وعوف بن عَطِيَّة بن الخَرِع ،[4] والخَرِعُ يقال له عمرو بن عيْش[5] بن وَديعة بن عبد الله بن لُؤَىّ بن عَمْرو بن الحارث بن تَيْم[6] ابن عَبدِ مَناة بن أُدٍّ .

* * *

---

(١) ذكر هذه الطبقة الثامنة فى الأغانى ١٣ : ١٥ ، ولكنه أخطأ خطأ فاحشاً ، انظر ماسلف فى أول الطبقة الخامسة والتعليق عليه .

(٢) فى « م » : « النمر بن تولب ، أحد بنى عدى بن عوف . . . » ، وأخل بالباقى . وفى المخطوطة : « أقيشر » ، وهو خطأ ظاهر . وفى جميع كتب النسب « أقيش بن عبد بن كعب » ، ليس فيه لفظ الجلالة .

(٣) فى جميع كتب النسب : « على بن عوف » . وتمام النسب : « على بن عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة . . . » .

(٤) فى « م » : « عوف بن عطية بن الخرع ، أحد بنى تيم . . . » ، وأخل بالباقى .

(٥) اتفقت مخطوطات كتب النسب على « عيش » ، وانظر مختلف القبائل لابن حبيب فإنه لم يذكره فى « عيش » ، وفى المخطوطة « عاس » ، باللام ، ولم أجده ، وفى معجم الشعراء : « عبس » .

(٦) فى المخطوطة : « تميم » ، وهو خطأ لا ريب فيه .

٢٠٢ — حدثنى مِسْمَع بن عَبْدِ الملك ، وهو كِرْدِينٌ ،[١] قال : قولُ أمرئ القيس :

بَكى صَاحبى لمّا رأَى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَنَ أنّا لاحِقَانِ بقَيْصَرَا

قال : صاحبه الذى ذكر ، عمرو بن قميئة . وبنو قيس[٢] تدّعى بعض شعر أمرئ القيس لعَمْرو بن قميئة ، وليس ذلك بشىء .

* * *

٢٠٣ — والنَّمر بن تَوْلَب جَوادٌ لا يُلِيق شَيئًا ، وكان [شاعرًا] فصيحًا جريئًا على المَنْطِق . [وكان أبو عمرو بن العلاء يُسَمِّيه : الكَيِّسَ ، لحُسْنِ شعره] .[٣]

٢٠٤ — وهو الّذى يَقول :

لا تَغْضَبَنَّ على امْرِئٍ فى مَالِهِ ... وعَلَى كَرائِمِ صُلْبِ مَالِكَ فاغْضَبِ[٤]

---

(١) فى « م » : « حردبر » ، وهو خطأ صرف . وقد مضى ذكر « كردين » رقم : ١٧٥ ، تعليق : ٤ .

(٢) فى « م » : « بنو أقيش » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) هذا الخبر رواه أبو الفرج فى الأغانى ١٩ : ١٥٧ ، والزيادة منه . وانظر الاستيعاب ١ : ٣٠٩ . ما يليق شيئًا : لا يحبس شيئًا ولا يمسكه ، ولا يبقى عليه ، من سخائه وبذله .

(٤) شعر النمر بن تولب : ٤٤ ، وتخريجه هناك . كريمة مال الرجل : خياره وما يضن به ويكرم عليه ، والجمع كرائم . وقوله : صلب مالك ، لأن أموالهم كانت الإبل ، يعنى التى ولدت عنده من أصلاب ماله . يقول : لا يتهم أنفك فى أمر تحمل فيه غرمًا ، وأنت تؤمل أن يعينك أحد عليه ، فإن كنت فاعلا فلا تثقن إلا بمالك تبذل من حره فى نصرة من تنصره . وذلك أن النمر كان لجأ إلى صديق فى دية احتملها هو وقومه ، فلما سألوه تبسم وقال لهم : إن لى نفسًا تأمرنى أن أعطيكم ، ونفسًا تأمرنى أن لا أفعل . فقال النمر لقومه : لا تسألوا أحدًا ، فالدية كلها على .

وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى ... وإلى الذى يُعْطِى الرغائبَ فارْغَبِ [1]

٢٠٥ — وقال أيضاً :

عَلَيْهِنَّ يَوْمَ الوِرْدِ حَقٌّ وحُرْمَةٌ ... وهُنَّ غَداةَ الغِبِّ عندكِ حُفَّلُ [2]

٢٠٦ — وقال أيضاً :

أقِى حَسَبِى بِهِ ، ويَعِزُّ عِرْضِى ... علىَّ ، إذا الحَفِيظَةُ أدْرَكَتْنِى [3]

وأعْلَمُ أنْ سَتُدْرِكُنِى المَنَايا ... فإلَّا أتَّبِعْهـــا تَتَّبِعْنِى

٢٠٧ — وقال أيضاً :

أعاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَدَاىَ بِقَفْرَةٍ ... بَعِيدٌ نَآنِى صاحِبِى وقَرِيبِى [4]

---

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة واختلال الحال . والرغائب جمع رغيبة : وهى العطية الواسعة . وجعل « إذا » جازمة هنا ، وهى عربية جيدة ، ورواية آخرين « ومتى تصبك » .

(٢) شعر النمر بن تولب : ٨١ — ٩٣ ، وتخريجها هناك . يذكر إبله ، وكانت أمه تلومه على إعطاء من يحضره من ألبانها . والغب : في ورد الإبل ، أن تشرب يوماً ويوماً لا . والحفل : الممتلئات الضروع . يقول لها : إن على الإبل حقاً يوم وردها وحرمة ، تسقى من ألبانها أهل المجالس والولدان الذين أعانوا فى سقيها ، فإذا كان يوم غبها ، فهى عندك حافلة أخلافها بألبانها ، فاشربى ما شئت أنت وعيالك . وفى « م » : « حق وذمة » .

(٣) شعر النمر بن تولب : ٤٤ — ١١٩ . أقى حسبى به : الضمير فيه إلى ماله . والحفيظة : الغضب لحرمة تنتهك ، أو جار يظلم ، أو ذى قرابة يضام ، أو عهد ينكث ، فأنت تغضب محافظة عليه .

(٤) شعر النمر بن تولب : ٣٩ — ٤١ ، وتخريجها هناك ، وبراد الإخلاء للجاحظ : ١٥٠ يقول ذلك لعاذلته ، فناداها ورخمها . والصدى هنا : هو ما يبقى من الإنسان فى قبره بعد موته ، وهو جسده البالى . وفى الأغانى ١٩ : ١٦١ ، ورواية أبى العباس فى الكامل ١ : ٢١٩ وغيره « بعيداً نآنى » ، وأنا أستجيد الرفع فى قوله « بعيد » ، وهو عندى أبلغ أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، من أن يكون خبر « يصبح صداى » . وفى المخطوطتين « بعيد » بالجر : وفى « م » ، ومخطوطتنا « ناصرى » ، إلا أنه ضرب عليها وكتب « صاحبى » . و « نآنى » ، أصله نأى عنى : أى بعد ، فأخرجوه بجراءتهم وفصاحتهم مخرج المتعدى .

تَرَىْ أنَّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضَرَّنى وأنَّ الذى أفنَيْتُ كان نَصيبِى [(١)]

٢٠٨ — وعُمِّر عُمْراً طويلاً . فكان هِجِّيراهُ : أصْبِحُوا الرَّاكِبَ ! أغبِقوا الرَّاكِب ! [(٢)] لعادته التى كان عليها .

٢٠٩ — قال : وخرفَتْ امرأة من العرب — عرَبٌ كِرامٌ لا أُبالى أن لا أسمّيهم — وكانت تقول : زَوِّجونى . فقال عمر : ما لَهِجَ به أخو عُكْلٍ أسْرَى مما لهجتْ به صاحبتكم . [(٣)]

٢١٠ — وذكر خَلَّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسى ، عن أبيه ، وعن سعيد بن إياس الجُرَيْرِىّ ، عن أبى العَلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير ، أخى مُطَرِّف [بن عبد الله] ، قال : [(٤)]

بينما نحن بهذا المِرْبَد جلوسٌ ، [(٥)] إذ أتى علينا أعرابىٌّ أشْعَثُ

---

(١) فى هامش المخطوطة : « ويروى : ما أبقيت لم أك ربه » ، وهى كذلك فى « م » ، وهى رواية جيدة جداً . وفى « م » : « وأن الذى أمْضَيْتُ » .

(٢) فى «م» : « الركب » بفتح فسكون جمع راكب . هجيراه : دأبه وديدنه . صبح فلاناً يصبحه : سقاه الصبوح (بفتح الصاد) ، وهو ما يشرب بالغداة من لبن وخمر . وغبقه : سقاه الغبوق (بفتح الغين) ، وهو ما يشرب بالعشى . .

(٣) أسرى : أنبل وأشرف ، من السراوة : وهو المروءة والشرف . ورواه صاحب الأغانى ١٩ : ١٦٠ ، بغير هذا اللفظ ، والحيوان ٥ : ٥٨٧ بقريب منه .

(٤) هذا الخبر كله رواه ابن سعد فى الطبقات الكبير ١ / ٢ / : ٣٠ ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام فى كتاب الأموال : ١١ ، وابن عبد البر فى الاستيعاب ١ : ٣٠٩ ، وفى ألفاظها جميعاً بعض الاختلاف . ثم فى الأغانى ١٩ : ١٥٧ ، عن ابن سلام وغيره ، والمسند ٥ : ٧٨ .

(٥) المربد : سوق كانت بالبصرة ، ثم صار محلة عظيمة ، تجتمع فيه الشعراء والخطباء ، وقد شهد المربد ما لم يشهده عكاظ .

الرأسِ [فوقف علينا] . فقلنا : واللهِ لَـكأنَّ هذا ليس من أهلِ [هذا] البلد ! قال : أجَلْ والله ! وإذا مَعَه قطعةٌ من جِرابٍ ، أو أدِيمٍ ، فقال : هــذا كِتاب كتبَه [لي محمدٌ] رسُول الله صلى الله عليه . فأخذناه فقرأناه ، فإذا فيه :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« هــذا كتابٌ من محمد رسول الله صلى الله عليه ، لبني زُهَير بن أُقَيْش [1] — قال الجُرَيْريّ : هو حيٌّ من عُـكل — ، إنكم إن شهِدتم أن لا إلَهَ إلا الله [وأنّي رسولُ الله] ، وأقمتُم الصلاةَ ، وآتيْتُمُ الزكاةَ ، وفارَقْتُم المشرِكين ، وأعطيتم الخُمُسَ من الغنائم ، وسَهْمَ ذي القُرْبى ، والصَّفِيّ — وربّما قال : وصَفِيّه — [2] فأنتم آمِنون بأمانِ الله وأمانِ رَسولِه » .

فقال لهم القوم : حدّثنا ، أصْلحَك اللهُ ، بما سمعتَ من رَسولِ الله صلى الله عليه . قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه يقول : صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْر ، وصومُ ثلاثةِ أيّام [من كلّ شهر] ، يُذهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْر [3] . فقال له القوم : / أأنتَ سَمِعتَ هذا من رسولِ الله صلى الله عليه ؟ قال : ٢٥

---

(١) في المخطوطة هنا أيضا : « أقيشر » ، انظر ما سلف رقم : ١٩٩ .

(٢) سهم ذي القربى : سهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا جاء في أكثر الروايات الأخرى . والصفي : ما اختاره رسول الله واصطفاه من الغنيمة .

(٣) وحر الصدر : ما يكون فيه من الغش والوساوس والغيظ والحسد والغضب . وفي رواية الجريري : « وغر الصدر » : وهو الغل والعداوة والحقد والغيظ . وكلاهما فيه معنى الشدة والتوقد .

أَلَا أَرَاكُم تَخَافُونَ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى رسولِ الله صلى الله عليه؟ لاحَدَّثتكم حديثًا![1] ثمّ أومَأ بيده إلى صَحيفتِه، ثم انْصَاع مُدْبِرًا.[2]

فى حديث قُرّة عن يَزيد، فقيل لى لمّا وَلّى: هذا النّمِر بن تَوْلَب [العُكْلِىُّ الشّاعر].

* * *

٢١١ — وعَوْف بن الخَرِع جَيِّد الشِّعر، وهو الذى يَرُدّ على لَقِيط ابن زُرَارة قِيلَه:

أَحَقُّ مالٍ — فَكُلُوهُ — بِأَكْلْ ... أَمْوالُ تَيْمٍ وعَدِىٍّ وعُكَلْ[3]

ياضَبُّ، كُنْ عَمًّا كرِيمًا واعْتَزِلْ ... ذَرْنا وتَيمًا وعَدِيًّا نَنْتَضِلْ[4]

٢١٢ — وقال:

فأَمّا الأَلْأَمانِ بنُو عَدِىٍّ ... وتَيْمٌ، حِينَ تَزْدَحِمُ الأُمُورْ

---

(١) هكذا كانت صحابته صلى الله عليه وسلم، ولا عجب، فهم الذين نزل عليهم كتاب ربهم ليزكيهم ويطهرهم.

(٢) أومأ إلى صحيفته: أشار إليها، مد يده ليأخذها. ورواية الأغانى «ثم أهوى..» وانصاع الرجل: انفتل راجعاً ومر مسرعاً، غضباً لدينه رضى الله عنه أن يجعل هدفاً للشكوك.

(٣) يقول: أحق مال بأن يؤكل أموال هؤلاء، فكلوه، و «الأكل»، بضم فسكون، ما أكل، وحركه، وهو مضبوط فى المخطوطتين كما أثبته. أراد به هنا الأكل نفسه.

(٤) جعله ضباً، لأن الضب يذكر المكر والخبث وانه هو الفارغ. وربما كان الأنسب أن يعنى بنى ضبة بن أد، وهم عمومة بنى تيم بن مر بن أد، قوم لقيط بن زرارة، وضبة أيضاً أخو عبد مناة ابن أد، جد تيم وعدى وعكل. وانتضل القوم: إذا استبقوا فى رمى الأغراض. وإنما قال له ذلك استجهالا وسخرية، فإن الانتضال غير القتال. وفى المخطوطة: «ذونا»، والصواب من الأخرى.

فلاَ تَشْهَدْ بِهِمْ فِتْيَانَ حَرْبٍ ... ولكِنْ أَدْنِ مِنْ حَلَبٍ وَغِيرِ (١)

إذا دَهَنُــوا رِماحَهُمُ بِزُبْدٍ ... فإنّ رِمَاحَ تَيْمٍ لاتَضِيــرُ (٢)

٢١٣ — فقال عوف بن الخَرِع :

هَلّا غَضِبْتَ على ٱبن أُمّكَ مَعْبَدٍ ... والعامِرِىُّ يَقُودُه بِصِفادِ (٣)

---

(١) هذا شعر لقيط أيضاً . العقد ٥ : ١٣٩ . الحلب والحليب : اللبن المحلوب . والوغير : اللبن ترمى فيه الحجارة المحماة ثم يشرب وفى البيت إقواء . وفى رواية العقد ، مكان هذا الشطر : « إذا ما الحى صبحهم نذير » . يقول : لا تحسبهم فتيان حرب فتشهد بهم المعارك ، فهم ليسوا أهلها ، ولكن قربهم إلى اللبن والحلب ، فهم رعاة لا يحسنون غير المهنة فى مثل ذلك .

(٢) فى المخطوطة : « ذهبوا » وفى «م» : « رهنوا » ، وكلاهما تصحيف ، وفى العقد تصحيف أكبر : « إذا ذهبت رماحهم بزيد » ، وهو فى الشعر والشعراء : ٦٦٢ على الصواب . وهذا البيت كلام مر ، وسخرية ببنى عدى وبنى تيم ، يعيرهم بأنهم رعاة لا عمل لهم فى الحرب . والرماح إذا أريد تثقيفها حتى تصبح لدنة لينة المهز ، تصلى بالنار وتلوح ، حتى تستوى وتطرد ، وتدهن بالزيت أو غيره لتلتمع وتلين ، قال الراجز :

ثَقَّفَهَا بِسَكَنٍ وإدهانْ

والسكن ، النار ، أى أقام أودها بالنار والدهن (المعانى الكبير : ١٠٩٢) ، وعيرهم بأنهم أصحاب زبد يدهنون به رماحهم ، فأخذه منه جرير فى هجاء عمر بن لجأ ، وهو من بطن يقال لهم « بنو أيسر » ، من تيم بن عبد مناة فقال : (ديوانه : ٥٨٣)

أَظُنُّ الخيل تذعَرُ سَرْحَ تَيْمٍ ... وتُعْجِلُ زُبْدَ أَيْسَرَ أن يُذابَا

ثم رأيت فى ديوان جرير رواية محمد بن حبيب (٢ : ٥٥٤) .

كأن سيوف التَّيْمِ عِيدانُ بَرْوَقٍ ... إذا مُلِئَت بالصَّيفِ زُبْدًا جُفُونُها

قال : « يدهنون سيوفهم بالزبد ، ليهون عليهم سلها ، لضعفهم عن سلها » ، ثم أنشد بيت لقيط بن زرارة ، وفيه دهن الرماح بالزبد ، لا دهن السيوف ، وروايته عنده « إذا دهنت أسنتهم » . و«بنو أيسر» وزبدهم ، مما يهجى به بنو تيم ، (الذين منهم عوف بن عطية بن الخرع) ، انظر فهارس ديوان جرير : « أيسر » ، فى هجائه عمر بن لجأ التيمى ، وقومه « التيم » .

(٣) خبر هذه الأبيات فى النقائض : ٢٢٨ ، والأغانى ١١ : ١٢٩ ، والخزانة ٣ : ٨٠ وسواها . وقوله : « هلا غضبت على ابن أمك » ، أى هلا غضبت من أجله ، و « على » هنا بمعنى « من =

أَذَكَرْتَ من ابنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً ... والخيلُ تَعْدُو في الصَّعيدِ بَدَادِ[(١)]

هَلَّا فوارسَ رَحْرَحَانَ هَجَوْتُمُ ؟ ... عُشَرٌ تَنَاوَحُ في سَرَارَةِ وَادِ[(٢)]

لا تَأْكُلُ الإبلُ الغِرَاثُ نَبَاتَهُ ... كَلَّا ، وَلَيْسَ عِمَادُهُ بِعِمَادِ[(٣)]

٢١٤ — وعَوْفٌ يقول أيضاً :

يَاقُرَّةَ بنَ هُبَيْرَةَ ابنَ أُقَيْشِرٍ ، ... ياسَيِّدَ السَّلَّاتِ ، إنَّكَ تَظْلِمُ ![(٤)]

٭ ٭ ٭

= أجل » ، وهي جيدة في العربية . والروايات الأخرى «هلا كررت» و « هلا عففت » ، ورواية ابن سلام أجود . ومعبد بن زرارة أخو لقيط بن زرارة ، قال ثعلب : « وجعله ابن أمه ، لأنه أخص من ابن الأب » (مجالس ثعلب : ٥٢٧) وانظر فرحة الأديب : ٧٤ مخطوط . وقال أبوعبيدة : « ليس أمهما واحدة ، ولكن لهما أمهات تجمعهما فوق ذلك » (النقائض: ٢٢٨)، وكان الأحوص بن جعفر العامري قد أسر معبداً يوم رحرحان (انظر رقم ٧٠ ، ص : ٥٩ ، تعليق : ١)، وأبت بنو عامر إلا أن تأخذ فداءه دية ملك — ألف بعير ، فزعم لقيط بن زرارة أن أباهم أوصاهم أن لا يؤكلوا العرب أنفسهم فيزيدوا في الفداء على فداء رجل من قومهم . وقال لأخيه : ما أنا بمحط عنك شيئاً يكون على أهل بيتك سنة . وبقي معبد في أسره حتى مات . والصفاد : حبل يوثق به ، أو قد من جلد يقيد به .

(١) البيت من شواهد سيبويه ٢ : ٣٩ . المحلق : إبل سماتها على هيأة الحلقة في أفخاذها . وكانت تلك سمة لإبل زرارة . والصعيد ، الأرض المستوية . بداد : متبددة متفرقة . يصفه بالبخل ، وأن ذكره ابن إبله ، وحرصه على الطعام والشراب ، جعله يضن بفداء أخيه .

(٢) العشر : شجر كبار وهو خوار ضعيف ، عريض الورق ينبت صعدا في السماء ، ويخرج له نفاخ كأنها شقائق الجمال التي تهدر فيها ، وله نور وزهر مشرق ، حسن المنظر ، مر المذاق ، لا تأكله الإبل ، وتتخذ منه العمد وخذاريف لعب الصبيان لخفته . وخوره . تناوح ، تتناوح : أي تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه ، وهو مكرمة للنبات يجود فيها ويحسن . في المخطوطة : «عشر» بالرفع ، ورواية الأكثرين « عشراً » بالنصب . ونصب « عشراً » على الذم ، أذم عشراً . يقول : هلا هجوت أنت وقومك فوارس رحرحان الذين أسروا أخاك ؟ كلا ، فما أنتم إلا عشر حسن المنظر ، وليس له مخبر ، بل هو الكريه المر ، الضعيف الخوار .

(٣) غرث (بكسر الراء) فهو غرث وغرثان : جاع أشد الجوع ، والجمع غرثى وغراث . يقول : إنما أنتم عشر حسن المنظر قبيح المخبر ، لا تأكله الإبل على شدة جوعها ، وعماده للبيت أضعف العماد . وهذا هجاء وجيع لمن كانت له مروءة .

(٤) النقائض : ١٠٦٦ ، يقوله في يوم النسار : وهي جبال صغيرة لبني عامر بن صعصعة . =

٢١٥ — وأوسُ بنُ غَلفاءَ الذي يقول :

أَلَا قالتْ أُمامةُ يومَ غَوْلٍ : تَقطَّعَ بابنِ غَلفاءَ الحِبالُ ! [١]

ذَرِيني ، إنّما خَطِإى وصَوْبِى عَلَيَّ ، وإنَّ ما أهلكْتُ مالُ [٢]

٢١٦ — وهو الذي يَرُدُّ على يَزِيدَ بنِ الصَّعِقِ قولَه :

إذا مَامات مَيْتٌ من تميمٍ فَسَرَّكَ أن يَعيشَ ، فَجِئْ بزادِ [٣]

... وقرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، أسلم ووفد ، وله خبر فى الإسلام والردة . وأقيشر تصغير أقشر ، وقشير جده تصغير أقشر أيضاً ، ولكنه تلاعب باسم جده فصغره على غير تصغيره ، هزءاً به . وفى المخطوطة : « بن أقيشر » وزدت الألف للبيان . والسلمات : يعنى بنى قشير ، ومن ولد قشير : سلمة الخير بن قشير ، وسلمة الشر بن قشير ، أم هذه غير أم ذاك .

وبعده بيت يبين عنه ، وهو سخرية جديدة :

ياقُرَّ ! إن تَشْعُرْ ، فإنّى شاعرٌ ! أو إن تُكارِمْنى ، فغيرُكَ أكرمُ !

(١) بعدها بيتان فيهما تمام المعنى ، فى نوادر أبى زيد : ٤٦ ، وبيتان منها آخران فى صفة ذئاب أو لصوص ، فى المعانى الكبير : ١٩٣ . وانظر الشعر والشعراء : ٦١٨ ، وابن النديم : ٧٣ ، وشرح التصحيف : ٣٧٧ ، ٤٤٣ ، ومجالس العلماء : ٢٢١ ، وتفسير الطبرى ١٦ : ٦١ ، والخزانة ٣ : ٥١٥ ، والعينى ٤ : ٢٤٩ ، وانظر « يوم غول » ، فى معجم البلدان ، وفى النقائض ٣٨٧ — ٣٩٠ ، وهو لبنى ضبة على بنى عمرو بن كلاب . يقوله لامرأته ، وكانت تلومه على إهلاك ماله فى الشراب حتى قل ، وألهاه ابتذاله ولهوه عن الغزو والغارة . ويروى « يا ابن غلفاء » . وتقطعت حباله : افتقر ولم يجد ما يستمسك به من أسباب العيش . وفى كثير من الكتب : « وإنى أنفقت » ، وانظر ما قاله بن قتيبة .

(٢) الصوب : الصواب : يقول لها : ذرينى ، فعلى وحدى عاقبة ما أرتكب من خطأ وصواب . وإن هذا الذى تلومينى على إهلاكه وإتلافه ، إنما هو مال يستخلف ، ولم أهلك العرض والمروءة والسراء ، أى ما لا يستخلف .

(٣) البيان والتبيين ١ : ١٩٠ ، ٣ : ٣٢١ ، والحيوان ٤ : ٦٦ ، ٦٧ ، والكامل ١ : ١٠٠ ، معجم الشعراء : ٤٩٤ ، اللسان (لفف) (لقم) ، الاقتضاب : ٤٨ ، ٢٨٨ ، والجواليقى : ٩٤ — ٩٧ ، الخزانة : ٣ : ١٤٠ ، ١٤٢ ، واللآلى : ٨٦٣ ، وانظر نسبة هذا الشعر إلى أبى المهوش الفقعسى ، ولأبى المهوس الأسدى ، ورد ذلك فى اللسان وغيره .

٢١٧ — وقولَه :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ   بِآيَةِ ما يُحِبُّونَ الطَّعَامَا[1]

٢١٨ — // فقال أَوسُ بنُ غَلْفاء :

فإِنَّكَ من هِجاء بنى تَمِيمٍ   كَمُزْدَادِ الغَرَامِ إِلى الغَرَامِ[2]
هُمُ ضَرَبُوكَ أُمَّ الرَّأْسِ حَتَّى   بَدَتْ أُمُّ الشُّؤُونِ عن العِظَامِ[3]
إِذا يَأْسُونَهَا ، نَشَزَتْ عَلَيْهِمْ   شَرَنْبَثَةُ الأَصَابِعِ أُمُّ هَامِ[4]
وهُمْ تَرَكُوكَ أَسْلَحَ من حُبَارَى   وهُمْ تَرَكُوكَ أَشْرَدَ من نَعَامِ[5]

---

(١) من شواهد سيبويه ١ : ٤٦٠ : الكامل ١ : ١٠٠ ، معجم الشعراء : ٤٩٤ ، الشعر والشعراء : ٦١٨ ، الاستيعاب : ٢٩٧ ، الخزانة ٣ : ١٢٥ـ١٤٤ ، وفيه أن رواية عجز البيت : « بآية ذكرهم حب الطعام » ، وبعده :

أَجَارَتْهَا أُسَيِّدُ ثُم أَوْدَتْ   بذات الضِّرْعِ منها والسَّنَامِ

(٢) قصيدته فى شرح المفضليات : ٧٥٦ ـ ٧٦٢ . وانظر الكامل ١ : ٤٨٦ ، والنقائض : ٩٣٣ ، والحيوان ٥ : ٤٤٨ ، واللسان (افف) (لقم) . والغرام : العذاب الشديد . يقول له : أبعد الذى أنزلوه بك من شج رأسك وأسرك ، تهجوهم . تريد أن تزداد عذاباً ونكالا إلى عذاب ونكال؟

(٣) أم الرجل يؤمه أماً : شجه فأصاب أم رأسه ، ويروى « ذات الرأس » وهى الآمة : التى تبلغ أم الدماغ ، حتى يبقى بينها وبين الدماغ جلد رقيق . وأم الشؤون : مجتمع شؤون الرأس ، والشؤون : هى العروق التى تجمع قبائل الرأس .

(٤) أسى الطبيب الجرح يأسوه أسواً : عالجه وداواه . نشزت : استعصت عليهم وخرجت عن طاعة الطبيب . ورجل شرنبث : غليظ الكفين والقدمين خشنهما . وجعل المزق المتفرقة فى الشجة كأنها أصابع شرنبثة ، منتفخة متقبضة خشنة ، تعيى الطبيب . والهام جمع هامة : وهى أعلى الرأس . جعلها أم هام : يعنى أن هذه الشجة لو أصابت هامات كثيرة لوسعتها من بشاعة شجتها .

(٥) الحبارى : طائر كالإوز جبان ، إذا رأى صقراً سلح ، أى رمى بذى بطنه . وقال الجاحظ (الحيوان ٥ : ٤٤٦) إن له خزانة بين دبره وأمعائه ، له فيها أبداً سلح رقيق لزج ، فمتى ألح عليه الصقر سلح عليه » ، والمعانى الكبير : ٢٩٣ . ورواية عجز البيت فى غير ابن سلام « رأت صقراً ، وأشرد من نعام » . والنعام : أقل الوحش أنساً ، فإذا أحس نبأة شرد ونفر . يوصف بالموق والضعف والجبن ، وسرعة الفرار من شدة الخوف .

٢١٩ — وقال أيضاً :

هُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ، فَلَمْ تُبَيِّنْ لِحِقٍّ : مَا الأَغَرُّ مِنَ البَهِيمِ (١)

---

(١) أبوه ، هو عمرو بن الصعق ، قتلته تميم ، وأما الصعق فهو خويلد بن نفيل بن عمرو ابن كلاب ، وإنما سمى الصعق لأنه اتخذ طعاماً لقومه بالموسم فى الحج فهبت الريح فألقت فيه التراب، فلعنها ، فرمى بصاعقة فمات ، فيقول فيه الشاعر :

وإِنَّ خُوَيْلِداً — فَابْكُوا عَلَيْهِ — قَتِيلُ الرِّيحِ فِى البَلَدِ التِّهَامِى

فى « م » : « بحق » بالباء ، وفى مخطوطتنا « لحق » تحت اللام كسرة ، أما الحاء فلا أدرى أهى مفتوحة أم مكسورة ، وتوشك المخطوطة أن تدل على فتحها . و « تبين » فى المخطوطة كما ضبطها، ولست أعرف لقوله : « لم تبين بحق ، أو ، لحق » معنى ، إذا كان من « الحق » الذى هو ضد الباطل . وقد كنت رأيت تصحيفها : « لحق » ، ولكنى عدلت عنه ، ورجحت أن الصواب « لحِق » بكسر الحاء ، وهم بطن من بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، من تميم ، (الاشتقاق : ٢٣٤ ، وهامش مختصر الجمهرة لابن الكلبى : ٥١ / وجمهرة ابن حزم : ٢٣٢) ، وفى ابن حزم أنه أخو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . وذلك لأن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وولده ، كانوا على بنى تميم فى يوم رحرحان الثانى وغيره فى الحرب بينهم وبين بنى عامر بن صعصعة ، الذين منهم يزيد بن عمرو بن الصعق ، وأبوه عمرو ، وأخوه زرعة (النقائض: ١٠٦٠ — ١٠٦٤ / الأغانى ١١ : ١٢٤ — ١٣٠) ، فرجحت أن يكون الذى قتل « عمرو ابن خويلد الصعق ، أبا يزيد بن عمرو » من بنى حق هؤلاء . فيقول لأوس بن غلفاء : إن بنى حق من بنى تميم قتلوا أباك « فلم تبين لحق : ما الأغر من البهيم » ، يقول له : عجزت فلم تقبل ولم تدبر فى أمر الثأر لأبيك ، وقعدت عاجزاً عن إدراك وتره .

والأغر : الأبيض الواضح . والبهيم : الأسود المظلم . يضربون ذلك مثلا للأمر إذا أشكل ولم تتضح جهته ولا استقامته ، يقول جذيمة بن رواحة [التبريزى ١ : ٢١٦] :

أَعْيَيْتَنِى كُلَّ العَيَاءِ فَلاَ أَغَرُّ ولاَ بَهِيمُ

١٧٠

وَهُمْ مَنُّوا عليْكَ فلَمْ تُثِبْهُم ... ثَوابَ المَرْءِ ذى الحَسَبِ الكَرِيمِ (١)

---

(١) منوا عليك : أنعموا عليك فأطلقوك من إسارك ، فجزيتهم بالغدر والهجاء للؤمك ، ولم تفعل فعل ذوى المروءة . وذلك أن أحد بنى يربوع أسره يوم ذى نجب ، فآمنته بنو يربوع ، (النقائض : ٩٣٣ ، ١٠٨٠ / ديوان جرير : ٣٢٩) ، وقد ذكر ذلك ابن غلفاء فى شعره إذ قال له أيضاً (المفضليات) .

هُمُ مَنُّوا عليْكَ فلم تُثِبْهُم ... فتيلاً ، غيرَ شَتْمٍ أو خِصَام

هذا ، وقد ضبطت « المرء » هنا بكسر الميم ، وهى لغة ، انظر شرح أشعار الهذليين . ٣٨٤ ، ١٢٢٥ ، واللسان (مرأ) .

الطبقة التاسعة

أربعةُ رَهْطٍ :[1]

٢٢٠ — ضابئ بن الحارِث بن أرْطاة بن شِهاب بن عُبَيْد بن خاذل[2]
ابن قَيْسِ القَبيلة بن حَنْظلة بن مالك ، من البَرَاجم .[3]

٢٢١ — وسُوَيْد بن كُرَاع العُكْلِيّ .

٢٢٢ — والحُوَيْدِرة ، واسمه قُطْبَة بن مِحْصَن[4] بن جَرْوَل بن حَبيب

---

(١) أخلت « م » بهذه الفقرة كلها من رقم ٢٢٠ — ٢٢٣ ، واقتصرت على هذا : « ضابئ ابن الحارث بن أرطاة البرجمي ، وسويد بن كراع العكلي : والحويدرة الذبياني ، واسمه قطبة بن محصن ابن جرول ، وسحيم عبد بني الحسحاس الأسديين » .

(٢) في المخطوطة : « حاذل » أولها غير منقوط ، وفي مختصر الجمهرة ، والجمهرة « جاذل » ، وفي المقتضب « خاذل » مضبوطة معجمة . وكذلك في النقائض : ٢٢٠ ، وقوله بعد « قيس القبيلة » ، كأنه عنى به التمييز ، وأنه أحد البراجم ، كما في التعليق التالي .

(٣) نقل ابن عبد البر في « الإنباه على قبائل الرواة » : ٧٧ مانصه :

« قال محمّد بن سلّام : قال لي واصل بن شَبيب من بني دارم : البَرَاجم خمسُ قَبائل ، وإخوتهم أكثرُ منهم . وقيل لهم البَرَاجم ، لأنهم تجمّعوا كالأصابع ، فسُمُّوا البراجمَ ، ببراجم الأصابع . وهم عمرٌو ، وقيسٌ ، وغالبٌ ، وكلفة ، [وظُلَيْم] بنو حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم » .

(٤) ضبط في المخطوطة بضم الميم .

الأَعْظَم بن عبد العُزَّى بن خَزِيمة بن رِزَام[1] بن مازن بن ثَعْلبة بن سَعْد بن ذُبْيان .

٢٢٣ - وسُحَيْمٌ ، عَبدُ بنى الحَسْحاس بن هند بن سُفيان بن غَضّاب[2] بن كَعْب بن سَعْد بن ثَعْلبة بن دُودان بن أسَد بن خُزَيْمة .

° ° °

٢٢٤ — قال : وكان ضابِئُ بنُ الحارث رجلًا بَذِيًّا كثيرَ الشَّرّ ، وكان بالمدينة ، وكان صاحبَ صَيْدٍ وصاحبَ خَيْل ، فركِبَ فرسًا له يقال له قَيَّارٌ ، وكان ضَعيفَ البَصَر - ولِقَيّار يقول :[3]

فَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ ، فَإِنّى وَقَيّارًا بِها لَغَرِيبُ

يقول : إنّى بها لغريبٌ ، وقيّارًا أيضًا .

٢٢٥ — ثم إنّه وَطِئ صبيًّا دابّتُه فَقَتلَه ، فرُفع إلى عثمان بن عفّان ، فاعتذَرَ بِضَعْف بَصره وقال : لم أرَهُ ولم أعْمِدْه . فحبَسه عثمان ماحَبَسَه ،

---

(١) فى المخطوطة : «خزيعة بن دارم» ، وعلى الخاء ضمة ، وهو خطأ ، وصوابه من كتب النسب ، ومؤتلف القبائل ٢٠ ، والإيناس : ٤٠

(٢) فى المخطوطة : « عتاب » ، والصواب من النسب ، مضبوطاً بالقلم ، وفى الجمهرة لابن الكلبي : « عضاب » بالعين مهملة ، وفى جمهرة ابن حزم : ١٩٤ « غنساف » ، وفى إحدى نسخها المخطوطة : « عصاب » . ونسبه فى الديوان ، وفى الأغانى ٢٠ / ٢ ، وفى الخزانة ١ : ٢٧٢ : « المسحاس بن نفاثة بن سعد بن عمرو بن مالك بن ثعلبة ... » ، عن أبى عبيدة .

(٣) نوادر أبى زيد : ٢٠ ، الأصمعيات رقم : ٦٤ ، النقائض : ٢٢٠ ، الكامل ١ : ١٨٨ ، الشعر والشعراء : ٣١١ اللسان (قير) الخزانة ٤ : ٣٢٣ - ٣٢٧ : وهى أبيات قالها وهو فى حبس عثمان ، كما سيأتى بعد . وفى « م » : « وقيار » بالرفع على الابتداء . وحذف السطر التالى . و « قيار » بعيره أو فرسه أو رفيقه .

ثم تخلّص.[١]

٢٢٦ — وكانَ اُسْتَعار كَلْبَ صيدٍ من قوم من بَنِي نهشل، يقال له قُرْحَانُ، فحبَسَه حَوْلاً، ثم جاؤوا يطلبونه وألَحُّوا عليه حتى أخذوه، فقال ضابئ:[٢]

تجشَّمَ دُونى وَفْدُ قُرْحَانَ خُطَّةً ... تَظَلُّ بها الوَجْنَاءُ وهى حَسِيرُ[٣]

/فأَرْدَفْتُهم كلباً، فراحُوا كأنَّمَا ... حَبَاهُمْ بتاجِ المَرْزُبَانِ أميرُ[٤]

٦٦

فأُمَّكُمُ لا تَتْرُكوها وكَلْبَكُمْ ... فإنَّ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ كبيرُ

إذا عَثَّنَتْ من آخرِ الليلِ دُخْنَةً، ... يظلُّ لها فوقَ الفِراشِ هَرِيرُ[٥]

فاستَعْدَوْا عليه عند عثمان. فقال: وَيْلَكَ! ما سمعتُ أحداً رَمَى امرأةً من المُسْلِمِين بكلبٍ غيْرَك! وإنّى لأُرَاكَ لو كنتَ على عَهْدِ رَسُول الله

---

(١) الدابة، يطلق على المذكر والمؤنث. وعمده وعمد إليه، سواء.

(٢) الخبر والأبيات فى النقائض: ٢١٩، وتاريخ الطبرى ٥: ١٣٧، وأنساب الأشراف ٥: ٨٤، الشعر والشعراء: ٣١٠ — ٣١٢، الحيوان: ٣٦٩، ٣٧٠، الخزانة ٤: ٨٠، وفى كل فائدة، وزيادة. وقد أخلت «م» بجزء من الخبر مع اختلاف فى ألفاظه، ولم تذكر الشعر. بل كان فيها: «وأخذوه منه، فهجاهم ورمى أمهم بالكلب، فاستعدوا...»

(٣) الخطة هنا: الطريق. والوجناء: الناقة التامة الخلق، الصلبة الشديدة. حسير: انقطع سيرها من الإعياء والكلال.

(٤) أردفته شيئاً: أتبعته. وحباه يحبوه حباء: أعطاه وأكرمه. والمرزبان: الرئيس من الفرس. يذكر شدة فرحهم.

(٥) عثنت: (بالتشديد، وبفتحتين مخففا) دخنت، والعثان (بضم العين) الدخان. والدخنة: بخور يدخن به البيت والثياب. يريد: إذا استيقظ الناس فى آخر الليل، وظهر الدخان فى الحى. وهرير الكلب: صوت دون النباح. يصف أمراً قبيحاً.

صلى الله عليه لأَنْزَل الله فيك قرآنًا ، ولو كان أحدٌ قبلى قطع لسانَ شاعرٍ [فى هجاءٍ] ، لقطعتُ لسانَكَ . فحبسه فى السِّجْن .

٢٢٧ — [1] فعَرَضَ أهلَ السِّجن يوماً ، فإذا هو قد أعدَّ حديدةً يُريدُ أن يَغتال عُثْمان بها ، فأهانه وركَسَه فى السجن ، [2] فقال :

لا يُعْطِيَنْ بعدِى امرُؤٌ ضَيْمَ خُطّةٍ ... حِذَارَ لقاءِ الموتِ ، والموتُ نائِلُهْ [3]

فلا تُتْبِعَنِّى إنْ هلكْتُ مَلامةً ، ... فليس بعارٍ قَتْلُ من لا تُقاتِلُهْ [4]

هَمَمْتُ ، ولم أفعلْ ، وكِدْتُ ، ولَيْتَنِى ... تَرَكْتُ على عُثْمان تَبكِى حَلائِلُهْ [5]

وما الفتْكُ ما آمَرْتَ فيه ، ولا الذى ... تُخَبِّر من لاقيتَ أنَّك فاعِلُهْ [6]

وقائلةٍ : لا يُبْعِدِ اللهُ ضابئاً ، ... إذا القِرْنُ لم يُوجَدْ له مَنْ يُنازِلُهْ [7]

---

(١) الخبر والشعر فى النقائض : ٢٢١ ، أنساب الأشراف ٥ : ٨٤ ، ٨٥ ، تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٧ ، ٧ : ٢١٣ ، الكامل ١ : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، الخزانة ٤ : ٨٠ ، مع اختلاف وزيادة ونقص .

(٢) ركسه : رجعه ورده إلى السجن . وقوله « فأهانه » ، وذلك أن عثمان ضربه بالسياط .

(٣) فى « م » : « فالموت قاتله » . ويقال : أعطى فلان خطة خسف ، أى أعطى الرضا بها وقبلها . ويريد : خطة ضيم . والضبط فى المخطوطتين بالإضافة .

(٤) ليس بعار أن يقتلك من لا تملك أن تقاتله أو تقتله ، كالسلطان الغالب .

(٥) الحلائل جمع حليلة : وهى زوج الرجل وأهل بيته . يقول : وليتنى وفقت لقتله ، وتركت أهله يبكون عليه .

(٦) آمرت فيه : شاورت فيه ، فى المخطوطة : « أمرت » بتشديد الميم المفتوحة ، وهو غريب . وكان ضابئ قد شاور ابن عم له يقال له فراس .

(٧) هذه القائلة أمه ، تفخر بولدها إذا حمى القتال وتراجعت الأبطال . والقرن : الشجاع ذو البأس .

وقائلةٍ: إنْ مَاتَ فى السِّجْنِ ضَابِئٌ ، لَنِعْمَ الفَتَى تَخْلُو بِهِ وتُداخِلُهْ[١]

وقائلةٍ : لَا يُبْعِدِ اللهُ ضَابِئًا إِذَا أَحْمَرَّ مِن حَسِّ الشِّتَاءِ أَصَائِلُهْ[٢]

ولم يَزَلْ ضابِئٌ فى السِّجن حتى مات .[٣]

٢٢٨ — فلما قُتِل عُثْمان وَثَبَ عُمَيْر أَبْنُهُ على عُثْمانَ بعد أن قُتِلَ ، فيُقال إنه كَسَر ضِلْعَه ، أو كَسَر ضِلَعًا له .

٢٢٩ — [٤] فلما قَدِم الحجَّاجُ العراقَ ، والمهلَّبُ بإزاء الأَزَارِقة قد أَرفَضَّ عنه أصحابُه ، فنادَى الحجاجُ فى بَعْثِ المهلَّب وأَجَّلهم ثلاثًا .[٥] فجاء عُمَيْر بن ضَابِىء ، وقد كَبِرَ يومئذٍ ، بأَبنٍ له شابٍّ إلَى الحَجَّاج ، فقال : أيُّها الأمير ، إنِّى قَدْ كَبِرتُ ، وهٰذا أَبْنِى شابٌّ جَلْدٌ يقومُ مَقامى .

---

(١) وهذه القائلة امرأته ، تذكر حلاوة خلقه فى الخلوة والمعاشرة . وفى مخطوطة المدينة : « وتواصله » .

(٢) وهذه القائلة أخته تمجد كرمه وسخاءه فى زمن القحط (وهو الشتاء عندهم) ، حين تهلك الأنعام من جدب الأرض . « حس الشتاء » ، (فى المخطوطة ، ضبطها أولا بفتح الحاء ، ثم ضرب عليها ، وضبطها بالكسر) ، شدة البرد وإضراره بالأنعام والكلأ . والأصائل جمع أصيل : وهو وقت العشى . واحمرار الأصيل : عند مغرب الشمس ، يحمر الأفق .

(٣) وعقب الطبرى على ذلك فقال : « فلذلك صار عمير بن ضابىء سبئيا » ، أى من أصحاب عبد الله بن سبأ ، لعنه الله . وانظر الخبر التالى .

(٤) أخلت «م» بهذين الخبرين : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٥ : ١٤٤ ، والكامل ١ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢ : ٢٢١ ، : معجم الشعراء : ٢٤٤ ، الخزانة ٣ : ٢٧٤ ، الأزمنة والأمكنة ١ : ٢٦٤ .

(٥) الأزارقة : الخوارج من أتباع نافع بن الأزرق . بإزائهم : فى مقابلهم يقاتلهم . وارفض : تفرق وتبدد . والبعث : الجند يبعثون إلى الغزو . وأجله : أخره إلى أجل .

فهمَّ بقَبُوله ، فقال له عَنْبَسَة بن سَعِيد بن العاص : أيُّها الأمير ، هذا عُمَيْرٌ ، صاحبُ أمير المؤمنين عثمان ! فقدَّمه فضرب عنقه . فذُعِرَ الناس ، فخرجوا إلى المهلّب . // فلما تَساقطوا عليه ، قال : لقد قَدِمَ العِراقَ أميرٌ ذَكَرٌ .(١)

٢٣٠ — وقال فى ذلك عَبْدُ الله بن زَبِيرٍ الأسَدِيّ :

تَجَهَّزْ ، فإمّا أنْ تَزُورَ ابنَ ضَابِئٍ ... عُمَيراً ، وإمّا أنْ تَزُورَ المُهَلَّبا

هُما خُطّتَا خَسْفٍ ، نَجَاؤُكَ منهما ... رُكوبُكَ حَوْلِيّاً من الثَّلْجِ أشْهَبَا(٢)

* * *

٢٣١ — (٣) وسُوَيْد بن كُرَاعٍ العُكْلِيّ ، وكان شاعراً مُحْكَماً .(٤) وكان رجُلَ [بنى عُكْل ، وذا الرأي والتقدُّم فيهم .

---

(١) تساقطوا عليه : تكاثروا آتين فرقة بعد فرقة . أمير ذكر : لا لين فيه ولا ضعف .

(٢) تجهز أعد جهازه للخروج فى البعث . خطتا خسف : أمران فيهما الهوان والبلاء والمكروه والموت ، لا ينجى منهما إلا مهلكة ثالثة : هى أن تعتصم بذروة جبل بعيد شامخ يابسه الثلج الأشهب حولا كاملا . فأين المفر ؟ الحولى : الذى يأتى عليه حول كامل . والأشهب : الأبيض ، كلون الثلج والحديد الصافى . ومنه السنة الشهباء : أى البيضاء ، لكثرة ثلجها القاتل للنبات .

(٣) هذا الخبر والذى يليه ، رواها فى الأغانى ١٢ : ٣٤٠ (الدار) وقال : « وذكر محمد ابن سلام فى كتاب الطبقات ... » ، والزيادة بين القوسين من الأغانى ، وكان فى المخطوطة : « وكان رجل من بنى عدى بن تيم ... » وفى « م » مثله ، غير أنه لم يذكر « بن تيم » ، وهذا خطأ إنما هو « عدى تيم » على الإضافة ، ويعنى أن بنى عدى من الرباب ، وأضافه إلى « تيم » ، لأنه يقال : « تيم الرباب » . وفى الأغانى بعد : « التقدم فيهم » : « وعكل وضبة وعدى وتيم ثم الرباب » ولكن هذا سيأتى رقم : ٢٣٣ ، فأغفلته هنا .

(٤) محكم ، انظر ماسلف رقم : ١٩٣ ، والتعليق عليه . وقد ضبطت فى « م » بضم الميم ، وكسر الكاف .

٢٣٢ — قال : وكان بعض [بني عَدِيّ تَيْم ضرب رجُلاً من بني ضَبَّة ، ثمّ من بني السِّيد — وهم قوم نُكُدٌ شُرُسٌ ، وهم أخوالُ الفرزدق — [(1)] فتجمّعوا حتى أَلَمَّ أن يكون بينهم قتالٌ . فجاء رجُل من بني عديّ ، فأعطاهُ يَدَه رهينةً لينظر ما يَصْنَع المضروبُ ، فقال خالد بن عَلْقمة ابن الطَّيْفان ، أحدُ أحْلافِ بَني عبد الله بن دَارِم : [(2)]

أسالِمُ ، إنِّي لا إخَالُكَ سالِماً … أتيْتَ بني السّيدِ الغُوَاةَ الأشائِمَا

أسالِمُ ، إن أفلَتَّ من شرّ هٰذه ، … فنَجِّ فِراراً ، إنما كنْتَ حالِماً [(3)]

أسَالِمُ ما أعْطَى ابنُ مَامَةَ مِثلَها ، … ولا حاتِمٌ ، فيما بَلا النَّاسُ حاتِمَا [(4)]

٢٣٣ — فقال سُوَيْد بن كُرَاع — وعُكْلٌ وتَيْمٌ وعَدِيٌّ وضَبَّةُ

---

(١) النكد ، جمع أنكد : وهو الرجل العسر الشديد الشر والشؤم . والشرس جمع أشرس ، وهو النفور السيء الخلق .

(٢) في « م » « لينظار إلى ما يصير المضروب » ، وفي الأغاني : « لينظروا » . أعطى يده رهينه : أسلم نفسه للقيد والأسر ، ليكون رهينة . هو خالد بن علقمة بن مرثد ، والطيفان أمه . المؤتلف والمختلف : ١٤٩ ، تاج العروس (طيف) . وهذا الخبر كما قال أبو الفرج الأصبهاني في أغانيه ١٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، غير واضح ، فرواه برواية أتم وأبين من طريق أبي عمرو الشيباني .

(٣) في المخطوطة « فنج نزاراً » ، وهو خطأ صوابه في « م » . ورواية الأغاني . « فوائل فراراً » . ونج : ابتعد وفر . ووائل : انج بنفسك . يقول له : إذا كنت قد أسلمت نفسك رهينة ثقة بهؤلاء ، فإنما هو حلم ، فإنهم قوم غدر سوف يقتلونك .

(٤) كعب بن مامة الجواد ، الذي آثر صديقه بالماء فهلك . وحاتم الطائي الجواد . بلاه يبلوه بلاء : جربه واختبره وعرفه . يقول : لم يفعل ما فعلت أحد من الأجواد الذين جادوا بأموالهم وأنفسهم في المروءات ، إنما هذه مذلة لك ولقومك ، وهوان يرغمون عليه ، فإن بني ضبة قوم لئام لا عهد لهم .

إخوةٌ ، وهم الرِّباب ــ يردّ على ابن الطيّفان دُخولَه بينهم :[١]

أشَاعرَ عَبْدِ اللهِ، إنْ كُنْتَ لائِمًا ... فَإنّى لِمَا تَأْتِى مِن الأمْرِ لائِمُ

تُحَضِّض أفْناء الرِّبابِ سَفَاهَةً ... وعِرْضُكَ مَوْتورٌ ولَيْلُكَ نائِمُ[٢]

وهَلْ عجَبٌ أنْ تُدْرِكَ السَّيْدُو تِرَهَا؟ ... وتَصْبِرُ للحَقِّ السَّرَاةُ الأكارِمُ[٣]

رأيتُكَ لم تَمْنَعْ طُهَيّةَ حُكْمها ، ... وأعْطَيتَ يَرْبوعًا، وأنفُكَ راغِمُ[٤]

وأنتَ امرُؤٌ لا تَقْبَلُ الصُّلْحَ طائعاً، ... ولكن متى تُظْأَرْ ، فإنَّكَ رائمُ[٥]

٢٣٤ ـ [٦] وقال أيضاً :

خليلىّ قُومَا فى عَطَالَةَ فانْظُرَا ... أنارًا تَرَى مِنْ ذِى أبانَيْنِ أم بَرْقَا؟[٧]

---

(١) قوله : « وعكل . . . » إلى آخر العبارة ، أخلت بها « م » . والشعر فى الأغانى ١٢ : ٣٤٠ .

(٢) تحضض : تحرس ، وفى « م » : « تحرش أبناء . . » . و « موتور » ، منقوص ، وفى الأغانى : « موفور » : وأفناء القبائل : أخلاطها ، وهم النزاع يأتون من هنا وهنا .

(٣) تصبر للحق : يعنى ترضى به صابرة . والحق هنا يريد به القصاص .

(٤) طهية ، من بنى حنظلة ، سموا باسم أمهم طهية بنت عبشمس بن سعد بن زيد مناة . وبنو يربوع بن حنظلة ، أبناء عمومتهم . يقول : لم تمتنع أن تقبل الضيم من طهية ، ولا أن ترضى بما أنزلته بك يربوع ، وأنت راغم الأنف .

(٥) ظأر الناقة يظأرها ظأراً : عطفها على الفصيل أو البو (راجع الفقرة : ١٥٠) . وفى المثل : الطعن يظئره : أى طعن الرماح يعطفه إلى الصلح مكرها . وهذا ما أراد هنا .

(٦) الاغانى ١٢ : ٣٣٩ ، الأشباه والنظائر ٢ : ١٤٩ ، عشرة أبيات جياد ، ومعجم البلدان (عطالة) ، وشرح السبع الطوال : ١٦ ، وبيت زائد فى اللسان (فلق) (عطل) . وهذه الفقرة كلها أخلت بها « م » .

(٧) عطالة : جبل منيف فى بلاد بنى تميم . وأبانان : جبلان شامخان فى ديار بنى مناف ابن دارم ، أحدهما أسود والآخر أبيض . ورواية الأغانى « أناراً أرى من نحو يبرين » . وقال الأنبارى فى شرح السبع الطوال : « فقال : خليلى ، فثنى ، ثم قال : أناراً ترى ، فوحد » .

فإن يَكُ بَرْقٌ ، فهو بَرْقُ سَحابةٍ تُغادِرُ ماءً لا قليلاً ولا رَنْقَا[1]
وإن تكُ نارٌ ، فهي نارٌ بُمُلْتَقًى مِنَ الرِّيحِ تَزْهَاهَا وتَعْفِقُها عَفْقَا[2]
لأُمِّ عليٍّ ، أوْقَدَتْها طَمَاعةً بأوْبةِ سَفْرٍ: أن تكونَ لها وَفْقَا[3]

٢٣٥ — وهو الذى يقول :

فإنْ تَزْجُرانى يا ٱبنَ عَفَّان أَزْدَجِرْ وإنْ تَتْرُكانى أحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعا[4]

° ° °

٢٣٥ م — وقوله : تزجُرانى ، وتَتْرُكانى ، وإنما يريد واحداً ، وقد تَفْعل هذا العَرَبُ ، قال الفرزدق :

---

(١) فى جميع المراجع: «فإن يك برقاً» وبعده « وإن تك ناراً » بالنصب ، والذى فى المخطوطة هو الصواب الجيد . و « كان » هنا تامة لا حاجة بها إلى خبر ، وإنما صلح ترك الخبر ، لأن العرب تضمر أخبار النكرات، ومثله قوله تعالى : ﴿ إن كَانَ ذو عُسْرَةٍ فَنَظِرةٌ إلى ميسرةٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] ، انظر تفسير الطبرى ٦ : ٢٩ ، ٨٠ . ثم انظر ما سيأتى فى شعر الكميت ابن معروف رقم : ٢٦٠ . والرنق : الماء القليل الكدر . يعنى أنها سحابة عظيمة الغيث ، فهو أعظم لبرقها . ورواية الأغانى : « وإن يك برقاً فهو فى مشمخرة ، . . . ولا طرقاً » . و « الطرق » بفتح فسكون ، ماء السماء الذى تبول فيه الإبل وتبعر ، فإذا هو كدر .

(٢) رواية الاغانى : « من الريح تسفعها وتصفقها صفقاً » . وعفق الشىء : لطمه وضربه . يقول : تحرك الرياح النار فى هبوبها وتلطمها ، فيكون ذلك أشد لتسعرها والتهابها . « زهت الريح النار تزهاها » ، حركتها وشبتها ورفعتها .

(٣) لأم على : أى فهى نار لأم على ، وأم على صاحبته . أوقدتها طمعاً أن تجد سفراً آيبين ، توافى أوبتهم إيقاد نارها . والسفر يعنى نفسه وأصحابه . يذكر أنها تشتاق إليه كما يشتاق إليها ، فهى توقد النار رجاة أن يهتدى بها إذا كانت أوبته فى الليل . وهذا البيت كان فى هامش المخطوطة ، فأكلت الأيام أطراف الورق .

(٤) أبيات جيدة رواها صاحب الأغانى . وروى خبرها فى ١٢ : ٢٤٣ . والشعراء : ٦٢٦ ، ٢٣ ، والبيان ٢ : ١٢ ، واللسان (جزز) وكان هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ، فهرب منه . وفى « م » : « أنزجر » و « أحم أنفا » .

عَشِيَّةَ سَالَ المِرْبَدَانِ كِلاهُما ... عَجَاجَةَ مَوْتٍ بالسُّيوفِ الصَّوارِمِ

/ وقال أيضاً :

أَخَذْنا بآفاقِ السَّماء عليكُمُ ، ... لنا قَمَراها والنُّجُوم الطَّوالِعُ[(١)]

وقال أبو ذُؤَيْب :

وحتَّى يؤُوبَ القارِظَان كِلاهُما ، ... ويُنْشَرَ في القَتْلى كُلَيْبٌ لِوَائِلِ[(٢)]

وهو رجلٌ واحدٌ من عَنَزَة ، ذهب أن يَجْتَنِيَ القَرَظ ، فلم يَثْبُتْ أنّه رجع .[(٣)]

وقولُ بِشْر بن أبي خازِم يدلُّ على أنه واحدٌ :

فرَجِّى الخَيْرَ وانْتَظِرى إيَابِى ... إذا مَا القَارِظُ العَنَزِىُّ آبا[(٤)]

وقال العَجّاج :

* لا تَحسَبَنَّ الخَنْدَقَيْنِ والحَفَرْ *[(٥)]

وهو خَنْدقٌ واحدٌ .

* * *

---

(١) البيتان فى ديوانه : ٨٦١ ؛ ٥١٩ .

(٢) ديوانه : ١٤٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢٠ ، والمستقصى ١ : ١٢٨ . وما سيأتى رقم : ٢٣٩ ، ص : ١٨٥ .

(٣) أخلت بها «م» ، واقتصرت على « وهو رجل واحد » ، وفى المخطوطة : « أن يرجع » وفوقها « أنه رجع » .

(٤) مختارات ابن الشجرى ٢ : ٣٢ من قصيدة جيدة قالها وهو يجود بنفسه ، وحذفت «م» قوله : « يدل على أنه ... » . وانظر ما سيأتى رقم : ٢٣٩ ، ص : ١٨٥

(٥) ديوانه : ٢٠ (٥٧) ، وأخلت بهذا « م » .

٢٣٦ — أخبرنى يونُس بن حبيب :[١] أنّ رجُلًا من بنى السّيد قَتَل رجُلاً من قَوْمِه ، فأتاهم الفرزدق ، وهُمْ أخْوالُه ، فعرَضَ عليهم الدِّيَةَ وأن يرهَنَهم ٱبنَه بذلك ، فخافوا شَرّه ، وأن لا يستطيعوا الإقدامَ عليه ، فأَبوْا .

فقال الفرزدق :

أَلَمْ تَرَنِى أَزْمَعْتُ وَثْبَةَ حازمٍ ... لأفْدِىَ بأبنى مِنْ رَدَى المَوْتِ خَاليا[٢]

وكنْتُ ٱبنَ أشْياخٍ يُجيرون مَنْ جَنَى ... ويُحْيُون، كالغَيْثِ، العِظامَ البَوالِيا[٣]

ولمَّا دَعانى، وهْوَ يَرْسُفُ، لم أكُنْ ... بَطِيئًا عن الدّاعِى ولا مُتَوانِيا

شَدَدْتُ على نِصْفِى إزارِى ، ورُبّما ... شَدَدْتُ لأَحْناءِ الأُمورِ إزارِيا[٤]

وقلْتُ أشِطُّوا يا بَنِى السّيد حُكْمَكُم ... علىّ ، فإنى لا تَضِيقُ ذِراعِيا[٥]

عرَضْتُ على السِّيد الأشَائِم مُوفِيًا ... بعَقْوِلِهم عند المَقادَةِ غالِيا[٦]

---

(١) هذه الفقرة والتى تليها ، استطراد في شأن بنى السيد .

(٢) ديوانه : ٨٩٣ ، مع اختلاف فى الرواية وفى ترتيب الشعر . وعرضه الدية ، هو أن يسعى فيها حتى يرضى بها قومه ، فلا يطلبون القصاص من خال الفرزدق .

(٣) يحيون : بإجارتهم الجانى من أصحاب الدم فيحيونه ، وقد كان لولاهم ميتاً قد بليت عظامه ، كما يحيى الغيث الأرض الميتة .

(٤) وذلك أن هذا القاتل لما أريد أن يقاد به ويقتل نادى : يا غالباه ! يا فرزدقاه ! فخرج الفرزدق من العجلة إلى المستغيث به قد شد إزاره على نصفه . يقول : هذه عادتى ، فكثيراً ما يشد إزاره كذلك لإغاثة المستغيث . أحناء الأمور : الأمور المتشابهة التى يعسر حلها وقضاؤها . وفى « م » : « لأعناء » ، جمع عنو (بكسر فسكون) ، وعنا (بفتحتين) ، وهى النواحى والأنحاء .

(٥) أشطوا ، من الشطط : وهو مجاوزة القدر والجور . يقول : غالوا ما شئتم ، فإنى لا أضيق بشىء مما أحتمل .

(٦) فى « م » : « عند المقالة » ، وفى الديوان ومخطوطته : « عند المفاداة » ؛ وهى واضحة المعنى . و « المقادة » : مصدر قاده يقوده ، جره من خلف ، وإنما عنى بها هنا « القود » (بفتحتين) ، وهو القصاص وقتل القاتل بالقتيل ، لأنه يقاد ليقتل .

غُلامًا أبوهُ المُسْتجارُ بقَبْرِهِ ... وصَعْصَعَةُ الفَكّاكُ من كانَ عانيًا[١]

إذا خُيِّرَ السَّيدِيُّ بين غَوايَةٍ ... ورُشْدٍ، أتَى السَّيدِيُّ ما كان غاوِيًا[٢]

فإنْ تَنْجُ منها، تَنْجُ من ذِي عَظيمةٍ، ... وإلّا فإنِّى لا إخالُكَ ناجيًا[٣]

٢٣٧ — [٤] وقال بعد ذلك يفتخر بهم :

بنُو السَّيدِ الأشائِمُ للأعادِى ... نَمَوْنِى للعُلَى وبَنُو ضِرارِ[٥]

٢٣٨ — [٦] حدثنى حاجب بن يزيد، عن أبيه قال : إنّ جريرًا كان يُنْشِد هذه // الأبياتَ وشيخٌ من ثَعْلبة بن يربوع، يقال له العَقّار بن

---

(١) غلاماً بدل من قوله « موفياً » . والمستجار بقبره ، هو غالب بن صعصعة ، أبو الفرزدق . وكان الجانى والخائف يستجير بقبره فيجيره ولده وقومه . وصعصعة بن ناجية ، جده ، كان شريفاً ، وكان يفتدى الأسرى بماله . وافتدى الموؤودات ، وأسلم . والعاني : الأسير.

(٢) سيأتى هذا البيت فى مقلدات الفرزدق رقم : ٤٨٣ .

(٣) لا أعرف هذا البيت للفرزدق وليس فى ديوانه ، وإنما هو للأسود بن سريع التميمى ، صحابى ، وكان شاعراً محسناً . وذكره ابن قتيبة فى المعارف : ٢٧٦ ، وقال : « فسرقه الفرزدق » ، والجاحظ فى البيان ١ : ٣٦٧ . واللسان (عظم) ، والمستقصى ١ : ٣٨٥ ، ونسبه لعسعس بن سلامة والجواليق : ١٥٤ ، والتاج (عسس) . وسيأتى فى رقم : ٤٨١ . من ذى عظيمة : من أمر ذى داهية عظيمة . والضمير فى قوله : تنج منها ، لنار الجحيم ، أعاذنا الله كلنا .

(٤) هذه الفقرة أخلت بها « م » .

(٥) ديوانه : ٤٤١ . وأم الفرزدق : لينة بنت قرظة ، وأخوها العلاء بن قرظة شاعر من بنى السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . وضرار بن عمرو بن مالك ، من ولد ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة . جعلهم هرنا شؤماً على أعدائهم ، تمدحاً بهم ، لا هجاء لهم كما قال فى الأبيات السالفة . نمونى للعلى : رفعونى إليها ومدوا بنى وبينها نسباً ، (انظر النقائض : ٢٣٣ ، الجمهرة لابن حزم : ١٩٣) .

(٦) أخلت « م » ببعض جمل منه قليلة ، والخبر مختصر فى الموشح : ١٢٥ ، وفيه « النخار » بالخاء المعجمة .

النَّحَّار — أو النحَّار بن العَقَّار[1] — ، قاعدٌ بالماء قد شُدَّ له حاجِباه من الـكِبَر ، حين قال جرير — وضَبَّة كُلُّها ثَعْلبةُ وبَكرٌ أبْنَا سَعْدِ بن ضبّة — فذَكر أخوالَ الفرزدق :

أَثعلَبَ ، أولِي حَلْفَةً ما ذَكرتُكم ... بسُوءٍ ، ولكنِّي عَتَبْتُ على بَكْرِ[2]

أَثَعْلَبَ ، إنِّي لم أزَلْ مُذْ عَرَفْتُكم ... أرَى لكُمْ سِتْرًا ، فلاتَهتِكوا سِتْرِي[3]

فلا تُوبِسُوا بَيْني وبَيْنَكم الثَّرَى ، ... فإنّ الذى بيني وبينكُمُ مُثْرِى[4]

فما شَهِدَتْ يومَ النَّقَا خَيْلُ هَاجِرٍ ... ولا السَّيدُ، إذْ يَنْحِطْنَ في الأَسَلِ السُّمْرِ[5]

وما شَهِدَتْ يومَ الغَبِيطِ مُجاشِعٌ ... ولا نَقَلانَ الخَيْلِ من قُنَّتَيْ يُسُرِ[6]

---

(١) حاجب بن يزيد ، انظر ما سيأتى برقم : ٥٣٧ . وذكر أبو عبيدة فى النقائض : ٧٣ ، ٥٤٣ : « عصمة بن النحار من بنى ثعلبة بن يربوع » ، فلعله هو .

(٢) ديوانه : ٢٧٧ — ٢٧٩ ، (٤١٨ — ٤٢٠) ، والأبيات ملفقة غير متتابعة . آلى يؤلى إيلاء : حلف وأقسم مجتهداً فى القسم . عتبت : سخطت عليهم ولمتهم على فعلهم . يبرىء بنى ثعلبة ابن سعد من مذمة إخوتهم بنى بكر بن سعد .

(٣) أرى لكم ستراً : أى أعرف لكم ذلك الستر ، فأحفظه ولا يصيبه منى مكروه . يقال : رأى له كذا وعرف : أى أقر به .

(٤) أيبس الشىء يوبسه : جففه وأذهب ماءه . يقول : لاتهلكوا مابينى وبينكم من المودة ، كالأرض إذا يبست مات نباتها . وقوله « فإن الذى بينى وبينكم مثرى » ، مثل ، أى أنه لم ينقطع ولم يفسد ، وأصله من أثرت الأرض : كثر ثراها وبلها الندى ، وكانت خليقة بالنبات .

(٥) هاجر : بطن من ضبة . نحط الفرس ينحط نحطاً ونحيطاً : زفر زفرة من بين الحلق والصدر ، تكون من الثقل والإعياء . والأسل السمر : الرماح . والأسل : شجر له شوك طوال دقاق ، سميت به الرماح . وسميت الرماح سمرا ، لأنها تلوح على النار فى تثقيفها فتصير إلى السمرة . ذكر شدة المعركة .

(٦) مجاشع بن دارم ، رهط الفرزدق . نقلان الخيل ونقلها : سرعة نقلها قوائمها فى الأرض ذات الحجارة . والقنة والقلة : رأس الجبل . ويسر (بضمتين) : جبل .

— ويومُ النّقَا : يومٌ قُتل فيه [بِسْطَامُ بنُ] قَيْس بن مَسْعود بن قَيْس بن خَالد [بن] ذى الجَدَّيْن ، قتلته ثَعْلبة بن سعد بن ضَبَّة دون بَكْر ، [1] والغَبِيطُ : أَسَرتْ فيه يربُوعٌ بسطامًا .

قال حاجبٌ فى حَدِيثه : فلما أنشد جرير :

* وما شهدتْ يومَ الغَبِيطِ مُجاشعٌ *

قال الشَّيْخ الثّعْلبى : مَن المُنْشد ؟ قالوا : أحدُ بنى الخَطَفَى . قال الشيخ : ولا كليبٌ والأجلِّ ماشهدتْ ، [2] ما كنا إلا سبعة فوارسَ من ثَعْلبة ابن يَرْبُوع .

* * *

٢٣٩ — [3] وقال مُعَاوية الضَّبِّى :

فَهذَا مَكانى، أوْ أَرَى القَارَ مُغْرَبًا، وحَتَّى أرَى صُمّ الجبالِ تَكَلَّمُ [4]

يريدُ أنه لا يبرَحُهَا أبدًا ، كما أن القارَ لا يكون مُغْرَبًا ، والجبالُ لا تكلَّم . وقد تقول العرب : حتَّى يكون كذا وكذا ، لما لا يكون

---

(١) فى الأصول « قتل فيه قيس بن مسعود .. الخ » ، وهو خطأ ، صوابه ما أثبته . أماقيس ابن مسعود ، فمات فى يد كسرى رهينة . « يوم النقا » (النقائض : ١٩٠ ، والعقد ٥ : ٢٠٢ — « ويوم الغبيط » النقائض : ٣١٣ ، والعقد ٥ : ١٩٦ . وانظر ما سيأتى رقم : ٥٣٥ .

(٢) كليب بن يربوع ، رهط جرير . وقوله : « والأجل » قسم ، وهو من أيمان أهل الجاهلية .

(٣) هذا الخبر أخلت به « م » ، وهو رجوع واستطراد . وتعليق على بيت أبى ذؤيب ، وبيت بشر بن أبى خازم ، اللذين ذكرهما فى الفقرة : ٢٣٥ . ولذلك ، أعاد البيتين هنا كما نرى ، لأنه باعد بين طرفى الكلام ، فاستحسن أن يعيدهما ليذكر ويفهم .

(٤) اللسان (غرب) ، و « المغرب » ، الأبيض الصرف البياض .

أبدًا ، فيقولون : « حتى تطلع الشَّمْس من مَغْرِبِها » و « حتى تقَعَ السماءُ على الأرضِ » و « حتى يرجِعَ الدَّرُّ فى الضَّرْع » . وهذا كله عندهم مما لا يكون . وقال الله عزّ وجل : ﴿ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ [سورة الأعراف : ٤٠] ، لما لا يكون ، وقال النابغة الذبيانى لعامر بن طُفَيل:

وإنك سوفَ تَحْلُمُ أو تنَاهَى ، إذا ماشِبْتَ أو شابَ الغُرَابُ[(١)]

وقال النَّمِر بن تَوْلَب :

وقَوْلى ، إذا ماأطْلَقُوا عن بَعِيرِهِمْ : يُلاقُونَه حَتَّى يَؤُوبَ الْمُنَخَّلُ[(٢)]

/ أى لا يلاقونَهُ أبدًا ، وكذلك قولُ أبى ذؤيب :[(٣)] ٢٨

وحتَّى يؤُوبَ القَارِظانِ كلاهُما وَيُنْشَرُ فى القَتْلى كُلَيْبٌ لوائلِ

وقال بشر بن أبى خازم :[(٣)]

فرَجِّى الخيرَ وانْتَظِرى إيَابِى إذَا ما القَارِظُ العَنَزِىُّ آبَا

---

(١) ديوانه : ٧٥ (١٠٥) . ويروى « سوف تحكم » . حلم (بضم اللام) يحلم : صار حليما بعيد السفه ، قريب الأناة والعقل . وحكم : صار حكيما . وتناهى ، وأصلها تتناهى ، حذف إحدى التائين : أى تسكف عن جهالتك وطيشك . يهزأ به ، ويقول له : إنك لن تفلح أبداً ، بل أنت راسخ فى الحمق والطيش .

(٢) شعر النمر : ٨١ — ٩٣ ، هذا من شعره الجيد . الذى يقول فيه :

لَعَمْرِى لقدأنكَرتُ نَفْسِى ،ورَابَنِى مَعَ الشَّيبِ أبْدالِى الَّتى أتبدَّلُ

وعدد أشياء مما رابه ثم عطف « وقولى . . . » . أراد « لايلاقونه » فحذف للقسم . والمنخل: هو المنخل بن عمرو اليشكرى الشاعر . كان النعمان قد اتهمه بالمتجردة ، فيقال قتله أو حبسه ، ثم غمض خبره ، فلم تعلم له حقيقة ، يقال دفنه حيا ، فضرب به المثل فى الغيبة المنقطعة . المستقصى : ٥٨ / الأغانى ٢١ : ١ (الهيئة) .

(٣) مضى البيتان رقم : ٢٣٥ .

فهذا عندهُمْ مما لا يكون ، لأنّ الغُرَاب لا يَشِيبُ ، ومن مات عندهُمْ لم يرجعْ .

* * *

٢٤٠ — [١] والثَّالث : الُحوَيْدِرة ، وهو شاعرٌ ، وهو يقول في كلمة له طويلة :

رَحَلتْ سُمَيّــةُ غُدْوةً فتَمَتّعِ ... وَغَدتْ غُدوّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ [٢]

وتَزَوَّدت عَيْني ، غَدَاةَ لَقِيتُها ... بِلوَى عُنيزةَ ، نظرةً لم تَنْقَعِ [٣]

وَتَصَدَّفتْ حتّى اسْتَبَتْكَ بواضحٍ ... صَلْتٍ كمُنْتَصَبِ الغزَالِ الأتْلَعِ [٤]

وَبمُقْلَةٍ حَوْراء تَحْسَبُ طَرْفَها ... وَسْنَانَ ، حُرّةِ مُسْتَهَلِّ الأدْمُعِ [٥]

* * *

---

(١) رقم : ٢٤٠ ، أخلت به « م » أيضاً .

(٢) ديوانه : قصيدة رقم : ١ ، وشرح المفضليات : ٤٨ . يقول : رحلت صاحبتك بكرة فالحقها وتمتع منها بنظرة أو بسلام أو بحديث ، فإنها فارقت فراق عجول ، لم يتلبث ولم ينتظر . ربع يربع : تأنى وانتظر .

(٣) في المخطوطة : « تنفع » بالفاء ، ويروى « تنقع » بالقاف . يقول : إنه تزود منها نظرة لم تروه ريا ينفع . نقع الماء والعطش ينقعه : أذهبه وسكنه .

(٤) تصدفت : تكلفت الإعراض دلالا وتمنعاً . من صدف عنه : أعرض . سباه واستباه : أسره . يقول : استولت على عقلك حتى صرت عندها كالأسير المقيد . الواضح : الجيد المشرق . والصلت : الأملس . ومنتصب الغزال : جيده وعنقه ، من «انتصب الشيء» : إذا استوى واستقام . والأتلع : الطويل العنق . وهو من أجمل ما في النساء .

(٥) الحوراء : التي اشتد بياض عينها وسواد سوادها ، واستدارت حدقتها ورقت جفونها . وذلك هو الحور ، وهو آية الصحة والسلامة والنبل . الوسنان : الذي أخذه الوسن ، وهو أول النوم . يصف فتور عينيها من حيائها وقلة طموحها بطرفها . الحر والحرة من كل شيء : أعتقه وأكرمه وأصفاه . يذكر صفاء مجرى دموعها ، وأسالة خدها ، حيث تستهل الدموع ، أي تجري .

٢٤١ — والرَّابعُ : عَبْدُ بنى الحَسْحَاس . وهو حُلْوُ الشِّعر ، رقيقُ حَواشِى الكلام .[١]

٢٤٢ — ذَكروا عن عُثْمان بن عفان أنّه أُتِىَ بعَبْدٍ من عَبِيد العرب نَافِذٍ ، فأراد شِرَاءه ، فقيل له : إنه شَاعِرٌ . قال : لا حاجة لى به ، إنّ الشَّاعر لا حَرِيمَ لَهُ .[٢] ويقال إنه عبدُ بنى الحسحاس ، وذلك قبلَ خلافة عثمان .[٣]

٢٤٣ — وأنْشَدَ عُمَرَ [بن الخطّاب] قولَهُ :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ ، إن تَجَهَّزْتَ غَادِيًا ... كَفَى الشَّيْبُ والإسْلامُ للمرءِ ناهِيَا[٤]

فقال : لو قلتَ شعرَكَ مثلَ هٰذا أعطيتُكَ عليه . فلما قال :

فَبَاتَ وِسَادَانَا إلي عَلْجانَةٍ ... وحِقْفٍ تَهادَاهُ الرِّيَاحُ تَهادِيا[٥]

---

(١) روى هذا عن ابن سلام فى الأغانى ٢٠ : ٢ ، وأنشد له بيتان فى سواده ، عن ابن سلام .

(٢) نافذ : ماض فى جميع أمره شهم الفؤاد ، كأنه سهم نافذ . والحريم : الذى حرم مسه أو دخوله فلا يدنو أحد منه . يقول : إن الشاعر لا يتقى المحارم ، من جرأته وتهوره على أعراض النساء .

(٣) رواه أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ٤ (ساسى) ، وزاد عليه خبر من اشتراه ، فجعل يشبب بنسائه ، وأنشد أبياتاً ثلاثة ، ثم ألحق به الخبر رقم : ٢٤٤ ، مختصراً .

(٤) ديوانه ١ : ١٦ ٢٠ . غاديا : مبكراً بالرحيل . (الأغانى ٢٠ : ٣) .

(٥) فى المخطوطة ، كتب إلى جوار « فبات » : « فبتنا » ، وهى رواية الديوان . الوساد والوسادة : ما تتوسده وتجعله تحت رأسك . والعلجانة : شجرة خضراء مظلمة الخضرة ، ليس لها ورق ، وإنما هى قضبان كالإنسان القاعد ، ومنبته فى السهول . والحقف : ما استطال واعوج وأشرف من الرمل . تهاداه : أصلها تتهاداه ، وحذف إحدى التاءين ، يصف الرمل بالنعومة والسهولة ، حتى تنقله هذه الريح ، وترده هذه الريح ، كأنما هى تتهاداه بينها .

وَهَبَّت شَمالٌ آخِرَ اللَّيْل قَرَّةٌ وَلا ثَوْبَ إِلَّا دِرْعُها ورِدَائِيا[١]

فما زالَ بُرْدِي طَيِّباً من ثِيابِها إلى الحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبُ بالِيا[٢]

فقال له عُمَر : وَيْلك ! إنّك مقتول !

٢٤٤ — وقال أيضاً :

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بَعْضِهِمْ عَرَقٌ على مَتْنِ الفِرَاشِ وَطِيبُ[٣]

فأخذوه شارِباً ثَمِلًا ، فعرضوا عليه نسوةً ، حتّى مَرّت عليه التى يظُنُّونَها به ، فأهْوَى لها ، فأخذوهُ فقتلوه لِمَا تَحقّقَ عِنْدَهم . //

---

(١) الشمال : ريح الشمال الباردة . والقرة : الشديدة البرد . ودرع المرأة : ثوب ذو يدين تلبسه العواتق . يقول : إن شدة البرد ألجأت كل واحد إلى حضن صاحبه ، إذ لا غطاء معهما . ثم ذكر في البيت التالى : أن طيبها وطيب ثوبها عبق بثوبه عاماً كاملا . وفى « م » « شمالاً » و « قرة » بالنصب .

(٢) أنهج الثوب : بلى وأخلق وتخرق . وفى « م » « أنهج البرد » .

(٣) ديوانه : ٦٠ . الكريمة : المرأة التى يصونها أهلها ويضنون بها . وقد أفحش .

الطَّبقةُ العَاشِرَة

وهى آخر الطبقات ، وهم أربَعةُ رهط :

٢٤٥ — [1] أوَّلُهم : أُمَيَّة بن حُرْثَان[2] بن الأسْكَر بن عَبدِ الله — سَرابيلِ الموتِ ، [3] كان شاعرًا سيِّدًا — بن زُهرة بن زَبِينَة[4] بن جُنْدُع بن ليث بن بَكْر عبدِ مَناةَ بن كِنانة .

٢٤٦ — وحُرَيْث بن مُحَفِّظ . [5]

٢٤٧ — والكُمَيْت بن مَعْرُوف بن الكُمَيْت بن ثَعْلَبة بن نَوْفَل

---

(١) أخلت « م » بأنساب الشعراء الثلاثة ، سوى الثانى .

(٢) فى المخطوطة : « خرثان » ، بنقطة على الخاء ، فى الموضعين .

(٣) ويقال : « سربال الموت » .

(٤) « زبينة » ضبطت فى المقتضب بالتصغير ، وفى الجمهرة للكلبي بفتح الزاى وكسر الباء ، وانظر اللسان والقاموس والتاج (زبن) .

(٥) فى جميع المواضع من نسختى (محفظ) ، والذى فى الخزانة ٢ : ٥٠٩ ، والإصابة وغيرهما « محفض » . وفى شرح التصحيف : ٣٧٠ ، ٣٧١ ، وانظر باب تعاقب الضاد والظاء . وفى الكامل لأبى العباس ١ : ٤٨ ، وذكر المكعبر الضبي ، فعلق أحد الرواة فقال (اسمه حريث بن عفوظ) ، وهو خلط . إلا أن ابن الأنبارى نسب بيتًا من هذا الشعر فى شرح المفضليات : ١٤ لحريث بن محفض . وروى القالى فى أماليه ٣ : ٨١ « حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، أحد بنى خزاعى بن مازن » ، يعنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . وانظر الشعر والشعراء : ٦٢٤ .

ابن نَضْلة بن[١] الأشتر بن جَحْوان بن فَقْعَس بن طَريف بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزيمة .

٢٤٨ — وعمْرو بن شأس بن أبي بُلَيّ ،[٢] واسمه عُبَيْد ، بن ثَعْلبة بن ذُوَيْبَةَ[٣] بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد ابن خُزَيْمة .

° ° °

٢٤٩ — وكان أمَيّة بن حُرْثان بن الأَسْكر قديمًا ، وعُمِّر فى الجاهلية عمرًا طويلًا ، وأَلفاهُ الإسْلامُ هَرِمًا . وله شعرٌ فى الجاهليةِ ، وشعرٌ فى الإسلام .

٢٥٠ — وكان أبناه كِلابٌ وأخوه هَاجَرَا إلى البَصْرة أيَّامَ عمر ، بعد ما كَبِرَ الشيخُ وكُفَّ بَصَرُه فقال :

---

(١) الذى فى المقتضب والجمهرة لابن الكلبي : « الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة ابن رئاب بن الأشتر » ، وكذلك جاء فى الأغانى ١٩ : ١٠٩ (ساسى) ، ثم انظر المؤتلف : ١٨ ، ١٧٠ ، ومعجم الشعراء : ٣٤٧ ، وجمهرة ابن حزم : ١٨٥ ، والخزانة ٣ : ٣٦٦ ، وما سيأتى برقم : ٢٥٩

(٢) ضبطها فى مختصر الجمهرة قال : « بضم الباء الموحدة وفتح اللام » .

(٣) فى المخطوطة : « روبة » ، والصواب من كتب النسب مضبوطاً هناك ، والذى فى جمهرة ابن حزم خطأ أيضاً : ١٨٢ .

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدا كِلَابًا ... كِتابَ اللهِ،إنْ حَفِظَ الكِتَابَا؟[١]

إذَا هَتَفَتْ حَمَامَةُ بَطْنِ وَجٍّ ... عَلَى بَيْضَاتِها ، ذَكَرَا كِلَابًا[٢]

تَرَكْتَ أباكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ ، ... وأُمَّكَ ما تُسِيغُ لَهَا شَرَابًا

٢٥١ -- وقال أيضاً :

سَأَسْتَأْدِى على الفاروق رَبًّا ... لَهُ عَمَدَ الحَجِيجُ إلى بُصَاقِ[٣]

إنِ الفارُوق لم يَرْدُدْ كِلَابًا ... إلى شَيْخَيْن هامُهُمَا زَوَاقِ[٤]

فكَتَبَ عُمر إلى أبى موسى بإشْخاصه ، فلم يَرُعْ أُمَيَّةُ إلا ببابِهِ يُقْرَع ، فقال : إن كان [كلابٌ] فى الناسِ حَيًّا إنَّهُ لَهُوَ .

٢٥٢ — وخِطَّةُ كِلابٍ ، بالبَصْرة ، فى بَنى سُلَيْم ، يقال لها : مُرَبَّعة كِلاب ، وتقول لها العامة : مُرَبَّعة الكِلَاب ، بلا عِلْمٍ .[٥]

---

(١) الأبيات فى الأغانى ٢١ : ١٠ (الهيئة) ، المعمرون : ٦٨ ، الأمالى ٣ : ١٠٨ وغيرها . لمن شيخان : يعنى لمن ترك شيخان كبيران . ونشده كتاب الله ونشده الله : استحلفه وذكره به . حفظ كتاب الله : رعى له حرمته وأطاعه .

(٢) وج : الطائف ، وهى كثيرة الشجر كثيرة الحمام . على بيضاتها ، يقول : إذا هتفت تعطفاً وسروراً وحناناً على بيضاتها ، يذكران عندئذ ولدهما كلاباً .

(٣) القصيدة فى الأغانى أيضاً ٢١ : ١٠ (الهيئة) ، المعمرون : ٦٨ ، ومعجم البلدان (بساق) وغيرها . استأدى السلطان على فلان فآداه : استعان به فأعانه . ويروى « سأستعدى » وهى مثلها فى المعنى . وبصاق وبساق : موضع قريب من مكة .

(٤) يقال زقت هامته : أى دنت منيته وهلاكه . يقول : قد دنا أجلهما . وأهل الجاهلية كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تصير هاماً ، وهو طائر يكون عند المقابر يزقو ، أى يصيح . وقد أكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر » :

(٥) الخطة : أرض يختط فيها القوم دوراً ومساكن . والمربعة . الناحية من الدور تكون على شكل التربيع .

٢٥٣ ـــ ومَرَّ بأُمَيَّةَ غلامٌ له ، وهو يحثُو التُّرابَ على رأسه هَرَمًا ودَلَهًا ،[١] فقامَ ينظُر إليه ، فأفاقَ إفاقةً فرآه قائمًا ينظر إليه ، فقال :

أَصْبَحْتَ فَنًّا لراعِى الضَّأْنِ أُعْجِبُهُ ... ماذا يَرِيبُكَ مِنِّى رَاعِىَ الضَّأْنِ[٢]

٢٩ /إنْ تَرْعَ ضأْنًا ، فإنِّى قَدْ رُزِئْتُهُمُ ... بِيضَ الوُجُوهِ، بَنِى عَمٍّ وإخْوانِى[٣]

يا ابْنَىْ أُمَيَّةَ ؟ إنِّى عَنْكُما غانِى ... وما غِنائِىَ إلَّا أنَّنِى فانِى[٤]

يا ابْنَىْ أُمَيَّةَ إلاَّ تَشْهَدا كِبَرِى ، ... فإنَّ نَأْيَكُمَا والمَوْتَ سِيَّانِ

* * *

٢٥٤ ـــ[٥] الثَّانى : حُرَيْثُ بن مُحَفِّظٍ المازِنىُّ ، وهو جاهلىٌّ إسْلامىٌّ ، له فى الجاهلية أشعارٌ . وهو الذى يقول :

---

(١) الدله : ذهاب العقل من هم أو عشق . ومنه دلهه الحب : حيره وخبله .

(٢) الأبيات فى الأغانى ٢١ : ١٣ (الهيئة) ، الأمالى ٣ : ١٠٨ ، نقد الشعر لقدامة : ٢٣ ، المحاسن والمساوى للبيهق ٢ : ١٩٣ ، معجم البلدان (جاذان) ، وفى المخطوطتين : « قناً » بكسر القاف ، وفى الأمالى وغيره « هزءاً » ، وفى المحاسن « لهواً » ، وفى بعض الكتب وبعض نسخ الأغانى : « فرداً » أو « قرداً » ، و« القن » بالقاف العبد ، ولكنى رجحت أنها « فنا » بالفاء المفتوحة ، وتؤيدها رواية « هزءاً » و « لهوا » ، والفن : الأمر العجيب . وأعجبه الشىء يعجبه : حمله على التعجب منه . ورابنى الشىء يريبنى : إذا رأيت منه ما يحملك على الريبة والشك فى أمره .

(٣) يقول : إن كان كل همك فى الدنيا أن ترعى الضأن خالى البال ، فهمى أنا أن أرعى ذكر من أصبت بفقدهم من كرام بنى عمى وإخوانى ! فانظر فى خسيسة أمرك . ودعنى وما ابتليت به .

(٤) غنى عن الشىء غنى : استغنى عنه . والغناء هنا : الاستغناء ، جاء به على هذا الوجه ممدوداً ، ولا بأس به .

(٥) رقم : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، أخلت بشعرهما « م » ، ولحريث أبيات فى البصائر والذخائر ٤ : ١٥٧ ، ١٥٨ .

وَنحنُ طَرَدْنا الحيَّ بكرَ بنَ وائلٍ ... إلى سَنَةٍ مِثْلِ السِّنانِ ونارِ[1]

ومُومٍ وطاعونٍ وحَصْبَةٍ قاتِلٍ ... وَذِى لِبَدٍ يَغْشَى المُهَجْهِجَ ضارِى[2]

وحُكْمٍ عَدُوٍّ لا هَوادةَ عِنْدَهُ ... ومَنْزِلِ ذُلٍّ فى الحياةِ وعَارِ

يعنى مَحلَّ بكر بن وائل ، وهو السَّواد ، والسواد أوبأُ البلاد على الرجال والإبل من البرِّ . وقوله : « وحكم عدوّ » ، يعنى حكماً للعَجَم على بَكْر بن وائل ، فذلك قوله : « وحكم عدوّ لا هوادة عنده » .

٢٥٥ — وقال أيضاً :

تَقُولُ ابنةُ الضبيّ يوم لَقِيتُها : ... تغيَّرتَ، حتى كِدْتُ مِنْكَ أُهالُ[3]

فإن تَعْجَبِى منّى عُمَيْرُ ، فقد أتتْ ... ليـــالٍ وأيامٌ علىَّ طِوالُ[4]

وإنّى لَمِنْ قَومٍ تَشِيبُ سَراتُهُمْ ... كـذاكِ ، وفيهِمْ نائلٌ وَفَعالُ[5]

---

(١) القصيدة كلها فى أمالى القالى ٣ : ٨١ والجاحظ فى الحيوان ٣ : ٧٧ — ٧٨ .
قال القالى : « سنة . أراد أسكناهم السواد ، وهو بلد وباء » ، وهذا فى معنى «السنة» لا يستقيم ، والذى قاله أبو على ، شرح للبيت الثانى ، كما هو فى شرح ابن سلام . أما « السنة » فهى الجدب ، شبهها فى شدتها ولذعها بالسنان والنار التى تأكل كل شىء ، ويروى « مثل الشهاب » . والشهاب : شعلة النار الساطعة ، ومنه قوله تعالى : « أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » [النمل : ٧] .

(٢) الموم : الجدرى : ورواية القالى والجاحظ : « وموم وطاعون وحمى وحصبة » . وذى لبد : يعنى الأسد . والمهجهج : الذى يزجر السبع ويصيح به ليكف عنه ، ولكنه يغشاه لضراوته وتوحشه .

(٣) من أبيات حسان فى البيان : ٣ : ٣١٦ مع اختلاف فى الرواية . هاله الأمر يهوله : أفزعه وأخافه أشد الخوف .

(٤) فى المخطوطة : « ليالى » بكسرتين مع الياء ، وقد مضى مثله مرات .

(٥) يشيب أهل الشرف منهم والمروءة فى شبابهم لطول انغماسهم فى الحروب . والنائل والنوال : بذل المعروف . والفعال (بالفتح) : الكرم والجود والمساعى الحسان .

٢٥٦ — وقال :

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دَعاهُمْ أَخُوهُم … أجابُوا، وإنْ يَغْضَبْ عَلَى القَوْمِ يَغْضَبُوا[1]

هُمُ حَفِظُوا غَيْبِي، كما كُنْتُ حافظاً … لِقَوْمِي أُخْرَى مِثْلَها ، إنْ تَغَيَّبُوا

بَنُو المَجْدِ ، لم تَقْعُدْ بِهِم أُمَّهاتُهُمْ ، … وآباؤُهم آباءُ صِدْقٍ ، فأَنْجَبُوا[2]

٢٥٧ — قال ابن دَأْب : أُدْخِلَ الحارثُ بن نَوْفَل بن الحارث ابن عَبْدِ المطَّلِب على معاوية ، [فِتْياناً من] فتيانِ بَنِي عبد مَناف ، فقال معاوية : هؤلاء كما قال أخو بني مازن :

بَنُو المَجْد ، لم تقعُد بهم أُمَّهاتُهُمْ ، … وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ ، فأنجبوا

٢٥٨ — [3] // قال أبو عبدالله، قال الحجَّاج وهو على المِنبر: أنتم والله يا أهل الشَّأم كما قال القائل :

بنو المجد لم تقعُد بهم أُمَّهاتُهُمْ … وآباؤهم آباءُ صِدْقٍ ، فأنجبُوا

وحُرَيثٌ تحت مِنْبَرِه ، فقال : أنا قائله أيها الأمير . فقال : كَذَبْتَ ، ذاك حُرَيث بن مُحَفِّظ . قال : أنا حُرَيْثٌ ! قال : فما جَمَلَكَ

---

(١) أمالي القالي ٣ : ٨١ والشعر والشعراء : ٦٢٤، والخزانة ٢ : ٥١١، وشرح التصحيف : ٣٧٠ ، ووقعة صفين : ١٧٨ ، وزعم ابن أبي الحديد أن الشعر لربيعة بن مشروم الطائي (نهج البلاغة ١ : ٣٢٦ ، ٣٢٧) .

(٢) يقال : قعد بالرجل آباؤه وأقعدوه وتقعدوه : حبسته منزلة أمهاته وآبائه من اللؤم عن بلوغ المكارم .

(٣) أسقط كاتب « م » صدر هذا الخبر ، وألحق ما بعده « وحريث تحت منبره » بالخبر السالف فاختل الكلام .

على الرّد عليّ هكذا؟ قال: ما مَلَكْتُ حين تمثّل الأميرُ بِشِعْرِى أن أخبرتُه بمكانى.

* * *

٢٥٩ — والثالث: الكُمَيْت بن مَعْروف، وهو شاعرٌ — وجدُّه الكميتُ بن ثَعْلَبة شاعرٌ — وكُمَيْتُ بن زيدٍ الآخرُ شاعرٌ. والكميتُ ابن معروفٍ الأوسَطُ أشعرُهم قَرِيحةً،[1] والكميتُ بن زيدٍ أكثرُهم شِعْرًا.

٢٦٠ — [2] قال الكميت بن معروفٍ:

أقولُ لنَدْمانَىّ، والحَزْنُ بيْننا . وغُبْرُ الأعالى من خُفافٍ فَوارِعُ:[3]
أنارٌ بَدَتْ بينَ المُسنّاةِ والحِمَى لعَيْنَيْكَ أم بَرْقٌ من اللّيل لامعُ؟[4]
فإن يكُ بَرْقًا، فهو بَرْقُ مُخِيلةٍ لها رَيِّقٌ لم يُخْلِفِ الشَّيْمَ رائعُ[5]

---

(١) انظر تفسير «القريحة» فيما سلف رقم: ١٤٦، ١٧٦.

(٢) هذا الشعر كله، أخلت به «م».

(٣) الأبيات الأولى وردت فى معجم البلدان رسم (المسناة)، والبيت الأخير، بغير هذا اللفظ، فى المؤتلف ١٧٠، وهو فى شعر قيس بن الحدادية، الأغانى ١٤: ١٥٨، والمؤتلف: ٣٢٥. وفى الوحشيات رقم: ١٨، أبيات كأنها من هذه القصيدة، وكذلك فى حماسة البحترى: ١٣٣، ١٩٤. الندمان: النديم، والمفرد والجمع فيه سواء. والحزن: موضع مريع فى بلاد بنى أسد تربع فيه العرب لكثرة رياضه. وخفاف: مكان بنجد. وغبر الأعالى: الجبال، قد اغبرت أعاليها لشموخها. والفوارع جمع فارع: وهو الشامخ.

(٤) المسناة: مكان، والحمى: حمى ضرية بنجد. فى المعجم: «من الليل ساطع». سطع البرق: شق السحاب واستطال وارتفع ضوءه.

(٥) «فإن يك برقاً»، وفى البيت التالى «وإن تك نار» بالرفع، وقد سلف ما قلته فى مثله آنفاً رقم: ٢٣٤. المخيلة (بضم الميم وفتحها): هى السحابة إذا رأيتها حسبتها ماطرة، والحال: =

وإن تَكُ نارٌ ، فَهِى نارٌ تَشُبُّها ... قَلُوصٌ، وتَزْهاها الرِّياحُ الزَّعازِعُ (١)

وما مُغْزِلٌ أَدْماءُ ، مَرْتَعُ طِفْلِها ... أَراكٌ وسِدْرٌ بالمَراضَيْنِ يانِعُ ، (٢)

بأَحْسَنَ مِنْها يومَ قالتْ لِتِرْبِها : ... سَلِيهِ يُخَبِّرْنا مَتى هو راجِعُ ؟ (٣)

فقلتُ لها : واللهِ ما مِنْ مُسافِرٍ ... يُحِيطُ لَهُ عِلْمٌ بِما اللهُ صانِعُ

* * *

٢٦١ — والرابعُ : عَمْرو بن شَأْسٍ ، كثيرُ الشِّعر فى الجاهليَّةِ والإسلام ، أَكثرُ أهْلِ طبقتِه شعراً . وكان ذا قَدْرٍ وشَرَفٍ ومَنْزِلةٍ فى قومِه .

= سحاب لا يخلف مطره . ريق المطر : أوله من أطرافه ونواحيه . والشيم : النظر من بعيد إلى البرق والسحاب لترى أين يقصد وأين يمطر . شام البرق والسحاب يشيمه . « لم يخلف الشيم » : لم يخلف الظن بمطره وكثرته . وقد جاء فى معجم البلدان موغلا فى التحريف : « لم يخل فى الشم لا مع » .

(١) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة الفتاة من النساء . وزهت الريح النار : حركتها ورفعت ألسنتها وأزهرت لونها . والزعازع جمع زعزع : وهى الريح الشديدة . يقول : إن تك نار فهى نار أوقدها قوم صاحبته لقلوص عقروها لأضيافهم ، وذلك أعظم لها ، وحركتها الرياح الشديدة فى زمن الشتاء ، وذلك أرفع لنارها .

(٢) المغزل : الظبية يكون معها غزالها ، وهو طفلها . وهى عندئذ أجمل شىء وأرقه وأسرعه حركة ، لخوفها على ولدها . والأراك : شجر طويل أخضر ناعم الورق ، تتخذ منه المساويك ، وترعاه الظباء وتألفه ، وهو أطيب ما ترعاه الماشية رائحة لبن . والسدر : من شجر النبق ، طيب الريح ترعاه الظباء . والمراضان : واديان مريمان . والمرتع : المرعى ، حيث ترتع فى الخصب ، تذهب وتجىء وتأكل ماشاءت .

(٣) ترب المرأة : صاحبتها التى ولدت معها ، لدتها ، وقد يقال للرجل والرجل . يقول : هذه الظبية المغزل العاطفة على ولدها ، لا تكاد تدانيها فى رشاقتها ورقتها ودلالها وحسن حركتها حين قالت لتربها : سليه .

٢٦٢ — [١] جاوَرَهُ رجلٌ من بني عامر بن صَعْصَعة ، ومع العامرىّ بنتٌ له جميلة ، فخطبها ، فقال لهُ العامرىّ : أمَّا ما دُمْتُ في جوارك فلاَ ، تُنزِلُ مِنِّى على الاقْتِسار والقَهْر ، [٢] ولـكن إذا رجَعْتُ إلى قومى فاخطُبْها . فغَضِب عمرٌو وآلَى يمينًا أن لا يتزوَّجها أبداً ، إلا أن يُصيبَها سِبَاءٌ . [٣] فلما رجَع الرجل إلى قومه أراد عمرٌو غزْوَهم ؛ ثم قال : قد كان بَيْنى وبَيْنَ الرَّجُل عهْدٌ وميثاقٌ وجِوَارٌ ! فاستحيَ وتذمَّم أنْ يَفعل ، وقال : [٤]

إذا نَحْنُ أدْلَجْنا وأنتِ أمامَنا ، كَفَى لِمَطايانا بِرَيَّاكِ هادِيَا [٥]

/ ولولا اتِّقاءُ اللهِ والعَهْدُ قد رَأَى مُبَيِّنَةً مِنَّــا تُثِيرُ النَّوادِيَا [٦] ٣٠

---

(١) روى القصة فى الأغانى ١١ : ٢٠١ ، عن الطوسى ، عن الأصمعى .

(٢) « تنزل منى » أى تحط من مرتبتى وتضع . ورواية الأغانى تفسر ذلك : « أما مادمت جاراً لـكم فلا ، لأنى أكره أن يقول الناس غصبه أمره » . وفى « م » : « ... فلا تنزل ذلك منى إلا على الاقتسار والقهر » ، زاد « إلا » .

(٣) السباء والسبى : الأسر ، أن ينالها سبية فى غزوة .

(٤) الأبيات فى الأغانى ، مع زيادة ، والبيت الأول وآخر معه فى كثير من الـكتب ، معجم الشعراء : ٢١٢ ، الاستيعاب ٢ : ٤٤٢ ، ديوان المعانى ١ : ٢٢٤ ، زهر الآداب ٢ : ١٩٦ ، الرسالة الموضحة للحاتمى : ١٤ ، ديوان القطامى : ٦ ، وقال في الاستيعاب . « وكان ابن سيرين يحفظ هذا الشعر ، وينشد منه الأبيات ، وهو شعر حسن ، يفتخر فيه بخندف على قيس » .

(٥) يروى : « بريحاك هادياً » و « بذكرك » و « بوجهك » ، و « كفى بالمطايا ضوء وجهك هاديا » . الإدلاج : سير الليل . وريا كل شىء : طيب رائحته . وامرأة طيبة الريا : عطرة الجرم . يقول : كفى برياك هادياً لمطايانا .

(٦) « مبينة » بالنون ، أى : ظاهرة كاشفة ، يعنى غزوة تبين عن غلظتها وشدتها . وجائز أن تقرأ « مبيتة » بالتاء ، يعنى : غزوة مبيتة ، من قولهم : بيت العدو أوقع به ليلا وأتاهم بياتاً فى جوف الليل بغتة وهم غارون لا يشعرون . والنوادى جمع نادية : وهى قواصى الإبل البروك ، تتفرق فى نواحى مبركها ، فإذا سمعت حساً ثارت . فى « م » : « قد أرى » . ثم انظر رواية الأغانى : « منيته منى أبوك اللياليا » .

وَنَحْنُ بنو خَيْرِ السِّبَاعِ أَكِيلَةً ... «وأَجْحِرَةً» لَمَّا تَحَفَّظَ ، عادِيَا[١]

لنا حاضِرٌ لم يَحْضُرِ النَّاسُ مِثْلَهُ ، ... وبادٍ ، إذا عَدُّوا ، فأَكْرَمُ بادِيَا[٢]

---

(١) هـذا البيت ، أخلت به « م » . وهو بيت مشكل : وقد أثبت نص المخطوطة هنا « وأجحرة » فإنه فيها واضح مضبوط ، الجيم الأولى منقوطة ، وتحت الحاء كسرة و (ح) صغيرة للدلالة على الإهمال ، وعلى التاء الأخيرة فتحتان ، معطوفاً على « أكيلة » . وليس لهذه اللفظة معنى ، ولا وجود لمثلها في اللغة . أما صاحب الاغانى ، فقد روى عجز البيت :

« وأَحْرَبِهِ إذا تنفَّسَ عادِيَا »

وضبطت في مطبوع الأغانى ، كما أثبتها : وفسروه بقولهم : « يريد أنه أحرب السباع ، أى أشدها في الحرب والمقاتلة » ، وهذا خطأ ، إنما هو من قولهم : « حرب الرجل » بكسر الراء ، يحرب ، بفتحها » ، إذا اشتد غضبه ، ومنه قولهم : « أسد حرب ، بالكسر ، ومحرب ، بتشديد الراء المفتوحة » . وقوله : « إذا تنفس » ، خطأ أيضاً ، إنما هو « إذا تنفش » بالشين المعجمة ، إذا انتفش وازبأر ، أى اقشعر ولشر عفرته (أى الشعر الذى على قفاه) وردها إلى يافوخه عند الغضب والإقبال على الشر (والزبرة أيضاً ، بضم فسكون ، ما بين كتفى الأسد من الشعر) .

وأما رواية الطبقات : « لما تحفظ » فهو من « الحفيظة » ، وهو الغضب والأنفة لحرمة تنتهك ، أو لإساءة موحشة أو ضيم يقال : أحفظه فاحتفظ ، أى أغضبه فغضب . و « تحفظ » مما لم تذكره كتب اللغة ، ولكنه قياس العربية . و « أكيلة السبع » ، فريسته التى يأكلها ، يعنى أن أباه لاينزل وقعته إلا بأهل الشرف والسراة . و « العادى » ، السبع يعدو على من ينتهك حريمه ، فيفترسه لا يبالى . وبعد البيت في الأغانى من تمام معناه :

بنو أَسَدٍ وَرْدٍ يَشُقُّ بنابِهِ ... عظامَ الرِّجالِ ، لا يُجِيبُ الرَّواقِيَا

وقد نبهتنى « وأجحرة » بضبطها في المخطوطة اسماً منصوباً معطوفاً على « أكيلة » ، حتى خفت أن يكون مافى مطبوع الأغانى (ولم أراجع مخطوطاته) تصحيفاً ، وأن يكون صواب قراءته : « وأجرية » جمع « جرو » (الجيم مثلثة ، بعدها ساكن) ، وهو ولد الأسد . ولا يقال له «جرو» حتى يكفى نفسه ويدرك الصيد . فإذا صح ذلك ، كان المعنى فى « أكيلة » ، أنه يعنى صاحبته وعرسه اللبؤة ، و « الأكيل » هو الذى يؤاكلك ويديم ذلك ، و « أكيلة الأسد » إذاً ، هى صاحبته التى تؤاكله . وقد مر بى فى الكنايات أنه يقال لامرأة الرجل : أكيلته ، لأنها هى التى تديم مؤاكلته . يقول : نحن بنو خير السباع صاحبة وولداً . وهو معنى جيد . والله أعلم . أما مافى مخطوطة الطبقات ، « وأجحرة » ، فتبقى كما هى ، حتى ترى كيف يكون صوابها ، بالمقارنة فى مخطوطات الأغانى أو فى كتاب آخر يذكر فيه هذا البيت .

(٢) فى المخطوطة « « وبادى » ، كما سلف مراراً . بإثبات الياء . الحاضر : القوم يحضرون الماء ، ينزلون عليه فى حمراء القيظ ، وهو موضع إقامتهم . فإذا جاء الربيع وبرد الزمان فارقوا الماء وبدوا فى طلب الكلأ فى المراعى والصحارى . فهذا هو البادى . يريد أن يذكر كرمهم فى حاضرهم ، ومنعتهم وعزتهم إذا بدوا فى طلب الكلأ ، وتنازع المنتجعون عليه .

٢٦٣ — [1] قال : ونزل رجلٌ من بني حنظلةَ بإبلٍ له عظيمةٍ في جِوار بني سَعْد بن ثعلبة دُودَان بن أسَد بن خُزيمة ، رَهْطِ عمرو بن شَأْس ، فأقام فيهم سنواتٍ ثم رحَل عنهم . فأغارت طَيِّئٌ على إبله فذَهَبوا بها ، فرجع إلى بني سَعْد بن ثعلبة ، فقال : قد بَرِئَتْ ذِمَّتُكم ، ولكنّي أُصِبْتُ ، وقد عَدَتْ عليّ طَيِّئٌ : فركب معه بنو سعدٍ إلى طَيِّئٍ ، فأخذوا أكثرَ إبله وأدَّوْهُ إلى مَأْمَنِه ، فقال عمرو بن شأسٍ :

أَبَأْنا لِقاحَ الحَنْظَلِيِّ بِمِثْلِها ... لِقاحاً — وقُلْنا: دُونَكَ ابْنَ مُكَدَّمِ [2]
وَفاءً ، ولم تُشْرِفْ عليه نُفوسُنا — ... حَناجِرُها كأنَّها صَوْغُ حَنْتَمِ [3]

٢٦٤ — وكان لعمرو ابنٌ يقالُ له عِرارٌ ، من أَمَةٍ سَوْداء ، وكانت امرأته تُؤْذيه وتَسْتَخِفُّ به ، فقال عمرو في كلمة له :

---

(١) هذا الخبر رقم : ٢٦٣ ، أخلت به « م » .

(٢) اللقاح جمع لقوح : وهى الحلوب ، فسميت الإبل لقاحاً . وأباءها ، من البواء : وهو المثل بالمثل يقتل به ، أورد المثل بالمثل . ودونك : خذه فهو ممكن لك حاضر . يقول : رددنا على الحنظلى مثل إبله من إبلنا ، وفاء بجواره . والخبر السابق يدل على أنهم استردوا أكثر الإبل من طىء ، إلا أن يكون جعل بعضها بمنزلة الكل . و « ابن مكدم » ، كأنه هو الرجل من بنى حنظلة .

(٣) أشرفت على الشىء نفسه : حرصت وأشفقت . والضمير فى « عليه » إلى المال ، وهو اللقاح . وسياق الشعر « بمثلها لقاحاً ، حناجرها . . . » وما بينهما اعتراض . وفى المخطوطة « حناجرها » بفتح الراء ، وليس صواباً . والحناجر جمع حنجرة : وهى الحلقوم من العنق . والحنتم : جرار خضر (جمع جرة) أو حمر طويلة كانت تحمل فيها الخمر ، ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم . وقوله « صوغ حنتم » ، بالغين المعجمة ، بمعنى الصيغة ، أى كأنها حنتم مصوغ مسبوك ، يصف ملاسته أعناقها . ولا أدرى هل يجوز أن تكون « صوع » بضم الصاد والعين المهملة جمع صواع : وهو إناء مستطيل ضيق الأعلى واسع الوسط تشرب فيه الخمر . شبه به أعناقها ؟ وأراد بالحنتم الخزف .

أرادتْ عِرَارًا بالهَوَانِ ، ومَنْ يُرِدْ ... عِرَاراً ، لَعَمْرِى ، بالهوانِ فقد ظَلَمْ (١)

وإنَّ عِرَاراً إن يَكُنْ غيرَ وَاضِحٍ ... فإنِّى أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ (٢)

وإنَّ عِرَاراً إن يكُنْ ذا شكيمةٍ ... تلقَّيْتِها منهُ ، فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ (٣)

فإن كُنْتِ مِنِّى ، أو تُرِيدِينَ صُحْبَتِى ... فكُونِى له كالسَّمْنِ رُبَّتْ لَهُ الأَدَمْ (٤)

وَإِلَّا فَسِيرِى مثلَ ماسارَ راكِبٌ ... تَيَمَّمَ خِمْسًا لَيْسَ فى سَيْرِهِ أَمَمْ (٥)

---

(١) قصيدة شريفة من الكلام المنيف ، روى أكثرها صاحب الأغانى ١١ : ١٩٤ ، ثم ص ١٩٦ — ١٩٨ . وانظر الأمالى ٢ : ١٨٩ ، والشعر والشعراء : ٣٨٩ ، والاستيعاب ٢ : ٤٤٢ ، ومنها ثلاثة أبيات استشهد بها سيبويه ١ : ٢٨٩ ، والحماسة ١ : ١٤٩ ، واللسان (شكم) (يمم) .

(٢) واضح : أبيض اللون . والجون : الأسود المشرب حمرة . والعمم : التام الخلق المتلىء . يصف شدته وقوته لتمام منكبيه واستوائهما .

(٣) الشكيمة : شدة النفس وإباؤها وأنفتها . وتلقى الشىء : لقيه واستقبله ، وأراد به ههنا المكروه ، ومنه قيل : « فلان ملقى بالرزايا » ، لا يزال يلقى المكروه مرة بعد مرة . فى المخطوطة : « تلقيتها منى » ، وعلى التاء الثانية فتحة ، ولا أدرى ما هذا ، وأثبت ما فى « م » . ويروى « تقاسينها » و « تعافينها » ، أى تكرهينها . والشيم : جمع شيمة ، الطبيعة والسجية ، يعنى شراسته وذرب لسانه .

(٤) فإن كنت منى : يريد ، فإن كنت من أهل مودتى وحبى وسيرتى . ومثله : «من غشنا فليس منا» . وقولهم : «لست منك ولست منى» ، أى برئت من مودتك وبرئت من مودتى. ثم قال: أو تريدين صحبتى ، يريد أو كان لك أرب فى عشرتى كما يتعاشر الأزواج . والأدم جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ تتخذ منه الرقاق والأوعية ونحوها ، ووعاء السمن خاصة يقال له نحى (بكسر فسكون) . ورب النحى : دهنه بالرب (بضم الراء وتشديد الباء) وهو خلاصة التمر بعد طبخه وعصره . وكانت العرب تدهن وعاء السمن بالرب ليمنع فساده . يقول لها : إن كنت منى أو مبقية على عشرتى ، فارفقى بعرار وأحسنى إليه ، وحاذرى أن تغضبيه بشىء ، كما تستصلحين وعاء السمن حتى لا يفسد عليك .

(٥) الخمس : ورود الإبل فى اليوم الرابع بعد اليوم الذى وردت فيه ، فهى حينئذ ظماء ، فيعجل بها صاحبها إلى شريعة الماء أشد عجلة . والأمم : المقاربة واليسر . والرواية الجيدة : « يتم » ، واليتم : الإبطاء والفتور .

٢٦٥ — وقال عمرٌو فى كلمةٍ له طويلةٍ :

مَتى تَعْرِفِ العَيْنانِ أَطْلالَ دِمْنَةٍ ... لِلَيْلَى بأَعْلَى ذِى مَعارِكَ تَدْمَعَا(١)

عَلَى النَّحْرِ والسِّرْبَالِ حَتَّى تَبُلَّه ... رَشَاشاً، ولم تَجْزَعِ إلى الدَّارِ مَجْزَعَا(٢)

خَلِيلَىَّ عُوجَا اليومَ نَقْضِ لُبانَةً ، ... وإلَّا تَعُوجَا اليَوْمَ لا نَنْطَلِقْ مَعَا(٣)

وإنْ تَنْظُرَانِى اليَوْمَ، أَتْبَعْكُما غَدًا ... أَذَلَّ قِيادًا من جَنِيبٍ وَأَطْوَعَا(٤)

وَقَدْ زَعَما أن قَدْ أَمَلَّ عليهِمَا ... ثَوائِى، وقَوْلِى كُلَّما ارْتَحَلَا أَرْبَعَا(٥)

وَما لَبِثٌ فى الحَىِّ يَوْماً وليلةً ... بِزَائِدِ ما قَدْ فاتَ صَيْفاً وَمَرْبَعَا(٦)

---

(١) روى أبو الفرج الأربعة الأولى فى ١١ : ٢٠٠ ، مع بعض الاختلاف فى اللفظ، وكتاب المنازل لأسامة : ١٩٢ ، ومعجم ما استعجم (ذو معارك).

(٢) الرشاش : ما ترشش من الدمع وقطر . ويروى : « سجوم ». الجزع هنا : الحزن الشديد ، وقال : لم تجزع إلى الدار ، ضمن جزع ، معنى حن واشتاق . يقول : لم يكن ما أصابه شوقا إلى نفس الديار وحزناً عليها ، بل كان شوقه وحزنه إلى ساكنيها الذين فارقوها .

(٣) عاج بالمكان : عطف عليه ومال ، ثم أقام فيه قليلا أو كثيراً . واللبانة : حاجة النفس التى تهمها ، لا من فاقة . وفى المخطوطة : « نقضى » .

(٤) نظر الرجل أخاه وانتظره : أمهله ولم يعجله . والجنيب : الفرس أو الأسير تقوده إلى جنبك ، وكل طائع منقاد جنيب .

(٥) أمل الأمر عليه : طال عليه حتى أبرمه وأضجره . والثواء بالمكان طول الإقامة به ، ثوى به يثوى ثواء . وارتحل : وضع الرحل على بعيره وشده لكى يذهب . وربع يربع : انتظر وتأنى .

(٦) لبث بالمكان : مكث ، لبثا (بضم فسكون) ولبثا (بفتح فسكون) ، ولبثا (بالتحريك) ، وقد كثر فى الشعر وهو الاصل ، ولكن الأولان أكثر فى الكلام ، والصيف : حيث يجتمعون على ماء الحى فى القيظ . والمربع : فى زمن الربيع حيث يجتمعون فى البادية طلبا للمرعى . وفى المخطوطة : « ما قد قلت » بفتح التاء ، وأثبت ما فى « م » .

فَجُودَا لِهِنْدٍ فى الكَرَامةِ مِنْكُمَا　　وإنْ شِئْتُمَا أنْ تَمْنَعَا بَعْدُ فَامْنَعَا[(1)]

٭ ٭ ٭

٢٦٦ — أنقضى خبرُ العَشْرِ الطَّبقاتِ .[(2)]

---

(١) فى الكرامة منكما : فى إكرامكما له من أجلها . وفى «م» : « بجود لهند بالكرامة » ، وهو خطأ .

(٢) هكذا فى المخطوطة ، هنا وفى الذى يليه ، وهو عند الكوفيين صحيح جائز ، وعند البصريين ممتنع ، إذا كانت « الطبقات » مضافة إلى العشر . أما إذا جعلت « الطبقات » عطف بيان ، فأتبعته إعراب العدد ، أى « العشر » فى الرفع والنصب والجر ، فهو جائز لا خلاف فيه . (انظر المقتضب ٢ : ١٧٥ ، والمراجع هناك / المخصص ١٧ : ١٢٦) . ولكن العجيب أنه فى المخطوطة « خبر العشر » بضمة على راء العشر كبيرة . وأما فى «م» هنا ، وفيما يلى ، فإنه «خبر العشر طبقات» بكسرتين تحت التاء ، وهذا غير جائز عندهم .

طبقة أصحاب المراثي (٠)

٢٦٧ – قال : وصيَّرْنا أَصْحابَ المراثى طَبَقَةً بعد العَشْرِ الطَّبَقاتِ .

٢٦٨ — أوَّلُهم : مُتَمِّمُ بن نُوَيْرة بن جَمْرة بن شَدَّاد بن عُبَيْد بن ثَعْلَبَة بن يربوع ، رَثَى أخاه مالكاً .

٢٦٩ — والخَنْساء بنتُ عَمْرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيَّة[1] بن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة ، رَثَتْ أَخَوَيْها صَخْرا ومُعَاوِيَةَ .

٢٧٠ — وأعْشَى باهلة - واسمه عامر بن الحارث بن رِياح[2] بن عبد الله بن زَيْد بن عَمْرو بن سَلاَمة بن ثعلبة بن وائل بن مَعْن — رَثَى المُنْتَشِر بن وَهْبَ بن عَجْلاَن بن سَلَمة بن كَرَاثة[3] بن هِلال بن عمرو

---

(٠) العنوان « طبقة أصحاب المراثى » ، ليس فى أصل ابن سلام ، وإنما زدته توضيحاً .

(١) فى المخطوطة : « عطية » ، بفتح العين وكسر الطاء ، وهو خطأ صرف .

(٢) ما بعد « رياح » من النسب ، أخلت به « م » ، وبعده : « رثى المنتشر بن وهب بن عجلان الباهلى » ، وأخلت بالباقى .

(٣) فى المخطوطة : « كرابة » ، بضم الكاف ، وبالباء ، والصواب من مخطوطات الأنساب، وفى مختصر الجمهرة « كراثه » بضم الكاف ، وفى مخطوطة الجمهرة بفتح الكاف ، وهى غير مضبوطة فى المقتضب ، ولكن ضبط ذلك ابن دريد فى الاشتقاق : ٥٦٣ ، وقال : « كراثة ، ضرب من الشجر ، وليس بالكرات » .

أبن سَلامة بن ثعلبة بن وائل بن مَعْن .[1]

٢٧١ — وكعبُ بن سعد بن عمرو بن عُقبَة — أو عَلْقمة —[2] بن عوف بن رفاعَة ، أحدُ بنى سالم بن عَبيد بن سَعْد بن جِلّان بن غَنْم بن غَنِىّ بن أَعْصُر ، رثى [أخاه أبا المِغْوار .[3]

٢٧٢ — والمقدَّمُ عندنا مُتَمِّم بن نُوَيْرة ،[4] ويُكْنَى أبَا نَهْشل] ، رثَى أخاه مالكَ بن نُوَيْرَةَ ، وكان قتلهُ خالدُ بنُ الوليد بن المغيرة ، حين وجَّهَهُ أبو بكر ، رضى الله عنه ، إلى أهل الرِّدَّة . فمِنَ الحديثِ ماجاء على وَجْهِه ، ومنه ماذَهَب معناه علينا ، للاختلافِ فيه . وحديثُ مالكٍ مما اختُلِفَ فيه فلم نقفْ منه على ما نُريد . وقد سمعتُ فيه أقاويلَ شتّى ، غيرَ أن الذى اسْتقرّ عندنا أنّ عُمَر أنكرَ قتلَه، وقامَ على خالد فيه وأغْلَظ له ، وأن أبا بكر صَفَح عن خالدٍ وقَبِلَ تأوُّله .

---

(١) « معن » أبو باهلة ، وباهلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، من همدان ، خلف عليها معن بعد أبيه ، فولدت له أولاداً ، وحضنت سائر ولده من غيرها . ونسب أعشى باهلة ، مختلف فيه ، انظر المكاثرة : ١٣ .

(٢) أخلت « م » بباقى النسب ، وقفت عند « . . عقبة الغنوى » ، وكان فى المخطوطة « عقبة أو عقبة » ، وهو سهو ، صوابه من معجم الشعراء : ٣٤١ ، وكأنه نقله عن الطبقات .

(٣) كان فى المخطوطة : « رثى مالك بن نويرة ، وكان قتله خالد » ، فأسقط سطراً سهواً فى النقل ، ووضع عليها علامة شك وخطأ ، ولكنه لم يكتب شيئاً . ولما كانت عندى هذه المخطوطة ، رد الله غربتها ، كتبت على هامشها: « إنما هو أبو المغوار ، محمود شاكر » ، وهذا ثابت فى المصورة . وأتممت ما بين القوسين من « م » ، هنا وصدر الخبر التالى .

(٤) يعنى ابن سلام أنه يقدم متمما على أخيه مالك فى الشعر ، وكلاهما شاعر .

٢٧٣ — [١] وكان مالكٌ رجُلاً شريفًا فارسًا شاعراً ، وكانت فيه خُيَلاء وتقدُّمٌ ، وكان ذَا لِمَّة كبيرة ، وكان يقال له الجُفُول . [٢] وقَدِمَ على النَّبى صلى الله عليه وسلم فيمن قَدِمَ من أمثاله من العَرَب ، فولاَّه صَدَقاتِ قَوْمه بنى يربوع . فلمَّا قُبِض النبىُّ صلى الله عليه اُضْطَرَب فيها فلم يُحْمَد أمرُه ، وفرَّق مافى يديه من إبل الصَّدَقة ، [٣] فكلَّمه الأقرَعُ ابن حَابِس المُجاشِعِىُّ والقَعْقاعُ بن مَعْبَد بن زُرارة الدَّارِمىُّ ، [٤] / فقالا له : إنَّ لهذا الأمرِ قائمًا وطالبًا ، فلا تَعْجَلْ بتَفْرِقَة مافى يَدَيك . فقال : [٥]

خرم (ورقة : ٣١)

أَرَانِى اللهُ بالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ ، وقد أَرَانى [٦]

---

(١) هذا الخبر ، روى صدره فى الأغانى ١٥ : ٢٩٨ ، ثم ساق بقيته إلى آخر رقم : ٢٧٤ فى ص : ٣٠٥ ، والزيادة بين القوسين منه .

(٢) الخيلاء : الكبر والعجب . والتقدم : الإقدام والجرأة . قدم وأقدم وتقدم واستقدم ، فى الحرب وغيرها ، كلها بمعنى واحد . واللمة : شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين. وفى المخطوطة « كثيرة » مكان « كبيرة » ، وأثبت مافى « م » والأغانى . وفى معجم الشعراء للمرزبانى : ٣٦٠ ، أنه سمى « الجفول » ، لأنه جفل إبل الصدقة ، أى ذهب بها . وفى هامشه القديم : « المعروف أنه سمى الجفول لكثرة شعره » . قلت : ولعله سمى الجفول لجرأته وإقدامه ، كالريح الجفول ، وهى السريعة تجفل السحاب وتسوقه . وكان مالك من فرسان العرب وشجعانها .

(٣) اضطرب فيها : أفسد أمرها وفعل ما شاء . من قولهم اضطرب : أى تحرك ما شاء . وقوله : « اضطرب » ، ساقطة فى « م » .

(٤) بعد هذا الموضع إلى فقرة : ٢٨٣ خرم ورقة واحدة من المخطوطة .

(٥) انظر الخزانة ١ : ٢٣٦ ، نقلا عن رسالة لأبى رياش ، فيها قصة خالد بن الوليد ، ومالك بن نويرة ، والأبيات ستة هناك . وهو مهم فراجعه .

(٦) ندى الإبل تندية : هو أن يوردها الراعى فتشرب قليلا ، ثم يجىء بها ترعى ، ثم يردها إلى الماء . برقة رحرحان : مكان إلى جوار جبل رحرحان . والبرقة : أرض ذات حجارة وتراب ، وتنبت أسنادها وظهرها البقل والشجر نباتاً كثيراً ، يكون إلى جنبها الروض أحياناً ، فترعى فيه =

تُمَنِّى يَا ابْنَ عَوْذَةَ فى تَمِيمٍ ... وَصَاحِبُكَ الأُقَيْرِعُ، تَلْحَيَانِى [(١)]

تَمَنَّيْتُ تَجِيئَهَا بالسَّيْفِ صَلْتًا ... ولم تَرْعَشْ يَدَاىَ ولا بَنَانِى [(٢)]

عَوْذَةُ: يعنى أمَّ القعقاع، [وهى معاذة: بنت ضِرَار بن عمرو]. [(٣)]

٢٧٤ — وقال:

وقلتُ: خُذُوا أَمْوَالَكم غيرَ خائفٍ ... ولا ناظرٍ فيما يَجِئُ مِنَ الغَدِ

فإن قامَ بالأمرِ المَخُوِّفِ قائمٌ ... مَنَعْنا، وقلنا: الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدِ [(٤)]

٢٧٥ — فطرَقَ خالدٌ مالكاً وقومَهُ — وهم على ماءٍ لهم يُقال له البَعُوضَةُ — تحتَ اللَّيل، فذَعَرَهم، وأخذوا السِّلاحَ. فكان فى حُجَّةِ خالد عليهم، أنَّه أَنْظَرَهم إلى وَقْتِ الأذانِ فلم يَسْمَعْ أذاناً. وتقول بنو تميم:

الإثم. وقوله: «أرانى الله . .»، يدعو أن يرى نفسه قادراً على التصرف فى هذه الأيام كما يشاء، ثم يقول: وقد كان، وأنا أفعل به ما أشاء.

(١) لحيت الرجل ألحاه: لمته وعنفته وقبحت فعله.

(٢) صلتا: مصلتا من غمده. رعشت يده (بكسر العين) ترعش، وقد يبنى للمجهول: ارتعدت واضطربت من الخوف أو غيره. ورواية أبى رياش «ولا جنانى».

(٣) فى خبر أبى رياش، زعم أن الذى لام مالكا هو «ضرار بن القعقاع بن معبد»، فلذلك قال: «عوذة أم ضرار بن القعقاع»، وهذا باطل، لأن الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو «القعقاع» فى وفد بنى تميم، وكان ضرار ابنه، وكان صغيراً، لا يبلغ أن يقول لمالك بن نويرة شيئاً، وأبوه سيد بنى دارم تيار الفرات حى، له السيادة. وقال أبو رياش: «عوذة، أم ضرار ابن القعقاع، وهى معاذة بنت ضرار بن عمرو الضبي»، وهو غير صحيح كما ترى.

(٤) الأمر المخوف: الذى خوفتمونى به. والدين هنا: الطاعة، يقول: نمنع أن نعطى بأيدينا، ونقول لهذا القائم بالأمر: إنما كانت الطاعة لمحمد وحده. وكذب. وفى معجم الشعراء: ٣٦٠، والإصابة فى ترجمته: «أطعنا، وقلنا . . .». وأشار بقوله: «فإن قام . . . قائم»، إلى ما سلف فى الفقرة السالفة.

إنّه لمّا هَجَم عليهم خالدٌ قال : من أنتُم ؟ قالوا : المسلمون . قال : ونحنُ المسلمون ، فما بَالُ السلاح ؟ قالوا : ذَعَرْتُمُونا ! قال : فَضَعُوا السِّلاح .

٢٧٦ والمُجتَمعُ عليه : أن خالداً حَاوَره ورَادَّه ،[1] وأن مالكاً سَمَحَ بالصَّلاةِ وَالْتَوَى بالزكاة . فقال خالد : أمَا علمتَ أنَّ الصلاةَ والزَّكاةَ معاً ، لا تُقْبلُ واحدةٌ دُون الأُخْرى ؟ قال : قَدْ كان يقولُ ذلك صاحِبُكم ! قال : وَما تَرَاه لك صَاحِباً ؟ والله لقد هَمَمْتُ أن أضرب عُنُقك . ثم تَحَاولا ،[2] فقال له خالد : إنّى قاتِلُك . قال : وبذَا أَمَرَك صَاحِبُك ؟ قال : وهذِه بَعْدُ ! والله لا أُقِيلُك .

٢٧٧ - فيقول من عَذَرَ مالكاً : إنه أراد بقوله : « صاحِبُك » ، أنه أرَاد القُرَشيَّة .[3] وتأوَّل خالدٌ غيرَ ذلك فقال : إنّه إنكارٌ منه للنُّبُوَّة . وتقول : بنو مَخْزوم : إنّ عمرَو بنَ العاص قال لخالد — وقد كان لقِيَه وهو مُنْصرِفٌ من عُمَان ، وكان النبي صلى الله عليه وجَّهَه إلى ابنِ الجُلَنْدَى — فقال لخالد : يا أبا سُلَيمان ، إن رَأَتْ عيْنُك مَالِكاً فلا تُزَايِلْهُ حتى تَقْتُلَه.[4]

---

(١) راده القول : نازعه ورد عليه وراجعه فيه .

(٢) « التحاول » ، التحاور والتنازع ، وقد سلف ذلك فى شعر رقم : ١٨٣ ، وفسرته هناك .

(٣) يعنى أنه أراد أنه صاحبك من قريش ، كما يقال : أخوك ، إذا كان من أهل بلدك أو قبيلتك .

(٤) لا تزايله : لا تدعه ولا تفارقه . وقد صح فى كتب السير وغيرها أن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ، إلى جيفر بن الجلندى ملك عمان وأخيه عبد بن الجلندى كانت فى ذى القعدة سنة ثمان من الهجرة ، فقرآ كتابه رسول الله وأسلما ، وبقى عمرو بن العاص =

٢٧٨ — وكان خالد يحتجّ على مالكٍ بأشعاره التى كتبْنا . وكلّم أبو قَتادة الأنْصَارىّ خالداً فى ذلك كلاماً شَديداً فلم يَقبلْه ، فآلَى يَمِينًا أن لا يسيرُ تحتَ رايةٍ أميرُها خالدٌ أبداً . وقال له عبدالله بن عُمَر ، وهو فى القوم يومَئذٍ : يا خالدُ ، أبَعْدَ شَهادةِ أبى قَتَادة؟ فأعرض عنه . ثم عاودَهُ ، فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، اُسكُتْ عن هذا ، فإنّى أعلمُ ما لا تَعلم. فأمر ضِرارَ بن الأزْوَر الأسَدىَّ بضَرْب عُنُقه ، ففعل .

٢٧٩ — [(١)] قال ابن سلّام : سمعنى يونس يوماً أُرَادُّ التَّميمية فى خالدٍ وأُعْذِرُه ، فقال : يا أبا عبد الله ، أما سمعتَ بسَاقَىْ أمِّ تَميمٍ؟ — وصارت أمُّ تَميم إلى خَالدٍ بنِكاحٍ أو سِباء ، [(٢)] وعابَهُ عليهِ عمرُ ابن الخطاب قال : قَتَلتَ امرأً مسلِماً وثَبْتَ على امرأته بعَقْرَباء ، يوم بنى حَنِيفة . [(٣)]

٢٨٠ — قال : ومِن أحسنِ ما سمعت من عُذْرِ خَالدٍ ، ما ذكروا أنَّ عمر قال لمُتَمِّم بن نُوَيْرة : ما بلغ من جَزَعِك على أخِيك؟ — وكان متمّم

= هناك ، يحكم بين الناس ويجمع الصدقات ، يأخذها من أغنيائهم ويردها على فقرائهم ، وبقى مقيماً حتى توفى رسول الله . فهذا غريب جداً . وانظر الأغانى ١٥ : ٣٠٥ ، فإنه اختصر لفظ ابن سلام .

(١) رواه فى الأغانى مختصراً ١٥ : ٣٠٦ .

(٢) زاد فى الأغانى : « وكان يقال إنه لم ير أحسن من ساقيها » ، وأم تميم هى امرأة مالك.

(٣) عقرباء : فى طرف ، من أرض اليمامة ، خرج إليها مسيلمة كذاب بنى حنيفة ، لما سمع بمسير خالد إليه . وبها وقعت وقائع أيام الردة .

أعْوَر ـ قال : بكيتُ عليه بعَيْنِيَ الصَّحيحة حتى نَفِدَ ماؤُها ، فأسْعَدَتْها أُختُها الذَّاهبة .[١] فقال : عمر لو كنتُ شاعراً لقُلْتُ في أخي أجْوَدَ ممّا قُلْتَ .[٢] قال يا أمير المؤمنين ، لو كان أخي أُصِيبَ مُصَابَ أخِيكَ ما بكيتُه . فقال عمر : ما عَزّاني أحدٌ عنه بأحسنَ ممّا عزَّيْتَني .

٢٨١ — وبَكى مُتَمِّمٌ مالكاً فأكْثَرَ وأجادَ ، والمقدَّمة منهنّ قوله :

لَعمْرِي وما دَهْرِي بتَأْبِينِ هَالكٍ   [ولا جَزَعٍ ممَّا أصابَ وأوْجَعَا][٣]

— قال ابن سلّام : وأخبرني يونس بن حبيب : أنَّ التأبين مَدْحُ الميّت والثناء عليه ،[٤] قال رؤبة :

« فَامْدَحْ بِلالاً غيرَ مَا مُؤَبَّنِ »[٥]

— والمَدْحُ للحَيّ .

* * *

(١) أسعده : أعانه وساعده على جهة المشاركة والمجاملة .

(٢) روى المبرد في التعازي والمراثي ما يوضح هذه العبارة أن عمر قال : « لوددت أنك رثيت أخي بما رثيت به أخاك . فقال له : يا أبا حفص ، لو علمت أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته ! يقول : إن أخاك قتل شهيداً » . ثم قال أبو العباس : « وفي حديث آخر أنه رثى زيد بن الخطاب فلم يجد ، فقال عمر : لم أرك رثيت زيداً كما رثيت أخاك مالكا ؟ فقال : إنه والله يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد » . وانظر أمالي اليزيدي : ٢٥ ـ ٢٦ . واختصر الخبر صاحب الأغاني في كلمات .

(٣) المفضليات : ٥٢٦ ، وأمالي اليزيدي : ١٨ .

(٤) هذا التفسير ، نقله المرزباني في معجم الشعراء : ٣٦١ .

(٥) ديوانه : ١٦٢ ، وقوله : « غير ما مؤبن » ، أي غير هالك ، يدعو له بطول البقاء .

٢٨٢ — وبَكَتِ الخنساء أخويْها صَخْراً ومُعاوية . فأمّا صخرٌ فقَتَلتْهُ بنُو أسَد ، وأما مُعاوية فقتلته بنو مُرّةِ غَطَفان .[١] فقالت في صخرٍ كلمتَها التي تقول فيها :

وإنّ صَخْراً لَتَأْتَمّ الهُداةُ بِهِ … كأنّه عَلَمٌ في رَأْسه نارُ[٢]

وقالت في مُعاوية :

ألَا ما لِعَيْنِكِ أمْ مَالَها ؟ … لَقَدْ أخْضَلَ الدّمْعُ سِرْبالَها[٣]

وقالت في صَخْر الكلمةَ الأُخْرَى :

أمِنْ حَدَثِ الأيّامِ عَيْنُكَ تَهْمُلُ … وتَبْكي على صَخْرٍ ، وفي الدّهْرِ مَذْهَلُ[٤]

ه ه ه

٢٨٣ — وأعشَى باهلة ، رَثَى المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهليّ ، قتيلَ بني الحارث بن كَعْب فقال في كلمته :[٥]

---

(١) في « م » : « بنو مرة بن غطفان » ، وهو خطأ .

(٢) ديوانها : ٨٠ .

(٣) ديوانها : ١٢٠ .

(٤) ديوانها : ١٨٣ . هملت عينه تهمل : أذرت دمعها . مذهل : سبب للتسلية والذهول عن المصيبة .

(٥) هذا آخر الخرم الذي بدأ في الفقرة : ٢٧٣ ، ويبدأ الاعتماد على مخطوطتنا . وقاتل المنتشر من بني الحارث بن كعب هو : « هند بن أسماء بن مرسوع بن الضباب (وهو سلمة) بن الحارث ابن ربيعة بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة ، من مذحج » . وهذا قول ابن الكلبي ، ورأيت في كتابه أيضاً أن قاتله هو : « أسماء بن هاعان (عاهان) بن الشيطان بن أبي ربيعة بن خيثمة (وهو الحارث) بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب » ، فلا أدري كيف وقع له ذلك في صفحات متجاورات

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ، ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَإِنْ لَمْ يَغْزُ، يُنْتَظَرُ(١)

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَجَعٍ ... وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ(٢)

إِنِّي أَشُدُّ حَزِيمِي، ثُمَّ يُدْرِكُنِي ... مِنْكَ الْبَلَاءُ وَمِنْ آلَائِكَ الذِّكَرُ(٣)

فَإِنْ جَزِعْنَا، فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعَنَا، ... وَإِنْ صَبَرْنَا، فَإِنَّا مَعْشَرٌ صُبُرُ(٤)

إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلاً كُنْتَ سَالِكَهَا ... فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدَنْكَ اللَّهُ مُنْتَشِرُ(٥)

---

(١) قصيدة عربية محكمة فى ديوان الأعشين : ٢٦٦، والأصمعيات : ٣٢، واليزيدى فى أماليه : ١٣ — وشرحها أبو العباس المبرد فى الكامل ٢ : ٢٩٠ – ٢٩٣ وسواها ، وقال اليزيدى فى أماليه : « يقال إنها لدعجاء أخت المنتشر » ، وقال الشريف فى أماليه ٢ : ٢٤ ، « وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر ، وقيل لليلى أخته » . والأبيات هنا على غير سياقه الرواية . ولـ« م » خلاف فى بعض ألفاظ الشعر . جاءوا من كل أوب : أى من كل طريق وناحية ، يقول : إن الناس أبداً فى خوف من أن يمسيهم أو يصبحهم بغزوة ، فهم يتوقعون سقوطه عليهم من كل ناحية ، وإن كان هو وادعاً فى مكانه لم يهمم بغزو ولا خروج . وهذا وصف لهيبته فى كل أرض ، ولإيلافه مفاجأة أعدائه .

(٢) غمز ساقه وغيرها : عصرها وكبسها بيده ، من وجع أو تعب يرجو الراحة ويعين على زوال مايجد . والأين : الإعياء والتعب . واقتفر الأثر : اقتفاه وتتبعه ، وهو من فعل الأدلاء فى البوادى . يصفه بالجلد والقوة والهداية والبصر ، فهو إذا أعيي أصحابه وتعبوا ، لم يجد تعباً يحوجه إلى غمز ساقه وتكبيسها ، وهو إمامهم وهاديهم فى الفلاة المجهولة ، لا يكل ولا يضعف ولاينام.

(٣) هذا من رثائه وبكائه على أخيه — والمنتشر أخوه لأمه . الحزيم والحيزوم : الصدر والوسط حيث تلتقى الجوانح ويشد الحزام . يقال : شد للأمر حزيمه أو حيازيمه ، إذا استعد له كما يفعل الناس من شد الحزام عند التأهب لعمل شىء . ومآله أنه وطن نفسه عليه وصبر له . بلوت الرجل أبلوه بلاء : اختبرته وجربته . وسمى مااعتاده الرجل نفسه من صنع جميل ومعروف وصبر فى القتال ، بلاء ، لأنه يجرب منه ويعرف . والآلاء : النعم والمكارم . يقول : لاأزال أوطن نفسى على الرزيئة فيك ، والصبر على فقدك ، ثم يغلبنى على تصبرى ما بلوته من دفاعك وذيادك عن أهلك وعشيرتك ، ثم يردنى إلى الجزع عليك ما يذكرنى بك من إحسانك ومعروفك .

(٤) يقول : لا عار علينا فى الجزع عليك ، فأى بلوى شر أعظم من الفجيعة فيك . وإن اعتصمنا بالصبر ، فإننا من قوم بنوا على الصبر والجلد ، فهو أشرف بنا من الجزع ، إلا فى مثلك .

(٥) يعنى سبيل الموت التى لا محيد لأحد عنها . وقوله : « فلا يبعدنك الله منتشر » ، دعاء جار على ألسنة العرب فى ذكر الموتى ، يراد به لايبعدك الله عن خير جزائه وفضله ، كما كنت فى حياتك أهلا للخير والفضل .

لا يُصْعِبُ الأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ ، وكُلَّ أَمْرٍ سِوَى الفَحْشاءِ يأْتَمِرُ [1]

* * *

٢٨٤ — والرابعُ : كَعْبُ بن سَعْد الغَنَوِيّ ، [2] رثَى أخاهُ أبا المِغْوار بكلمةٍ قال فيها :

فَخَبَّرْتُمانى أَنَّما الموتُ بالقُرَى ، فكيفَ ، وهٰذِى رَوْضَةٌ وكَثِيبُ ! [3]

وماءِ سَماءٍ كان غَيْرَ مَحَمَّةٍ [بِدَاوِيَّةٍ تَجْرِى عليه جَنوبُ] [4]

[ومَنْزِلَةٍ فى دَارِ صِدْقٍ وغِبْطَةٍ] وما اقْتَالَ فى حُكْمٍ عَلَىَّ طَبِيبُ [5]

---

(١) هذا بيت فى غير موضعه ، فإنه عاد إلى صفة المنتشر : أصعب الأمر يصعبه ، وجده صعباً . وقد مضى مثله فى الفقرة : ١٢٨ ، يقول : لا يتوقف فى النظر إلى أمر يوافقه صعباً إلا بقدر مايعجل إليه فيركبه ، كأن قال : لا يتوقف قليلا ولا كثيراً . ائتمر بالشىء : هم به وعزم عليه نفسه ، فأمرته بأمرها ، أى أطاعها . يقول : هو لبعد همته يهم بكل خير ، ولا يهم بفحشاء ولا تؤامره نفسه عليها .

(٢) فى المخطوطة : « كعب بن أسد » ، سهو .

(٣) وهذه أخرى من بارع كلام العرب ونبيله . رواها الأصمعى فى الأصمعيات : ١١٣ وصاحب جمهرة أشعار العرب : ١٣٣ ، والقالى فى أماليه ٢ : ١٤٧ وما بعدها . وكان خرج بأخيه من المدن إلى البادية لمرض كان بالمدينة ، كما يستظهر من الشعر . يقول : زعمتم أن القرى وبيئة ، وأن الموت كامن فيها ، فكيف مات إذن وهذه روضة ، وهذا كثيب رمل ، فى حيث لا يكمن الموت فى البنيان ؟ (انظر تفسير الطبرى ١٤ : ١٤٥) .

(٤) فى المخطوطتين : البيت ملفق من صدر هذا وعجز الذى بعده ، فرددته إلى صوابه . أرض محمة : ذات حمى . والداوية : الفلاة المتباعدة التى تدوى فيها الرياح . يقول : وهذا أيضاً غدير من ماء السماء ، فى فلاة متراحبة ، تصفق ماءه ريح الجنوب ، ولم تكثر عليه غاشية الناس ومساكنهم ، فتطمئن عندئذ عليه الحمى وتتلبس به .

(٥) اقتال : تحكم . وهذا أيضاً منزل نزلناه فى أرض بريئة من العيب ، غبطة من العيش ، ولا طبيب بها يتحكم ويدعى ، فكيف إذن غاله الموت وقد أبعدنا المذهب عنه ؟

[فلو كانَتِ المَوْتَى تُباعُ اشْتَرَيْتُه ... بِمالم تَــكُنْ عنهالنُّفُوس تَطِيبُ](١)

بِعَيْنَىَّ أو كِلْتَا يَدَىَّ ، وقيل لى : ... هُوَ الغانِمُ الجَذْلانُ حين يَؤُوبُ(٢)

ودَاعٍ دَعَا: يامَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى؟ ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عند ذَاكَ مُجِيبُ(٣)

فقُلْتُ: ادْعُ أُخْرَى وارْفَعِ الصَّوْتَ دَعْوَةً ... لعلَّ أَبَا المِغْوارِ مِنْكَ قَرِيبُ

---

(١) زدت هذا البيت لأن الذى بعده متعلق به . يقول : لو كان ميت يفتدى بأغلى مال لافتديته بكرائم ماتضن بها النفوس . ثم ذكرها بعد .

(٢) يقول : لافتديته بعينى أو كلتا يدى ، ولقال الناس إذا فعلت : هذا الذى غنم وفاز بما اشترى ، وإذا آب إلى أهله ، فقد آب بالخير كله ، فهو خليق أن يفرح ، وإن فقد عينيه ، أو كلتا يديه ، فهو كفاء لهما ويزيد .

(٣) دعانى فاستجبته : أى أجبت دعاءه . والندى : السخاء والكرم .



شعراءُ القُرى العَربيَّة (٠)

٢٨٥ — وهي خمسٌ: المدينةُ، ومكَّةُ، والطائفُ، (١) واليمامة، والبَحْرَين. وأشعرُهُن قَرْيَةُ المدينةُ. شُعَراؤُها الفحولُ خمسةٌ: ثلاثةٌ من الخَزْرَج، واثنان من الأوْس.

٢٨٦ — فمن الخَزْرَج، من بني النَّجَّار: (٢) حسّانُ بن ثابت.

٢٨٧ — ومن بني سَلِمَةَ: كعبُ بن مالك.

٢٨٨ — ومن بَلْحَارث بن الخَزْرج: عبدُ الله بن رَوَاحة.

٢٨٩ — ومن الأوس: قَيْس بن الخَطِيم، من بني ظَفَر.

٢٩٠ — وأبو قَيْس بن الأسْلَت، من بني عَمْرو بن عَوْف.

* * *

٢٩١ — أشعرهم حسّان بن ثابت. وهو كَثِيرُ الشّعر جيّدُه، وقد حُمل عليه مالم يُحْمل على أحَد. لمّا تَعاضَهتْ قريش وَاسْتَبّتْ، وضعوا عليه أشعاراً كَثِيرةً لا تُنَقّى. (٣)

---

(٠) في «م»: «شعراء القرى العربية، وهن خمس ...».

(١) في المخطوطة: «وطائف» بلا تعريف.

(٢) في المخطوطة: «بني نجار»، بلا تعريف.

(٣) حمل عليه: نسب إليه وليس له. وتعاضهوا: تناهشوا ورمى بعضهم بعض بالعضيهة، وهي الإفك والبهتان والشتيمة. وفي «م»: «لاتليق به».

٢٩٢ — وكان أبوه ثابت بن المُنْذِر بن حَرَام ، من سادة قوْمِه وأشرافهم . والمُنْذِرُ الحاكِمُ بين الأوس والخَزْرَج فى يوم سُمَيحة — وهو يومٌ من أيامِهم مشهورٌ ، // وكانوا حكَّموا فى دِمائهم يَوْمَئذ مالكَ بن العَجْلان بن سالم بن عَوْف ، فتَعَدَّى فى مَوْلًى له قُتِلَ يومَئِذٍ ، وقال : لا آخذُ فيه إلا دِيَةَ الصَّرِيح .[1] فأبَوْا أن يرضَوْا بحُكْمه ، فحكّموا المُنْذِرَ بن حَرَام ، فحكم بأن هَدَر دِماءَ قَوْمِه الخزرجِ ،[2] واحتَمَل دِماء الأَوْس ، فذكره حَسّان فى شِعْرِه فى قصيدتِه التى قال فيها :

« مَنَعَ النَّوْمَ بالعِشاء الهُمُومُ »[3]

٢٩٣ — وأَسَرت مُزَيْنَة ثابتاً ، أبا حَسّان ، فعرَض عليهم الفِداءَ ، فقالوا : لا نُفَادِيكَ إلا بتَيْس ! — ومُزَيْنَة تُسَبُّ بالتُّيُوس — فأبَى وأَبَوْا . فلمّا طَال مُكْثُه ، أرسل إلَى قومِه : أَنْ أَعطُوهم أخاهُم ، وخُذُوا أخاكُم .

٢٩٤ —[4] وحدثنى يَزيد بن عِياض بن جُعْدُبَة أن النبىّ صلى الله عليه

---

(١) تعدى فى حكمه : جاوز الحق وجار واشتط . وقوله : « فى مولى » : « فى » للتعليل ، أى بسبب مولى . والصريح : الخالص النسب ، من أنفسهم .

(٢) فى « م » : « أهدر » ، يقال : « هدر دمه وأهدره » ، أبطله وأباحه بلا قود ولا عقل ولا إدراك ثأر .

(٣) ديوانه : ٣٧٦ ، (٤٠) ، وسيرة ابن هشام ٣ : ١٥٦ ، يهجو ابن الزبعرى ، ويذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد . والبيت الذى عناه قوله :

وأبى فى سميحة القائل الفا صل يوم التقت عليه الخصوم

التقت عليه : رضيت به وأجمعت على تحكيمه .

(٤) من : ٢٩٤ إلى آخر : ٢٩٦ ، أخلت به « م » .

لما قدِمَ المدينةَ ، تناولَته قريشٌ بالهجاء ، فقال لعبد الله بن رَوَاحة : رُدَّ عنّى . فذهب فى قَدِيمهم وأوّلهم ، فلم يَصْنع فى الهجاء شيئاً . فأمر كَعْب ابن مالك ، فذَكَر الحرب ، كقوله :

نصِلُ السُّيوفَ إذا قَصُرنَ بخَطْونا   قُدُمًا ، ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ[1]

فلم يصنع فى الهجاء شيئًا . فدعا حسَّانَ بن ثابتٍ فقال : اُهْجُهم ، وأْتِ أبا بكر يُخْبِرْك — أىْ بِمَعائِبِ القَوْم . وكان أبو بكر عَلاَّمةَ قُرَيش ، وكان جُبَيْر بن مُطْعِم أَخذ العلمَ عن أبى بكر .

٢٩٥ — شعبة ، عن عدىّ بن ثابت الأنصارىّ : أنه سمع البَرَاء بن عازب الأنصارىّ يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه : اُهجُهم — أو هَاجِهِمْ — وجبريلُ معك .[2]

٢٩٦ — قال ابن جُعْدُبة فى حديثه : وأخرج حسّان لسانَه حتى ضَرَبَ بهِ على صَدْرِه وقال : والله يارسُولَ الله ، ما أُحِبُّ أنّ لِى به مِقْوَلاً فِى العَرَب . فصُبَّ على قريشٍ منه شآبيبُ شرّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه : اُهجُهم ، كأنّك تنضَحُهم بالنَّبْلِ .[3]

---

(١) شعر كعب بن مالك : ٢٤٤ — ٢٤٧ .

(٢) حديث شعبة ، رواه البخارى بلفظه فى كتاب بدء الخلق ، وفى كتاب المغازى ، وفى كتاب الأدب ، ورواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة ، ورواه أحمد فى المسند ٤ : ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٣) المقول : اللسان يقول فيجيد القول. الشآبيب جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر فيها برد =

٢٩٧ — ومن شعره الرائع [الجيِّد] ، مامدحَ به بنى جَفْنة من غَسّانَ ، ملوكَ الشّام فى كلمة :

للهِ دَرُّ عِصــابةٍ نادَمْتُهُمْ	يومًا بجِلّقَ فى الزّمانِ الأوّلِ[1]
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ	بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[2]
/ يُغْشَوْنَ ، حتّى ماتَهِرُّ كِلابُهُمْ ،	لايَسْأَلون عن السَّوادِ المُقْبِلِ[3]
أوْلادُ جَفْنةَ عِنْدَ قَبْرِ أبيهِمُ	قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ[4]

٣٣

٢٩٨ — وقال فى الكلمة الأخرى الطّويلة :

= نضح القوم بالنبل نضحاً : رشقهم به رشقاً متفرقاً. أمره بأن يجرحهم جرحاً لا يبلغ الطعن البعيد الفاحش . وهذا أكرم الأدب فى الهجاء . وانظر صحيح مسلم ، باب فضائل الصحابة .

(١) ديوانه : ٣٠٨ (٧٤ ، ٧٥) وفيه تخريجه وأخباره . جلق : ، بتشديد اللام وكسرها ، دمشق أو ربض من أرباضها ، كثيرة الحدائق .

(٢) فى المخطوطة : « ما ورد البريض » بالضاد المعجمة ، وفيها أيضاً « برداً » ، منونة ، وفى « م » ، « خمراً » . البريص : نهر دمشق ، أو الغوطة . صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء حتى يصفو . والرحيق : أعتق الخمر وأفضلها . والسلسل : اللين الصافى ، الذى إذا شرب تسلسل فى الحلق من لطفه . وكأنهم كانوا يمزجون بعض الخمر بالخمر ، لاختلاف أنواعها . وفى البيت روايات أخرى .

(٣) هر الكلب يهر هريراً : نبح ، وهو يفعل ذلك إذا رأى غريباً لم يألفه . والسواد : شخص كل شىء ، تراه من بعيد لا تكاد تتبينه ما هو . يذكرهم بالكرم ، حتى ألفت كلابهم غشيان الضيوف فهى لاتنبح أحداً ، وبالسماحة والنبل والرزانة ، فلا يشغلهم سواد مقبل من بعيد ، فيسألون ما هو ، لأنه ضيف على الرحب والسعة .

(٤) فى المخطوطة فوق : « عند » : « حول » ، كما فى « م » . جفنة بن عمرو مزيقياء ، جد ملوك غسان . وأبوهم هنا الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، ملك الشام . وأمه مارية ذات القرطين بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . والمفضل ، من أفضل الرجل على فلان : إذا أحسن وأناله من فضله تطوله ، حتى يبلغ الغاية .

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى ، وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[1]

[أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف إلا تكلما][2]

٢٩٩ — وقوله :

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالماً من الناس ، إلا ما جنى ، لسعيدُ[3]

٣٠٠ — ولما قال للحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي :

وأمانة المرّيّ حيث لقيته مثل الزجاجة صدعها لم يُجبَرِ[4]

قال الحارث : يا محمد ، أجرني من شعر حسان ، فوالله لو مُزج به ماء البحر مزجه .

---

(١) ديوانه : ٣٧١ (٣٤ — ٣٦) ، وأخلت المخطوطة بالبيت الثاني ، وهو ثابت في « م » . الجفنات جمع جفنة : وهي القصعة الكبيرة . والغر : البيض المتلألئة . يذكر كرمهم وعناية طباخيهم بإعداد أداة الطعام للناس عامة . والنجدة : الشجاعة وسرعة المبادرة إلى من استغاث بك . يذكر بأسهم وكثرة قتالهم ، وإجابتهم دعوة كل ملهوف أو مهضوم .

(٢) الخنا : الفحش وقبيح الكلام . المعروف : الإحسان الجميل وكل ما تعرفه النفس من الخير والمروءات ، فتطمئن إليه وترتاح . يقول : نزهنا فعل المعروف عن لخش الألسنة ، فلا ينطق ناطق منا إلا بجميل القول وكريمه .

(٣) لهذا البيت قصة مذكورة في ديوانه : ١٤١ — ١٤٢ ، (٤١٤) وهو من الأبيات التي تنازعتها الشعراء .

(٤) ديوانه : ١٣٧ ، وفيه التخريج ، ويزاد عليه ، تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٤٩ . كان الحرث بن عوف قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، فأرسل معه رسول الله رجلا من الأنصار إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، فقتلوه ، ولم يستطع الحارث أن يدافع عنه . فهجاه حسان ، فجاء الحارث يعتذر إلى رسول الله ، وقال ما قال .

٣٠١ — وأشعار حسّان وأحاديثُه كثيرة .

٭ ٭ ٭

٣٠٢ — وكعبُ بن مَالكٍ ، شاعرٌ مُجيد . قال يوم أُحُدٍ في كلمةٍ :

فَجِئْنَا إلى مَوْجٍ من البَحْرِ وَسْطَهُ ... أحابيشُ ، منهم حَاسِرٌ ومُقَنَّعُ [1]

ثلاثةُ آلافٍ ، ونحنُ نَصِيَّةٌ ... ثَلاثُ مِئِينَ، إن كَثُرْنا ، وأَرْبَعُ [2]

— وكانوا سبعمئة .

فَرَاحُوا سِراعًا مُوجِفِينَ ، كأنَّهُمْ ... جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ [3]

ورُحْنَا وأُخْرَانَا تَطَانَا ، كأنَّنا ... أُسُودٌ على لَحْمٍ ببِيشَةَ ظُلَّعُ [4]

٣٠٣ — وقال كعب في أيّام الخَنْدَقِ :

---

(١) ديوانه : ٢٢٢ - ٢٢٩ ، وتخريجها هناك ، ويزاد عليه تفسير الطبرى ١٣ : ٥٣٠ ، وابن هشام فى سيرته ٣ : ١٣٩ — ١٤٢ . أحابيش قريش : وذلك أن بنى المصطلق وبنى الهون ابن خزيمة اجتمعوا فى الجاهلية عند جبل بأسفل مكة يقال له حبشى (بضم فسكون وياء النسبة) فحالفوا قريشا ، وتحالفوا بالله : إنا ليد على غيرنا ، ما سجا ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشى مكانه . فسموا أحابيش قريش باسم الجبل (انظر المحبر : ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ونسب قريش : ٩) . وقد ساقت قريش أحابيشها لوقعة أحد ، وكان مع قريش سبعمئة دراع . الحاسر : الذى لا درع له ولا بيضة على رأسه . والمقنع : الدارع الذى دخل فى سلاحه ، ولبس البيضة على رأسه .

(٢) ثلاثة آلاف ، عدة قريش يوم أحد . وعدة المسلمين : سبعمئه . والنصية : الخيار والأشراف . ومنه انتصى الشيء : اختاره ، كأنه اختار نواصيه وأكرم ما فيه .

(٣) أوجف يوجف : أسرع ، من الوجيف : وهو سير سريع مضطرب . وفى « م » : « مرجفين » . والجهام : السحاب الخفيف الذى أفرغ ماءه . يقول : انقلبوا راجعين خائفين مسرعين كأنهم سحاب خفيف أراق ماءه ، فضربته الريح فانكشف وأقلع مسرعاً .

(٤) فى المخطوطة : « تطانا » ، كما أثبتها ، سهل « تطأنا » ، من « الوطء » ، يقول : أخرانا تطؤ أولهم من بطئهم لكثرتهم . والرواية المشهورة : « بطاء » ، من البطؤ ، يقول : وأما نحن فمدنا بعد القتال مطمئنين نسير بطاء ، كأننا أسود أكلت حتى تضلعت من فرائسها ، فهى تمشى مثقلة تغمز فى سيرها . والظلع : غمز فى المشية كبعض سير الأعرج . وبيشة : مسبعة فى واد كثير الشجر على خمس مراحل من مكة فى طريق اليمن .

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بَعْضُهُ ... بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الأَبَاءِ المُحْرَقِ[١]

فَلْيَأْتِ مَأْسَدَةً تُسَلُّ سُيُوفُهَا ... بَيْنَ المَذَادِ وَبَيْنَ جِزْعِ الخَنْدَقِ[٢]

٣٠٤ — وقال بعد ذلك فى كلمة أيضاً :

قَضَيْنَا من تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ ... وخَيْبَرَ ، ثُمّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا[٣]

نُخَيِّرُها ، ولو نَطَقَت لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ : دَوْسًا أو ثَقِيفَا[٤]

فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ إنْ لَمْ تَرَوْهَا ... بِساحَةِ دَارِكُم مِنَّا أُلُوفَا[٥]

فَنَنْتَزِعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ وَجٍّ ، ... وَنَتْرُكُ دَارَكُم مِنَّا خُلُوفَا[٦]

---

(١) ديوانه : ٢٤٤ — ٢٤٧ ، وابن هشام ٣ : ٢٧٣ - ٢٧٥ ، رعبله بالسيف : قطعه ومزقه . والمعمعة : صوت لهب النار فى القصب والسعف الموقد . والأباء : أجمة القصب . يصف اختلاط أصوات السيوف والكماة ووقع أقدام الخيل وتداعى الناس فى المعركة .

(٢) أرض مأسدة : كثيرة الأسود ، تسكن أجمها وقصبها . والمذاد : موضع بالمدينة عنده حفر الخندق ، فى يوم الأحزاب . وجزع الوادى : جانبه ومنعطفه . فى المخطوطة تحت « تسل » « تسن » وهى رواية .

(٣) ديوانه : ٢٣٤ — ٢٣٧ ، سيرة ابن هشام ٤ : ١٢١ — ١٢٣ ، شرح نهج البلاغة ٤ : ٢٠٧ ، اللسان (ريب) ، قالها بعد مرجع رسول الله من حنين ، وفى مسيره إلى الطائف . « تهامة » ، هى الأرض المنخفضة التى تساير البحر قبل مكة . وأراد موقعة حنين بها . و « الريب » ، الحاجة (وانظر ما سيأتى رقم : ٩١٦) . وفى « م » : « كل وتر » ، (بكسر أو فتح فسكون) . وهو الثأر . وقضى وتره : أدركه . ويروى : « كل نذر » ، وهو ما ينذره المرء على نفسه ويوجبه . وكلاها فى المعنى سواء . وفى المخطوطة . « أجمنا » وفوقها « أغمدنا » ، رواية أخرى ، وهى فى « م » . « أجم نفسه إجماماً » ، أراحها ، يعنى أراحوا السيوف فأغمدوها .

(٤) دوس وثقيف : هما القبيلتان المشهورتان ، ثقيف بالطائف ، ودوس بجبال السراة .

(٥) فى « م » ، وفى السيرة « لحاضن » بالضاد المعجمة . وهى فى المخطوطة بالصاد ، وهذا هو الصواب ، وسيأتى مثلها فى فقرة : ٣١٣ . والحاصن والحصان (بفتح الحاء) : المرأة العفيفة الكريمة يقول : لست ولد هذه الحصان العفيفة ، إذا لم أحقق ما أتوعدكم به من الشر .

(٦) عرش الكرم : ما تدعم به قضبان الكرم . والجمع عروش . ووج : هى الطائف ونواحيها ، وهى كثيرة الأعناب مشهورتها . يهددهم باقتلاع كرومهم وإحراقها . أما الشطر الثانى —

وَنُرْدِى اللّاتَ والعُزّى وَوَدّا   ونَسْلُبُها القَلائِدَ والشُّنوفَا[١]

٣٠٥ — حدثنى عُمر بن مُعاذ التَّيمى المَعْمرى وغيره ،[٢] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك : أَتُرَى الله نَسِىَ لك قولك :

زَعَمتْ سَخِينةُ أنْ سَتَغْلِبُ رَبَّها ،   وَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ[٣]

٣٠٦ — // وكان أحدَ الثّلاثة الّذين تخلّفوا عن تبُوك ، هو وهِلاَل ابن أُمَيّة ومُرَارة بن الرَّبيع ، فتاب الله عليهم ، كما قصّ فى سورة بَرَاءة .[٤]

[٥] ويروَى أن قومَه قالوا فى ذلك : لو اعتذرتَ إلى رَسُول الله

= فهكذا جاء فى ابن سلام ، ومثله فى شرح التصحيف : ٤٠٢ . و « من » فى قوله « منا » كأنها للتعليل ، أى من فعلنا بكم . ورواية السيرة : « وتصبح دوركم منكم خلوفاً » ، وهى أجود قليلا . يقال : حى خلوف فارقه الرجال ولم يبق غير النساء . يقول : سنقتل رجالكم وتئيم نساؤكم فى دوركم .

(١) أصنام فى الجاهلية ، هدمها الله بالإسلام . والعزى كانت تقلد القلائد ، وهى السموط . والشنوف جمع شنف (بفتح فسكون) ، وهو القرط الأعلى يلبس فى قوف الأذن ، أما القرط فى شحمة الأذن فهو الرعثة ، وجمعه رعاث . وفى « م » : « ونهدم ما بناه اللات منكم » ، وليست بشىء .

(٢) « عمر بن معاذ التيمى . . » ، سلف « عمرو بن معاذ . . » رقم : ١١٥ ، ١٥٤ . وهذا الخبر رواه صاحب كتاب الزينة ١ : ١٠٦ بنصه ، وفيه « عمر بن معاذ . . . »

(٣) ديوانه : ١٧٨ — ١٨٢ ، وابن هشام فى سيرته ٣ : ٢٧١ — ٢٧٣ فى أمر الخندق ، ويرد على ابن الزبعرى . وقد مضى الكلام فى تلقيب قريش « سخينة » ، رقم : ١٧٨ تعليق : ٣ .

(٤) سورة التوبة : ١١٨ . هذا وفى المخطوطتين جميعا : « والربيع بن مرارة » ، وهو خطأ لاشك فيه .

(٥) من هنا إلى آخر الخبر ، أخلت به « م » .

صلى الله عليه ببعض مايَعتذِر به الناس ، عَذَرك . قال : إنى لَأَسنَهُم لِساناً وأقدرُهُم على ذلك ،[1] ولكنْ والله لا أَعتذِر إليه بكَذِبٍ وإن عذَرنى ، فيُطلِعه الله عليه . فيقال : إن الله عز وجلّ أنزَل فيه : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة : ١١٩] . وشهِد العَقَبة ولم يشهَدْ بدراً .

○ ○ ○

٣٠٧ — وعبدُ الله بن رَوَاحة ، عظيمُ القَدْر فى قومه ، سَيِّدٌ فى الجاهليَّة ، ليس فى طَبَقته التى ذكرنا أَسْوَدُ منه . شهد بدْراً .[2] وكان فى حروبهم فى الجاهلية يُناقِض قَيْسَ بن الخَطيم . وكان فى الإسْلاَم عظيمَ القَدَر والمَكانة عندَ رسول الله صلى الله عليه .

٣٠٨ — [3] وقال عبدُ الله بن رَوَاحة ، وهو آخِذٌ بزِمَام ناقةِ رسول الله صلى الله عليه فى عُمْرة القَضَاء ، يَقُودها ، وقد اجتمع أهلُ مَكَّة وغِلمانُهم ينظُرون إليه ، وهو يقول :

خَلُّوا بَنِى الكُفَّار عن سَبِيلِهِ ، خَلُّوا ، فكلُّ الخيرِ مَعْ رَسُولِهِ[4]

---

(١) يقال رجل سنع اللسان (بفتحتين) ، يقال للشاعر ولكل مبين ، أى حاذق بليغ اللسان.

(٢) أسود منه . أقعد منه فى السؤدد والشرف . وانظر رقم : ٣٧ ، ص: ٢٨ تعليق : ٢ .

(٣) الخبران : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، أخلت بهما « م » .

(٤) عمرة القضاء ، فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة . والرجز رواه ابن هشام بزيادة واختلاف ٤ : ١٣ ، وابن سعد ٣ / ٢ : ٨٠ ، والاستيعاب ٤ : ٤٤٣ ، ومجمع الزوائد ٦ : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٨ : ١٣٠ ، وديوانه : ١٠١ .

نَحنُ ضَرَبناكُمْ على تأوِيلِهِ ... كما ضَربناكُمْ على تنزِيلِهِ[1]

ضَرْباً يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذهِلُ الخليلَ عن خَليلِهِ[2]

٣٠٩ — وأرسلَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَوَاحة ، مُنْصَرَفَهُ من العُمْرَة ، فَخَرَصَ على أهل خَيْبر ، فقال لهم لمّا شَكَوْا الخَرْصَ: فنحنُ نأخذُها بذلك . قالوا : بهذا قامتِ السَّمٰوات والأرضُ .[3]

---

(١) قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر فى هذا اليوم . والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل . إنما يقتل على التأويل ، من أقر بالتنزيل». وانظر رجز عمار بن ياسر فى كتاب وقعة صفين : ٣٨٦ . وهذا خطل من القول ، تهاوى فيه المؤلفون على سقطات ابن هشام . ليس المراد بالتأويل فى البيت تفسير الكلام الذى تختلف معانيه ، بل التأويل هنا هو ما يؤول إليه نبأ الله لنبيه ، ومصير المؤمنين إلى ما وعدهم به ، كما فى قوله تعالى «هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله » . ويقول عبدة بن الطبيب (شرح المفضليات : ٢٦٩ ، ٢٧٠) :

وللأحبّة أيامٌ تذَكَّرُها ... وللنَّوَى قَبْلَ يومِ البَيْنِ تأويلُ

« تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع» . وقول عبد الله إشارة إلى ما كان فى عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست — قبل عمرة القضاء بسنة — من خروج رسول الله إلى عمرته وساق الهدى ، لرؤيا رآها صلى الله عليه وسلم ، أنه دخل البيت آمنا ، وحلق رأسه ، وأخذ مفتاح الكعبة وعرف مع المعرفين . فلما رجع عن دخول مكة بصلح الحديبية ، فتن المسلمون ، وكرهوا الصلح حتى كرهه عمر بن الخطاب . فأنزل الله على رسوله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا » . فمن عام قابل أمر رسول الله أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم ، ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية . فهذا هو التأويل ، وما صارت إليه موعدة الله لرسوله . وسقط قول ابن هشام .

(٢) الهام جمع هامة : وهى الرأس . ومقيل الرأس : مغرزه بين الكتفين .

(٣) الخرص : تقدير ما على الشجر من الثمار بالظن لا بالإحاطة . ورواية ابن سلام للخبر مختصرة غير واضحة ، وهى فى كتب السير وغيرها ، ورواها أحمد فى المسند ٣ : ٣٦٧ عن جابر ابن عبد الله وأن ابن رواحة قال : « يا معشر اليهود ، أنتم أبغض خلق الله إلى ، قتلتم أنبياء الله عز وجل ، وكذبتم على الله ، وليس يحملنى بغضى إياكم على أن أحيف عليكم . قد خرصت ألف وسق من تمر ، فإن شئتم فلكم ، وإن أبيتم فلى . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، قد أخذنا ، فاخرجوا عنا » .

٣١٠ — وقد روى عُمَر بن أبي زائدة قال : سمعت مُدْرِكَ بن عُمارة ابن عُقْبة بن أبي مُعَيْط يقول :[1] قال عبد الله بن رواحة : مررتُ بمسْجِد رسول الله صلى الله عليه وهو فى نَفَرٍ من أصحابه ، فأَضَبَّ القومُ :[2] ياعبدَ الله بنَ رواحة ! يا عبد الله بن رواحة ! فعرفت أنّ رَسُول الله صلى الله عليه دَعانى، فانطلقتُ إليهم مسرِعاً ، فسلَّمتُ ، فقال: هٰهُنا . فجلستُ بين يَدَيه فقال — كأنه يتعجّب من شِعْري : كيف تقولُ الشِّعْر إذا قُلْتَه ؟ قلتُ : أنظُر فى ذٰلك ثُمَّ أقول . قال : فعليك بالمشرِكين . قال : فلم أكنْ أعددْتُ شيئاً ، فأنشدتُه ، فلمّا قلتُ :

٣٤ / فَخَبِّرُونِى أَثْمانَ العَبَاءِ ، متَى كُنْتُم بَطَارِيقَ، أودَانتْ لكم مُضَرُ ؟[3]

قال : فكأنى عرَفْتُ فى وَجْه رسول الله صلى الله عليه الكراهةَ إذْ جعلْتُ قومَهُ « أَثْمانَ العَبَاء » ، فقلت :

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهم ، فِينَا النَّبيُّ ، وفينا تُنْزَلُ السُّوَرُ[4]

---

(١) ابن سعد ٣ / ٢ : ٨٠ ، وكتاب الزينة ١ : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ومجمع الزوائد ٨ : ١٢٤ ، ١٢٥ ، وقال « رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات ، إلا أنه مدرك بن عمارة لم يدرك ابن رواحة » ، وسير أعلام النبلاء ١ : ١٦٨ ، وديوانه : ٩٣ .

(٢) أضب القوم : صاحوا وجلبوا وتكلموا كلاماً متتابعاً .

(٣) رواه الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٢٦ ، وابن سعد فى الطبقات ٣ / ٢ : ٨١ . وهو يهجو بنى عمر بن مخزوم وغيرهم من قريش ، العباء : كساء جاف غليظ ، فجعلهم أثمان العباء ، فى الخسة . البطاريق جمع بطريق : القائد الحاذق بالحرب وأمورها .

(٤) هذا البيت والذى يليه ، لم يرد فى الآمدى ولا ابن سعد . وأما ابن هشام فروى البيت الرابع والسادس فى ٤ : ١٦ . وجالد بالسيف : ضارب به . ويقال : «خرجوا يضربون الناس عن عرض » ، أى عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا .

وقد علمتم بأنّا ليس غالبَنا ... حيٌّ من الناس، إنْ عزُّوا وإن كثُروا
يا هاشمَ الخيرِ إنّ الله فضّلكم ... على البريّة فضلاً ما لَه غِيَرُ[1]
إنّى تفرّستُ فيك الخيرَ أعرفُه ... فراسةً خالفتْهُم فى الذى نظَرُوا
ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضَهُمُ ... فى جُلِّ أمرِك ما آوَوْا وما نصَرُوا[2]
فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ ... تثبيتَ موسى، ونصراً كالذى نُصِرُوا[3]

فأقبلَ علىٌّ بوجهه متبسمًا. ثم قال: وإيّاكَ فثبَّتَ الله.

٣١١ — وأرسَله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مُؤْتة ثالثَ ثلاثةِ أُمَراءَ: زيدِ بن حارثة، وجعفرِ بن أبى طالب، وابن رَواحة. فلما قُتِل صاحباه، كأنه تكرَّه الإقدام فقال:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلنَّهْ ... طائعةً أوْ لا لَتُكْرَهِنَّهْ[4]
[وطالما قد كُنْتِ مُطمئِنّهْ] ... مالِى أراكِ تكرهينَ الجنّهْ؟

فقُتِلَ يومئذٍ.

* * *

٣١٢ — وأبو قيس بن الأَسْلَت، وهو شاعرٌ مُجيدٌ، وهو الذى يقول فى حربٍ بينهم وبين الخزرج:

---

(١) الغير: التغيير والتغير، وهو اسم بمنزلة عنب، وليس له مفرد.

(٢) بعضهم: يريد بنى عمر بن مخزوم ومن هجا من قريش. والأبيات غير متسقة الترتيب.

(٣) رواية ابن هشام والآمدى: «فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا».

(٤) ابن هشام ٤: ٢١، ابن سعد ٣/٢: ٨٢، وديوانه: ١٠٨، والثالث أخلت به المخطوطة، وهو فى «م».

قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رأْسِي، فَمَا ... أَطْعَمُ نَوْماً غَيْرَ تَهْجَاعِ[1]

أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنِي مَالِكٍ، ... كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ[2]

٣١٣ — [3] وهو يقول في قصيدة :

فَلَسْتُ لِحَاصِنٍ، إنْ لَمْ تَرَوْنَا ... نُجَالِدُكُمْ كَأَنَّا شَرْبُ خَمْرِ[4]

مَلَكْنَا النَّاسَ، قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ، ... فَلَمْ نُغْلَبْ، وَلَمْ نُسْبَقْ بِوِتْرِ[5]

تَمَتَّعْنَا بِالإِقَامَةِ، ثُمَّ سِرْنَا ... مَسِيرَ حُذَيْفَةِ الخَيْرِ بْنِ بَدْرِ[6]

٣١٤ — وذكروا أنه أقبل يُرِيد النبي صلى الله عليه، فقال له عبدالله ابن أُبَيّ : خِفْتَ واللهِ سُيوفَ الخزرج ! قال : لاجَرَم، [والله] لا أُسْلِم حَوْلاً. فمات في الحَوْل.

* * *

(١) المفضليات : ٥٦٤ وديوانه : ٧٧ — ٨٢. والحرب التي كانت، حرب بعاث، حصت رأسه : أذهبت شعره وجردته. والبيضة : من أداة الحرب، لباس من حديد للرأس. هجع هجوعاً وتهجاعاً : نام نومة خفيفة من أول الليل.

(٢) سعى على عياله : قام بأمرهم وتصرف لهم. وجل الشيء : أكثره. وبنو مالك : هم بنو مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، قوم أبي قيس بن الأسلت.

(٣) هذا الخبر أخلت به « م ».

(٤) هكذا رواها ابن سلام، لأبي قيس بن الأسلت، ولم أجدها له. بيد أني وجدتها في شعر قيس بن الخطيم ديوانه : ١١٩ — ١٢٤، في قصيدة له قالها في يوم مضرس ومعبس. قوله : « لحاصن » انظر رقم : ٣٠٤.

(٥) لم نسبق بوتر : لم يفتنا من نسعى في الثأر منه.

(٦) حذيفة بن بدر الفزاري، وهذا البيت مدح له، إلا أني رأيت قيساً هجاه في شعره بعد في ديوانه : ١٢٧.

٣١٥ — // قَيْسُ بن الخَطِيم شاعرٌ، فمن الناس من يُفضِّله على حسَّان شعراً — ولا أقولُ ذلك .

٣١٦ — وهُو الذى يقول يومَ بُعَاث :

أتعرِفُ رَسْمًا كاطِّرادِ المَذاهِبِ ... لِعَمْرَةَ، قَفْراً غيرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ[1]

— عَمْرةُ : بنتُ رَوَاحة ، أختُ عبد الله بن رَوَاحة ، وهى أمُّ النُّعمانِ ابنِ بَشِيرٍ الأنصارىّ .

دِيارُ الَّتى كادتْ ونحنُ على مِنًى ، ... تَحُلُّ بنا ، لَوْلا نَجاءُ الرَّكائبِ[2]

تَراءت لَنا كالشَّمْسِ تحتَ غَمامةٍ ... بَدَا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ

ولَمْ أَرَهَا إلَّا ثَلاثًا عَلَى مِنًى ، ... وعَهْدِى بها عَذْراءَ ذاتَ ذَوائبِ

ومِثْلِكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيستْ بكَنَّةٍ ... ولا جَارةٍ ولا حَلِيلةِ صَاحِبِ[3]

---

(١) ديوانه : ٣٣ — ٥١ . الرسم : ما شخص من آثار الديار بعد البلى . والمذاهب جمع مذهب (بضم الميم وفتح الهاء) : جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها فى إثر بعض فكأنها متتابعة . واطرادها ، تتابعها ، كما يطرد الماء بعضه فى إثر بعض . يستنكر ما أصاب الدار حتى أنكرها ، وبقيت رسومها بعد المطر والرياح ترى من بعيد كأنما يطرد بعضها فى إثر بعض ، وأقفرت لولا موقف هذا الراكب الذى عاج عليها . يعنى نفسه .

(٢) تحل بنا : تجعلنا نحل وننزل ، عاقبت الباء الهمزة . حل به المكان وأحله المكان : أنزله . فى « م » ضبط « تحل » بضم التاء وكسر الحاء ، على معنى الزيادة ، أى تحلنا . والنجاء : سرعة السير . يقول : كادت عمرة أن تحملنى على الإقامة أبداً فى منى ، من شدة فتنتى بها وحبى لها ، ولولا نفرة الناس عن منى بعد قضاء حجهم وتفرقهم إلى بلادهم ، لكنت خليقاً أن أقيم .

(٣) أصبى المرأة يصبيها ، فتنها وحملها على الصبوة واللهو والغزل . تمدح بفتنة أمثالها وإصبائهن ، ثم تنزه عن أن يفعل ذلك بكنة ، وهى امرأة الأخ ؛ وبالجارة ، وهى التى نزلت فى جواره وحماه ، وبحليلة صاحبه ، وهى زوجته . وهذا خلق الجاهلية التى يعيبها من لا يحسن الفهم من أهل زماننا .

أَرِبْتُ بِدَفْعِ الحَرْبِ، حتّى رأيتُها ... عَلَى الدَّفْعِ لاتَزْدَادُ غيرَ تَقَارُبِ [١]

فلمَّا رأيتُ الحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ ... لَبِسْتُ مع البُرْدَيْنِ ثَوْبَ المُحَارِبِ [٢]

مُضَاعَفَةً يَغْشَى الأَنَامِلَ رَيْعُهَا ... كأَنَّ قَتِيرَهَا عُيُونُ الجَنَادِبِ [٣]

إذَا مافَرَرْنَا كان أَسْوَأَ فَرِّنَا ... صُدُودُ الخُدُودِ وازْوِرَارُ المَنَاكِبِ [٤]

٣١٧ — وهو الذى يقول :

تَرَاءَتْ لنا يومَ الرَّحِيلِ بِمُقْلَتَيْ ... غَرِيرٍ بِمُلْتَفٍّ مِنَ السِّدْرِ مُفْرَدِ [٥]

وَجِيدٍ كجِيدِ الرِّئْمِ حَالٍ، يَزِينُهُ ... عَلَى النَّحْرِ مَنْظُومٌ وفَصْلُ زَبَرْجَدِ [٦]

---

(١) أرب بالشيء : بلغ فيه جهده وغاية دهائه وفطنته . يقول : بذلت جهدى واجتهدت حيلتى فى دفع هذه الحرب .

(٢) تجردت : تعرت وألقت قناعها وتكشفت عن هولها . البردان : ثياب الناس فى السلم، وثوب المحارب : درعه . يقول : لما رأيت الحرب قد تعرت بهولها ، عجلت فلم أبال أن أخلع ثياب السلم التى كنت أسعى فيها فى الصلح ، ولبست درعى للقتال .

(٣) فى « م » : « ذيلها » ، ورواية الديوان « فضلها » ولا بأس بها . وريع الدرع : فضول كميها على أطراف الأنامل . والقتير رؤوس مسامير الدرع . والجنادب جمع جندب : ضرب من الجراد . وعيون الجراد قائمة بارزة براقة . وفى « م » : « قتيريها » بالتثنية ، قال القزاز فى « مايجوز للشاعر فى الضرورة ١ : ٧١٨ : « يصف الدرع ، فقال « قتيريها » ، يريد قتيرها ... ولكنه ثنى على ماذكرنا »

(٤) فى « م » «أسوا فرارنا» ، «أسوا» سهل أسوأ . يصف قومه بالصبر فى القتال والجرأة عليه ، وما هو إلا صدود بالخد وميل بالمنكب ، للتمكن من ضرب العدو أو طعنه أو اتقائه .

(٥) ديوانه : ٦٩ ــ ٧٧ . تراءت لنا : تعرضت لنا لنراها . والغرير : ولد الظبية الشادن من الغرة ، وهى قلة التجربة . والسدر : ضرب من شجر النبق . يقول : إنها تنظر إليهم بعينين ساجيتين بريئتين مذعورتين كعينى الشادن الغرير أودعته أمه بين أغصان السدر مفرداً وحيداً ، فذلك أشد لذعره مع غرارته .

(٦) الرئم : الظبى الخالص البياض . والظبى أحسن الحيوان جيداً فى طوله ورقة نافته . يقول : على جيدها حلى من الدر منظوم بفصل بين حباته حب الزبرجد .

كأنَّ الثُّريَّا فوقَ ثُغْرَةِ نَحْرِها ... تَوَقُّدُ فى الظَّلْماءِ أىَّ تَوَقُّدِ[1]

وإنِّى لأغنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّفٍ ... يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وليْسَ بمُهْتَدِى

أُكَثِّرُ أهْلِى من عِيالٍ سِوَاهُمُ ... وأَطْوِى على الماءِ القَرَاحِ المُبَرَّدِ[2]

٣١٨ — وقال :

طَعَنْتُ ابنَ عَبْدِ القَيْسِ طَعْنَةَ ثائرٍ ... لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا[3]

٣١٩ — وكان قيسٌ مُقيماً على شِرْكه ، وأسلَمت امرأتُه ، وكان يقال لها حَوَّاء ،[4] فكان يَصُدُّها عن الإسلام ويَعْبَثُ بها ، يأتيها وهى ساجدةٌ فيَقلِبُها على رأسها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وهو بمكَّة قبل

---

(١) الثريا : نجوم متدانية شديدة البريق . وثغرة النحر : تلك الهزمة التى بين الترقوتين كأنها نقرة . يصف هذا المكان من جيدها ، يكاد يضىء من صفائه عند مجرى الحلى . وهو كذلك إذا رأيته فى المرأة الرقيقة الصافية .

(٢) هذا بيت لم يرو فى ديوانه ، وهو ثابت فى شعر حسان ، ديوانه : ٢٤ . يتمدح ببره بالفقير والجار فى زمن الجدب والشتاء ، فهو يشركهم مع عياله فى زادهم ، ويجوع هو ، فلا يطوى بطنه إلا على الماء الخالص مع شدة برده زمن الشتاء .

(٣) ديوانه : ٣ — ١٤ ، أبيات مختارة من عيون الشعر ، قالها فى ثأره لمقتل أبيه وجده وهو صغير . قتل أباه رجل من الخزرج ، هو ابن عبد القيس هذا . والنفذ : المنفذ . يعنى أنها طعنة نجلاء فتقت جلده فتقاً رغيباً ، وفى « م » « لها نقب » بالقاف والباء مفتوحتان ، ولا أعلم لها أصلاً ولا ما تكون . ولكن ذكر للتبريزى فى شرح الحماسة ١ : ٩٥ قال : « ويروى : نفث ، (بفتحتين) ، يعنى ما نفثت الطعنة من الدم » ، فهذا أشبه بأن يكون تصحيفاً فى « م » . « لولا الشعاع » ، وهو ما يتطاير من سنن الدم وانتشاره ، أضاء جوفها نور النهار . والفاعل فى « أضاءها » مردود إلى مفهوم من السياق ، وهو الضوء والنور .

(٤) هى « حواء بنت يزيد بن السكن بن كريز بن زعوراء بن عبد الأشهل » ، وهى أخت « رافع بن يزيد » رضى الله عنهما ، انظر ابن سعد ٨ : ٢٣٧ ، والمحبر ٤١٦ ، وغيرهما.

الهِجْرة ، يَسْأَلُ عن أَمْرِ الأَنصارِ وعنْ حالهم ، [١] فأُخْبِر بإسْلامها ، وما تَلَـقّى من قيس . فلمّا كان المَوْسِم ، أتاهُ صلى الله عليه فى مِضْرَبِه ، [٢] فلما رأى النبىّ صلى الله عليه رَحَّب به وأعْظَمه. فقال له النبىّ صلى الله عليه : إنّ امرأتك قد أسْلَمتْ ، وإنَّك تُؤْذِيها ، فأُحِبّ أن لا تَعْرِض لَهـا . / قال : نَعَمْ وكَرَامةً يا أبا القاسم ، لستُ بعائدٍ فى شىءٍ تـكرهُه .فلما قَدِم المدينةَ قال لها : إنَّ صاحِبَك قدْ لَقِيَنِي ، فطلَب إلىَّ أن لاَ أَعْرِض لكِ ، فَشَأْنَكِ وأمْرَكِ .

٣٥

---

(١) فى « م » : « يخبر عن أمور الأنصار » ، بضم الياء ، وتشديد الباء المفتوحة .

(٢) المضرب : الفسطاط العظيم . وفى المخطوطتين بفتح الميم ، وقد ذكر صاحب التاج كلاماً فى ضبطه ، فراجعه ، وكتب اللغة على ماضبطته بـكسر الميم وفتح الراء .

شُعَرَاءُ مكة (*)

٣٢٠ — وبمكّةَ شعَراء ، فأبرَعُهم شعراً :

٣٢١ — عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى بن قَيْس بن عَدِيّ [بن سعد] بن سَهْم.(١)

٣٢٢ — وأبو طَالب بن عبدِ المُطَّلِب ، شاعرٌ.

٣٢٣ — والزَّبَيْر بن عبد المطَّلِب ، شاعرٌ.(٢)

٣٢٤ — وأبو سُفْيَان بن الحارث ، شاعرٌ.

٣٢٥ — ومُسَافر بن أبي عَمْرو بن أُمَيّة ، شاعر.(٣)

٣٢٦ — وضِرَار بن الخطَّاب الفِهْريّ ، شاعرٌ .

(*) هذا العنوان زيادة من عندى .

(١) فى المخطوطة : « . . . عدى بن سهم » ، بإسقاط « بن سعد » ، ولعله سهو ، وفى « م » : « . . . عدى بن ربيعة بن سعد بن سهم » ، زاد « بن ربيعة » ، وجميع كتب النسب والتراجم ، فيها ما أثبت ، إلا ابن هشام فى السيرة ١ : ٥٩ ، فإنه كتب : « . . . الزبعرى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعد . . . » ، فزاد « بن عدى » ، وأظنه خطأ ناسخ .

(٢) « الزبير بن عبد المطلب . . » ساقط من « م » ، ولكنه مذكور فيما سيأتى بعد رقم : ٣٣٧ وفى ضبط اسمه ، قال الوزير المغربى فى الإيناس : « الزبير (يعنى بفتح الزاى وكسر الباء) فى قريش : الزبير ، مفتوح الزاى ، فى قول أحمد بن يحيى البلاذرى ، والباقون كلهم على ضمها » (أى ضم الزاى وفتح الباء ، مصغراً) .

(٣) مسافر بن أبى عمرو ، مذكور فيهما جميعاً . ولكن لم يرد من أخباره شىء فى « م » . وأما المخطوطة فلا أدرى ، فإنها انخرمت منذ رقم : ٣٤٨ ، فلعله كان مذكوراً فى موضع هناك .

٣٢٧ — وأبو عَزَّةَ الْجُمَحِيّ، شاعرٌ، واسمه عَمْرو بن عَبْد الله.[1]

٣٢٨ — وعَبْدُ الله بن حُذَافة السَّهْمِيُّ، الْمُمَزَّق.[2]

---

(١) م، ب: «عمر بن عبد الله»، وهو خطأ.

(٢) «عبد الله بن حذافة السهمى»، صحابى قديم الإسلام، من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى بكتابه، فزق كسرى كتاب رسول الله. فقال حين بلغه ذلك من فعله: مزق ملكه. وهو الذى سأل رسول الله: من أبى يا رسول الله؟ قال: أبوك حذافة بن قيس، أنجبت أم حذافة، الولد للفراش. فقالت له أمه: أى بنى! لقد قمت اليوم بأمك مقاماً عظيما! فكيف لو قال الأخرى؟ قال: أردت أن أبدى ما فى نفسى. وكانت فيه دعابة، رضى الله عنه وغفر له. مات فى خلافة عثمان. ولم أجد أحداً سماه «الممزق» فى شىء من كتب الصحابة والتراجم — إلا ما نقله الآمدى فى المؤتلف والمختلف عن ابن سلام (١٨٥) فى باب «من يقال له الممزق بالفتح، والممزق بالكسر». وهذا النقل دال على أن مافى نص المخطوطتين هنا قديم، ليس حادثاً من ناسخ أو من تصحيفه. ولا أدرى أهو خطأ من ابن سلام نفسه، أم هو خطأ من أبى خليفة، أم من بعض الرواة عنه؟

وذلك أنى لم أجد فى شىء من تراجم «عبد الله بن حذافة» من نسبه إلى الشعر، ولم أجد له رواية شعر. والذى قاله الآمدى نقلا عن ابن سلام دال على هذا الخطأ، فمن المستحسن أن أنقل نص الآمدى:

«وكان عبد الله بن حذافة السهمىّ، سهم بن عمرو بن هصيص، أحدَ شعراء قريش، يقال له: «الْمُمَزَّق». ذكر ذلك ابن سلام الجمحىّ فى شعراء مكة، وهو القائل:

وتِلْكُمْ قريشٌ تجحدُ الله حقّهُ ... كما جَحَدتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ

فإن أنا لم أبْرِقْ، فلا يَسَعَنَّنى ... من اللهُ بَرٌّ ذو فضاء ولا بحرُ»

فالاستشهاد بهذين البيتين يدل على أنه يقال له «المبرق» (بضم فسكون فكسر) لا «الممزق»، فهذا أول فساد ظاهر، فيما قاله الآمدى. وقد أجمعت كتب التراجم والصحابة والشعر، على أن «المبرق» هو «عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى»، وكان من مهاجرة الحبشة أيضاً، وقتل يوم الطائف شهيداً، وكان شاعراً، وسمى «المبرق» لبيت قاله، وذكروا البيت السالف، (ابن هشام ٢: ٣٥٣ — ٣٥٥ / وجمهرة نسب قريش للزبير بن بكار رقم: ٢٨٨٢ — ٢٨٨٥ / ونسب قريش لمصعب: ٤٠١ / ابن سعد ٤ / ١ / ١٣٩ / الاستيعاب، أسد الغابة، الإصابة).

٣٢٩ — وهُبَيْرَةُ بن أبي وَهْب بن عَامر بن عَائِذ بن عِمْرَان بن مَخْزُوم.

° ° °

٣٣٠ — قال ، حدَّثني شُعَيْب بن صَخْر وأبو بكر الزُّبَيْرِيّ المُصْعَبِيّ ، قال : أصبحَ النَّاس يوماً بمكَّة وعلى دار النَّدْوة مكتوب :

أَلْهَى قُصَيًّا عن المَجْدِ الأَسَاطِيرُ ... ورِشْوَةٌ مثل ما تُرْشَى السَّفَاسِيرُ[1]

= ونقل في الإصابة عن المرزباني مثل ما قال الآمدي في ترجمة « عبد الله بن الحارث »، وسماه « المبرق » ، وذكر ذلك أيضاً في ترجمة « ربيعة بن ليث بن حدرجان بن عباس بن ليث » وقال : « المعروف بالمبرق » وسمى ذلك لقوله : فإن أنا لم أبرق . . . ، وذكر الشعر ثم قال : « ذكره المرزباني ، وذكرها في ترجمة عبد الله بن الحارث بن قيس السهمي ، وذكر أن نسبتها له أثبت ».

وإذن ، ففي نص ابن سلام خطأ قديم ،لا أدري كيف جاء ، وإنما صوابه : « وعبد الله بن الحارث السهمي المُبْرِق » ، وقد وقع في المخطوطة خرم في آخر أخبار « أبي عزة الجمحي رقم : ٣٤٨ ، وأما « م » فإنها أخلت بذكره بين « أبي عزة الجمحي » و « هبيرة بن أبي وهب » كما سترى ، رقم: ٣٥١ ورقم : ٣٥٢ .

(١) قصي : أراد بني عبد مناف بن قصي بن كلاب، وكان في بني عبد مناف البيت والشرف. والاساطير جمع أسطورة : وهي أباطيل الأحاديث والأقاويل تؤلف وتنمق . ولعله أراد بذلك ما تعارفته قريش من غلبة قصي على أمر مكة بعد إخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت ، وتجميعه قبائل فهر فسمي مجمعاً ، وتمليك قومه له ، واتخاذه دار الندوة التي كانت قريش تقضي فيها أمورها ، إلى غير ذلك مما يذكرونه في مناقبه . والسفاسير جمع سفسير : وهو السمسار الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع . وأراد بالرشوة ، ما فرضه قصي على قريش في أموالها عند كل موسم من الحج ، فكانوا يخرجون كل عام من أموالهم خرجاً يدفعونه إلى قصي ، فيصنع طعاماً للناس أيام منى ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، فجرى ذلك من أمره أيام الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى الإسلام عليه ، فيصنع السلطان طعاماً للحاج بمنى حتى ينقضي الحج . وهذا الذي يعرف باسم « الرفادة » . فسمى ابن الزبعرى هذه المكرمة رشوة .

هذا ولم أجد البيتين إلا في هذا المكان فيما علمت ، إلا البيت الأول ، رواه صاحب الروض الأنف ١ : ٩٤ ، عن ابن إسحق في رواية يونس عنه . ورواية الشطر الثاني :

« ومِشْيَةٌ مثل ما تَمْشِي الشَّقَارِير »

ولم أعرف لقوله « الشقارير » معنى ، ولم أتبين له تصحيفاً ، ولعله « السفاسير » ، وأراد بقوله ذلك ، سعي السمسار بين البائع والمشتري . يعير بني قصي بهذه الرفادة التي يسعون في جمعها من قريش.

وأَكْلُها اللَّحْمَ بَحْتاً لاخَليطَ لَهُ ... وقَوْلُها: رَحَلَتْ عِيرٌ مَضَتْ عِيرُ[1]

فأنكَرَ النّاسُ ذلك، وقالُوا: ما قالها إلّا ابنُ الزِّبَعْرَى! أجمع على ذلك رَأْيُهم، فمَشَوْا إلى بنى سَهْم — وكان ممّا تُنْكر قريشٌ وتُعاقِبُ عليه، أن يهجُوَ بعضُها بعضاً[2] — فقالوا لبنى سَهْم: أَدفَعُوه إلينا نَحْكُمْ فيه بحُكْمِنا. قالوا: وما الحُكْم فيه؟ قالوا: نقطعُ لِسانَهُ. قالوا: فشأْنَكُم، وأعلَمُوا واللهِ أنّه لايَهْجُونا رجُلٌ منكم إلّا فعَلْنا به مثلَ ذلك.[3] والزُّبَيْر

---

(١) يقال، أكل اللحم بحتاً: أى صرفاً بغير خبز، لغناهم وترفهم واقتدارهم. وإن من أدوائهم «الجحاف»، وهو مشى البطن عن تخمة أو وجع يأخذ عن أكل اللحم بحتاً قال الراجز:

أَرُفْقَةٌ تَشْكو الجُحافَ والقَبَصْ ... جُلُودُهُمْ أَلْيَنُ من مَسِّ القُمُصْ

وفى المخطوطة ما أثبت، ولكن ماف «م» أجود، وهو قوله «وقولها: رحلت عير، أتت عير»، يعنى أن أبناء قصى مقيمون فى مكة لايخرجون إلى التجارة، وإنما هم يتلقون التجار ويترقبونهم، ويسعون بينهم وبين الناس بالسمسرة.

(٢) قد أكثر ذوو «الأهواء»، فتكذبوا وادعوا عداوة كانت قائمة فى الجاهلية بين بنى هاشم وبنى أمية وغيرهم من أبناء قصى، من قريش. وكذلك يفعل الخراصون، وحسبك أن تقرأ هذا، ثم قوله بعد قليل: «وكانوا أهل تناصف»، وقول ابن سلام أيضاً فى رقم: ٣٥٢، «والذى قلل شعر قريش أيضاً أن لم يكن بينهم نائرة» أى حقد وعداوة، وقول الزبير بن بكار فى حديث أبى ذئب فى الجاهلية: «لأن دعوة بنى قصى يومئذ واحدة، والعقل عليهم جميعاً» (جمهرة نسب قريش رقم: ٧٤١). وقول ابن هشام فى سيرته ١: ١٥٨، ١٥٩، فى شأن بئر زمزم: «وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد، شرف بعضهم لبعض شرف، وفضل بعضهم لبعض فضل»، وقول أبى عثمان الجاحظ فى رسالته العثمانية: ١٠٣، يذكر ما كان فى أول الإسلام: «ولم تكن أمية انمازت فى ذلك الوقت من هاشم، وكان يقال للحيين (بنى هاشم وبنى أمية): عبد مناف». فهذا كله تكذيب لمن يقول هذه المقالة فى بنى هاشم وبنى أمية، من أهل جلدتنا، ومن الخراصين من المستشرقين ذوى الضغائن.

(٣) ذكر صاحب الروض الأنف ١: ٩٤ من رواية يونس عن ابن إسحق: «فاستعدوا عليه بنى سهم، فأسلموه إليهم فضربوه، وحلقوا شعره، وربطوه إلى صخرة بالحجون، فاستغاث قومه فلم يغيثوه. فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه، فمدحهم بأشعار كثيرة ذكرها ابن اسحق فى رواية يونس». وهو مخالف لما ترى هنا. وليس من ذلك شىء فى رواية ابن هشام عن ابن إسحق، وهى السيرة المطبوعة.

ابن عبد المطلب يومئذٍ غائبٌ نحوَ اليمن ، فأتتجت بنو قُصَيٍّ بينهم فقالوا : لا نأمَنُ الزُّبيرَ إن بَلَغَه ما قال هذا ، أَنْ يقولَ شيئاً ، فيُؤْتَى إليه مِثْلُ ما نأتِي إلى هذا ! وكانوا أهلَ تَنَاصُفٍ ، فأجمعُوا على تَخْلِيَتِه ، خَلَّوْه . فقالَ له الناسُ ، وحَمَّلوه عَلَى قَوْمِه :[1] أَسْلَمَكَ قومُكَ ولم يمنَعُوكَ ، ولو شاؤُوا مَنَعوكَ ! فقال :

لَعَمْرُكَ ماجاءتْ بنُكْرٍ عَشِيرَتِي ، وَإِنْ صَالَحَتْ إِخْوَانَهَا لاأَلُومُهَا[2]
بوُدِّ جُنَاةِ الغَيِّ أَنَّ سُيُوفَنَا بأَيْمَانِنَا مَسْلُولَةً لا نَشِيمُهَا[3]

٣٣١ — وقال في يَوْمِ أُحُدٍ قصيدةً يقول فيها :

كُلُّ بُؤْسٍ ونَعِيمٍ زَائِلٌ ، وبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بكُلّ[4]
وَالعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا ، وسَوَاءٌ رَمْسُ مُثْرٍ ومُقِلّ[5]

---

(١) « حملت فلاناً على فلان » ، أرشته عليه وأغريته به حتى يتخذه الغضب ، ويمتلئ قلبه ضغينة .

(٢) النكر : الأمر المنكر القبيح ، نقيض المعروف . وفي التنزيل : « لقد جئت شيئاً نكراً » .

(٣) في « م » : « يود » فعلا مضارعاً . شام السيف يشيمه : سله ، وأغمده ، من الأضداد . وهذان البيتان من أحسن الإنصاف والعقل . و « مسلولة » ، في المخطوطتين بالنصب ، والرفع جائز .

(٤) رواها ابن هشام في سيرته ٣ : ١٤٣ ، الأغاني ١٥ : ١٧٧ ، ١٧٨ ، الحيوان ٥ : ٥٦٤ ، نهج البلاغة ٣ : ٣٨٢ ، شواهد المغني : ١٨٧ ، وأبيات متفرقة في كتب كثيرة ، وجاء بها ابن سلام على غير الترتيب . وبنات الدهر : صروفه وحوادثه . ولعب به الدهر وتلعب : اضطرب به فرفع مرة وخفض أخرى . وقوله « يلعبن بكل » ، أي يلعبن بكل أحد .

(٥) هذه رواية ابن سلام وابن إسحق مع بعض الاختلاف ، ومع تقديم البيت الثاني على الأول . وأما رواية الآمدي في المؤتلف والمختلف : ١٣٣ ، فهذه هي :

كُلُّ حُسْنٍ وشبابٍ ذاهبٌ ، وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِلّ

// لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... ضَجَرَ الخَزْرَجِ مِن وَقْعِ الأَسَلْ (١)
حِينَ أَلْقَتْ بِقَنَاةٍ بَرْكَهَا ، ... وَاسْتَحَرَّ القتلُ في عَبْدِ الأَشَلّ (٢)

— والعطيّاتُ خِسَاسٌ بيننـا ، ... وبناتُ الدَّهرِ يلعبْنَ بكُلّ
لا تَذُمَّنْ بَلَدًا تكرهُهُ ، ... وإذا زَالتْ بكَ الدارُ فزُلْ

وقوله : خساس : يعنى حقيرة قليلة لا خطر لها مهما عظمت ، فإن الأمر كله إلى الفناء ، ولا شىء غير الفناء . هكذا مذهب ابن الزبعرى فى جاهليته قبل أن يسلم ويؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر . وروى صاحب المخصص ٣ : ٩٣ : « والعطيات خسال » قال : أى : خساس . وقال : الخسيل من كل شىء الرذال ، والجمع خسال، وأنشد البيت . وأما صاحب القاموس فقال : « وهذه الأمور خساس بينهم — ككتاب — أى دول ». وقال ابن فارس فى المقاييس ٢ : ١٥١ « تخاس القوم الأمر، إذا تداولوه وتسابقوه أيهم يأخذه . ويقال : هذه الأمور خساس بينهم ، أى دول» ، وأنشد بيت ابن الزبعرى . ولا أدرى هل يصح نقل ابن فارس أو لا يصح . ولعله مردود إلى المعنى الذى ذكرته ، أعنى أن المال مهما عظم فهو حقير قليل الشأن بينهم ، يتداولونه لا يمسكونه ولا يحرصون عليه ، يعنى أنهم أهل تباذل وتكارم ، لأن شأن الدنيا قليل فى أعينهم . وأنا لا أطمئن إلى أقوال ابن فارس ، إلا بحجة مؤيدة . وفى شرح التصحيف : ١٣١ ، خبر جيد ، وأن الأصمعى كان ينشده : « حصاص بيننا » ، وفسره فقال : الاحتصاص فى العطايا : أن يحرم هذا، ويعطى هذا ، ويستوون فى القبور » . وفى « م » : « قبر مثر » .

(١) أشياخه ببدر ، يعنى من قتل من طواغيت الكفر يوم بدر . وأكثر الرواية فى السيرة وغيرها ، وفى « م » : « جزع الخزرج » . والأسل : الرماح ، وهو فى الأصل نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ، أطرافها محددة ، وليس لها شعب ولا خشب ، منبته الماء الراكد ، لا يكاد ينبت إلا فى موضع ماء أو قريب من ماء ، يعمل منها الحصر . وإنما سميت الرماح أسلا على التشبيه به فى اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه .

(٢) فى جميع ما وقع فى يدى من الكتب « بقباء » . و« قباء » قرية على ميلين أو ثلاثة من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، فهى إلى جنوب المدينة . وهذا أمر مشكل كل الإشكال، فلم أر أحداً ذكر أن القتال يوم أحد نشب فى قباء . وجبل أحد فى شمال المدينة بينها وبينه ميل أو نحوه . ويقول البكرى فى معجم ما استعجم ١١٧ : « أحد : جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها » . وقناة ، هذه التى ذكرها البكرى ، أحد أودية المدينة ، واد يأتى من الطائف حتى يعرى أصل قبور الشهداء بأحد . فأكاد أرجح أن فى رواية هذا الشعر خطأ قديماً جداً ، وأن صواب الرواية ما أثبته فى الشعر . (انظر خبراً غريباً فى ابن سعد ١/١/١٠٣ ، عن أبى بن كعب فى خبر تبع ونزوله « قناة»، وما قال له سامول اليهودى ، وكان يومئذ أعلم أحبار يهود) .

وقد ذكر ابن هشام ٣ : ٦٦ أن قريشاً أقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل بطن السبخة ، من ...

فَقَبِلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَتِهِمْ ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ[1]

وزَعَم ابنُ جُعْدُبَةَ أنه سمع هِشَامَ بن عُرْوَة يُنْشِدُ هذا الشعرَ ، وسمعتُه قال : عنه رويتُه .[2]

= « قناة » على شفير الوادى ، مقابل المدينة . فهذا دليل على أن الوقعة كانت هناك ، وأن ابن الزبعرى يشير إلى ذلك فى شعره (وانظر « الصمغة » فى ابن هشام ٣ : ٧٠ ، ووفاء الوفا ، ومعجم البلدان ، وغيرها) .

ولو كان القتال نشب فى جنوب المدينة عند قباء ، ثم ارتفع إلى أحد ، فى شمال المدينة ، لكان أهل السير قد بينوه كل البيان ، بل الذى رووه يخالف هذا الفرض كل المخالفة . فهذا ما أدى إليه اجتهادى ، ولا أزال أرجحه حتى أجد عند أحد حجة أفارق إليها ما أذهب إليه فى تصحيح الشعر .

ويروى البيت : « حين حكت بقباء بركها » . يقال : حكت الحرب بركها بهم ، وألقت بركها بهم : إذا استقر معتركها وحمى وطيسها . وأصل ذلك أن البرك : وسط الصدر ، فشبه نزولها بالمكان ، بنزول الناقة حين تلقى كلكلها وتستقر على الأرض ، وتقيم . واستحر القتل : اشتد وكثر ، وهو من الحر والحرارة . وعبد الأشل : يعنى بنى عبد الأشهل . وهم من الأوس ، من الأنصار ، كانوا أول أهل المدينة إسلاماً أسلموا جميعاً . ولم يقتل يوم أحد من بطون المهاجرين والأنصار ما قتل من بنى عبد الأشهل ، استشهد منهم اثنا عشر رجلا ، وكثرت فيهم الجرحى من شدة بلائهم . وقد سهل ابن الزبعرى « هاء » عبد الأشهل ، ثم حذفها اقتداراً على عربيته .

(١) فى المخطوطة : « فقتلنا » وأثبت ما فى « م » مضبوطة . وهذا أيضاً بيت تكثر روايته فى سائر الكتب « فقتلنا النصف » ، أو « فقتلنا الضعف » ، وهو خطأ كله . فإن المشركين لم يقتلوا يوم أحد نصف المقاتلة ، فإن من شهد القتال من المسلمين فى يوم أحد سبعمئة ، قتل منهم أربعة وسبعون من الشهداء ، ولا قتلوا ضعف ما قتل المسلمون يوم بدر من المشركين ، فإن عدة قتلى بدر من المشركين سبعون أو أربعة وسبعون . وإنما أراد ابن الزبعرى أنهم قتلوا من المؤمنين فى أحد مثل الذى قتله المسلمون منهم يوم بدر ، فانتصفوا منهم ، أى أخذوا حقهم كاملا حتى صاروا على النصف سواء . والنصف (بكسر فسكون) ، والنصف (بفتحتين) : العدل والانتصاف . يقال انتصفت من فلان : أخذت حقى كملا حتى صرت أنا وهو على النصف سواء . يقول : قبلنا يومئذ العدل واكتفينا به ، فقتلنا من سادتهم فى أحد مثل عدة من قتلوا من سادتنا فى بدر . ويدل على ذلك قوله : « فعدلنا ميل بدر فاعتدل » ، أى صار سواء لم ترجح كفة على كفة . فرواية ابن سلام فى الطبقات هى أحق الروايات بالصواب ، وأما الروايات الأخرى فهى خطأ قديم ، كالخطأ فى رواية البيت السابق . وفى المخطوطة : « مثل بدر » .

(٢) الجملة الأخيرة أخلت بها « م » .

٣٣٢ — وقال ابن الزِّبَعْرَى لبنى المُغيرة [بن عَبْدِ الله] المَخْزُومِيِّين ، وكان لهم بَلاءٌ فى الفِجارِ ،(١) وأُمُّهم : رَيْطَةُ بِنت سُعَيْد [بن سَعْد] ابن سَهْم ،(٢) فقال :

أَلا لِله قَوْمٌ وَلَدَتْ أُخْتُ بَنِى سَهْمِ (٣)

هِشَامٌ وأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ مِدْرَهُ الخَصْمِ (٤)

وذُو الرُّمْحَيْنِ ، أَشْبَاكَ مِن القُوَّةِ والحَزْمِ (٥)

فَهٰذَانِ يَذُودَانِ ، وذَا مِنْ كَثَبٍ يَرْمِى (٦)

وَإِنْ أَحْلِفْ ، وبَيْتِ الله ، لا أَحْلِفْ عَلَى إِثْمِ (٧)

---

(١) مضى ذكر حروب الفجار فى ص : ٧٧ ، تعليق رقم : ٣ .

(٢) فى نسب قريش والجمهرة وغيرها « ريطة بنت سعيد بن سهم » . وهو الصواب .

(٣) رواها صاحب الأغانى ١ : ٦٢ ، والقالى فى أماليه ٣ : ١٩٦ ، ونسب قريش للمصعب : ٣٠٠ ، جمهرة نسب قريش للزبير رقم : ١٦٣٤ ، والمحبر : ٤٥٧ ، وقال الزبير : « وهى تمز ، يعنى هذه القصيدة » ، وفى الصاهل والشاحج ص : ٧٠٤

(٤) المدره : زعيم القوم وخطيبهم المتكلم عنهم ، والمقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والذى يرجعون إلى رأيه . والخصم : المجادل فى الخصومة ، وهو للواحد والاثنين والجميع سواء ، وهو هنا للجميع . يقول : هو المنبرى للخصوم عند الجدال يدفع عن قومه . وقال : مدره الخصم ، وإنما عنى هشاماً وأبا عبد مناف معاً ، كما يدل عليه البيت الثالث .

(٥) فى « م » : « أشبال » ، وهو خطأ . أشباك : كفاك وحسبك . يقول : حسبك به رجلا فى قوته وحزمه .

(٦) يذودان : أى يدفعان بلسانهما فى الخصومة والجدال . من كثب : من قرب ، يعنى يرمى فى المعركة وهو منغمس فى الحرب .

(٧) فى « م » : « لم أسلف » .

لَمَا إنْ إخْوَةٌ بَيْنَ دُ ... رُوبِ الرُّومِ والرَّدْمِ (١)

بِأَزْكَى مِنْ بَنِي رَيْـــطَةَ أَوْ أَوْزَنَ فِي حِلْمِ (٢)

هُمُ ، يَوْمَ عُـكَاظٍ ... مَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الهَزْمِ (٣)

وقال : (٤) كان الفَزَارِيّ يُنْشِدُهَا : « هِشاماً وأَبا عَبْدِ مَنَافٍ » ، أى وَلَدَتْ . وأَبُو عَبْدِ مَنَاف : هَاشِم بن المُغيرة ، (٥) جدُّ عُمَر بن الخطاب لأُمِّه ، أُمُّه : حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة . وذُو الرُّمْحَين : أَبو رَبِيعة بن المُغيرة ، (٦) أَبُو : عَبدِ الله وعَيّاش أَبْنَيْ [أَبِي] رَبِيعة . (٧)

---

(١) يروى « دروب الشأم » ، وهما سواء . والدروب جمع درب : المضيق فى الجبال ، فسموا كل مدخل من الشأم إلى ديار الروم درباً . والردم : هو ردم بنى جمح ، كانت فيه حرب بين بنى جمح وبنى محارب بن فهر ، فقتلت بنو محارب بنى جمح أشد القتل ، فسمى ذلك الموضع الردم ، بما ردم عليه من القتلى يومئذ ، وعنى بالردم مكة .

(٢) فى م « أرزن » ، بالراء .

(٣) يوم عكاظ ، يعنى حرب الفجار بين كنانة وهوازن كما مضى فى ص : ٧٧ ، واليوم الرابع منها هو يوم شرب ، وشرب موضع بعكاظ ، فصابرت يومئذ بنو مخزوم وبنو بكر ، فانهزمت هوازن وقتلت قتلا ذريعاً . والهزم : الهزيمة والانكسار فى الحرب .

(٤) فى المخطوطة : « وقال الفزارى ينشدها : هاشماً وأبا عبد مناف ، وأبو عبد مناف ، هشام بن المغيرة .... حنتمة بنت هشام بن المغيرة » . وفى « م » ، « وكان الفرازى ينشدها : وأبا عبد مناف ، ولدت . وأبو عبد مناف : هاشم بن المغيرة جد عمر بن الخطاب لأمه ، وذو الرمحين » ، فأخلت باسم أمه . وفى المخطوطة خطأ لا شك فيه حيث جعل هشام بن المغيرة ، جد عمر ، وذكره فى نسب أمه . فأصلحت العبارة كلها كما أثبتها .

(٥) أما صاحب الأغانى ١ : ٦٢ فيقول : « أبو عبد مناف : الفاكه بن المغيرة » ، وأما ابن دريد فيقول فى الاشتقاق : ٦١ : « أبو عبد مناف : الوليد بن المغيرة » ، وأما الزبير بن بكار فيقول « أبو أمية ، وهو زاد الركب ، كان يعرف بأبى عبد مناف ، واسمه حذيفة » رقم : ١٦٢٩ ، ومثله فى نهج البلاغة ٤ : ٢٩٥ . وأما صاحب العقد ٥ : ٢٥٨ فيقول : « أبو عبد مناف : قصى » ، وهو خطأ فاحش . وقول الزبير ، أثبت ، لأنه أعلم بقريش .

(٦) فى « م » : « بن ربيعة » ، وهو خطأ .

(٧) فى المخطوطة : « ابى ربيعة » ، وهو خطأ ظاهر .

٣٣٣ — ثم أسلم ابن الزِّبَعْرَى ، ومَدَح النبيَّ صلَّى الله عليه واعتذَرَ إليْهِ فأحسَنَ ، فقال :

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أَنَا بُورُ[1]

إذْ أُجَارِي الشَّيْطانَ في سَنَنِ الغَـــيِّ ، ومَنْ مَال مَيْلَه مَثْبُورُ[2]

آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ بِمَا قُلْـــتَ ، فنَفْسِي الفِدَى وأنْتَ النَّذِيرُ

٣٣٤ — وقال أيْضًا :

مَنَــعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ واللَّيلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ[3]

مِمَّا أَتانِي أنَّ أَحْمَدَ لَامَنِي فِيه ، فَبِتُّ كأنَّنِي مَحْمُومُ

يا خَيْرَ مَن حَمَلَتْ على أَوْصَالِهَا عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ رَسُومُ[4]

---

(١) جمهرة نسب قريش : ٢٨٨٩ ، والاستيعاب ١ : ٣٥٦ ، وابن هشام ٤ : ٦١ وغيرها كثير . رتق الفتق : خاطه . والبور : الرجل الضال الهالك الفاسد الذى لا خير فيه . يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم معتذراً محسناً : إنى سوف أصلح فى إسلامى ما أفسدت فى كفرى .

(٢) السنن : الطريق . مال ميله : ذهب مذهبه عادلا عن الطريق المستقيم . المثبور : الملعون المطرود الهالك ، من الثبور : وهو الهلاك والضياع .

(٣) جمهرة نسب قريش : ٢٨٩٠ ، والاستيعاب ١ : ٣٥٦ ، وابن هشام ٤ : ٦١ . البلبال والبلابل : شدة الهم والوسواس يختلط فى الصدر ويتدافع . معتلج : متداخل . والرواق : طبق الليل وستره ، كأنه رواق البيت وهو سقفه وجانباه . وبهيم : مظلم مصمت لا ضوء فيـــه إلى الصباح .

(٤) الأوصال جمع وصل (بضم فسكون ، أو كسر فسكون) : وهى الأعضاء ، أو مجتمع العظام كلها . والعيرانة : الناقة الصلبة النشيطة الناجية ، شبهت بالعير (حمار الوحش) فى نشاطها وسرعتها وصلابتها . سرح اليدين : سهلة لينة الحركة سريعة المر . رسوم : شديدة الوطء تؤثر مناسمها فى الأرض .

إِنِّى لَمُعْتَذِرٌ إِلَيكَ مِنَ الَّذِى   أَسْدَيْتُ، إِذْ أَنَا فِى الضَّلالِ أَهِيمُ[1]

أَيَّامَ تَأْمُرُنِى بِأَغْوَى خُطَّةٍ   سَهْمٌ، وتَأْمُرُنِى بِهَا مَخْزُومُ[2]

فَاغْفِرْ — فِدًى لكَ وَالِدَاىَ كِلاهُمَا —   ذَنْبِى، فَإِنَّكَ رَاحِمٌ مَرْحُومُ

وعَلَيكَ مِنْ أَثَرِ المَلِيكِ عَلامَةٌ :   نُورٌ أَضَاءَ، وخَاتَمٌ مَخْتُومُ

مَضَتِ العَدَاوَةُ فَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا،   وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وحُلُومُ

٣٣٥ — [3] وحدثنى ابن جُعْدُبَة قال: قدم ضِرَارُ بن الخطَّاب الفِهْرِىُّ وعبدُ الله بن الزِّبَعْرَى المدينةَ أيامَ عُمَرَ بن الخطاب، فأَتَيَا أبا أَحْمَد بن جَحْش الأَسَدِىّ — وكانَ مَكْفُوفًا، وكان مَأْلَفًا يُجْتَمَعُ إليه ويُتَحَدَّث عندَه، ويقولُ الشِّعر — فقالا له: [4] أتيناكَ لتُرْسِلَ إلى حسَّان بن ثابتٍ فنُنَاشِدُه ونُذَاكِرُه، فإنّه كان يقول فى الإسلام ويقول فى الكُفْر. فأَرسلَ إليه فجاء، فقال: يا أبا الوَليدِ! أَخَوَاكَ تَطَرَّبَا إليكَ! [5] ابنُ

---

(١) أسدى حديثاً : نسجه ، يعنى شعره الذى زوره فى هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وأصله من قولهم : أسدى الحائك الثوب : نسجه وأحكمه .

(٢) سهم : يعنى بنى سهم بن عمرو بن هصيص ، قومه ، وهم من قريش . وبنو مخزوم : من قريش ، وبينه وبينهم نسب .

(٣) الأغانى ٤ : ١٤٠ ، ١٤١ ، فى خبر طويل من طريق الزبير بن بكار .

(٤) فى المخطوطة : « فقالوا أتيناك » ، وأثبت ما فى « م » :

(٥) تطربه : اشتاق ، من الطرب وهو الشوق ، يقول الطرماح : (انظر جمهرة نسب قريش رقم : ٦٨٨) .

وتَطَرَّبتُ للهَوَى، ثُمَّ أَقْصَرْ   تُ، رِضًى بالتُّقَى، وذو البِرِّ راضِى

الزِّبَعْرَى وضِرَارٌ ، يُذاكِرَانِك ويُنَاشِدانِك . قال : نَعَمْ ، إن شئتما بَدأتُ ، وإن شئتما فابْدَيَا ![1] قالا : نبدأُ . فأنشداه ، حتى إذا صار كالمِرْجَل يَفُورُ ، قعدَا على رَوَاحِلِهما . فخرج حَسَّانُ حتى تلقَّى عُمَر بن الخطاب، وتمثّل ببيتٍ ذكره ابنُ جُعْدُبة لاأذكرُه ، فقال عُمَر : وماذاك؟ فأخبَرَه خَبَرَهما ، قال : لا جَرَمَ ، لا يَفُوتَانِكَ . فأرسلَ فى إثْرِهما فرُدَّا . وقال لحسّان : أَنشِدْهما . فَأَنشَدَ حاجتَهَ ، قال : أَكْتَفَيْتَ ؟ قال : نعم قال : شَأْنَكما الآنَ ، إن شئْتُما فارْحَلا ، وإن شِئْتُما فأقيما .

* * *

٣٣٦ — [2] وكان أبو طالبٍ شاعراً جيِّدَ الكلام ، أبرعُ ما قال [قصيدتُه] الّتى مدح فِيها النبىَّ صلى الله عليه :

وَأَبيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ، ربيعُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وقد زِيدَ فيها وطُوِّلت . ورأيتُ فى كتاب يُوسُف بن سَعْدٍ صاحِبِنا مُنْذُ أكثَرَ من مِئة سَنَة : وقد علمتُ أنْ قَدْ زاد النَّاسُ فِيها ، ولا أدْرِى

---

(١) هكذا فى المخطوطة : وفى « م » : « فابدآ » وهما سواء فى المعنى قال ابن برى : « ليس أحد يقول : بديت (بفتح الباء وكسر الدال) بمعنى : بدأت ، إلا الأنصار ، والناس كلهم : بديت (بفتح الدال وسكون الياء) ، وبدأت ، لما خففت الهمزة ، كسرت الدال ، فانقلبت الهمزة ياء ، قال : وليس هو من بنات الياء » واستشهدوا بقول عبد الله بن رواحة الأنصارى .

« بِاسْمِ الإلٰهِ وبه بَدِينا »

فأثبت ما هو لغة حسان بن ثابت الأنصارى . (اللسان : بدأ) .

(٢) هذا الخبر ذكره صاحب كتاب الزينة ١ : ١١١ مختصراً ، والسيوطى فى المزهر ١ : ١٧٩ ، مختصراً أيضاً .

أَيْنَ مُنْتَهَاها .[(١)] وسألنى الأَصْمَعِىُّ عنها، فقلت صحيحةٌ جيِّدةٌ ! قال : أتدرِى أينَ مُنْتَهَاها ؟ قلت : لا !

— وأشعارُ قُرَيْشٍ أشعارٌ فيها لِينٌ، فتُشْكِل بعضَ الإشْكالِ .

• • •

٣٣٧ — [(٢)] وأجمعَ النَّاس على أَنَّ الزُّبَيْرِ بن عَبْدِ المُطَّلِب شاعرٌ . والحاصل من شعره قليلٌ، وممَّا صَحَّ عنه قوله :

وَلَوْلَا الحُبْشُ لَمْ تَلْبَسْ رِجَالٌ ... ثِيَابَ أَعِزَّةٍ حَتَّى يَمُوتُوا[(٣)]

---

(١) فى « م » : « ... فى كتاب يوسف بن سعد ». وقوله «صاحبنا» ،يعنى ابن سلام الجمحى أنه جمحى مثله فى النسب . وكذلك هو فى كلامهم . فى الموشح : ١٥٣ قال الربيع بن أبى جهمة الجندعى : « فهذا يقوله صاحبنا أمية بن الأسكر » ، وابن الأسكر من بنى جندع (انظر ما سلف رقم : ٢٤٥) وفى الأغانى ٩ : ١٦٥ ، فى حديث أبى غزية الأنصارى ، وابن دأب ، قال لأبى غزية : « ... فأردت أن أنشده قول صاحبك أبى صرمة الأنصارى » .

و « يوسف بن سعد » هو : « يوسف بن سعد الجمحى » ، مولى عثمان بن مظعون الجمحى ، ذكره البخارى فى التاريخ الكبير ٤/٢/٣٧٣ ، وابن أبى حاتم ٤/٣/٢٢٣ ، وابن حجر فى تهذيب التهذيب . وهو أقدم جداً من ابن سلام ، وإنما هو جمحى مثله ، لأن ابن سلام جمحى أيضاً، فهو مولى قدامة بن مظعون الجمحى .

وقصيدة أبى طالب رواها ابن هشام ١ : ٢٩١ — ٢٩٢ ، وغيره ، وقد طبعت مفردة ، وفى ديوان أبى طالب .

(٢) رقم : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ذكره صاحب كتاب الزينة عن ابن سلام ١ : ١١١ ، ١١٢ ، مع بعض الاختصار .

(٣) وجدت أبياتاً منها فى البخلاء للجاحظ : ٢١٣ ، ورسائل الجاحظ (السندوبى) : ٧٢ ، واللسان «لصت» ، وفى البصائر والذخائر ٢ : ٤٤٢ ، والإيناس للوزير المغربى : ٧٣ ، وحماسة الشجرى : ٥١ ، وشرح نهج البلاغة ٣ : ٤٥٥ ، ولباب الآداب : ٢٠٧ ، والعمدة ١ : ٥٠ ، وأبيات منها مستشهد بها فى أماكن كثيرة ، ورواية كثير منهم : « ولولا نحن لم تلبس رجال » ، ورواية بعضهم : « ولولا الحمس » ، بالسين ، والحمس ، قريش كلها ، وخزاعة لنزولها مكة ومجاورتها قريشا ، وكنانة بنزولهم حول مكة (المحبر : ١٢٨) .

— وقال قومٌ : « ولولا الحُمْسُ » ، [1] وليسَ هَذا بشَىْء ، إنما هِىَ « الحُبْش » ، يعنى // أنهم أخذوا ثِيابَهُم ومَتَاعَهم ، وذاكَ حينَ جاؤُوا يريدُون هَدْمَ البيتِ ، فرَمَاهم الله ، وكانت أُمُّ أَيْمَنَ مِنْهُمْ ، غَنِمَتْها قُرَيْش ، وهى أمّ أُسَامَة بن زَيْد . [2]

وهذه أبيات للزُّبَيْرِ بن عَبْد المطَّلب .

٣٣٨ — وقلت لِخَلَفٍ : من يقول ؟ :

إذا كُنْتَ فى حَاجَةٍ مُرْسِلًا   فَأَرْسِلْ حَكِيمًا ولَا تُوصِهِ [3]

قال : يُقَال للزُّبَيْر بن عبد المطّلب . فقلت : فالخليل يَقُول : هذا خَطَأٌ فى بناء القوافِى حين يقول :

وَإنْ بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ ٱلْتَوَى   فشَاوِرْ لبيبًا ولَا تَعْصِهِ

لقوله : « ولا تُوصِهِ » — كان يقول : لا يَتَّفِق هَذا . فقال خلف : أخطأ الخليل ، نُرَاها جائِزةً .

° ° °

(١) فى المخطوطة : « الحمش » ، وهو خطأ ، صوابه فى « م » .

(٢) انظر ما كتبته فى أمر « أم أيمن » فى كتابى « أباطيل وأسمار » : ٣١١ — ٣١٥ ، ففيه تحقيق لا بأس به .

(٣) فى « م » : « فأرسل حليما » . والحليم العاقل المتثبت فى الأمور . والأبيات فى جمهرة الأمثال لأبى هلال ١ : ٩٨ ، ومجموعة المعانى : ١٣ ، وتذكرة ابن حمدون : ٨٧ — ٨٨ : ونسب هذا البيت وما بعده لعبد الله بن معاوية فى حماسة البحترى : ١٣٢ ، وكذلك نسب أبو هلال بيتين يذكران فى أبيات الزبير لعبد الله بن معاوية فى جمهرة الأمثال ١ : ٢٧٢ ، ورأيت أيضاً نسبتها إلى صالح بن عبد القدوس ، والتذكرة السعدية ١ : ٣٥٣ .

٣٣٩ — ولأبى سُفْيان بن الحارث شِعْرٌ كان يَقُولُه فى الجاهليّة ،[١] فسَقَط ولم يَصِلْ إلَيْنا منه إلّا القليل .

٣٤٠ — ولَسْنا نَعُدُّ مايَرْوِى ابنُ إسحاقَ لَهُ ولا لِغَيْرِه شِعْرًا ، ولَأَنْ لا يكُونَ لهم شعرٌ ، أحسنُ من أن يكونَ ذاكَ لهم .

٣٤١ — قال أبو سُفْيان :

لَعَمْرُكَ إنّى يومَ أَحْمِلُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللّاتِ خَيْلَ مُحمَّدِ[٢]
لَكَالمُدْلِجِ الحَيْرانِ أظْلَمَ لَيْلُه ... فهذا أَوَانُ حِينَ أَهْدِى وأَهْتَدِى[٣]
هَدَانِىَ هادٍ غَيْرُ نَفْسِى ، وقادَنى ... إلى اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ[٤]

— قال : فبلغنى أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه قال له : أنتَ طَرَّدْتَنِى كُلَّ مُطَرَّد ؟ ! كأنّه ينكرها ، يُرَدِّد ذلك .

٣٤٢ — وقال أبو سُفْيان فى يوم أُحُدٍ يردُّ على حَسَّان بن ثابت — وكان أصْحابُ رَسُول الله صلى الله عليه أَصَابُوا فى عَقِبِ بَدْرٍ عيراً لِقُرَيْش فيها فِضَّة ، فكانُوا تنكّبوا بَعْدُ طريقَ الشّامِ ، وأَخَذُوا طريقَ

---

(١) فى المخطوطة : « أبو سفيان بن حرب » : وهو سهو لا شك فيه .

(٢) رواها ابن هشام ٤ : ٤٣ . وأبو سفيان هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضيعه ، ثم لما جاء الإسلام كان شديد العداوة لرسول الله ، ثم أسلم عام الفتح ، وشهد حنيناً فأبلى فيها بلاء حسناً .

(٣) فى « م » لنا المدلج » وهو خطأ . والشطر الثانى فيها : « بعيداً أُرجى حين أهدى ... » .

(٤) فى المخطوطة : « هادى » وتحت الدال كسرتان ، وقد مضى كثير مثله ، ولم أنبه عليه .

العِرَاق ،[1] فقال حسّان :

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ ، قَدْ حَالَ دُونَهَا ... جِلَادٌ كأفواهِ المَخَاضِ الأوارِكِ[2]

بأَيْدِى رجَالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ، ... وأَنْصَارِهِ حَقًّا، وأَيْدِى المَلَائِكِ[3]

إِذَا سَلَكَتْ حَوْرَانَ مِن أَرْضِ عَالِجٍ ... فَقُولَا لَهَا : إِنَّ الطَّرِيقَ هُنَالِكِ[4]

---

(١) العير : القافلة التى تحمل الميرة ، تكون فيها الإبل والحمير والبغال . وخبر ذلك أن عيراً لقريش فيها تجارة لهم ، كان عليها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعبد الله بن أبى ربيعه ، ومعها مال كثير : نقر (سبائك ذهب أو فضة) وآنية فضة ، وزن ثلاثين ألف درهم ، وكان دليلهم فرات بن حيان ، فخاف فسلك بهم طريق العراق على ذات عرق ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث زيد بن حارثة فى مئة راكب إلى القردة ، (وهى أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق) ، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم . وقدم زيد بالعير ، فخمسها رسول الله ، فبلغ الخمس عشرين ألف درهم ، وقسم مابقى على أهل السرية (ابن سعد ٢ : ٢٤ ـ ٢٥) . وكانت هذه السرية على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة ، أى بعد بدر بنحو تسعة أشهر ، وقبل أحد بنحو أربعة أشهر . وقد ذكر ابن هشام شعر حسان فى خبر بدر الموعد ، وهى بعد أحد بسنة ، وهذا خطأ كما يتبين من سياق الشعر ، ومن زمن الحادثة المذكورة فيه . (« القردة » ، استدركه أخى العلامة حمد الجاسر فى نقده ، بالفاء لا بالقاف ، ولياقوت فيه مقال فى المعجم : ولم أستطع تحقيق ذلك والقطع فيه برأى) .

(٢) ديوانه : ٢٩٣ (٨٥ ـ ٨٧) ، وابن هشام ٣ : ٥٤ ، ٢٢١ . الفلجات ، جمع فلجة (بفتحتين) : وهى المزرعة ، أو مايشق فى الأرض للدبار ، (الدبار : الأنهار الصغار تفجر فى أرض الزرع كالقنوات). ويروى « فلحات » بالحاء ، وهى المزارع أيضاً ، وكلاهما مشتق من الفلج والفلح ، وهو الشق . والجلاد : الضرب بالسيوف فى القتال ، جالد جلاداً ومجالدة . وإنما عنى هنا بالجلاد : طعنات السيوف والرماح . والمخاض : النوق الحوامل ، ليس لها واحد من لفظها . والأوارك جمع آركة ، والإبل الأوارك : التى ترعى شجر الأراك . والأراك : شجر له حمل كحمل عناقيد العنب ، من أطيب ماترعاه الإبل ، وتتخذ من فروعه المساويك ، وعروقه من أجود مايستاك به . والأراك حمض ، والحمض من النبات إذا رعته الإبل قلصت مشافرها فبدت حمرة أفواهها الواسعة . فمن أجل ذلك شبه طعنات سيوفهم ورماحهم فى عدوهم ، بأفواه إبل قلصت مشافرها من رعى الأراك ، عنى بذلك اتساع الطعنة وبشاعتها .

(٣) قوله ، وأنصاره : يعنى ، وبأيدى أنصاره ، وبأيدى الملائكة كانت هذه الطعنات النجل الواسعة .

(٤) حوران : جبل عن ميامن حرة ليلى القصوى ، وهو أدنى أعلام الشام ، وهى من منازل العرب الذين تشاءموا . ورمل عالج : رمل محيط بأكثر أرض العرب ، يصل إلى الدهناء ، فما بين =

فلمَّا كَانَ يومُ أُحُد ، قال أبو سفيان بن الحارث يردُّ عليه :[1]

٣٧ /شَقِيتُمْ بِهَا ، وغَيْرُكُم أَهْلُ ذِكْرِهَا ، فَوَارِسُ من أَبناء فِهرِ بن مَالِكِ[2]

حَسِبْتُمْ جِلَادَ البِيضِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ ، كأَخْذِكُمُ فِي العِيرِ أَرْطَالَ آنُكِ[3]

فقالَ أبو سُفيان بن حَرْب لأبي سَفيان بن الحارث : يا ابْنَ أخى ، لِمَ جَعلتها آنُك ! ! إنْ كانتْ لَفِضَّةً بَيْضاء جَيِّدةً .

٣٣٣ — ويَرْوِي النَّاسُ لأبِي سُفيان بن الحارث ، يَقُول لحسَّان :

= اليمامة والبصرة ، وينقطع طرفه من دون حجاز وادى القرى وتيماء . وقد اختلفت روايات الشطر الأول ، وهى متقاربة . وأما رواية الشطر الثانى ، فيما اشتهر عند الرواة ، فهى :

* فَقُولاَ لها : لَيس الطَّرِيقُ هُنَالِكِ *

وأما رواية ابن سلام فلم أجدها عند غيره ، ومعناها صحيح ، يقول : إذا سلكت العير طريق الشام ، فقولا لها : خذى طريق العراق ، أما طريق الشام فقد حمته سيوف المهاجرين والأنصار .

(١) أظن أنه قالها بعد أحد ، فإن فيها خبراً عنه كما سترى ، ولعل ابن هشام إنما جعل شعر حسان فى خبر بدر الموعد من أجل مناقضة أبى سفيان له فى قصيدته بعد يوم أحد .

(٢) رواها ابن هشام ٣ : ٢٢٢ . وروايته « سعدتم بها وغيركم كان أهلها » . ورواية ابن سلام أجود وأصح . وفى المخطوطة : « سقيتم بها » ، وعلى السين ضمة ، وهو تصحيف فيما أرجح ، وأثبت ما فى « م » ، والذى رجح ذلك عندى أن السهيلى نقل عن حاشية أبى بحر « شقيتم » بالشين ، وأبو بحر نقل ذلك عن محمد بن سلام فى الطبقات ، انظر التعليق التالى . وقوله : « شقيتم بها » يعنى بالحرب ، يريد ما كان من ابتلاء الله المسلمين بالهزيمة فى يوم أحد ، وقد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة نفر أو سبعة ، وقتل من الأنصار (قوم حسان) ، أكثر من خمسة وستين رجلاً ، وكثرت فيهم الجراحات . يقول أبو سفيان لحسان : شقيتم بهذه الحرب ، وكان غيركم فرسان الحروب وأحلاسها ، يذكرون بأفعالهم فيها ، ويعنى المهاجرين من قومه قريش .

(٣) فى « م » ، وفى الروض الأنف « جلاد القوم » وهذا البيت وما بعده ، نقله السهيلى فى الروض الأنف (٢ : ١٨٦ ، ١٨٧) عن حاشية أبى بحر على سيرة ابن هشام . الآنك : الرصاص الأبيض ، أو القزدير . وفى الحديث : « من استمع إلى حديث قوم هم له كارهون ، صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » . وهذا الوزن من العربية ، أفعل بضم العين ، لم يجئ عليه الواحد غير هذا الحرف .

أبوكَ أبو سَوْء، وخَالُكَ مِثْلُه، ولَسْتَ بخيرٍ من أبيكَ وخَالِكَا[1]
وإنَّ أحقَّ النَّاس أنْ لا تَلُومَهُ على اللُّؤْمِ، مَنْ ألْفَى أبَاهُ كَذَلِكَا

— فأخبرَنى أهلُ العِلم من أهلِ المَدينة : أنَّ قُدامة بْن مُوسى أبْن عُمَر بن قُدَامة بن مَظْعون الجُمَحِىّ قالها ونَحَلها أبا سُفْيان . وقُرَيش تَرْويه فى أشْعارِها،[2] تُرِيد بذلكَ الأنصارَ والرَّدَّ على حسَّان .

٭ ٭ ٭[3]

٣٤٤ — وكان ضِرَار بن الخطَّاب بن مِرْدَاس، من مُحَارب بن فِهْرٍ،[4] مِنْ ظَوَاهِرِ قُرَيْش، وكان لا يكونُ بالبَطْحاء إلا قليلًا .[5] وكان يَجمَع من

---

(١) فى معجم الشعراء : ٣١٧ ، فى ترجمة فرات بن حيان ، البيت الأول ومعه بيت ، منسوبان لفرات ، وصحح نسبتهما إلى أبى سفيان بن الحارث ، والبيت الثانى هو :

يُصِيبُ وما يدْرِى ويُخْطِى وما درَى وكيفَ يكونُ النَّوكُ إلَّا كَذَلِكَا

وأظن أن هذا البيت لغير أبى سفيان . وانظر زيادات ديوان حسان : ٥٠١ ، نقلا عن ديوان المعانى ١ : ١٨٢ ، منسوبين إلى حسان .

(٢) فى « م » : « لا تريد فى أشعارها » ، وهو تصحيف لا شك فيه .

(٣) أسقط ذكر شىء عن « مسافر بن أبى عمرو » (رقم : ٣٢٥) ، وذكره بعد أبى سفيان .

(٤) فى المخطوطتين جميعاً : « مرداس بن محارب بن فهر » وهو خطأ . وهذا نسبه من كتب الأنساب :

« ضرار بن الخطّاب بن مرادس بن كَبِير بن عمرو آكل السَّقْب [سمى بذلك ، لأن بكر بن وائل كان لهم سقب يعبدونه من دون الله تعالى ، فأغار عليهم ، فأخذه ، فأكله] ابن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر » .

وابن سعد ٥ : ٣٣٦ ، وتاريخ بغداد ١ : ٢٠٠ .

(٥) قريش فريقان : قريش البطاح ، وقريش الظواهر . فقريش البطاح أكرمهما ، نزلوا بطحاء مكة ، نزلوا الشعب بين أخشبى مكة (وهما جبلاها) ، وهم جميعاً بنو كعب بن لؤى . وأما قريش الظواهر منهم : الذين سكنوا ظاهر مكة خارج الشعب ، وهم بنو عامر بن لؤى ، والحارث ابن فهر ، ومحارب بن فهر ، وتيم الأدرم بن غالب بن فهر . هكذا يقول بعض أهل النسب

حُلَفَاءُ قُرَيْشٍ ومُرّاقِ كِنانَة ناسًا ، وكان يأكل [بهم] ويُغِير ويَسْبِي ويأخذ المال.[1]

— والحارثُ بن فِهْرٍ بَطْحَاوِيَّة.[2]

٣٤٥ — وكان ضِرَارٌ خرج فى الجاهليَّة فى رَكْبٍ من قُرَيْش ، فمرُّوا ببلاد دَوْسٍ ، وهم يُطَالبون قُرَيْشًا بدَمِ أبي أُزَيْهِر — قتله هشامُ بنُ الوَليد ابن المغيرة —[3] فثاروا بهم وقَتَلُوا فيهم . ودَوْسٌ تدَّعى شيئًا كثيرًا من القَتْلَى ، وليسَ ذلك بمعلوم . فقاتلهم ضِرارٌ ، ثم لجأ إلى امرأةٍ منهم يقال لها : أمُّ غَيْلَان — مُقَيِّنَة تُقَيِّن العَرَائِس ،[4] يقال إنَّها مَولاةٌ لهم — فأدخلته بين دِرْعِها وجِلدِها ،[5] ودَافعتْ عَنْهُ هى وبَنَاتُها ، وصرخت

---

(١) المراق جمع مارق : وهو الذى خرج عن أدب قومه وفسد ، كاللصوص والفتاك وغيرهم .

(٢) الحارث بن فهر ، أخو محارب بن فهر ، رهط ضرار . يزعم ابن سلام أنهم من قريش البطاح ، ولا أدرى كيف يصح ذلك ، ولكن ابن حبيب فى المحبر : ١٦٧ ، ١٦٨ ، جعل كل « الحارث بن فهر » من قريش الظواهر ، إلا بنى هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وبنى هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، فلعل هذا ما أراده ابن سلام .

(٣) ساق هذا الخبر كله ابن هشام ٢ : ٥٢ — ٥٧ ، وابن عساكر ٧ : ٣٢ — ٣٣ ، وبعضه فى نسب قريش للمصعب : ٣٢٣ ، وجمهرة نسب قريش : ١٩٣٦ . وذلك أن أبا أزيهر الدوسى ، وكان من أشراف دوس ، زوج الوليد بن المغيرة بنتاً له وأخذ مهرها ، ثم أمسكها عنه ومطله المهر ، فلم يدخلها عليه حتى مات . فأوصى بنيه ، هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، أن لا يضيعوا عقره عند أبى أزيهر فقتله ، وهو بسوق ذى المجاز . وذلك بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد بدر .

(٤) المقينة : التى تتولى تزيين النساء ، والماشطة ، وتقينت الفتاة : تزينت لزفافها .

(٥) درع المرأة : قميصها . وهكذا كانت تفعل نساء الجاهلية ، فيكون ذلك إجارة للمستجير بها .

بِبَنِيها فجاءوا ، فخرجَ معهم ضِرار فجَالَد أشدّ الجِلَاد ، فقالت أُمُّ غَيْلان : ما رأَيتُ شِدّةَ أَفْكَلٍ أقربَ إلى حُسْنِ جِلَادٍ منه .(١) وقال ضِرَار :

جَزَى اللهُ عَنَّا أُمَّ غَيْلانَ صَالحاً ونِسْوَتَها، إذْهُنَّ شُعْثٌ عَوَاطِلُ(٢)

فَهُنَّ دفَعْنَ الموتَ بَعْدَ اقْترابِه ، وقَدْ ظَهَرَتْ لِلثَّائِرِينَ مَقَاتِلُ

فَجرَّدْتُ سَيْفِي ، ثم قُمْتُ بِنَصْلِهِ ، وعَنْ أَيِّ نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أُقَاتِلُ(٣)

٣٤٦ — // ولقي ضِرارُ بنُ الخطَّاب يومَ أُحُدٍ عُمَرَ بن الخطَّاب في الجَوْلة الَّتي جَالها المسلمون ،(٤) وكان قد آلَى يومَئذٍ أن لا يقتلَ قُرَشِيًّا ، فضرَبه بِعَارِضَةِ سَيْفِه ،(٥) وقال : أنجُ يا ابنَ الخطَّاب ! فضَرَبَ الدَّهرُ ما ضَرَب ،(٦) وولى عُمَر بن الخطَّاب ، فسمعت أُمُّ غَيْلان بذِكْرِ [ابن] الخطَّاب فظنَّتْهُ ضِراراً ، فقَدِمت [عليه] . فقال لها قومٌ : قَدِمْتِ وهو غَائبٌ ! فأتت عُمَرَ فأخبرته بالّذي جاءتْ له ، فأثابَها .

---

(١) الأفكل : الرعدة تكون من البرد أو الخوف أو الهيبة . والجلاد : الصبر في القتال . تريد : أن ضراراً انتقل من الرعب الذي داخله فأرعده وهو تحت ثيابها ، إلى حسن الجلاد في القتال ، انتقالا غريباً حسناً .

(٢) شعث جمع شعثاء : وهي المتفرقة الشعر ، لم تدهن ولم تمتشط . عواطل جمع عاطل : وهي المرأة ليس عليها حلي ، لم تلبس الزينة ، وليس في جيدها قلائدها . وجعلهن شعثاً عواطل : ليظهر مبادرتهن إلى نصرته ، وقد فزعن قبل أن يمسسن طيباً أو يأخذن زينتهن ، وذلك قبل الصباح .

(٣) قوله : «قمت بنصله» ، أي أحسنت الضرب به وأبليت به خير البلاء ، من قولهم : « قام بالأمر » ، أي تولاه فأحسن تدبيره وإصلاحه .

(٤) جال القوم في الحرب جولة : إذا انكشفوا ثم كروا على عدوهم . وعنى هنا انهزامة المسلمين يوم أحد .

(٥) عارضة السيف وعرضه (بضم فسكون) : جانب السيف وصفحته . وانظر ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٦) يقال ضرب الدهر ما ضرب ، وضرب الدهر من ضربانه ، وضرب ضربانه : كل ذلك معناه تطاول ومضى ، ومر مروره ، وتميرت بالناس صروفه .

٣٤٧ — وحدّثني أبانُ الأعرجُ بحديثها ، فقال : جاءتْ فلقيتْ ضِراراً فقالت : قد عرَفْتَ بلائى ويَدِى ، وقد وَلِيتَ ما وَلِيتَ . قال : ما أعرفَنى بذلك ! ولستُ أنا بالذى تولّى ما توهّمتِ ، ذاك عُمَر بن الخطّاب ، ولئنْ كان لكِ عندى يَدٌ وبَلاءٌ ، إنّ لى عنده لَيَدًا وبَلاءً — يعنى بَلاءَهُ يومَ أُحُد — فاذْهبِى بنا إليه . فأتاه فقال : يا أميرَ المُؤمنين ! هٰذه أمُّ غَيلان ، وقد عرَفْتَ ما كان من أمرِها ، سمِعتْ بولايتك فظنّتْنِى الوالِى ، فأتتْنى تطلُبُ النّوالَ . قال : فتريدُ ماذا ؟ قال : تُعجِّلَ عطائى فأُكافِئها به . فأعطاها نِصْفَ عطائه ، ونصف عطاء عُمَر .

٣٤٨ — وكان ضِرارٌ على بَنِى مُحارِبٍ يومَ الفِجار . [1]

* * *

٣٤٩ — [2] وكان أبو عَزّةَ شاعرًا ، وكان مُمْلِقًا ذا عِيالٍ ، فأُسِرَ يوم بَدْر كافرًا ، فقال : يارسولَ اللّه ، إنّى ذُو عِيالٍ وحاجةٍ قدْ عرفتَها ، فَامْنُنْ علىّ صلّى الله عليك . فقال : علَى أنْ لا تُعينَ علَىّ ! — يُريد شعرهُ — قال : نعمْ . فعاهده وأطلقَهُ ، فقال :

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى النبىَّ مُحمّدًا بأنّك حَقٌّ ، والمَلِيكَ حَمِيدُ [3]

---

(١) انظر أخبار الفجار كلها فى الأغانى ١٩ : ٧٣ وما بعده .

(٢) هذا الخبر بنصه ، ثم الذى يليه مختصراً ، رواهما عن ابن سلام ، أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ٢ : ٣٨٧ — ٣٨٨ . وفى الشعر البيتان اللذان زدتهما بين الأقواس .

(٣) الأبيات رواها ابن هشام ٢ : ٣١٥ ، أيضاً .

وأنتَ امرؤٌ تدعُو إلى الرُّشْدِ، والتُّقى ... عَلَيْكَ من اللهِ الكريمِ شَهِيدُ[1]

[وأنتَ امرؤٌ بُوِّئْتَ فينا مَبَاءَةً ... لها دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وصَعُودُ[2]

وإنّكَ مَنْ حَارَبْتَهُ لَمُحَارَبٌ ... شَقِيٌّ، ومَنْ سَالَمْتَهُ لسَعِيدُ]

ولكنْ إذا ذُكِّرْتُ بَدْرًا وأهْلَها ... تَأَوَّبُ ما بِي حسرةٌ وتَعُودُ[3]

فلما كانَ يومُ أُحُدٍ، دَعاه صَفْوانُ بن أُمَيّة بن خَلَف الجُمَحيّ — وهو سَيِّدُهم يومئذٍ — إلى الخروج، فقال: إن مُحَمَّدًا قد مَنَّ عَلَيَّ وعَاهَدْتُه أن لا أُعِينَ عَلَيه. فلم يَزَلْ به، وكان مُحْتاجًا، فأطمَعَه، والمُحْتَاجُ يطمَعُ.[4] فخرج فسَارَ في بَنِي كِنانة يُحَرِّضهم، فقال:

يا بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ ... أَنْتُم حُمَاةٌ وأَبُوكُمْ حامْ[5]

---

(١) يقول: ... والتقى شهيد عليك من الله الكريم، شهيد: شاهد حاضر دال على صدقه وبره. ورواية أبي هلال، وابن هشام: «والهدى عليك».

(٢) «بوأه منزلا»، نظر إلى أسهل مايرى وأشده استواء وأمكنه للمبيت، فأنزله به. و «المباءة»، المنزل الحسن.

(٣) آبه الهم وتأوبه: رجع إليه، من الأوب وهو الرجوع، وجعله هنا بمعنى جاء. يقول: تأتي حسرة وتعود، وتغدو على وتروح. وفي ابن هشام «حسرة وقعود»، وهي فاسدة المعنى، وفي بعض مخطوطات سيرته على الصواب. وفي المخطوطة: «حسرة» بالنصب بفتحتين.

(٤) المحتاج: الفقير المعدم. ومثله الحوج وجمعه محاويج. وهو من الحوج (بضم الحاء) والحاجة: شدة الفقر. وقال له صفوان يومئذ. «لك الله على إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر».

(٥) الرجز في ابن هشام ٣: ٦٥، ونسب قريش للمصعب: ٣٩٨، وجمهرة النسب للزبير رقم: ٢٨٢٦، وانظر اللسان (رزم)، والجمهرة لابن دريد ٢: ٣٢٥، وفي المخطوطة هكذا «وأبوكم الحامي م». الرزام جمع رازم: وهو الرجل يثبت في مكانه من شدته في الحرب. وبنو عبد مناة ابن كنانة، أخو النضر بن كنانة، جد قريش. وعند هذا البيت يبدأ خرم في نسختنا المخطوطة مقداره أربع ورقات، ينتهي عند رقم: ٣٧٥، والاعتماد بعد هذا على «م» وحدها.

/ لاتَعِدُونى نَصْرَكم بَعْدَ العَامْ　　لاَ تُسْلِمُونى ، لاَ يَحِلُّ إِسْلاَمْ[١]

خرم من (٣٩ — ٤١)

٣٥٠ — أنا أبو خليفة ، نا ابنُ سَلّام ، قال ، حدّثنى أَبَانُ بن عُثْمان — وهو قَوْلُ ابن إسحاق — [٢] أَنَّ أَبَا عَزَّةَ أُسِرَ يوم أُحُد ، فقال : يا رسولَ الله مُنَّ عَلَىَّ ! فقال النبىّ عليه السّلام : لا يُلسَعُ المُؤْمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتَيْنْ . وقال أَبَان: قال رسولُ الله [صلّى الله عليه وسلم] : لا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تقول : خَدَعْتُ مُحمّدًا مَرَّتَيْن ![٣] فقتله .

— فذكرت ذلك لابن جُعْدُبة فقال: ما أُسِر يوم أُحُد هُوَ ولا غيرُه ، ولقدْ كان المُسلمون يومَئذٍ فى شُغُلٍ عن الأَسْر ، ولم يُنْكر قَتْلَه ، وكان يُنْكر قَتْل النَّضر بن الحارث فى يوم بدرٍ صَبْرًا ، [٤] فقال: أصابَتْه جِراحةٌ فَأُرْتُثَّ مِنْها ، [٥] وكان شَدِيدَ العَداوَة ، فقال : لا أَطْعَمُ طعامًا ولا أَشْربُ شَرابًا مادُمْتُ فى أَيْديهم ، فمات .

— فأخبَرْتُ أبى — سَلّامًا — بِقولِ ابن جُعْدُبة فى أبى عَزّة فقال :

---

(١) أسلم أخاه : خذله وترك نصرته ومعونته .

(٢) ابن هشام ٣ : ١١٧ — ١١١ ، والفائق (لسع) ، والفاخر : ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٣) يقال فلان يمسح عارضيه ، كناية عن الشماتة وعن الترقب ، وعن فعل المتباهى بما فعل. وهو الذى أراد هنا .

(٤) انظر قتل النضر بن الحارث فى ابن هشام ٢ : ٣٦٧ ، ورثاء أخته قتيلة بنت الحارث فى ابن هشام ٣ : ٤٤ . يقال : قتل صبراً ، من الصبر وهو الحبس ، وذلك أن يقدم الإنسان فينصب فيضرب عنقه . وقال أبو عبيد : كل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبراً .

(٥) ارتث (على بناء مالم يسم فاعله) : صرع فى المعركة ، وقد أثخنته الجراح فأثبتته فى الأرض وضعف ، فصار رثيثاً ، أى جريحاً ضعيفاً ، ثم يحمل وبه رمق ، وهو حى بعد ثم يموت .

قد قيل إنّ النبيّ صلى الله عليه لم يَقْتُل أَحَدًا صَبْرًا إلّا عُقْبَة بنِ أبي مُعَيطٍ يوم بَدْرٍ .

٣٥١ — [1] قال أبن جُمْدُبة : بَرِص أبو عَزّة بعد ما أَسَنَّ ، وكانَتْ قُرَيش تَكْرَهُ الأبْرصَ وتخافُ العَدْوَى ، فكانوا لا يُؤَاكلونه ولا يُشَاربونَه ولا يُجَالسونه ، فكَبُرَ ذلك عليه ، فقال: الموتُ خيرٌ من هٰذا ! فأخذَ حديدةً وصَمِدَ إلى جَبَل حِرَاء يُريد قَتْلَ نفسه ، فطعَن بها في بَطْنه ، فضَعُفَتْ يدُه لمّا وجد مَسَّها ، فَمَارَتِ الحديدةُ بين الصِّفَاقِ والجِلْد ، [2] فسال ماءٌ أصْفَرُ ، وذهبَ ما كان به . فقال :

لَاهُمَّ رَبَّ وَائِلٍ ونَهْدِ ... والتَّهَمَاتِ والجِبَالِ الجُرْدِ [3]
ورَبَّ مَنْ يَرْمِي بَيَاضَ نَجْدِ ... أصبحتُ عَبْدًا لك وابنَ عَبْدِ [4]

---

(١) الخبر في العرجان والبرصان للجاحظ : ٥٢ ، ٥٣ : وعيون الأخبار ٤ : ٦٧ ، وجمهرة نسب قريش للزبير ، عن ابن سلام ، رقم : ٢٨٢٩ ، ومخطوطات النسب لابن الكلبي ، والفرج بعد الشدة ٢ : ٩٤ عن ابن جعدبة ، والمحبر : ٣٠١ .

(٢) مار السهم وغيره : نفذ في الجسم ، ومارت الطعنة : مالت يمينا وشمالا . وأصله من المور: وهو الاضطراب والتردد . والصفاق : هو الجلدة الرقيقة تحت الجلد الأعلى الذى عليه الشعر من عند مراق البطن .

(٣) لاهم : اللهم ، فحذف كأنه ظن لام التعريف في اسم الجلالة فحذف لذلك . وائل : يعني بني وائل بن قاسط ، أبوى بكر بن وائل ، وتغلب بن وائل ، من ربيعة بن نزار . ونهد : يعني بني نهد ابن زيد من قضاعة . والتهمات جمع تهمة : وهى الأرض المتصوبة إلى البحر ، ويعني أرض تهامة من قبل الحجاز . والجبال الجرد : هى الملس التى لا نبات فيها ، كأنه يعني جبال طيء . انظر المحبر : ٣٠١ .

(٤) رمى الرجل يرمى : سافر ، يعني سلك هذه الأرض . ويقال : أين ترمى ؟ أى : أى جهة تنوى وتقصد . وفي جمهرة الزبير وغيره « من يرعى » . وبياض نجد : أرض مهلكة في بادية نجد من سلكها هلك أو كاد . والبياض من أرض بني عامر بن صعصعة . و« البياض » أيضاً ، ما لا عمارة فيه من الأرض ، وكأنه هو الذى عناه في رواية « يرعى » .

أبرأتنِي من وَضَحٍ بجِلْدِي ... من بَعْدِ ماطَعَنْتُ فى مَعَدِّى [1]

المَعَدُّ : موضع رِجْلِي الرَّاكب من الفرَس . [2]

* * * [3]

٣٥٢ — وكان هُبَيْرَةُ بن أبى وَهْبٍ شاعراً من رجال قُرَيْش المعدُودين ، وكانَ شَديد العَداوةِ لله ولرسُوله ، فأخْمَلَه الله ودَحَقَه ، [4] وهو الذى يقول فى يَوْم أُحُد :

قُدْنا كِنَانةَ من أَكْنَافِ ذِى يَمَنٍ ... عَرْضَ البِلَادِ على ما كان يُزْجِيها [5]

قَالَتْ كِنَانة : أَنَّى تَذْهَبُونَ بِنا ؟ ... قُلْنَا : النُّخَيلَ ! فأَمُّوها ومَا فِيهَا [6]

وله شعرٌ كثيرٌ وحَديثٌ .

---

(١) الوضح : البرص . ورواه صاحب اللسان فى (معد) :

* أبرأتَ منِّى بَرَصًا بجِلدِى *

(٢) المعد : البطن ، هكذا أراد هنا . والذى ذكره ابن سلام صحيح فى الخيل .

(٣) أسقط ذكر « عبد الله بن حذافة السهمى » ، أو « عبد الله بن الحارث السهمى ، المبرق » ، كما ثبت ذلك فى التعليق على رقم : ٣٢٨ .

(٤) دحقه : أبعده وطرده حتى صار الناس لا يبالون به .

(٥) روى الشعر كله ابن هشام ٣ : ١٣٦ — ١٣٨ . وشعره هذا وغيره فى جمهرة النسب للزبير : ٢١٤٣ — ٢١٤٧ . الأكناف جمع كنف : الناحية . وأما ذو يمن فإن يمنا : موضع قريب من مكة ، يذكر فى شعر أهل مكة والحجاز . وأضاف « ذو » إليه ، وهكذا دأبهم . وعرض البلاد : مااتسع من أرجائها ونواحيها ، ونصب على الظرفية . أزجى القوم : ساقهم ودفعهم . يقول : قدنا كنانة من مكة ، سالكين بهم مفاوز الأرض ، على ما كان يدفعها إلى المسير من حب الغزو والطمع فى الظفر .

(٦) النخيل : يعنى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى كثيرة النخيل . وزعم بعضهم أنها « النخيل » بالتصغير وأنها بئر قرب المدينة ، ولست أحققه . وأموها : قصدوها . يشير إلى غزاة أحد وغلبة المشركين يومئذ .

شعراء الطائف

٣٥٣ — قالَ ابن سَلَّام : وبالطَّائف شِعرٌ وليس بالكثير ، وإنما كان يَكْثُر الشِّعر بالحُرُوب التي تكون بين الأحْياء ، نحو حَرْب الأوْس والخزرَج ، أو قَوْم يُغِيرون ويُغَار عليهم . والّذى قَلَّل شِعْرَ قُرَيْش أنه لم يكن بينَهُم نَائِرةٌ ، ولم يحاربوا .[١] وذلك الّذى قَلَّل شِعْر عُمَان . وأَهْلُ الطَّائف فى طَرَفٍ ،[٢] ومع ذلك كان فيهمْ :

٣٥٤ — أبو الصَّلْت بن أبى رَبِيعة .

٣٥٥ — وابنه أُمَيَّةُ بن أبى الصَّلْت ، وهو أشعرهم .

٣٥٦ — [وأبو مِحْجَن عمرو بن حَبِيب بن عَمْرو بن عُمَيْر الثَّقَفِى] .[٣]

٣٥٧ — وغَيْلَان بن سَلَمَة [بن معتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف] .[٤]

---

(١) فى « م » : « ثائرة » ، وهو خطأ . والنائرة : الحقد والعداوة تقع بين القوم ، فتثير شرورهم . وانظر رقم : ٣٣٠ ، ص : ٢٣٦ تعليق : ٢ .

(٢) فى طرف : فى مكان ناء بعيد . وهذه صفة الطائف ، فإنها على جبل غزوان ، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً . وكانت تسكنها ثقيف .

(٣) زدت ما بين القوسين ، لأنه مذكور بعد فى رقم : ٣٦٧ ، و« م » فيها إخلال كثير ، وهذا من مواضع الخرم فى المخطوطة .

(٤) هذه الزيادة من مخطوطة تاريخ ابن عساكر ج١ ٣٤ : ٣٩٥ . بإسناده عن ابن سلام.

٣٥٨ — وكِنَانَةُ بن عَبْدِ يَالِيل.[1]

* * *

٣٥٩ — وكان أبو الصَّلت يَمْدح أهلَ فارسٍ حين قتلوا الحَبَشة، في كلمة قال فيها:

لله دَرُّهُمُ من عُصْبَةٍ خَرَجُوا، ... مَا إنْ تَرَى لَهُمُ في النَّاس أمْثالا[2]

بِيضًا مَرَازِبَةً، غُرًّا جَحَاجِحَةً، ... أُسْدًا تُرَبِّبُ في الغَيْضَاتِ أَشْبالا[3]

---

(١) لم يذكر ابن سلام شيئاً من شعره ولا من خبره بعد، وذكره المرزباني في معجم الشعراء ٣٥٣ وقال: «وهو شاعر معروف، ذكره ابن سلام وغيره». ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ١: ٢٢٦، وأسد الغابة ٤: ٢٥٥، والإصابة في القسم الرابع. أما ابن سعد في الطبقات ٥: ٣٧١، فذكر أباه: «عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وكان رأس وفد ثقيف الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وكان عبد ياليل سن عروة بن مسعود» ثم قال ابن سعد: «وابنه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو ... كان شريفاً، وقد أسلم مع وفد ثقيف»، وكذلك نسبه ابن هشام في السيرة ٤: ١٣٣، ولم يذكره أحد منهم بالشعر، ولا ذكر له شعراً سوى ابن هشام. وانظر ما كتبته تعليقاً على الخبر رقم: ١٧١٩٩، في تفسير الطبري. وأما كتب الأنساب فلم تذكر «كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير»: هذا، وهو ابن عم أبي محجن الثقفي، كما ترى في النسب. والذي ذكروه في شعراء ثقيف هو: «ربيعة ابن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف»، ذكره الآمدي في المؤتلف: ١٢٠، وقال هو: ابن الذئبة الثقفي، والذئبة أمه.

(٢) رواه ابن هشام في السيرة ١: ٦٧، وفي التيجان: ٣٠٥ — ٣٠٧، والأزرقي ١: ٩٣، والأغاني ١٧: ٣١٢ (الهيئة)، وحماسة البحتري: ١٦، وأمالي الشجري ١: ١٦٩، وتاريخ الطبري ٢: ١٢٠، والعقد ٢: ٢٣، وغيرها كثير، والاختلاف في روايتها وفي ترتيبها شديد، وتنسب له ولابنه أمية.

(٣) بيض: لم يعن بياض الألوان، إنما هي نقاء الأعراض والشيم مما يعيبها. ومرازبة جمع مرزبان (بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي): معرب من الفارسية، وهو عندهم رئيس القوم الفارس الشجاع المقدم عليهم، دون الملك. غر جمع أغر: وهو الأبيض الوجه المتلألئ، يريد نبلهم وكرمهم. وجحاجحة جمع جحجاح: وهو السيد السمح الكريم. تربب: تربي وترعى وتحفظ، والتربيب أبلغ من التربية وأوسع معنى. والغيضات جمع غيضة: وهي الأجمة، عند ماء مغيض يجتمع، فينبت فيه الشجر الكثيف الملتف، تألفه الأسود. والأشبال جمع شبل: وهو ولد الأسد إذا شب وبلغ الصيد.

لَا يَرْمَضُونَ إِذَا حَرَّتْ مَغَافِرُهُمْ ،   وَلَا تَرَى مِنْهُمُ فِى الطَّعْنِ مَيَّالَا (١)

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ لَهُ   أَوْ مِثْلُ وَهْرِزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا (٢)

فَاشْرَبْ هَنِيئًا ، عَلَيْكَ التَّاجُ ، مُرْتَفِقًا   فِى رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالَا (٣)

وَاضْطَمِ بِالْمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ   وَأَسْبِلِ الْيَوْمَ فِى بُرْدَيْكَ إِسْبَالَا (٤)

---

(١) رَمِض الرجل (بكسر الميم) يرمض : إذا اشتد عليه الحر أو الوجع فقلق وتململ . وحر الشيء يحر : سخن واشتدت حرارته . والمغافر جمع مغفر : زرد ينسج من حلق حديد على قدر الرأس يلبسه المحارب تحت القلنسوة ، ويسبغ على العنق فيقيه ، وينزل إلى العاتقين . فإذا اشتد الحر وحميت الشمس آذى المحارب بحره . يقول : هم صبر فى الحرب ، قد ألفوا لأواءها فلا يضجرهم حر القتال ولا حر الحديد من طول اعتيادهم . ميال : يميل عن سرج فرسه فى شدة الحرب ، جبناً أو فزعاً . هذا الذى أراد ، يصفهم بالثبات والصبر فى اللقاء .

(٢) يروى « ... كسرى شهنشاه الملوك له » . يقول : من له مثل كسرى وسابور ؟ يعنى : من له من الناس ملوك وأبطال مثل هؤلاء . وكسرى ، ملك الفرس يومئذ أنوشروان . وسابور الجنود : هو كسرى سابور ذو الأكتاف الذى غزا ساطرون ملك الحضر (ابن هشام ١ : ٧٣ ــ ٧٥ وغيره) . ووهرز : هو الذى أرسله كسرى أنوشروان مع سيف بن ذى يزن ، وملكه على اليمن لقتال الحبشة وإخراجهم . (ابن هشام ١ : ٦٤ ــ ٦٦ وغيره) . يذكر صولة وهرز على الحبشة ، وقتله مسروق بن أبرهة الحبشى ملك اليمن يومئذ .

(٣) مرتفق : متكئ على وسادة . وكذلك كانوا يفعلون فى مجالس الملوك . وغمدان : قصر عظيم كان بصنعاء اليمن ، كانت ملوكهم تنزله ، يزعمون أن عثمان بن عفان رضى الله عنه أمر بهدمه ، وله أخبار وذكر كثير . وقوله : داراً منصوب على أنه حال . ويقال : « أرض محلال وروضة محلال » ، إذا كانت سهلة لينة ممرعة خصيبة جيدة النبات ، مختارة لنزول الناس يكثرون الحلول بها لطيبها . يدعو له بالنعمة وطيب المنزل والرفاهية .

(٤) هكذا رواية ابن سلام « واضطم » . وهى فى حماسة البحترى : ١٦ « واخطم » ، وكأنها خطأ وتحريف . وروى الأزرقى « والتطخ » وهذه روايات مشكلة . وسائر الروايات « واطل المسك » و « ثم اطل » ، وهى واضحة المعنى . وعندى أن رواية ابن سلام إذا صحت ، فإنما هى فعل أمر من اضطمخ بالمسك وتضمخ : تلطخ به وتطيب . فلما سكنت الخاء ، طرحها . والعرب تحذف من أواخر كلامها الحرف والحرفين ، كما قال سيبويه ١ : ٨ « اعلم أنه يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ... وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفاً ، كما قال العجاج :

* قواطناً مكة من وُرْق الحَمِى *

تِلْكَ المَكَارِمُ ، لا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ   شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا[١]

* * *

٣٦٠ — وكان أُميَّةُ [بن أبى الصَّلْت][٢] كثيرَ العَجائب ، يذكرُ فى شِعْرِه خَلْقَ السَّمٰوات والأرضِ ، ويذكر الملائكة ، ويذكر من ذلك

= « يريد الحمام . » وشواهده كثيرة ، ومما استشهدوا به قول لبيد :

دَرَسَ المنا بمُتَالع فَأَبان   وتقادمت بالحُبْس فالسُّوبان

أراد المنازل ، فحذف الزاى واللام . وقول الفرزدق :

أَحينَ التقى نَابَاىَ وابيضَّ مِسْحَلى   وأطرق إطراقَ الكَرَا من أحارِبُه

أراد الكروان ، فحذف . وقول علقمة بن عبدة :

كأن إبريقَهم ظبىٌ على شَرَفٍ   مُفَدَّمٌ بِسَبَا الكتّان مَرْثُومْ

أراد بسبائب الكتان . وهو كثير فى شعرهم . وأما رواية الأزرق : « والتط » فهى أيضاً على حذف آخر فعل الأمر : التطخ . أمر من قولهم : التطخ بالطيب والتلطخ به : تطلى أو ادهن . هذا ما استطعت أن أراه رأياً فى تأويل هاتين الكلمتين . ولم أعرف لهما وجهاً غير هذا الوجه .

وقوله : « إذ شالت نعامتهم » ، أى ارتحلوا من منازلهم وتفرقوا أو ذهب عزهم ودرست طريقتهم ، وهلكوا . وأصله من من قولهم : شالت كفة الميزان : ارتفعت لخفتها . والنعامة : الجماعة ، كأنه خف أمرهم حين تفرقوا وذهبت ريحهم . وأسبل ثوبه : طوله وأرخاه وأرسله إلى الأرض إذا مشى ، يفعل المرء ذلك كبراً واختيالا . وضمن أسبل معنى اختال ، ولذلك عداه بحرف الجر « فى » ، كأنه قال له : سر مختالا فى برديك مرخياً من أذيالك بعد الذى فعلت وبلغت من النصر .

(١) انظر ماسلف رقم : ٧٠ ، حيث قال إن النابغة الجعدى اجتابه فى شعره ، وأن الرواة مجمعون على أن أبا الصلت بن ربيعة قال هذا البيت . أما ابن هشام ١ : ٦٩ ، فإنه يحققه للنابغة وينفيه من قصيدة أبى الصلت . القعب : القدح الغليظ الجافى ، من خشب مقعر ، يروى الرجل . وشاب اللبن بالماء : خلطه ومزجه . يقول له : الذى فعلت هو المكارم والمآثر ، إذ بلغت مابلغت من عدوك ، أما مايتمدح به المتمدح من بذل شربة لبن إلى ضيف ، فليس بمكرمة تذكر ، وعدوه غالب ، وهو له مستكين .

(٢) زيادة زدتها للبيان .

مالم يَذْكُره أحدٌ من الشُّعَراء، وكان قد شَامَّ أهلَ الكِتابِ.(١)

٣٦١ — نا ابنُ سلَّام قال، فحدَّث سفيان وابن دَأْبٍ: أنَّ أُمَيَّةَ مرَّ بزَيْدِ بن عمرو بن نُفَيْل، أخى عَدِىِّ بن كَعْب،(٢) وكان قد طلبَ الدِّينَ فى الجاهليَّةِ هو ووَرَقَةُ بن نَوْفل. فقال له أميَّة: يا باغِىَ الخيرِ، هل وجَدْتَ؟ قال: لا. قال: ولَمْ أُوتَ مِنْ طَلَبٍ.(٣) قال: أَبَى عُلَماءُ أَهْلِ الكتاب إلّا أنّه منّا أو مِنكم أو منْ أهلِ فِلَسْطِين.

٣٦٢ — ونَاحَ أميَّةُ عَلَى قَتْلى بَدْرٍ فقال:

ماذا بِبَدْرٍ فَالعَقَنْـ ... ـقَلِ مِنْ مَرازِبَةٍ جَحَاجِحْ(٤)

هَلّا بَكَيْتَ على الكِرَا ... مِ بَنِى الكِرَامِ أُولِى المَادِحْ(٥)

---

(١) شام الشىء يشامه: دنا منه وقرب، من الشمم: وهو القرب والدنو، أو من الشم أيضاً، كأنه يدنو منه ويشم ماعنده، أى كأنه يختبره ويذوقه ويعرف ماعنده. ومنه حديث على رضى الله عنه فى ذكر يوم الخندق وخروجه لمبارزة عمرو بن عبدود قال: «أخرج فأشامه قبل اللقاء»، أى اختبره وانظر ما عنده. ويريد ابن سلام: أنه نال شيئاً من علم أهل الكتاب وأخبار دينهم.

(٢) يعنى أنه من بنى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب. وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم، وقد كاد يظله الإسلام، ولكنه مات قبل البعثة بنحو خمس سنوات. وابنه سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه.

(٣) «لم أوت من طلب»، أى لم أوت من ترك الطلب أو من تقصير فيه، وكان أمية أحد الذين خرجوا فى طلب الدين، وكان هو يطلب النبوة. ولم أجد نص هذا الخبر فيما أتيح لى من الكتب.

(٤) ديوانه: ٢٠، روى بعضها وترك بعضاً ابن هشام ٣: ٣١، وزعم صاحب الأغانى ٤: ١٣٣ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن روايتها. العقنقل: كثيب رمل ببدر. والمرازبة والجحاجح: مضى تفسيرهما فى رقم: ٣٥٩.

(٥) المادح: ما يستحسن من الأخلاق، ضد المقابح، وهى سيىء الأخلاق. كأنه جمع ممدحة، وإن لم يستعمل مفرداً، فيما أعلم.

٣٦٣ — وقال أميّة :

وَمَا يَبْقَى على الحَدَثَانِ غُفْرٌ ... بِشَاهِقَةٍ له أُمٌّ رَؤُومُ[(١)]

تَبِيتُ اللَّيلَ حَانِيَةً عَلَيْهِ ... كما يَخْرَمِّسُ الأَرْخُ الأَطُومُ[(٢)]

تَصَدَّى كُلَّما طَلَعَتْ لِنَشْزٍ ... وَوَدَّتْ أَنَّهَا مِنه عَقِيمُ[(٣)]

الغُفْر : ولَد الوَعِل . والإِرْخُ : وَلَد البَقَرة . ويَخْرَمِّسُ : أى يَتصَمَّت . والأَطُومُ : الضَّمَّام بين شَفَتَيْهِ .

٣٦٤ — ومَدَح أميَّةُ عبدَ الله بن جُدْعَان التَّيْمِيّ ،[(٤)] فقال :

---

(١) ديوانه : ٥٣ — ٥٥ وروى البيتين الأولين صاحب اللسان عن ابن سلام فى مادة (أرخ) وانظر خبره في بلاغات النساء : ١٧٦ ، والأمالى ٣ : ٤١ . الحدثان : مصائب الدهر ونوبه ، ويريد الموت . والشاهقة : ذروة الجبل ، والوعول تسكن رؤوس الجبال ، ولا تنزل الأرض إلا فى القرط والندرة . رؤوم : شديدة العطف على ولدها محبة له

(٢) فى «م» : «يتخرمس» هنا ، وفى شرحه . شرح البيت سيأتى بعد الشعر ، وقد ذكر ابن سلام ما رأى ، ولكنى أرى أن الأرخ هنا : الفتية من بقر الوحش ، لا ولد البقر. وقوله الأطوم : الضمام بين شفتيه ، حق أيضاً ، ولكن بيانه أنه من قولهم ، أطم : إذا زم شفتيه وسكت على ما فى نفسه من الهم والهلع . يقول : لا ينجو من المنية غفر تحوطه أمه وتحنو عليه ، حنو بقرة وحشية قد لزمت ولدها وتحننت عليه ، وهى متوجسة راهبة خائفة من كل حس ونبأة ، فهى صامتة تقلب طرفها يمنة ويسرة ، تتسمع مخافة ريب يريبها مما تخشى منه على ولدها . وقد تساهل ابن سلام ، كما تساهل أكثر شراح الشعر القديم . غفر الله لهم .

(٣) تصدى ، أصله تتصدى ، حذف التاء ، وتصدى للشيء : رفع رأسه وصدره ينظر ويتسمع متتبعاً صداه ، أى صوته . والنشز (بفتح فسكون ، وبفتحتين) : المتن المرتفع من أرض منهبطة . وبهذا البيت أتم معنى البيت السابق . يقول : إن هذه البقرة الغريرة العاطفة على ولدها مخافة ما يفجؤه من وحش يثكلها إياه ، كلما علت أرضاً مرتفعة ، أخذت تقلب رأسها تتسمع الأصداء ، حذراً على صغيرها ، وتود من شدة ما تلقى من عذاب القلق ، أنها لم تلده .

(٤) سيد من قريش ، وأحد أجواد العرب ، وكان يسمى «حاسى الذهب» ، لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه شهد فى داره حلف الفضول، وحضر رسول الله مأدبة من مآدب ابن جدعان ، هو وأبو جهل ، وهما غلامان ، فازدحما عليها،=

أأذكُر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤُك ؟ إنّ شيمتَك الحياءُ[1]
كريمٌ لا يُغيّرُه صباحٌ ... عن الخُلُق الكريم ولا مساءُ
وأرضُك كلُّ مكرُمةٍ بنتها ... بنو تيمٍ ، وأنتَ لهم سَماءُ

قالَ ابن سلّام : وأنشدَنيها أبو بكر بن محمّد بن واسعٍ السُّلَميّ ، وأنشدنيها أيضاً أبو بَكْر ، [2] وذكرتُها الخَلَفِ فعرَفها .

٣٦٥ — [وقال أميّة] :

عَطاؤُك زَيْنٌ لامرئٍ بَذَلَ وَجْهه ... بخَير ، وما كلُّ العَطاء يَزِينُ[3]
وَليس بشَيْنٍ لامرِئٍ بَذْلُ وَجْهِه ... إليكَ، كما بَعضُ السُّؤال يَشِينُ

٣٦٦ — [4] نا ابن سلّام قال : وذكر عِيسَى بن عُمَر عنْ بعضِ أهل

= فدفعه رسول الله ، فوقع أبو جهل على ركبته فجحشت جحشاً لم يزل أثره به ، حتى عرفه رسول الله به يوم قتل فى بدر . وكان عبد الله ابن عم أبى بكر الصديق ، فجاء فى الحديث أن عائشة قالت : « قلت يا رسول الله ! ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟ قال : لا ينفعه ! إنه لم يقل يوماً : رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين » ، رواه مسلم فى صحيحه ٣ : ٨٦ .

(١) ديوانه : ١٧ ، والأغانى ٨ : ٣٢٨ ، ونسب قريش للمصعب : ٢٩١ ، والاشتقاق : ١٤٣ .

(٢) كأن فيها تحريفاً أو سقطاً لم أستطع أن أتبينه ، إذ لم أهتد إلى ترجمة أبى بكر بن محمد ابن واسع هذا ، وانظر رقم : ٤٢٥ .

(٣) ديوانه : ٦٣ ، والأغانى ٨ : ٣٢٨ ، والاشتقاق : ١٤٤ ، وفى م : « ليس بشين بغل وجه امرىء » ، خلط .

(٤) هذه القصة رواها صاحب الأغانى ٤ : ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢ : ٢٢٤ ، وابن عساكر ٣ : ١٢٤ ، والمسعودى فى المروج ١ : ٥٧ ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، وهى تباين رواية ابن سلام فى السياق ، وروتها بغير هذه الألفاظ . وهذه القصة روتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخته الفارعة بنت أبى الصلت الثقفية ، وكانت امرأة ذات لب وعفاف وجمال ، وكانت قدمت عليه مسلمة .

الطَّائف ، عن أُختِ أُميَّة بن أبى الصَّلْت ، قالت : إنّى لَفِى بَيْتٍ فيه أُمَيّة نائمٌ ، إذ أَقْبَل طائران أَبيَضان فسَقَطا على السَّقْف ، ففُرِجَ السقْفُ فسقَط أحدُهما عليه ، فشَقَّ بَطْنَه وثبَتَ الآخَر مكانَه . فقال الأعْلَى للأسفل : أَوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال: أَقَبِلَ ؟ قال : أبَى — ويقال [قال] : زَكَا . قال : خَسَا — [1] فرَدَّ عليه قلبَه وطارَ ، والتأمَ السَّقْف . قالت : فلما اسْتيقظَ قلتُ : له يا أُخَىّ ! أَحْسَسْتَ شيئًا . قال : لَا ! وإنِّى لَأَجِدُ توصيبًا ، فما ذاك ؟[2] فأخبَرْتُه. قال: يا أُخَيَّة ! أنا رجُلٌ أرادَ الله بِى خيْراً فلم أقبَلْه . قالت : فلما مَرِضَ مَرْضَتَه التى ماتَ فيها ، قالت : فَإِنِّى عندَه، إذ نظر إلى السَّماء وشَقَّ بَصَرُه ثم قال :[3]

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ‏ ‏ ‏ ‏ ها أَنا ذَا لَدَيْكُما

لا ذُو بَرَاءةٍ فأعتذِر ، ولا ذُو قُوّةٍ فأنْتَصِر. ثم أُغْمِىَ عليه ، ثم شَقَّ بَصَرُه ونَظر ،وقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ‏ ‏ ‏ ‏ ها أنا ذَا لدَيْكُما

---

(١) رواية هذه الجملة فى الكتب مضطربة ، وقد زدت « قال » بين قوسين . وقوله : « زكا » ، هو الشفع ، و « خسا » ، هو الفرد ، ومنه اللعب بالجوز تقول : « زكا ، خسا » أى أزوج أم فرد ؟ وأراد به في هذا الخبر : أوعى فقبل ؟ فهذان زوج ، الوعى والقبول معاً ، أم وعى ولم يقبل ، فهذا فرد في الوعى وحده دون القبول .

(٢) التوصيب : الفتور الشديد فى البدن . من الوصب : الوجع .

(٣) شق بصر الميت شقوقاً : انفتحت عيناه وشخص ، كأنه ينظر إلى شىء ، لايرتد إليه طرفه .

وقال : لا ذُو عشيرَةٍ تحْمِينِى ، ولا ذُو مال يَفْدِينِى . ثمّ أُغْمِىَ عليه ، فقلنا : قد أَوْدَى ![1] ثم شقّ بَصَرُه ونَظَر إلى السّماء فقال :

[لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما] هَا أنا ذَا لَدَيْكُما

بالنِّعَم مَحْفُود ، من الذّنبِ مَخْضُود .[2] ثم أغمى عليه ، ثمّ شَقّ بَصَرُه وقال :

إنْ تَغْفِرِ اللّهُمّ تَغْفِرْ جَمّا وأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمّا[3]

ثمّ أُغْمِىَ عَليه ، ثمّ أفاق فقال :

لَيْتَنِى كُنْتُ ، قَبْلَ مَا قَدْ بَدَا لى ، فى قِلَالِ الجِبَالِ أَرْعَى الوُعُولَا[4]
كُلُّ عَيْش ، وإنْ تَطاوَلَ دَهْراً ، قَصْرُهُ مَرّةً إلَى أَنْ يَزُولَا[5]

ثم خَفَتَ فماتَ .

٭ ٭ ٭

(١) أودى : فاضت روحه وهلك .

(٢) فى الأصل : « محفود بالنعم ، مخضود من الذنب » وسياق ابن كثير فى البداية والنهاية أجود ، فلذلك أثبته هنا . وانظر اللسان أيضاً (خضد) . محفود : مخدوم معان . من قولهم حفده : خدمه وأعانه . ومخضود : منقطع الحجة منكسر ، من قولهم خضدت الشجرة ، وكل شىء لين ، قطعتها أو كسرتها .

(٣) هذا البيت لأبى خراش الهذلى ، وليس فى ديوانه المطبوع ، وإن كان السيوطى نقل نسبته إليه عن السكرى فى شرح أشعار هذيل . (شرح شواهد المغنى : ٢١٣) وكذلك نسبه ابن الشجرى فى أماليه ٢ : ٢٢٨ ، ثم انظر الخزانة ١ : ٣٥٨ ، والعينى (على هامش الخزانة ٤ : ٢١٦) ، وتفسير الطبرى ٢٧ : ٣٩ ، ٤٠ ، قال : وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت ويقولون : « إن تغفر اللهم . . . »

(٤) قلال جمع قلة : وهى رأس الجبل . والوعول جمع وعل : وهو تيس الجبل ، يسكن ذرى الجبال لا يفارقها إلا لماماً . والوعول لا ترعى كما ترعى الغنم ، فهى ليست من النعم . ولكنه يريد : ليتنى كنت فى الجبال فأتوحش وأتفرد ويألفنى وحش الوعول ، حتى تطمئن إلى فأرعاها كما يرعى الناس الغنم .

(٥) قصره : غايته ونهايته .

٣٦٧ — قال ابنُ سَلَّام :[1] وأبو مِحْجَنٍ رجلٌ شاعرٌ شَريفٌ . وكان قَدْ غَلَب عَلَيْهِ الشَّرابُ ، فَضُرِب فيه مِراراً ، ثمّ حَبَسَه سَعْدٌ بالقادِسِيَّة في القَصْرِ معه ، والنّاسُ يَقْتَتِلون ، فجالَ المُسْلِمون جَوْلَةً وهو يَنْظُر ،[2] فقال :

كَفَى حَزَناً أن تُطْرَدَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكُ مَشْدُوداً عَلَيّ وَثَاقِيَا[3]
إذَا قُمْتُ غَنَّانِي الحَدِيدُ ، وَأُغْلِقَتْ ... مَصَارِيعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ المُنَادِيا[4]
وقَدْ كُنْتُ ذَا مالٍ كَثيرٍ وإخْوَةٍ ، ... فقد تركُوني وَاحِداً لا أَخَا لِيَا
أَرِينِي سِلاحِي ، لَا أَبَا لَكِ ، إنَّنِي ... أَرَى الحَرْبَ مَا تَزْدَادُ إلّا تَمَادِيَا

وكان مُقَيَّداً يَوْمَئِذٍ عند زَبْرَاءَ ،[5] أُمّ وَلَدِ سَعد بن أبي وَقّاص ، فقال لها :

---

(١) قد مضى في التعليق على رقم : ٣٥٦ ، أن اسم أبي محجن كان ساقطاً هناك في نص مخطوطة « م » .

(٢) كان ذلك في ليلة أغواث من أيام القادسية في سنة ١٤ من الهجرة . جال الناس في الحرب جولة : انكشفوا منهزمين ، ثم يكرون على عدوهم .

(٣) ديوانه : ١٧ ، وخبر قصته هذه في الطبري ٤ : ١٢٣ ، والأغاني ٢١ : ١٣٩ وغيرهما . تطرد : تدفع دفعاً شديداً حتى تنقلب منهزمة .

(٤) « غناني الحديد » من الغناء ، يعني صوت الحديد وصلصلته إذا قام ، وفي كثير من الكتب : « عناني » بالعين المهملة . عناه الشيء : حبسه وبلغ منه غاية العناء . مصاريع جمع مصراع ، وللبيت مصراعان : وهما بابان . وأراد أبواب قصر سعد الذي كان فيه . وقوله « تصم المناديا » ، أي تجعله أصم ، من قولهم : أصمه الله : سد أذنيه فثقل سمعه . وذلك أن الأصم إذا بالغ في النداء ، ظن أنه مقصر فيلح في رفع صوته ولا يقلع . ويقولون من ذلك : دعا دعوة الأصم ، إذا بالغ في النداء . يصف أبواب القصر المغلقة وضخامتها ، وقلة نفاذ الصوت منها ، فالمنادي إذا نادى من خلالها ، احتاج أن يبالغ في النداء مبالغة الأصم .

(٥) في « م » : « زبراء » وفي ابن سعد : « زبد » (بفتح الزاي والباء) ، وفي الطبري : « زبراء » : قال ابن سعد : ويزعم بنوها من سعد بن أبي وقاص أنها : « زبد ابنة الحارث ابن يعمر بن شراحيل بن عبد عوف بن مالك بن جناب بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل ، أصيبت سباء » . وأما رواية الأغاني والطبري ، فقد ذكر أن التي أطلقته أخرى =

أَطْلِقينى ، فَلَكِ اللهُ ، لَئِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الْمسلمين وسَلِمْتُ ، لأرْجِعَنَّ حَتَّى أضَعَ رِجْلَىَّ فى القَيْد . فأَطْلَقَتْهُ ، وحمَلَتْه على فَرَسٍ لسعْد ، فأخذ الرُّمْحَ فخَرج فقاتَل ، فحطَم الْمُشْرِكين ، وكان سَبَبَ الهزِيمَةِ . فقال سعد : لولَا أنَّ أبا مِحْجَنٍ مَحْبُوسٌ لقُلْتُ : الفَارِسُ أَبُو مِحْجَن! فلمّا فتح اللهُ على المسلمين رَجَع إلى محْبِسه ، فقال له سعد : لَاضَرَبْتُكَ فى الخمر أبدًا. قال أبو محجن: وأنَا وَاللهِ لَا أَشْرَبُها أبداً .(١)

* * *

٣٦٨ — قال ابن سلّام : ولِغَيْلَانَ بنِ سَلَمَةَ شعرٌ ، وهو شَرِيفٌ .(٢)

= من نساء سعد هى:سلمى بنت خصفة بن ثقف بن ربيعة ، من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة » . (ابن سعد٣/١/٩٧ ، والقاموس : زبد) ، ومشتبه النسبة ٣٤٢ ، وابن ماكولا ٤ : ١٦٨عن ابن سعد ، ولكن جاء فى تاريخ الطبرى بيت من الشعر قاله شاعر :

ألا لَيْتَنِى والمرءَ سَعْدَ بن مالكٍ وزَبْرَاء وابن السِّمْط فى لُجَّةِ البَحْرِ

« سعد بن مالك » هو سعد بن أبى وقاص ، وهذا دليل على صحة « زبراء » ، كما جاءت فى الطبرى وأصل ابن سلام ، فربما كان اسمها « زبراء » ولقبها « زبد » أو العكس ، فتركت الأصل على حاله .

(١) روى الطبرى ٤ : ١١٤ ، أن سعداً حبس أبا محجن وسواه من الناس وقيدهم فى القصر ، إذ كانوا قد اختلفوا عليه وشغبوا ، فحبسهم . وانظر أيضاً الطبرى ٤ : ١٢٣ — ١٢٤ . وروى ابن عبد البر ، أن عمر حده فى الخمر ثمانى مرات ، فأبى أن يقلع . فلما كان يوم القادسية وقال له سعد ما قال ، قال لسعد : « كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم » . غفر الله له ورضى عنه ، ما كان أنبله !

(٢) لم يذكر له ابن سلام شعراً ، ولعله ساقط من « م » . فانظر شعره فى الأغانى ١٣ : ٢٠٠ — ٢٠٨ ، وقد أسلم غيلان زمن الفتح ، ثم أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وعروة ابن مسعود الثقفى إلى جرش ، يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق ، فلم يشهدا حنينا ولا الطائف . والضبور : جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب إلى الحصون عند القتال ، لحطم أبوابها وقتال أهلها . وكان غيلان أحد حكماء الناس وعقلاء الرجال . وابنته بادية بنت غيلان ، التى وصفها هيت المخنث.

وكان قسَّم مَالَه كُلَّه بين وَلَدِه، وطَلَّق نِساءه.[١] فقال له عُمَر: إن الشَّيطان قد نَفَثَ في رُوعِكَ أنَّك مَيِّتٌ، ولا أُرَاهُ إلا كَذلك،[٢] لَتُرْجِعَنَّ في مَالِك، ولَتُرَاجِعَنَّ نِسَاءك، أوْلَآمُرَنَّ بقَبْرِكَ أن يُرْجَم كما يُرْجَمُ قبرُ أَبِي رِغَالٍ[٣]. فَفَعَل.

---

(١) رواه أحمد فى المسند ، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ، مختصراً ومطولا ، والمطول رقم: ٤٦٣١ ، وقد أفاض أخى السيد أحمد رحمه الله ، فى تخريجه وتصحيحه فى رقم : ٤٦٠٩ من مسند عبد الله .

(٢) الروع : القلب والخلد ، نفث فى روعه : أوقع فى نفسه . نفث : نفخ ، يعنى ألقى له الشيطان ووسوس . وقوله « لا أراه » بالبناء للمجهول ، أى لا أظنه ، من رأيت : أى ظننت يتعدى لمفعولين . وقوله : « ولا أراه إلا كذلك » ، يفسره حديث عبد الله بن عمر : « ولعلك أن لا تمكث إلا قليلا » ، يعنى أنه ميت ، كما قذف الشيطان فى نفس غيلان .

(٣) حديثه فى سنن أبى داود ٣ : ٢٤٥ ، عن عبد الله بن عمرو : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، حين خرجنا إلى الطائف فمررنا بقبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا قبر أبى رغال ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه . وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابتدره الناس فاستخرجوا الغصن » . وقوم أبو رغال هم ثمود . وقد تكلم على الحديث ابن كثير فى البداية والنهاية ١ : ١٣٧ . وزعم ابن هشام فى روايته عن ابن إسحق ١ : ٤٩ أن أبا رغال هو الذى بعثته ثقيف مع أبرهة والفيل لهدم الكعبة ، فلما نزلوا المغمس ، بين مكة والطائف ، مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبره العرب . وقد كثرت فيه الروايات ، والحديث أثبت ، وإن تكلم فيه .

شُعَرَاءُ البَحْرَيْن

٣٦٩ — قالَ ابنُ سَــلّام : وفى البَحْرَيْن شِعْرٌ كَثِيرٌ جَيِّدٌ وفَصَاحةٌ ، [1] منهم :

٣٧٠ — المُثَقِّب ، وهو عائِذُ بن مِحْصَن بن ثعْلبة بن وائلة بن عَدِىّ بن [عوف بن] دُهْن [بن عُذْرة] بن مُنَبِّه بن نُكْرَة — وهى القبيلة — ابن لُكَيْز بن أفْصَى بن عبدِ القَيْس . [2] وإنما سُمِّى المُثَقِّبَ لبيتٍ قاله :

رَدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخْرَى ، وثَقَّبْنَ الوَصَاوِصَ للعُيُونِ [3]

٣٧١ — وقال أيضًا :

ظَعَائِنُ لَا تُوفِى بِهِنّ ظَعَائِنٌ ، وَلَا الثَّاقِبَاتُ من لُؤَىِّ بن غَالِب [4]

---

(١) البحرين : كانت قديماً اسم مكان جامع لبلاد على ساحل الهند ما بين البصرة وعمان ، وقصبتها هجر . أما المعروفة الآن باسم البحرين ، فهى جزيرة يحيط بها البحر فى ناحية البحرين ، وكانت تعرف قديماً باسم أوال (بضم الهمزة وفتحها) ، كان فيها نخل كثير وليمون وبساتين .

(٢) مابين القوسين ، زيادة من نسبه ، فى شرح المفضليات : ٣٠٣ ، ٥٧٤ ، وكتب الأنساب : وفيها جميعاً « وائلة بن عدى » ، وتركت ما فى الأصول على حاله ، لأنى رأيت ابن دريد فى الاشتقاق : ٢٠١ يذكر فى بنى عبد القيس : « بنو وائلة » .

(٣) من قصيدته التى ستأتى فى رقم : ٣٧٢ . وصدر البيت اختلفت الرواية فيه . كن الشىء : ستره ، يريد كتمنها ومنعنها ، الوصاوص جمع وصواص : وهو ثقب فى الستر ونحوه على قدر العين ينظر منه . يريد ستر الهودج ، قد اتخذن فيه ثقوباً صغاراً ينظرن منها ، وفعلن ذلك حبا له ، يتزودن منه نظرات قبل الفراق .

(٤) ديوانه : ٥٤ ، الظعائن جمع ظعينة : الجمل يظعن عليه ، أو الهودج تكون فيه المرأة . فسميت المرأة ظعينة ، لأنها تستتر فى هودجها ، فأكرموها عن الذكر بالكناية عنها . ووقى =

ولا ثَعْلَبِيّاتٌ حَلَلْنَ عُباعِباً ، لَا أُسْرَةُ القَعْقَاعِ من رَهْطِ حاجِبِ [(١)]

— وتميمٌ تنشد :

ولا نَهْشَلِيّاتٌ أبُوهُنّ دارِمٌ ، ولَا أُسْرَةَ القَعْقَاعِ من رَهْطِ حَاجِبِ [(٢)]

٣٧٢ — والمثقِّب العَبْدِيّ هو الذى يقول :

أفاطِمَ قبْلَ بَيْنِكِ مَتِّعِينى ومَنْعُكِ ما سَأَلْتُكِ أنْ تَبِينى [(٣)]

= الدرهم الثقال: عادله ، وكذلك أوفى به يوفى . يقول : كريمات لا يساويهن فى الناس كريمات . الثاقبات : الزاكيات الحسب ، المعروفات المشهورات بكرم المحتد . حسب ثاقب : مشهور متعالم ، كأنه نير متوقد . من قولهم ، ثقب الكوكب : أضاء وتلألأ . ولؤى بن غالب ، جد رسول الله صلى الله عليه ، وقريش أكرم العرب حسباً .

(١) ثعلبيات : يعنى نساء من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، وهم من كرام العرب وملوكها . وعباعب : بالبحرين ، ماء لبنى قيس بن ثعلبة . والقعقاع : هو القعقاع بن معبد بن زرارة بن عدس بن زيد بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم . والقعقاع أحد الشجعان والأجواد ، وكان يسمى « تيار الفرات » لسخائه (ابن سعد ١٥٢/١/٣) ، وعمه حاجب بن زرارة بن عدس ، وهو الذى رهن كسرى قوسه ، وضرب بقوسه المثل . وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأسلم القعقاع أيضاً .

(٢) نهشليات : من بنى نهشل بن دارم بن مالك ، من بنى تميم (انظر النسب فى التعليق الماضى) ، وبنو نهشل من سادة العرب ورؤوسهم وأشرافهم . وتنشده تميم هكذا ، لتذهب بالفخار كله !

(٣) ديوانه : ٢٨ — ٤٣ ، والمفضليات : ٥٧٤ ، ، قصيدة طويلة جيدة . الأربعة الأولى متتابعة أول القصيدة فى صاحبته فاطمة ، والأخرى متتابعة من عند آخرها من (٣٤ — ٣٧) فى ذكر ناقته . البين : الفراق . ومتعينى : زوديني حديثاً أو نظرة أو عدة ، من المتاع : وهو كل شيء ينتفع به ويتزود به . ثم يقول : ومنعك ما أسألك من حسن المودة هو الفراق ، لا فراق الأبدان ، بل فراق الأرواح . ويروى هذا الشطر :

* وَمَنْعُكِ ما سألتُ كأَنْ تَبِينِي *

أى هما سواء : منعك وفراقك .

وَلَا تَمِدِى مَواعِدَ كاذِبَاتٍ ... تَمُرُّ بِها رِيَاحُ الصَّيْفِ دُونِى (١)

فَإنِّى لَوْ تُخَالِفُنِى شِمَالِى ... عِنَادَكِ، ما وَصَلْتُ بِها يَمِينِى (٢)

إذًا لَقَطَعْتُها ولَقُلْتُ: بِينِى! ... كَذلكِ أَجْتَوِى مَنْ يَجْتَوِينى (٣)

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ (٤)

تَقُولُ إذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِى: ... أَهٰذَا دِينُهُ أَبَدًا ودِينِى؟ (٥)

أَكُلَّ الدَّهْرِ حَلٌّ وارْتحالٌ؟ ... أَمَا يُبْقِى عَلَىَّ وَلَا يَقِينِى!! (٦)

فَأَبْقَى بَاطِلِى والجِدُّ مِنها ... كَدُكَّانِ الدَّرَابِنَةِ المَطِينِ (٧)

---

(١) رياح الصيف : رياح شديدة الهبوب عاصفة ذات عجاج وغبار . وتمر بها : تذهب بها وتفرقها فى كل وجه . وإنما عنى برياح الصيف ، ما يثور بينه وبينها من الخلاف والعناد واليأس ، وكل ما يذهب بالمودة ويعصف بالمواعيد .

(٢) يروى « لو تخالفنى شمالى ، خلافك » و « لو تعاندنى شمالى ، عنادك » ، والخلاف والعناد بمعنى متقارب ، فلذلك أقام المصدر هنا مقام أخيه ، لأنه فى معناه ، كأنه أراد الجمع بين معنى الخلاف والعناد .

(٣) اجتوى المكان : كرهه واستثقله وأعرضت نفسه عنه .

(٤) الضمير فى البيت لناقته ، وقد أجاد صفتها فى أبيات سابقة . رحل ناقته : وضع عليها رحلها يتهيأ للرحيل . وهو بيت نبيل ، وإنما تتأوه الناقة حنيناً إلى ديارها .

(٥) فى « م » : « درأت بها وضينى » ، وهى رواية ، لو صحت ، قريبة المعنى مما سوف نفسره ، والأخرى أجود وأثبت . والوضين : حزام عريض من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير ، ولا يكون إلا منسوجاً ، لأن الوضن : النسج المضاعف ، ومنه قوله تعالى : « على سرر موضونة » ، أى منسوجة بالدر والجوهر ، مداخل بعضها فى بعض . ودرأ الوضين لناقته : بسطه على الأرض ثم أبركها عليه ليشد عليها رحلها به . والدين : الدأب والعادة ، والديدن : يذكر ضجر ناقته من طول حله وارتحاله فى البوادى لا يريحها ولا يستريح .

(٦) هذا أيضاً مما قالته ناقته ، زعم ، فى تململها من سوء عشرته لها بطول أسفاره . أبقى عليه : رحمه من الجهد والنصب ، فأبقاه واستحياه بالتخفيف عنه ، والاسم منه البقيا ، (بضم فسكون ففتح) . ووقاه : صانه فلم يعرضه للتلف والآفات ، وحماه ما يكره .

(٧) باطله : ركوبها فى طلب الشراب والصيد واللهو والغزل . وجده : ركوبها فى الغارات وطلب المعالى والسعى فى دركها . يذكر فتوته فى باطله وجده . الدكان : مرتفع مدكوك يبنى ويسطح =

وهٰذه الأبياتُ بعضُ القَصِيدة ، وإنَّما انْتَخَبْنا أجْودَها أبياتًا.[(١)]

* * *

٣٧٣ — ومنهُم: المُمَزَّق العَبْدِىّ ، واسمه: شَأْسُ بن نَهَار بن أسْود ،[(٢)] وإنَّما سُمِّى المُمَزَّق ببيتٍ قاله :

فإنْ كُنْتُ مَأكولًا ، فكُنْ خَيْرَ آكِلٍ   وَإِلَّا فأَدْرِكْنى ولمَّا أُمَزَّقِ[(٣)]

قال : وبَلَغَنى أن عُثْمان بن عَفَّان بعث به إلى علىّ بن أبِى طالبٍ رحمة الله عليْهما ورَضِى عنهما ، حين بُلِغَ منه وأُلِحَّ عليه.[(٤)]

* * *

٣٧٤ — ومنهم : المُفَضَّل بن مَعْشَر بن أسْحَم بن عَدِىّ بن شَيْبان بن

أعلاه ، فيصير دكة يجلس عليها أمام البيت . والدرابنة جمع دربان (بفتح فسكون ، أو كسر فسكون) : هو البواب . والمطين : المطلى بالطين أو الشيد ، وهو الجص والبلاط . يقول : أبقى منها ارتحالى فى باطلى وجدى ، هيكلا ضخماً كأنه بنيان مدكوك . يصف قوتها وضخامتها بعد أن براها السير . وذهب ابن الأنبارى وسائر الشراح إلى أن الجد هنا جد الناقة فى سيرها . وهو هنا رأى فاسد ، مفسد لتمام الشعر ، ومن قرأ الشعر عرف فساده . إنما أراد أن يتمدح بلهوه وجده معاً . وإنما غرر بهم عطف « والجد » معرفاً بالألف واللام على « باطلى » و « الألف واللام » هنا خلف من الإضافة ، كأنه قال : « باطلى وجدى » ، وذلك كقول النابغة :

لهم شيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرهُمْ   من الناسِ فالأحلام غير عَوَازِبِ

أى : فأحلامهم غير عوازب ، وهى فى القرآن وفى الشعر كثير جداً . (انظر تفسير الطبرى ٥ : ١٣/١٦٠ : ١٥/١٠٦ : ٤٠٠ ، ومواضع أخرى) .

(١) بل فى القصيدة شعر جيد كثير ، أغفله ابن سلام .

(٢) تتمة نسبه « أسود بن حزيك بن حي بن عوف بن سود بن عذرة بن منبه بن نكرة » . ثم سائر النسب كما مضى فى رقم : ٣٧٠ ، وهو ابن أخت المثقب العبدى . كتب الأنساب ، وشرح المفضليات : ٥٩١ .

(٣) البيت من قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر من سعاية بلغته عنه ، رواها الأصمعى فى الأصمعيات : ٤٧ ، ولما قال الممزق هذا البيت قال النعمان : « لا آكلك ولا أؤكلك غيرى » ، (الأساس : أكل) .

(٤) روى رسالة عثمان هذه أبو العباس فى الكامل ١ : ١١ ، وأنساب الأشراف ٥ : ٧٧ .

سُود بن عُذْرَة بن مُنَبِّه بن نُكْرَة.[1] فضلّته قصيدته التي يُقال لها: «المُنْصِفة»،[2] وأوّلها:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا ٱسْتَقَلُّوا ... فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ[3]

٣٧٥ — وقد ٱختُلِفَ في القائل:

/هَلْ لِلْفَتَى من بَنَاتِ الدَّهْرِ من وَاقِ؟ ... أَمْ هَلْ له من حِمَامِ المَوْتِ من رَاقِ؟[4] ٤٢

---

(١) ذكره ابن دريد في الاشتقاق: ١٩٩، فقال: «المفضل بن معشر صاحب المنصفة، قالها في حرب كانت بينهم في الجاهلية» وذكره ابن قتيبة في المعارف: ٤٥، فقال: «المفضل بن عامر الشاعر صاحب القصيدة المنصفة»: وفي حواشي الأصمعيات: ٦٧ «وقال غير الأصمعي هي لعامر ابن أسحم بن عدي بن شيبان ...»، وكذلك جاء في الحماسة البصرية كما نقله العيني ٢: ٢٣٥، والسيوطي في شرح شواهد المغني: ٦٢، وفي جمهرة الأنساب: ٢٨٢ كما هو هنا. وذكر السيوطي في شرح شواهد المغني: ٦٢ أنه «المفضل النكري من عبد القيس، واسمه عامر بن معشر بن أسحم»، وكذلك ذكره أبو عبيد البكري في اللآلئ: ١٢٥، بيد أن الراجكوتي حين رأى هذا الاختلاف، تحامل على أبي عبيد فرماه بأنه خلط بين الرجلين تخليطاً قبيحاً. ولا أظنه إلا كما قال ابن سلام. ورأيت ابن دريد في الاشتقاق: ٢٠٠ (٣٣١) ذكر رجلا اسمه جهم، بقي بالبصرة بعد أن أجلى أهل البصرة منها، وقال: «وهو المفضل الذي يقول:

فِدًى لِخَالَتِي لبني حُبَيٍّ ... خصوصاً يوم كُسُّ القَوْمِ رُوقُ

والشعر جاهلي لاشك فيه، وكأن هذا الذي في الاشتقاق خلط قديم من الناسخ، ينبغي أنه يجيء في مكانه من ص ١٩٩ (٣٣٠) في ذكر المفضل النكري. والرأي عندي أن اسم المفضل، كما يتبين من هذا الاضطراب، «عامر بن معشر بن أسحم»، كما قال السيوطي وأبو عبيد البكري، وأنه سمى مفضلا بقصيدته.

(٢) انظر ما كتبناه عن القصيدة المنصفة في رقم: ١٧٩، و«المنصفة»، على النون فتحة، وعلى الصاد شدة، في المخطوطة (انظر الأشباه والنظائر ١: ١٤٩).

(٣) الأصمعيات: ٥٣ وحماسة البحتري: ٤٨. النية: القصد والوجهة، فريق: متفرقة مختلفة.

(٤) انتهى الخرم الذي وقع منذ رقم: ٣٤٩، وبدأت المخطوطة بهذا البيت. وكأن المخطوطة، فيما أظن، كان فيها ذكر يزيد بن خذاق الشني، فهو أيضاً من شعراء البحرين، =

وَرَجَّلُونِي وما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ ... وأَلْبَسُونِي ثِياباً غيرَ أَخْلاقِ (١)

ورَفَّعُونِي وَقَالُوا: أَيُّما رَجُلٍ! ... وأَدْرَجُونِي كأَنِّي طَيُّ مِخْرَاقِ (٢)

وأَرْسَلُوا فِتْيَةً من خَيْرِهِمْ حَسَباً ... لِيُسْنِدُوا فى ضَرِيحِ التُّرْبِ أَطْبَاقِي (٣)

= وهذه الأبيات تنسب له ، وللممزق العبدى ، الماضى ذكره فى رقم : ٣٧٣ . وهو: « يزيدُ بن خَذَّاق الشَّنى ،من شَنِّ بن أفْصَى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان » (شرح المفضليات : ٥٩٣) .

والأبيات فى المفضليات : ٦٠٠ منسوبة للممزق العبدى ،وليزيد بن خذاق ، عن أبى عبيدة . وفى الشعر والشعراء : ٣٤٥ ، وفى اللآلى : ٧١٣ ، وفى أمثال العسكرى : ٢ : ٣٥٩ ، والعقد ٣ : ٢٤٤ وغيرها ، منسوبة ليزيد بن خذاق . فهذا ما ذكرابن سلام من الاختلاف فى قائلها . وقال العسكرى : « وهى أول مرثية رثى بها شاعر نفسه » . وقال أبو عمرو بن العلاء : « أول شعر قيل فى ذم الدنيا قول يزيد بن خذاق . . »

وبنات الدهر : نوائبه ومصائبه . والراق : الذى يرقى صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، فيعوذ المصاب من شرها . الحمام : قضاء الموت وقدره ، من قولهم حم الشىء أى قدر. وهو هنا على أصله . ثم يقال للموت نفسه : الحمام .

(١) رجل شعره : سرحه . والشعث : تفرق الشعر وانتكاثه . والأخلاق : البالية . يريد ما يفعلونه بالميت من تغسيله وترجيل شعره ، وإدراجه فى الكفن الجديد .

(٢) رفعونى : حملونى على أعواد النعش على أعناقهم . ويروى : « ورفعونى » ، بغير تشديد . أدرج الشىء : لفه فى ثوب أو غيره ، يعنى طيه فى الكفن . والمخراق : ثوب أو خرق تلف وتلوى ، ثم يضرب الصبيان به بعضهم بعضاً . يذكر لين جسد الميت وتثنيه وسكونه ، فهو يطوى فى الكفن ،كأنه ثوب يطوى على ثوب ليس بصلب ولا متماسك .

(٣) فى المخطوطة : « ليسندوا لى فى » بزيادة (لى) خطأ . أرسلوا فتية : يعنى أنزلوهم فى شق القبر لكى يتلقوا جثمانه ، فيضجعوه ويسندوه فى التراب . وقوله : من خيرهم حسباً ، ليس على سبيل الفخر ، بل هى الحسرة والسخرية ، وأن ذلك كله ليس يغنى عنه فتيلا ، وما يجدى عليه أن يتولى دفنه خير الناس حسباً ! والضريح : شق القبر فى جوف الأرض ، من الضرح : وهو الشق . والأطباق جمع طبق : وهى فقار الظهر ، يريد أوصاله وأعضاءه . وكل ذلك يريد به أن يسخر من شدة عناية الحى بالميت ، حين هو لا يرد عليه شيئاً .

خَفِّضْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقِ   فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِ[1]

* * *

٢٧٦ — وَلَا أَعْرِفُ بِالْيَمَامَةِ شَاعِراً مَذْكُوراً.[2]

---

(١) أخلت « م » بالأبيات الثلاثة السابقة ، وكان مكانها : « وقال ابن سلام » وقوله : ون عليك ... » . الإشفاق : التخوف والحرص ، وولع بالشيء وأولع به (بالبناء للمجهول) : لج في حبه أو في الاهتمام به . وليس قوله « الباق » بعد ذكر الوارث ، فضولا من القول ، بل هو حسرة أخرى حين يذكر هلاكه وبقاء وارثه من بعده . وفي الأبيات زيادة انظرها في مراجعها .

(٢) بين اليمامة والبحرين مسيرة عشرة أيام ، وهي تعد من نجد ، وكانت تسمى جوا . وهي من قديم بلاد العرب المذكورة ، كانت منازل طسم وجديس . وفي « م » : « شاعراً مشهوراً » .

شعراء يهود

٣٧٧ — وفى يَهُودِ المدينةِ وأكْنَافِها شِعْرٌ جيّدٌ ، منهم :

٣٧٨ — السَّمَوْأَلُ بن عَادِياء ، من أَهْل تَيْماء ،[1] وهو الذى كَانَ امْرُؤُ القَيْس اسْتَوْدَعه سلاحَه ، فسارَ إليه الحارثُ بن أبى شَمِر [الغَسَّانِىّ] فطلبه ، فأَغْلَق الحصنَ دُونه . فأَخَذَ ابنًا له خارجًا من القَصْر ، وقال : إمّا أن تُؤَدِّىَ إلىَّ السِّلاح ، وإمّا أن أَقْتُلَه . قال : اُقْتُلْه ، فلن أُؤَدِّيَها . ووَفَى ،[2] فضَرَب به الأعْشَى المَثَل ، فقال :

كُنْ كالسَّمَوْأَلِ إذْطَافَ الهُمَامُ بِهِ ... فِى جَحْفَلٍ كسَوَادِ اللّيْلِ جَرّارِ[3]

---

(١) نسب السموأل ، فى الأغانى ١٩ : ٩٨ ، وسائر كتب النسب ، وهو عربى من غسان . وتيماء : بلد بين الشام ووادى القرى ، وبها نخل وتين وعنب ، وهى من بلاد طيء ، وكان يشرف عليه حصن السموأل المعروف بالأبلق الفرد ، بناه عادياء . (انظر ص : ٢٨٥ ، تعليق : ١) .

(٢) خالف السموأل غدر أهل دينه ، ووفى بعربيته ! انظر خبر نزول امرئ القيس عليه الأغانى ٩ : ٩٦ وما بعدها ، و ١٩ : ٩٨ وما بعدها ، والمحبر : ٣٤٩ ، والمستقصى ١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

(٣) ديوانه : ١٢٦ ، والأغانى فى ٩ : ١١٩ ، ١٩ : ٩٩ ـ ١٠٠ ، وفى « م » : « كهزيع الليل » . وكان الأعشى قد هجا رجلا من كلب ، فأغار على قوم كان الأعشى نازلا فيهم فأسره وهو لا يعرفه ، ثم مضى الكلبى فنزل بأسراه على شريح بن السموأل بن عادياء ، فلما مر بالأعشى ، استجار به ، وقال له هذا الشعر الذى منه هذه الأبيات ، فاستوهبه من الكلبى فوهبه له فأطلقه وأكرمه وحباه . والهمام : يعنى الحارث بن أبى شمر ، ويقال بل الحارث بن ظالم المرى . والجحفل : الجيش الكثيف العريض ، فيه خيل . لأنه مأخوذ من جحافل الخيل ، وهى أفواهها ، وسمى الجيش كذلك إذا كثرت فيه الخيل ، لشدة عنايتهم بها . والهزيع : الطائفة من الليل ، فى ثلث الليل ، حين يشتد الظلام ويستوحش . يصف كثافة جيشه ، وغبار خيله .

بالأبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْماءَ مَنْزِلُهُ   حِصْنٌ حَصِينٌ وجارٌ غيرُ غَدَّارِ

[إذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ ، فقال له :   قُلْ مَا تَشاءُ فإنِّي سَامِعٌ حارِ] [1]

فقال: ثُكْلٌ وغَدْرٌ أنت بَيْنَهما،   فَاخْتَرْ ، وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

فشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ، ثم قالَ له :   أُقتُلْ أَسِيرَكَ إنِّى مَانِعٌ جَارِى [2]

٣٧٩ — والسَّمَوْأَل [بن عَادِيَاء] يقول فى كَلِمةٍ له طويلةٍ :

إنَّ حِلْمِى إذَا تَغَيَّبَ عَنِّى ،   فَاعْلَمِى أَنَّنِى عَظِيمًا رُزِيتُ [3]

ضَيِّقُ الصَّدْرِ بالخِيانَة ، لا يَنْـ   قُضُ فَقْرِى أَمَانَتِى ، مَا حَيِيتُ [4]

كَمْ فَظِيعٍ سَمِعْتُهُ فَتَصَامَمْـ   تُ ، وَغَىٍّ تَرَكْتُه فكُفِيتُ [5]

لَيْت شِعْرِى ! وَأَشْعُرَنَّ ، إذَا مَا   قَرَّبُوها مَنْشُورَةً فَقُرِيتُ ! [6]

---

(١) زدت البيت من الأغانى والديوان ، لأن سياق الشعر يتطلبه . الخسف : الظلم والذل وتحميل المرء ما يكره . وسامه خطة خسف : كلفه مايشق عليه من الظلم المهين .

(٢) شك : تردد ، أى توقف لحظة حتى أصاب يقين نفسه .

(٣) ديوانه : ١٣ ، والأصمعيات : ٢٠ ، واللسان (قوت) رزيت : رزئت ، من الرزء : وهو المصيبة البالغة . يقول : أعظم الرزء رزء المرء وحكمته وحسن عقله ، وفى « م »: « فاعلمن » .

(٤) يقول : لايطيق الخيانة ، وإن افتقر ، فالفقر لايهدم أمانته ووفاءه .

(٥) كفيت : وقيت ما يجلبه من الشر والمكروه : والغى : الضلال والفساد ، وإنما أراد الشر والجهل .

(٦) ليت شعرى : ليت لى علما حاضراً يحيط بما سوف يكون . وأشعرن : استفهام ، يقول : وهل أشعرن ؛ فحذف أداة الاستفهام . شعر يشعر شعراً : علم . والضمير فى قوله : قربوها ، إلى مفهوم من السياق ، يعنى صحف أعماله يوم القيامة . وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى =

أَلِىَ الفَضْلُ أَمْ علىَّ إذا حُوسِبْتُ ؟ إِنِّى عَلَى الحِسَابِ مُقِيتُ[١]

//مَيْتَ دَهْرٍ قَدْ كُنْتُ، ثُمَّ حَيِيتُ، وحَيَاتِى رَهْنٌ بِأَن سَأَمُوتُ[٢]

* * *

٣٨٠ — ومنهم الرَّبِيعُ بن أبى الحُقَيْقِ ، من بنى النَّضِير ، وهو الذى يقول :[٣]

سَائِلْ بِنَا خَابِرَ أَكْفَائِنَا ، والعِلْمُ قد يُلْفَى لَدَى السَّائِلِ[٤]

— بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ . وقوله : « قُرِيتُ » مضبوطة فى النسختين بضم القاف وكسر الراء ، كأنه من قولهم : « قرا الأمر يقروه » ، إذا تتبعه ، يقول : أمرت أن أنظر يوم الحساب فى أعمالى ونوقشتُ فى خيرها وشرها . ويروى أيضاً : « ودُعيتُ » .

(١) المقيت : الحافظ للشىء والشاهد له . وقالوا فى تفسيره : أى أعرف ماعملت من السوء ، لأن الإنسان على نفسه بصيرة . ويعجبنى بيان الطبرى فى تفسيره ، ٨ : ٥٨٥ قال : « وأما المقيت فى قول اليهودى ... ، فإن معناه : فإنى على الحساب موقوف » . وروى هذا القول عن أبى عبيدة.

(٢) قال الله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وَكُنْتُم أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون ﴾ . فقوله « ميت دهر » يعنى الموتة الأولى . ويقولون : أنا لك رهن بكذا : أى كفيل ، وأصله من الرهن : وهو الشىء الملزم .

(٣) ترجم له صاحب الأغانى فى ٢١ : ٦١ .

(٤) الأغانى ١٩ : ١٠٠ ونسبها لسعية بن غريض الآتى ذكره فى رقم : ٣٨٣ ، ومثله فى الخزانة ٣ : ٥٦٧ ، ثم رواها الجاحظ للربيع فى البيان ١ : ٢١٣ ، وصاحب لباب الآداب : ٣٥٨ ، والبصائر والذخائر ٢ : ٤٣١ ، ونسب قريش : ٤٣ ، وأنساب الأشراف ١١ : ٢٠٦ ، وديوان السموأل : ٤٠ ، وانظر منها فى التيجان : ٢٢٤ فى قصيدة ، وفى الروايات اختلاف شديد ، من أراده تتبعه . والخابر : العالم المتثبت الذى اختبر حقيقة الشىء ، ومنه الخبير ، ويقول فى مثله ربيعة ابن مقروم الضبى :

لَسْنَا إذا جَارَتْ دَوَاعِي الهَوَى ... وَاسْتَمَعَ الْمُنْصِتُ لِلقَائِلِ (١)

وَاعْتَلَجَ القَوْمُ بِأَلْبَابِهِمْ ... بِقَابِلِ الجَوْرِ وَلَا الفَاعِلِ (٢)

إِنَّا إِذَا نَحْكُمُ فِي دِينِنَا ... نَرْضَى بِحُكْمِ العَادِلِ الفَاصِلِ

لَا نَجْعَلُ البَاطِلَ حَقّاً ، وَلَا ... نَلُطُّ دُونَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ (٣)

نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَحْلَامُنَا ... فَنَخْمُلَ الدَّهْرَ مَعَ الخَامِلِ (٤)

ويروى : « فَنَحْمِلَ الذَّمَّ مع الحَامِلِ » .(٥)

° ° °

٣٨١ — وكَعْبُ بن الأَشْرَف ، وهو من طَيِّئ ، وأُمُّه من بنى النَّضِير . وكانَ فى أَخْواله سَيِّداً ، وبَكَى قَتْلَى بدرٍ ، وشَبَّب بِنِساء رَسُول الله صلى الله عليه ونِسَاء المسلمين ، فأَمَر رسول الله صلى الله عليه

= هَلَّا سَأَلْتِ ، وخُبْرُ قوم عِنْدهم ، ... وشِفَاءُ عِيِّكِ خَابِراً أَنْ تَسْأَلِي

قدم وأخر ، أى « أن تسألى خابراً » . والأكفاء جمع كفء : وهو المثل النظير . وقوله : « والعلم قد يلفى لدى السائل » معناه ، ومن سأل علم . وذلك كقول ربيعة بن مقروم ، وما جاء فى الأثر « شفاء العى السؤال » .

(١) « جارت » ، وفى بعض الروايات « مالت » .

(٢) اعتلج القوم : تدافعوا وتصارعوا . وقوله « بقابل الجور .. » خبر « لسنا » فى البيت الماضى . يقول : إذا غلبت الأهواء عند المخاصمة ، واصطرعت عقول أهل الجدال والمنازعة ، فلسنا بالذى يقبل جوراً من عدوه ، أو يرضى أن ينزل الجور بعدوه .

(٣) لط الشيء : ستره أو كتمه . قال اليهودى خيراً ، فكذبه خلف السوء من ذراريه !

(٤) سفه حلمه ونفسه ورأيه (فعل متعد منصوب مابعده) : استخفه حتى طاش ، من السفاهة : وهى خفة العقل والجهل . الخامل : الخفى الساقط الذى لا نباهة له ولا ذكر .

(٥) هذا السطر أخلت به « م » .

مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمة ورَهْطاً معه من الأَنْصار بقَتْله، فَقَتلوه.[١] وهو يقول في كلمة :

رُبَّ خَالٍ لِيَ، لَوْ أَبصَرْتَهُ ! ، سَبِطِ المِشْيَةِ أَبَّاءٍ أَنِفْ[٢]
لَيِّنِ الجَانِبِ في أَقْرَبِه ، وعَلَى الأَعْداء سَمٌّ كالذُّعُفْ[٣]
وَلَنَا بِئْرٌ رَوَاءٌ جَمَّةٌ مَنْ يَرِدْها بإِنَاءٍ يَغْتَرِفْ[٤]
ونَخِيلٌ في تِلاعٍ جَمَّةٌ تُخرِجُ التَّمْرَ كأَمْثَالِ الأَكُفْ[٥]

---

(١) كان مقتل اليهودى بعد بدر، لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ابن سعد ٢ : ٢١ وابن هشام ٣ : ٥٤.

(٢) الأغانى ١٩ : ١٠٥، ومعجم الشعراء : ٣٤٣، نقد الشعر : ١٣، ١٤، ألف باء ١ : ٢٩٦. خاله من يهود، سبط المشية : سهلها حسنها يسترسل فيها اختيالا. ولا يكون ذلك إلا مع طول الرجل واعتدال قده واستوائه. أباء، من الإباء : وهو كراهة الضيم والامتناع منه، حمية ونخوة. وأنف الرجل يأنف أنفة فهو أنف : إذا حمى وغار لنفسه واستنكف أن يسام خسفاً. وذلك من قولهم: فلان حمى الأنف، أخذوا من ذلك الأنفة، لأن الكريم يشمخ بأنفه إذا غضب. وقوله : « لو أبصرته » حذف جواب « لو » ليزيد المعنى قوة، كأنه قال : لو أبصرته لراعك روعة لم يغلبك بمثلها إنسان تراه !

(٣) السم : هو ذاك الذى يقتل. والذعف جمع الذعاف : وهو سم ساعة، قاتل وحى.

(٤) ماء رواء : عذب، فيه للواردين رى من ظمأ. وبئر جمة : كثيرة الماء مرتفعته. وفى معجم البلدان (جرف) بعد هذا البيت بيتان من تمام معناه :

تَدْلَحُ الجُونُ على أَكنافِها بدلاءٍ ذاتِ أَمْراسٍ صُدُفْ
كُلَّ حَاجَاتِي بها قَضَّيْتُها غير حَاجَاتى على بَطْنِ الجُرُفْ

« تدلح » تمشى مثقلة بحملها. و (الجون) الإبل السود. و « الأمراس » الحبال. و « صدف » صفة للدلاء، وأرجح أنها « غرف »، يقال : « غرب غروف » كثير الأخذ للماء. والجرف، على ثلاثة أميال من المدينة.

(٥) الجم والجمة : الكثير من كل شىء، ومنه مال جم. والتلاع جمع تلعة : وهى مسيل الماء من أعلى الوادى إلى أسفله فى بطون الأرض، وهى مكرمة للنبات. يصف التمر فى عناقيده، كأنه أكف سباط الأصابع، وهو بيت جيد. وفى ديوان المعانى ٢ : ٣٩ : « تخرج الطلع » قال : « ومن أجود ماقيل فى الطلع من الشعر القديم »، وأنشد البيت.

وصَرِيرٌ فى مَحَالٍ خِلْتُهُ ... آخِرَ اللَّيْلِ أَهَازِيجَ بِدُفٍّ (1)

* * *

٣٨٢ — وشُرَيْحُ بن عِمْرَانَ ، الذى يقول فى كلمة : (2)

آخِ الكِرَامَ إِنِ اسْتَطَعْـ ... تَ إِلَى إِخَائِهِمُ سَبِيلَا
وَاشْرَبْ بِكَأْسِهِمُ ، وإِنْ ... شَرِبُوا بها السَّمَّ الثَّمِيلَا (3)
أَأُسَيْدُ إِنْ مَالًا مَلَكْـ ... تَ فَسِرْ بِهِ سَيْرًا جَمِيلَا (4)
أَأُسَيْدُ إِنَّ المَالَ لَا ... يَبْكِى إِذَا فَقَدَ الخَلِيلَا (5)
إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا ثَوَا ... خَيْهِ وَجَدْتَ له فُضُولَا (6)

* * *

(١) الصرير : صوت ممتد عالٍ ، صافر متزاق ، كصرير الباب . والمحال جمع محالة : **وهى** بكرة عظيمة تدور على محور ، تسكون على الماء فى الساقية ، فإذا دارت سمع صريرها . والأهازيج جمع أهزاج ، جمع هزج ، والهزج من الغناء ، يغنى المغنى بصوت مترنم متدارك خفيف سريع مطول غير رفيع . والدف : مايضرب به . يصف صوت المحال الكثيرة وهى تدور ، فيأتيه أنينها آخر الليل من بعيد كأنه أهازيج قيان يضربن بالدف . وقد أجاد الصفة وأحسن .

(٢) لم أعرف لشريح ترجمة . والشعر فى قصيدة طويلة منسوبة فى الأغانى ٣ : ٩٩ ، ١٠٠ لذى الإصبع العدوانى فى خبر طويل . والأول والثانى فى حماسة البحترى : ٥٧ لشريح .

(٣) السم المنمل ، والثمال (بضم الثاء) : وهو السم المنقع ، ترك فى الإناء مستنقعاً أياماً حتى اشتد واختمر . ولم أجد «السم الثميل» ، وهى عربية جيدة .

(٤) لاأدرى أهى : « أُسيد » تصغير أسد (بفتحتين) ، أم « أَسيد » كأمير ، وفى اليهود « أسيد » اسم مشهور بينهم ، منهم : أسيد بن سعية ، أحد من أسلم من يهود ، فحسن إسلامه . وانظر ما سيأتى رقم : ٣٨٣ ، تعليق : ١ .

(٥) فى « م » والأغانى : « البخيلا » .

(٦) الفضول جمع فضل : وهو المعروف ، والزيادة فى الإحسان ، والسعة فى المكارم .

٣٨٣ — / وسَعْيَةُ بن العَرِيض ، القائل فى كلمة له :[١]

بَلْ لَيْتَ شِعْرِى حِينَ أُنْدَبُ هَالِكًا مَاذَا يُؤَبِّنُنِي بِهِ أَنْوَاحِى ؟[٢]

---

(١) فى « م » : « سعية بن عريض » ، بلا تعريف ، والأول بالسين المهملة ، والثانى بالعين المهملة ، مضبوطاً فى المخطوطة بفتح العين . و«سعية» بالسين المهملة والياء ، هكذا ضبطه ابن ماكولا فى الإكمال ٥ : ٦٧ ، وقال : « سعية بن عريض بن عادياء ، أخو السموأل ، يهودى شاعر » ، ثم ذكر « ثعلبة بن سعية » وأخاه « أسيد بن سعية » (بفتح الألف وكسر السين فى الأول) ، كانا من اليهود ، فأسلما وصحبا النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال فى رواية عن ابن إسحق « أسيد » بضم الهمزة وهو خطأ (انظر ماسلف تعليق رقم : ٤) ، وقال مثل ذلك الذهبى فى المشتبه : ٣٩٦ ، وكذلك جاء فى الروض الأنف ١ : ١٤٢ ، وقال العسكرى فى شرح التصحيف : ٤١٤ : « وفى شعراء قريظة والنضير : سعنة ، بالنون ، ابن العريس ، ويقال ابن العريض ، بضم الغين ، أخو السموأل بن غريض » . وأما الآمدى فى المؤتلف والمختلف : ١٤٣ ، فقد ذكره فى « باب الشين المعجمة فى أوائل الأسماء » فقال : « وشعية اليهودى ، وهو شعيه بن غريض ، أخو السموأل بن غريض بن عادياء اليهودى » . وفى الإصابة فى « أسد بن سعية » . و « أسيد بن سعيه » و « سعنة » بالنون ، بن عريض بن عاديا » و « سعية بن عريض » من القسم الأول ، وفى القسم الثالث فى « سعية ابن عريض » وصفه فقال « سعيه » بسكون المهملة بعدها تحتانية ، ابن غريض ، بفتح المعجمة وآخره معجمة . وأما فى أسماء القسم الأول ، فقال فى « أسيد بن سعية » : اختلف فى اسم أبيه فقيل بالنون وقيل بالتحتانيه ، وانظر « سعنه » و « سعية » فى الإصابة . ثم انظر الاستيعاب ، وأسد الغابة وغيرهما . ثم الأغانى ٣ : ١١٥ ، ١٢٩ ، وقال هناك : « ذكر خبر جده (صوابها : أخيه) السموأل بن عريض بن عادياء ، فى موضع غير هذا » .

هذا ، وعندى أن تعاقب السين والشين ، والعين والغين ، فى أسماء اليهود ، معروف وجائز ، وتحقيق ذلك مما يعسر .

(٢) روى بعض هذه الأبيات أبوحيان فى البصائر والذخائر ٢ : ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، وأبو الفرج فى الأغانى ٣ : ١٢٩ - ١٣١ ، وفى الخبر الذى ساقه مايدل على إسلام سعية بن عريض ، ولا أظنه يصح على الوجه الذى ساقه ، وهو مضطرب أيضاً . والكذب فى الخبر أبين من أن يخفى على امرىء عاقل ، وغفر الله لأبى الفرج ، أموى يتشيع فيغالى ، فلا يبالى أن يجتلب فى كتابه مثل هذا الكذب ، فيدخل الاضطراب على كل مايعين على التحقيق ! !

قال أبو الفرج : « وكان سعيه بن غريض شاعراً ، وهو الذى يقول لما حضرته الوفاة يرثى نفسه : ... » وذكر بعض الشعر . « تؤبننى » ، من التأبين ، وهو ذكر آثار الميت وصنائعه . وفى « م » ، « ترثينى » بتشديد التاء ، وضم أوله رثى فلاناً يرثيه ، ورثاه يرثيه (بتشديد الثاء) : إذا بكاه وعدد محاسنه وأثنى عليه بعد الموت . والأنواح جمع نوح (بفتح فسكون) : النساء يجتمعن للحزن فى المأتم على الميت ، وينحن عليه ، أى يبكين .

أَيقُلْنَ : لاتبعَدْ ، فَرُبَّتَ كُرْبَةٍ ‏ فَرَّجْتَهَا بِيَسَـــارَةٍ وسَمَاحِ (١)

ومُغِيرَةٍ شَعْوَاءَ يُخْشَى دَرْؤُهَا ‏ يَوْمًا رَدَدْتَ سِلاحَها بسِلاحِ (٢)

وَلَرُبَّ مُشْعَلَةٍ يَشُبُّ وَقُودُها ‏ أَطفَأْتَ حَدَّ رِمَاحِها بِرِمَاحِ (٣)

وكَتِيبةٍ أَدْنَيْتَهَـــا لِكَتِيبةٍ ‏ ومُضَاغِنٍ صَبَّحْتَ شَرَّ صَبَاحِ (٤)

---

(١) بعد يبعد (كفرح) وبعد (بضم العين) : هلك ، ونحاه الله عن الخير . وقولهم «لاتبعد» كلمة تدور فى لسان العرب حين يذكرون ميتهم ، يعنون : لا أخطأك الخير ، فتهلك . رب وربت ، ولمات مثلها كثيرة . الكربة : الاسم من الكرب ، وهو أشد الغم . واليسارة واليسار : الغنى وسهولة البذل . والسماح : السخاء والجود والمساهلة والبشاشة .

هذا ، وقد ضبطت المخطوطة التاء من قوله « فرجتها » بالفتح على الخطاب ، على أنه من قول النائحة ، وكذلك قوله فى الأبيات التالية : « رددت » بفتح التاء ، ثم « أطفأت » ثم « صبحت » ، وجعل القوافى : « بسلاح » ، و « برماح » . أما «م» ، فاضطربت ، فضبطت : فرجتها » بالفتح ، ثم « رددت » بالفتح وجعل القافية « بسلاحى » بالإضافة ، ثم ضبط « أطفأت » ، و « صبحت » ، بضم التاء ، « برماحى » ، جعل ذلك كله من حديث الشاعر عن نفسه لا من نوح نوادبه . والذى فى مخطوطتنا أجود وأقوم ، إلا أن البيت السابع ، ينبغى أن يتقدم ، فيجعل سادساً ، ويكون ذلك كله من نوح نوادبه مستقيماً متصلاً . ويكون قوله : « وإذا عمدت لصخرة ... » بضم التاء ، متصلا بأبيات أخر سوف أذكرها فى ص: ٢٨٧ تعليق : ١ .

(٢) مغيرة يعنى خيلا مغيرة من عدوهم . شعواء : فاشية متفرقة ، تأتى من هنا وهنا ، وذلك أشد على من تغير عليه . درء الجيش ودرء السيل : دفعه وانصبابه ، يعنى شدة هجمتها على من تهجم عليهم .

(٣) مشعلة : يعنى نار الحرب يؤرثها القتل والعداوة ، وملاء القتلى . وفى هامش المخطوطة : « تَخْشَى دَرْأَها » ، روايه أخرى . وفى « م » : « بسلاحى » . وفيها أيضاً : « حرَّ سلاحها » بالراء ، وهو جيد . و « حدُّ السلاح » ، غايةُ لدغه وقسوته فى الطعان . ويقال: «جاء فى حدّ الظهيرة» ، أى فى أشد حرّها وأقساه ، والشواهد عليه كثيرة .

(٤) قوله « وكتيبة أدنيتها ... » تمدح بطاعة أصحابه له ، لم يتفرقوا عليه إذا حمس الوغى ، وتلجلج الأبطال . مضاغن : الذى انطوى على حقد داخل ملازم يخفيه ، ولم أجد « ضاغن » ولكنه عربى صحيح البناء . ويقال : تضاغن القوم واضطغنوا : انطووا على الأحقاد المدفونة . صبح القوم : أتاهم مع الصبح منزلا بهم الشر قبل أن يستعدوا له .

وإذا عَمَدْتُ لصَخْرَةٍ أسْهَلْتُهَا ... أَدْعُو بأفلَحَ مَرّةً ورَبَاحِ (١)

لَاتَبْعَدَنَّ فكلُّ حَيٍّ هالكٌ ... لابُدَّ من تَلَفٍ، فَبِنْ بِفَلَاحِ (٢)

إنَّ امْرَأً أمِنَ الحوادِثَ جاهلًا ... ورَجَا الخُلودَ، كضَارِبٍ بِقِدَاحِ (٣)

---

(١) حق هذا البيت أن يؤخر، كما أسلفت في ص: ٢٨٦، تعليق: ١، وفى المخطوطة ضبط «عمدت» بفتح التاء، و«أسهلتها» وضع على التاء فتحة أول وهلة، ثم جعلها ضمة، لأن البيت لم يستقم معه أن يكون من كلام النائحة. وهذه رواية ابن سلام، أما رواية صاحب الأغانى ٣: ١٢٩، ١٣١:

وإذا دُعِيتُ لصَعْبَةٍ سَهَّلْتُهَا ... أُدْعَى بأفلَحَ تارةً ونَجَاحِ

كأنه أراد أن يقول: يقال لى أفلحت مرة، ويقال لى أخرى أنجحت. أما رواية ابن سلام ففيها وجه آخر. وكأنه أراد بقوله: أسهلتها، أى صيرتها ترابًا سهلا، ومثله سهلتها (بالتشديد) وإن لم أر ذلك فى معاجم العربية التى بين يدى، وهى عربية صحيحة. وهذا المعنى دائر فى شعرهم، مثل قول درة بنت أبى لهب:

قَوْمٌ لَوَ انَّ الصَّخْرَ صَالَدَهُمْ ... صَلُبُوا، ولانَ عَرامِسُ الصَّخْرِ

ومنه قولهم: أوهى صخرته، إذا هزمه وأذله. وقوله: «أدعو بأفلح...»، أظن ظنًا أن أفلح ورباح، بطنان من قبائل يهود. يريد أنه يستعين بهؤلاء مرة وبهؤلاء مرة. وهذا مابدا لى، أرجو أن يكون صحيحًا مستقيمًا. وقد يكون عنى بعض عبيده، فإن «أفلح» و«رباح»، من أسماء العبيد، ففى حديث مسلم، عن سمرة بن جندب قال: «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمى رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح، ورباح، ويسار، ونافع»، ويقول الشاعر ليعلى بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط (المحبر: ٣٠٨).

كأَنَّ على مَفَارِقَ رَأْسِ يَعْلَى ... خنافِسُ مَوَّتَت زَمَنَ البِطاحِ

على آسْمِ اللهِ، ثم لِدِى غُلامًا ... فسَمِّيهِ بأفْلَحَ أو رَبَاحِ

يعنى بأسماء العبيد.

(٢) الفلاح: الفوز والنجاة، والبقاء فى النعيم والخير.

(٣) القداح: سهام الميسر. يقول من أمن الدهر ورجا الخلود فى الدنيا، فقد غرر بنفسه تغرير لاعب الميسر بنفسه، يرجو الفوز وهو فى الخسارة واقع. وحق هذا البيت أن يكون آخر الشعر.

وَلَقَدْ أخذتُ الحقَّ غَيْرَ مُخاصِمٍ ... ولقدْ دَفَعْتُ الضَّيْمَ غيرَ مُلاحِ [١]

* * *

٣٨٤ — وأبو قَيْس بن رِفَاعةَ ، وهو يقولُ فى قَصيدته [٢] :

إذا ذُكِرَتْ أُمامةُ فَرْطَ حَوْلٍ ... ولو بَعُدَت مَحَلَّتُها ـ غُرِيتُ [٣]

---

(١) ملاحى ، من الملاحاة ، تلاحى الرجلان ، ولاحى فلان فلاناً : نازعه وسابه وشاتمه . يقول : إذا كان لى حق عند قوم من أخذته اقتساراً ، لا أصبر على النزاع والخصومة ، وإذا أريد بى الضيم دفعته ، ولم أشاتم بلسان ، كقول معبد بن علقمة :

وتَجْهَلُ ، أَيْدِينَا ، ويَحْلُمُ رأيُنا ، ... ونَشْتِمُ بالأفعالِ لا بالتكلُّمِ

وهذا البيت رواه أبو حيان ، مع أبيات أخر ، وأجود رواياته ما رواه أبو الفرج .

« ولقد رَدَدْتُ الحقَّ غَيْرَ مُلاحِى »

وبعده عند أبى الفرج : « وإذا دعيت لصعبة سهلتها » ، وهو مكان هذا البيت . وقبله بيت يضم إلى حديث الشاعر عن نفسه :

ولقَدْ ضَرَبْتُ بفَضْلِ مَالِى حَقَّه ... عنـــد الشِّتَاء وهَبَّةِ الأرْوَاحِ

وبعده عند أبى حيان :

قد كُنْتُ شَهْمًا فى الحُرُوبِ ومِدْرَهًا ... وأكُفُّ من ذِى الغَرْب بَعْدَ طِمَاحِ

ولَليلَةٍ قَدْ بِتُّ فيهـــا نَاعِمًا ... يُغْدَى عَـــلىَّ بقَيْنَةٍ وبِرَاحِ

فى فتيةٍ بِيضِ الوُجُوهِ مَساعِرٍ ... مابين نَشْوانٍ وآخَـــرَ صَاحِ

(٢) قال أبو عبيد البكرى فى شرح الأمالى : ٥٦ ، اسمه : دثار وأنه يهودى جاهلى . ونقل السيوطى عن ثعلب أن اسمه « نفير » ، شرح شواهد المغنى : ٢٤٤ .

(٣) بعضها فى حماسة ابن الشجرى : ٢٤ ـ ٢٥ وفيها زيادة أيضاً . والأشباه والنظائر ١ : ٣١ . والعرب تقول : أتيته فرط شهر : أى بعد شهر وانقضائه ، ولقيته فى الفرط بعد الفرط : أى الحين بعد الحين ، نادراً . وفى « م » : « فرط حين » ، أى بعد حين بعيد من فراقها . المحلة : منزل القوم ، وغرى بالشىء يغرى غراء : أولع به . يقول : إذا ذكرت ، بعد تطاول الأيام وتباعد الديار ، حننت إليها ولهجت بذكرها ، ولا يموت حبها أبداً ولا يتغير . وفى المخطوطة سهو فكتب « غريب » ، وفى « م » : « عريت » ، بفتح العين ، والصواب ضمها ، بالبناء المجهول ، يقال : « عرى هواه إلى كذا ، أى حن إليه . قال أبو وجزة :

يُعْرَى هَوَاكَ إلى أسماء واحتضرتْ ... بالنَّأْيِ والبُخْلِ فيما كان قد سَلَفَا

أُكَلَّفُها ، ولو بَعُدَتْ نَوَاهَا ، ... كأنِّى من تَذَكُّرِهَا حُمِيتُ[١]
طَلِيحٌ لايَؤُوبُ إلىّ جِسْمِى ... كأنِّى سَمَّ عَاضِهَةٍ سُقِيتُ[٢]
وذِى ضِغْنٍ كَفَفْتُ النفسَ عَنْهُ ... وكُنْتُ ، عَلَى مَسَاءَتِه مُقِيتُ[٣]
وسَيْفِى صَارِمٌ لاعَيْبَ فيهِ ، ... ويَمْنَعُنِى من الرَّهَقِ النَّبِيتُ[٤]
مَتَى مَا يَأْتِ يَوْمِى ، لَاتَجِدْنِى ... بِمَالِى حِينَ أَتْرُكُهُ شَقِيتُ[٥]

---

(١) كاف بالشىء كلفا ، وكلفه (بالتشديد والبناء للمجهول) : أولع به وأحبه أشد الحب حتى يبلغ منه الجهد . والنوى : الدار التى قصدتها وأقامت فيها . وقوله : « حميت »، هى فى المخطوطتين بفتح الحاء ، بمعنى : سخنت وعرقت من عرواء الوجد، ولو قرئت بالبناء للمجهول ، بضم الحاء وكسر الميم ، فهو عندى من « حممت » من الحمى ، حول من التضعيف ، وذلك معروف فى كلامهم ، مثل قولهم : حسست بالشىء وحسيت به ، فأبدلوا إحدى السينين ياء . يقول : يشتد كلفى بها ، فإذا ذكرتها أخذنى نافض كأنه حمى لاهكة . ويدل على ذلك بيته الذى يليه .

(٢) الطليح : الضعيف الهزيل ، الذى أتبعه الإعياء والكلال . وقوله : « لايؤوب إلى جسمى » ، يعنى لايرجع إليه نشاطه ، فيطيق الحركة . وهى عبارة رفيعة مبينة ، فهو حى النفس لاتفتر نفسه من اشوة تذكرها ، ميت الأوصال من فتور وكلال . وحية عاضه وعاضهة : تقتل من ساعتها إذا نهشت .

(٣) فى المخطوطة : « وذوضغن » ، ورغبت عنها إلى ما فى « م » . وهذا البيت فى الجمهرة ٢ : ٣٦ ، واللسان (قوت) ، والمخصص ٢ : ٩١ ، وتفسير الطبرى ٨ : ٥٨٥ ، والدر المنثور ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ منسوباً إلى أحيحة بن الجلاح الأنصارى . وروايتهم « مقيتا » وهو خطأ، ويروى البيت للزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورواه ابن الشجرى : « وإنى فى مساءته مقيت » . والرفع فى رواية ابن سلام وجه عربى صحيح ، انظر ابن مالك فى كتابه: «شواهد التوضيح والتصحيح ، لمشكلات الجامع الصحيح » : ٢١ – ٢٤ . وتأويل البيت « وكنته ، على مساءته مقيت » فحذف خبر كان لأنه ضمير متصل ، كما يحذف المفعول به إذا كان ضميراً متصلا ، ويستغنى عنه ببنية الضمير . يعنى « وكنت ذا ضغن مثله » وأنا على مساءته مقيت . ومقيت : مقتدر، من قولهم : أقات على الشىء : اقتدر عليه وأطاقه .

(٤) الرهق : الخفة إلى الشر ، وفلان فيه رهق : أى هو سريع إلى الشر سريع إلى الحدة. والنبيت : هم الأوس ، من الأنصار ، وهم بنو عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة . وفى المخطوطة فوق « النبيت » (قبيلة) . يقول : ينزهه عن الخفة والتسرع ، ما عليه قومه من المنعة والعزة والاقتدار على بلوغ النصفة من عدوهم

(٥) قوله : « متى ما يأت يومى » ، يعنى يوم يقضى نحبه . يقول : يموت غير شق بماله ، فقد أهلكه فى المروءة والسخاء والبذل ، وادخر فى الألسنة الذكر الحسن . وفى « م » : « يأت يوم » .

أُلِينُ لَهُمْ ، وأَفْدِيهِمْ بنَفْسِي ... مُقَارَشَةَ الرِّمَاحِ إِذَا لَقِيتُ[(١)]

وأَرْهَنُ فى الحَوَادِثِ كَفَّ بِكْرِى ... لِجَارِى فى العَظِيمةِ إن دُهِيتُ[(٢)]

أَرَاهُ ــ مَا أقام ــ عَلَىَّ حَقًّا ، ... شَرِيكِى فِى بِلَادِى مَا بَقِيتُ[(٣)]

* * *

٣٨٥ ــ وأَبُو الذَّيَّالِ ، يَقُول فى كَلِمةٍ أَوَّلُها :[(٤)]

---

(١) ألين لهم : الضمير فى « لهم » لقومه النبيت ، يقول : أوطىء لهم كنفى ، فيجدون عندى المعونة والبذل والبشاشة والتعطف عليهم . واقترشت الرماح وتقارشت : إذا تطاعنوا بها فتداخلت وصك بعضها بعضاً ، فسمع لها صوت كصوت الجوز ، إذا حركته . يقول : أبذل لهم مالى وعرضى فى السلم ، وأقيهم بنفسى فى حومة الحرب .

(٢) البكر : أول ولد الرجل وأكبرهم . والجار : من استجار به وأقام فى جواره . يقول. إذا نابت جارى نائبة ، لم يمنعنى حب الولد ، أن أدفعه إلى أعداء جارى ، رهينة عندهم حتى أكشف غمة جارى .

(٣) فى المخطوطة : « عليه حقا » ، وهى ضعيفة ، وما فى « م » أجود . ما أقام : طول إقامته ، يرى فعل ذلك حقاً عليه ، ويرى أيضاً أنه شريكه فى أرضه مابقى . وفى « م » : «تلادى» والتلاد : المال الذى يولد عندك من قديم الأموال ، وهو مما يضن به .

(٤) فى الأغانى ١٩ : ١٠٢ ، وذكر بعض هذه الأبيات : « والشعر لأبى الزناد اليهودى العاديى » ، وكله خطأ . وصوابه : « أبو الذيال » ، (معجم الشعراء : ٥١٢) . وأما قوله « العديى » ، فلم أعرف صوابه ، إلا أن يكون « القريمى » ، وقريم ، كزبير ، حى من العرب ، ولم أعرف منهم ، ولست أحققه . وسماه الهمدانى فى صفة جزيرة العرب : ١٧٠ «أبو الذيال الباوى». وقد ساق أبو عبيد البكرى فى معجم مااستعجم : ٢٩ ، خبر الوقعة بين بنى حشنة بن عكارمة بن عوف ، من بنى هنى بن بلى ، وبين أبناء عمومتهم من الربعة ، وهم من بنى بلى أيضاً ، فقتل بنو حشنة ناساً من الربعة ، ثم لحقوا بتيماء ، فأبت يهود أن يدخلوهم حصنهم وهم على غير دينهم ، فتهودوا ، فأدخلوهم المدينة ، فكانوا معهم زماناً ، حتى أظهر الله دينه . وأقام بطون من بنى حشنة ابن عكارمة بتيماء ، حتى أنزل الله باليهود يهود الحجاز ما أنزل من بأسه ونقمته ، فجعل أبو الذيال اليهودى ، أحد بنى حشنة بن عكارمة ، يبكى على يهود . وساق أبو عبيد بعض شعره . فهذا ماعرفت من خبر اليهودى أبى الذيال ، فهو جاهلى ، شهد الإسلام ولم يسلم ، كما ترى . (وانظر معجم مااستعجم : ٦٦١ ، ١١١١)

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ خَفَّ ساكِنُها ... بِالحِجْرِ فَالْمُسْتَوَى إلى الثَّمَدِ ؟ (١)

دَارٌ لِبَهْنَانَةٍ خَدَلَّجَةٍ ، ... تَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ بَارِدِ البَرَدِ (٢)

أَثَّتْ فَطَالَتْ ، حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ ، ... مَا إِنْ يَرَى النَّاظِرُونَ مِنْ أَوَدِ ... (٣)

فِيهَا ، فَأَمَّا نَقاً فَأَسْفَلُهَا ، ... وَالجِيدُ مِنْهَا لِظَبْيَةِ الجَرَدِ (٤)

لاَ الدَّهْرُ فَانٍ ، وَلاَ مَوَاعِدُهَا ... تَأْتِى ، فَلَيْتَ القَتُولَ لَمْ تَعِدِ ! ... (٥)

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٠١ ــ ١٠٢ ، أبيات منها ، وفيها أبيات زائدة ، والشعر كله جيد . خف ساكنها : رحلوا وتفرقوا . والحجر : ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام ، وهى قريبة من تيماء التى كان ينزلها بنو حشنة بن عكارمة ، الذين منهم أبو الذيال . . والمستوى : موضع ، ولم يبينه ياقوت ، ولكنه كما ترى قريب من تيماء والحجر . والثمد : بين الشام والمدينة ، قريب منهما ، وله خبر فى ياقوت ، نزلته بنو إسرائيل .

(٢) امرأة بهنانة : طيبة النفس والأرج ، حسنة الخلق ، لينة المنطق ، ضاحكة الثغر . امرأة خدلجة . ممتلئة الذراعين والساقين ، ريا ، متثنية من لينها . والبرد : حب الغمام . وبارد البرد : جامده ، فهو ناصع متلالىء . ورواية أبى الفرج « جامد البرد » . وكنت أحفظه قديماً ، ولعله يختلط على : « ناصع البرد » .

(٣) أث النبات : نما وكثر وطال والتف ، يعنى نموها وامتلاء أوصالها ، وطول قدها واستواءه . وقوله : « حتى إذا اعتدلت » ، يعنى بلغت الغاية فاستوت . والأود : العوج فى العود وغيره . أراد : تنزهت عن كل عيب يعيبها ، يقول الناظر : لولا هذا لتمت ! والبيت متصل بالذى بعده .

(٤) « فيها » : متعلق بقوله « من أود » فى البيت السالف ، وهو كثير فى شعرهم ، وإن كرهه بعض من لا يحسن الفصل بين البيان الحسن والبيان القبيح ! النقا : كثيب من الرمل ، ناعم محدودب ، يعنى عجيزتها وتمامها واستواء قدها . والجيد : العنق إذا استوى وطال وصفا نحره وحسن ، وليس كل عنق جيداً ، إذا تأملت النساء . الجرد : المكان الذى لا نبات فيه ، يعنى الجبال . والظباء ضربان : ضرب يسكن الجبال ، وقد تسكن الرمل ، وهى بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة ، تكون على ألوان الجبال ، وهى طوال القوائم والأعناق ، بيض البطون سمر الظهور ، وهى أدم الظباء والآرام ، وهن أكرم الظباء . وفى الظباء لئام ، كما فى الناس لئام ، يقال لها : « العفر » ، تسكن القفاف وصلابة الأرض ، وهى التى تعلو بياضها حمرة ، ترعى عفر الأرض وسهولتها ، وهى ألأم الظباء وأصغرهن أجساماً ، وأقصرهن أعناقاً .

(٥) امرأة قتول : قاتلة بعينها وغير عينيها ، يقول مدرك بن حصن الأسدى :

قَتُولٌ ، بِعَيْنَيْهَا رَمَتْكَ ، وَإِنَّمَا ... سِهَامُ الغَوَانِى القَاتِلاَتِ عُيُونُهَا

والبيت متصل بما بعده .

وَعْداً ، مَحَاصِيلُهُ إلى خُلُفٍ ، ذَاكَ طِلَابُ التَّضْلِيلِ والنَّكَدِ! [١]
هَيْفَاءُ يَلْتَذُّهَا مُعَانِقُهَا بَعْدَ عِلَالِ الحَدِيثِ والنَّجَدِ [٢]
[تَمْشِي إلى نَحْوِ بَيْتِ جَارَتِهَا واضِعَةً كَفَّهَا عَلَى الكَبِدِ] [٣]
نِعْمَ شِعَارُ الفَتَى إذا بَرَدَ اللَّيْـلُ وآضَتْ كَوَاكِبُ الأسَدِ [٤]
كأنَّ مَاءَ الغَمَامِ خَالَطَهُ راحٌ صَفَا بَعْدَ هَادِرِ الزَّبَدِ [٥]

---

(١) وعداً : مفعول منصوب ، متصل بالبيت قبله ، وانظر التعليق السالف رقم : ٤ . والمحاصيل جمع محصول ، والمحصول أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالمعقول والميسور والمعسور والمجلود ، من حصل الشيء يحصل حصولا : بقي وثبت وذهب ما سواه . يعني وعداً عاقبته وكل ما يتحصل منه في يده الإخلاف .

(٢) هيفاء: ضامرة البطن رقيقة الخصر ، تخال من رقتها كأن غصن تفيئه الرياح . لذ الشيء ولذ به والتذ به واستلذه : وجده لذيذاً . عالت الناقة علالا : حلبتها صباحاً ومساء ونصف النهار ، حلباً بعد حلب . وأصله من العلل : وهو الشرب بعد الشرب تباعاً . فقاس على هذا ، وجعل متابعة الحديث ساعة بعد ساعة علالا ، وهي عربية محكمة . وفي المخطوطة . « غلال » بالمعجمة ، ولها في العربية وجه لابأس به ، من غل في الشيء وانغل وتغلغل : نفذ فيه ودخل . يريد : ما كان بينهما من السرار والحديث حتى سمحت له ولانت . والنجد : الإعياء والتعب ، ومنه نجد الرجل نجداً : إذا أخذه العرق من عمل أو كرب أو نصب . وفي المخطوطة : « النجد » بفتح النون وضم الجيم ، ولا وجه له .

(٣) هذا البيت في « م » وأخلت به المخطوطة ، وهو في الأغاني بغير روايته هنا . يذكر ما هي فيه من الترف والنعمة والرقة والرفاهية ، لم تتعود سعي الإماء في الحاجات ، ولا كدح الفقراء في طلب الرزق .

(٤) الشعار : مايلي الجسد من الثياب ، لأنه يمس شعره . آض : رجع ، يعني غارت الكواكب. الأسد : أحد البروج الاثنى عشر ، وهو من بروج الصيف : السرطان والأسد والسنبلة ، وكواكبه معروفة بأسمائها عندهم . ويعني أبو الذيال زمن القيظ ، حين يخف الحر ويبرد الهواء إذا بلغ آخر الليل وغابت نجوم الأسد ، فهي عندئذ متاع ، بعد مالقي من مشقة قومه .

(٥) زبد الخمر : مايعلوها ، إذا اشتدت وفارت . والهادر : له هدير ، وهو صوت الخمر إذا غلت ونشت . والخمر إذا عتقت وسكن هديرها وخفت زبدها ، صفت وتلألأت ، يقول أبو نواس :

وعُمِّرَتْ حِقَبًا في الدَّنِّ ، لم يَرَهَا حيٌّ من النَّاس في صُبْحٍ وإمساءِ

والمِسْكُ والزَّنْجَبِيلُ عُلَّ بِهِ ... أَنْيابُهَا بَعْدَ غَفْلَةِ الرَّصَدِ(١)

دَعْ ذَا ، ولٰكِن بَلْ رُبَّ عَاذِلَةٍ ... لَوْ عَلِمَتْ ما أُرِيدُ لم تَعُدِ(٢)

هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُ فِى شُرْبِ الْـ ... خَمْرِ وذِكْرِ الكَوَاعِبِ الخُرُدِ(٣)

فقلتُ: مَهْلاً ، فَمَا عَلَيْكِ — أَنَ اَمْـ ... سَيْتُ غَوِيًّا — غَيٍّ ولا رَشَدِى(٤)

إِنِّى لَمُسْتَيْقِنٌ لَئِنْ لَمَ أَمُتْ ... مِلْ يَوْمِ ، إِنِّى إِذَنْ رَهِينُ غَدِ(٥)

هَلْ نَحْنُ إِلاَّ كَمَنْ تَقَدَّمَنَا ... مِنَّا ؟ وَمَن تَمَّ ظِمْؤُهُ يَرِدِ(٦)

حتى إذا سكَنَتْ فى دَنِّها وهَدَتْ ... من بعد دَمْدمة مِنها وضوضاء

جاءتْ كشمْس الضُّحَى فى يوم أسْعُدِها ... من بُرْج لَهْوٍ إلى آفاق سَرّاء

(١) عل الشىء وعلله . سقاه مرة بعد مرة من ماء أو طيب . والعليل والمعلل : المطيب مرة بعد مرة . وقوله : « بعد غفلة الرصد » ، يعنى فى أواخر الليل حين ينام حراسها ، وهم الرصد - يذكر فى البيتين طيب فمها من عند آخر الليل ، حين تتغير أفواه البشر ، وذلك من نقاء مطعمها ، ورفاهيتها ، وصحة بدنها ، وكمال طبيعتها .

(٢) دع ذا : كلمة يقولونها فى الخلوص من معنى إلى معنى غيره . العاذلة : التى تلومه . وقوله : « لو علمت ماأريد » ، يعنى : ماحملنى على ما أنا فيه ، فهو يذكر لها رأيه فى الحياة والموت . وفى « م » : « يارب » .

(٣) هبت : يعنى امرأته انتبهت عند السحر ، حين جاء من ليلة لهوه . الكواعب جمع كاعب وهى الشابة التى كعب ثدياها ونشزا ، واستويا فلا استرخاء فيهما ولا لين ، وذلك فى فورة شبابها وخير أيامها . والخرد جمع خريدة : وهى البكر التى لم تمسس ، فهى بعد حيية ، خافضة الصوت ، تحب اللهو وتستحى منه ، فهى أغلب على لب الرجال . وفى « م » : « فى شربى » .

(٤) مهلا : خفضى من عتابك ولومك ، فما عليك عاقبة ماأقترف من خطأ أو ألزم من صواب . والغوى : الضال الفاسد . « أن أمسيت » سهل الهمزة ، ونقل حركتها إلى ماقبلها ، وكذلك فعل بعد . وفى « م » : « فلا عليك » .

(٥) مل يوم ، من اليوم ، أى فى يومى هذا . يحذفون النون الساكنة فى « من » ، كأنهم توهموا التقاء ساكنين ، وعدوا النون صوتاً كالتنوين لا حرفاً على لغتهم . وفى المخطوطة : « مل اليوم » ، والصواب ما أثبت ، وفى « م » : « لم أمت يومى » .

(٦) قوله : « منا » يعنى البشر ، معرقون فى الهلاك . وسقطت « منا » من ناسخ « م » . والظمء : حبس الإبل عن الماء إلى يوم وردها ، فهى تتعود الحبس عن الماء يومين وثلاثة وأكثر ، =

نَحْنُ كَمَنْ قَدْ مَضَى، وما إِنْ أَرَى . شُحًّا يَزِيدُ الحريصَ مِنْ عَدَدِ [(١)]
فَلَا تَلُومِنَّنِي على خُـــلُقِي ، وَاْقنِيْ حَيَاءَ الكَرِيمِ وَاْقتَصِدِى [(٢)]

* * *

٣٨٦ — ودِرْهَم بن زَيْد ، يقولُ : [(٣)]

= فإذا حان موعد وردها ، أو ردها راعيها . وتم ظمؤها : أى استوفت أيام حبسها عن الماء ، فهى لاتصبر بعد على الظمأ حتى تشرب . يقول : الموت غاية كل حى ، ومهما يحبس على الحياة ، فهو لابد وارد يوماً شريعته .

(١) العدد والمعدود واحد ، يعنى المال الذى يعده ويحصيه حرصاً وبخلا .

(٢) قنى الحياء : لزمه ، يقول لها : استحيي واقتصدى ، ولا يزدهيك الغلو فى لومى ، فإنى غير مقلع عما أنا فيه ، وكيف ؟ والحياة إلى فناء !

(٣) فى المخطوطة : « درهم بن يزيد » ، وفى « م » : « درهم بن زيد » ، ولم أجد له ترجمة ، ولكن جاء فى مخطوطة النسب لابن الكلبى : ٢٥٥ ، قال : « درهم بن زيد بن ضبيعة ، الشاعر الجاهلى » . وسياقة نسبه فى الأنصار : « درهم بن زيد بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس » ، وأ كاد أقطع أنه « درهم بن زيد » لا « بن يزيد » ، لأن جل الكتب ذكرته كذلك : فهو « درهم بن زيد الأوسى » كما جاء فى البيان والتبيين ٣ : ١٠١ ، والأصنام لابن الكلبى : ١٩ ، وحماسة البحترى : ١١٣ ، وحماسة الشجرى : ٣٩ ، والعسكرى فى شرح التصحيف : ٤١٤ ، وقال : « وفى شعراء الأنصار : درهم بن زيد ، من بنى النجار » ، وأخطأ ، جعله من الخزرج ، وهو من الأوس ، من بنى عمرو بن عوف ، وفى اللسان (جدخ) (طعن) ، وفى الخزانة ٢ : ١٩٢ ، وفى جميع مخطوطات الأغانى التى تقابل (٣ : ٢١ / الدار) ، إلا أنه جاء قبله (٣ : ١٨) : « درهم بن يزيد » ، فغيره مصححو الأغانى فى الموضع الثانى ، لأنه جاء فى ص : ٤٠ « سمير بن يزيد بن مالك » : لأنه قال قبل ص : ٢١ : « درهم بن زيد بن ضبيعة أخو سمير » ، وهذا غير حسن ، لأن « سمير » هو « ابن زيد بن مالك » كما جاء فى / تفسير الطبرى ٧ : ٨٣ ، ومخطوطاته (وتعليق على الطبرى ينبغى أن يغير) . ويؤكد ذلك ما جاء فى ديوان حسان ، عن مخطوطاته ٢ : ٣٦ : ٤٠ — وكذلك جاء فيه « درهم بن زيد الأوسى » : ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣ . فمن أجل ذلك أثبت « درهم بن زيد » ، دون « بن يزيد » ، وأرجو أن يصحح مافى الأغانى كله : « درهم بن زيد » و « سمير بن زيد » .

أما ماذكره صاحب الأغانى (٣ : ٢١) من أن « درهم بن زيد بن ضبيعة أخو سمير » ، مع أنه هو « سمير بن زيد بن مالك » ، فإما أن يكون سمير أخاه لأمه ، أو أن يكون هو « سمير بن زيد ابن ضبيعة بن زيد بن مالك» ، فنسب إلى جده ، أو اختصر النسب راوى الخبر ، فأخطأ . والله أعلم .

هَجَرْتَ الرَّبَابَ وَجَارَاتِهَا   وَهَمُّكَ بِالشَّوْقِ قَدْ يَطْرَحُ(١)
يَمَانِيَــــةٌ نَازِحٌ دَارُهَا   تُقِيمُ بِغُمْـــدَانَ لاَ تَبْرَحُ(٢)
لَعَمْرُ أَبِيــكَ الَّذِى لاَ أُهِيـــنُ ، إِنِّى لَأُعْطِى وَأَسْتَفْلِحُ(٣)
/ وأُدْلِــجُ بِالْقَوْمِ شَطْرَ الْمُلُو   كِ ، حَتَّى إِذَا خَفَقَ الْمِجْدَحُ(٤)   ٤٣

---

(١) لم أجد منها غير بيتين فى اللسان (جدح) (خفق) (طمن) ، الرابع والخامس ، والأول منها فى المرزوقى (الأزمنة والأمكنة ١ : ١٧٩) ، والأنواء : ٣٧ ، والمخصص ٩ : ١١ . طرح يطرح : أبعد ، ومنه مكان طروح : بعيد ، وطرح الدهر به كل مطرح : نأى به عن أهله وعشيرته . يقول : تشتاق إلى بعيد الدار ، وذكر مكانها البعيد فى البيت التالى .

(٢) يمانية : ديارها اليمن ، يعنى الرباب صاحبته . نازح : بعيدة عميقة . غمدان : من أشهر قصور بلاد اليمن القديمة ، فى ناحية صنعاء .

(٣) لاأهين : لا آتى مافيه مهانة وتحقير ، بأن أقسم به قسما باطلا . فى المخطوطة : « لأعطى وأستفتح » مضبوطة هكذا ، وفى « م » ماأثبت ، مضبوطة أيضاً : قوله : « لأعطى » من قولهم : « أعطى البعير » ، إذا انقاد ولم يستسلم ، ومنه قول جرير : (النقائض : ٦٥٠) :

وأَعْطُوا كما أعطَتْ عوانٌ حَلِيلَها   أقرَّت لبَعْلٍ بعد بَعْلٍ تراسِلُهْ

« أعطوا : أمكنوا من أنفسكم » ، ويقال : « أعطى بيده » ، إذا انقاد ووكل أمره إلى من أطاعه وعناه (اللسان: خزم) . وقوله : « وأستفلح » ، من قولهم فى الجاهلية للمرأة : « استفلحى بأمرك » ، إذا أرادوا طلاقها ، أى أى فوزى بأمرك ، واستبدى بأمرك . ويعنى الشاعر : إنى لأنقاد وأستصعب ، وألين وأستعصى ، وأما « وأستفتح » ، كما ضبطت فى المخطوطة ، فإلا تكن تصحيفاً ، فعسى أن تكون من « الفتاحة » (بضم الفاء) و « الفتح » ، وهو القضاء بين المتخاصمين ، ومنه قوله تعالى : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح » ، أى إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم فى الخصومة . يقول : إنى لأنقاد طيب النفس بالمهادنة ، فإذا خاصمت كان لى الفلج فى الخصومة وانظر معنى « أعطى » فى شعر الفرزدق الآتى رقم : ٤١٩

(٤) أدلج إدلاجاً : إذا سار الليل كله . شطر الملوك : أى نحو الملوك قاصداً لهم . ويروى : « وأطمن بالقوم » ، طمن فى المفازة مضى فيها وأمعن . يذكر زعامته على الوفود التى تقصد الملوك . والمجدح (بكسر الميم وضمها ، فسكون ففتح) وهكذا ضبطها فى « م » ، وكتب فوقها : « نجم ، معاً » بكسر الميم وضمها ، وهو اسم نجم كانت العرب تزعم أنها تمطر به ، كقولهم فى الأنواء . وفى الحديث : « لو أن الله عز وجل حبس المطر عن الناس سبع سنين ثم أرسله ، لأصبحت طائفة منهم به كافرين ، يقولون: مطرنا بنوء المجدح » ، الأزمنة والأمكنة ١ : ٩٣ ، ٩٤ / الأنواء : -

أَمَرْتُ صِحَابى لِكَىْ يَنْزِلُوا ، فنامُوا قَلِيلاً وقَدْ أَصْبَحُوا[1]

أَجَدُّوا سِرَاعاً ، فأَفْضَى بِهِمْ سَرَابٌ بِدَوِّيَّةٍ أَفْيَحُ[2]

تمّ السِّفْرُ الأوّلُ من طَبَقَات فَحُولِ الشُّعراء

ويليه السِّفْرُ الثانى ، وأوّله

طبقاتُ الإسْلام

عشرُ طَبَقاتٍ : كلّ طَبَقةٍ أربَعَةُ رَهْطٍ مُتَكافِئِين مُعْتَدِلين .

= ١٤ ، ١٥، ٣٧) . وخفق النجم : انحط للغروب فتلألأ وأضاء ، ثم غاب ، وذلك فى آخر الليل . يعنى أنه يسير بهم الليل كله حتى يوشك الصبح ان يسفر .

(١) بين فى هذا البيت ، أنه سار بالوفد ليلهم كله إلا قليلا ، فأمرهم أن يستريحوا شيئاً ، فما كادوا حتى طلع عليهم الصبح .

(٢) يذكر أنه لنشاطه وجرأته ، يقضى الليل كله في السير ، وصدر النهار حتى تحمى الشمس . أجد القوم : إذا أسرعوا خفافاً فى مسيرهم . أفضى بهم : انتهى بهم . والسراب فاعل هذا الإفضاء ، لأنه الذى حملهم على السير إليه حتى أفضوا ، أى انتهوا وبلغوا الفضاء . وسراب أفيح ومكان أفيح : واسع منتشر متباعد الأرجاء . والدوية والدو : المفازة الواسعة المستوية البعيدة الأطراف ، يسمع فيها المسافر دوى الأصوات والأصداء

